

الكتاب الأول

ماجد الغرباوي

أنسنة التراث وعقلنة النص الديني

تقديم الأستاذ الدكتور
عبد الجبار الرفاعي

إعداد الأستاذ الباحث
موراد غريبي



هاجد الغرباوي

أنسنة التراث وعقلنة النص الديني/1

هاجد الغرباوي

أنسنة التراث وعقلنة النص الديني

تقديم الأستاذ الدكتور عبد الجبار الرفاعي

إعداد الأستاذ الباحث مورا غريبي

الكتاب الاول



اسم الكتاب: ماجد الغرباوى أنسنة التراث وعقلنة النص الدينى 1
إعداد الأستاذ موراد غريبى
القياس: 17 × 24 سم
عدد الصفحات: 618 صفحة

الطبعة الأولى

1446 هـ - 2024 م
ISBN: 978-614-441-464-4

إصدار مؤسسة المثقف العربى - استراليا

نشر وتوزيع
شركة العارف للأعمال ش.م.م



بيروت - لبنان

00961 78 988 839

العراق

00964 78 26593032

00964 780 409 4020

WWW. ALAREF. NET

Email: alareflb@gmail.com

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأى شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأى شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما فى ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطى من أصحاب الحقوق.

© All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying's, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher...

المشاركون في الكتاب الأول

شمادات

9	شكر وعرفان بقلم: ماجد الغرباوي
17	د. عبد الجبار الرفاعي
23	د. بشرى البستاني
30	د. بتول فاروق
33	د. سامي عبد العال
40	د. صائب عبد الحميد
47	د. صالح الطائي
54	د. نايي بوعلي
60	د. عدنان عويد
63	أ. أياد الزهيري
67	أ. ثامر عباس.
71	د. عبد الجبار العبيدي
73	د. محمود محمد علي
75	د. الطيب النقر
79	أ. طاهر أبو آلاء
83	د. جودت العاني.
85	د. سعد ياسين يوسف
88	أ. عبد الأمير المؤمن
93	أ. عبد الإله الياسري
95	أ. هبة شاكر أحمد
98	أ. أحمد راضي الشمري

101	د. صالح الرزوق
103	د. صلاح حزام
107	ا. سليم جواد الفهد
114	ا. شاكر فريد حسن.
119	ا. صفاء الهندي
128	ا. حسين علاوي
131	ا. عبد الستار نورعلي
134	ا. زيد الحلي
136	د. قصي الشيخ عسكر
142	د. صادق السامرائي
146	د. عبد الرضا علي
147	د. مصدق الحبيب
149	د. انطوان القزي
151	ا. محمد محفوظ
158	ا. سُوف عبيد
160	ا. سنية عبد عون
162	ا. جمال مصطفى
164	ا. عقيل العبود
167	ا. شاكر عبد موسى
171	ا. مريم لطفي
176	ا. سراب سعدي
178	ا. أحمد مانع الركابي
179	ا. حمودي الكناني
180	ا. شهرزاد حمدي
181	ا. تماضر كريم
183	ا. جواد غلوم

مقالات

187	د. علي المرهج
200	د. عبد الباسط هيكل
208	د. رائد جبار كاظم
222	ا. محمد يونس محمد
230	د. أسعد عبد الرزاق
243	د. خيرة مباركي
253	د. عصمت نصار
285	د. حيدر شوكان سعيد
264	د. فاطمة الثابت
269	ا. الحسين بوخرطة
277	ا. حاتم حميد محسن
284	ا. بدر العبري..
296	د. حسنين جابر الحلو
299	د. زينب عبد الرحمن
306	د. محمد سعيد الأمد
314	د. عفاف المحضي
335	ا. خولة خمري
335	ا. عباس أومري
353	ا. علجية عيش
367	د. حفيظ سليمان
376	ا. سلام كاظم فرج
383	ا. علي جابر الفتلاوي
389	د. تماضر آل جعفر
298	د. رانيا عاطف
405	ا. ريم الكلزلي

413	ا. احمد راضي الشمري
424	ا. سهام الجزار
428	ا. ابراهيم جلال القصاب
339	ا. عاشور البدري
443	ا. أمان السيد
448	د. سمية ابراهيم الجنابي
445	ا. محمد جواد سنبه
459	ا. حنان عقيل
464	ا. سامية البحري
468	ا. زيد الحلبي
475	ا. علاء هاشم الحكيم
480	د. بثينة بوقرة
484	ا. إنعام كمونة
489	ا. شوقي مسلماني
493	ا. قيس العذاري
497	ا. نادر المتروك.
500	ا. هيام الفرشيشي
503	ا. عبد الغني الزردي
509	د. حسن البصام
514	ا. صالح البياتي.
527	ا. صباح محسن كاظم
531	ا. طارق الكناني
535	ا. جمعة عبد الله
544	ا. محمد هروان
559	ا. عقيل العبود
577	ا. سراب سعدي
592	ا. آية محيي الدي

شكر وعرفان

بقلم: ماجد الغرباوي

وأنا أقرأ ما تضمنه الكتاب من شهادات ومقالات وقراءات نقدية ودراسات علمية، شعرت بخطورة الكلمة، وثقل المسؤولية، عندما يتناول الباحث قضايا إشكالية ترتبط بالدين والتراث والتجديد والنهضة والتسامح والعنف. والأخطر المقاربات النقدية التي تطال النسق العقدي، و يقينيات العقل الدوغمائي. فثمة رصد يلاحق كل ما ينشره أو يتحدث به الكاتب، تمهّد له سهولة المتابعة عبر توفر الكتاب ووسائل الاتصال الحديثة. القراءات النقدية تستفز القارئ، وقد تطيح بآراء الكاتب ما لم يكن واثقاً من أدواته وأدلتة وبراهينه ومنهجه وإحالاته. وبالتالي الكتابة تحت مجهر النقد وإن طال الزمن، والباحث مسؤول عن كلامه وآرائه، فقد تمكث طويلاً إذ نجحت في مقاومة التحديات النقدية وقد تتلاشى وتموت غيرها من التجارب الكتابية.

أيضاً شعرت خلال متابعة القراءة بدفع محبة المشاركين، وإخلاصهم وشجاعتهم وصدق لهجتهم، وهم يدلون بشهاداتهم حول منجز وسيرة المحتفى به. مفكرون، باحثون، أكاديميون، مثقفون وأدباء، من السيدات والسادة، لهم مكانتهم ومنجزاتهم الفكرية والثقافية والأدبية. لبعضهم صفة التميّز من خلال مشاريعهم، وثقلهم الفكري، وقوة حضورهم وتألقهم. مشاعر نقية، شعرت معها بعجز أبجديتي عن تقديم ما يليق بهم من كلمات الشكر والعرفان والتقدير. فتحية زاكية للأقلام النيرة التي ساهمت في صدور كتاب التكريم بجزأيه، تقديراً لأكثر من نصف قرن من العمل السياسي والفكري والثقافي والغربة والاضطهاد والحرمان، والأكثر قساوة ما تعرّض له الكاتب من قبل الاستبدادين الديني والسياسي والاتجاه الدوغمائي عموماً. أساليب عدوانية مختلفة، عاجلتها بالحكمة والتروي ومواصلة الكتابة. بيد أن السعادة الأكبر صدى مشروعك في نفوس شخصيات لها وزنها الفلسفي والفكري والثقافي عبّرت

عنه بمشاركات نقدية جادة في كتاب التكريم لمناسبة بلوغ المبحث في السبعين سنة من عمره (1954-2024م). إنها شهادات كبيرة تبعث على الفخر والاعتزاز.

لا تعني المشاركة مطلق التماهي مع مشروع الباحث ومبادئه. أو إمضاء لجميع آرائه ومعتقداته، فهذا مستبعد جداً، بل أن المشاركة بذاتها احترام وتكريم قبل كل شيء. وتعبير صادق عن التعاطف مع منطلقات المشروع الفكري التنويري من حيث المبدأ. فتجد طيفاً من الكتابات حافلاً بالنقد والمراجعة وطرح الأسئلة والاستفهامات، بما فيها بعض الشهادات، مما يؤكد موضوعيتها وسلامتها من النفاق والمجاملات الفاقعة. فالكتاب بات مرجعاً، لدراسة المشروع الفكري التنويري للمبحث في لمن يود ذلك. بحوث علمية، ودراسات أكاديمية، تعددت فيها الآراء، ووجهات النظر، وقد شملت جميع كتي وأعمال تقريباً. فيصدق أن الكتاب مسح نقدي ودراسات موضوعية حول المنجز الفكري - الفلسفي للمبحث في به. إن تناول منجز بهذا القدر من المشاركات، يؤكد مرونته وخصوبته التي سمحت بمراجعته نقدياً، ويؤكد قدرته على التصدي والثبات أمام التحديات المعرفية النقدية. ولكن أيضاً للمستقبل تحدياته في ظل تطور علمي وأكاديمي مضطرد. وتبقى الأجيال القادمة هي الحاكمة.

ليس ماجد الغرباوي سوى منجزه الفكري الذي ارتكز إلى العقلانية في نقده للتراث ومرجعيات التفكير الديني. وكان العقل رائده وهو يسعى إلى تحريره من بنيته الأسطورية والخرافية، وإعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة. وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، ومن خلال قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، من أجل فهم متجدد للدين، كشرط أساس لأي نهوض حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة والعقلانية، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتناوب والاحتراق. هذه هي معالم مشروعه منذ قرابة خمس وثلاثين سنة أو أكثر.

يولد الفرد في بيئة تملي عليه مزيحاً من عادات وتقاليد وأعراف وفنون وآداب وحكايات، ومشاعر دينية وطائفية وقومية وعنصرية، ترسو في لا وعيه إبان مرحلة

التلقي الأولى. وتفرضُ عليه نسقاً ثقافياً يوجّه وعيه ويضبط سلوكه، مهما كانت مساحة اللامعقول والخرافة فيه، فيجد نفسه منقاداً لها لا إرادياً. فهو ينتمي إلى ثقافة يحرص الجميع على تمثّلها والتمسك بها، لتفادي أي تهميش يفقده ذاته ومصداقيته. فلا يعي بمرور الأيام إلا أنها تمثّل هويته ومسار انتمائه ومصدر قوته فيقبع في داخلها، حداً يكون الإفلات من سجونها أشبه بالمستحيل، ما لم تنقلب لديه آفاق الوعي، ويتمتع بإرادة يتحدى بها المؤلف من أنماط الوعي السائد. وهذا لا يتأتى بسهولة، وأغلب مجتمعاتنا يحكمها نظام أبوي صارم، يمنح الأب سلطة مطلقة. ويعني استبداد الأب ارتكازه للقوة في تسوية الأمور، واحتكامه لقيم الذكورة في نظره للمجتمع. وبالتالي ينحدر المحتفى به، أسوة بغيره، من مجتمع محافظ مغلق على عاداته وتقاليده، مجتمع أبوي، يحسب القتل والاضطهاد شجاعة وبأساً ووساماً. يرفع من مكانة شيخ العشيرة ويحط من قيمة الفرد. مجتمع يستخف بالإنسان، يعامل المرأة بدونية. يقمع الأنثى، ويصادر حقوقها. يسحق الفقير، ويهدر كرامة الضعيف. وليس عنف السلطة أقل وحشية، بل هي أشرس وأعنف. كل هذا وغيره قد ترسّب في أذهان الذاكرة، وإن لم يدرك حجم تداعياتها في مراحل حياته الأولى، لكن بلا ريب تؤثر في لا وعيه ومواقفه لاحقاً. فالماضي يؤثر في الحاضر كما يذهب لذلك فرويد. لكن الوعي يبقى رائداً في مسيرتي، وله قصته ومراحلته. أكتفي بلمحة عن مراحل وعي الخطاب الديني كمعلّم رئيس في شخصيتي ومنجزتي ومسيرتي الطويلة:

أقتصر وعي الخطاب الديني في مرحلة التكوين على التلقي والانبهار والدهشة. تلقى بسيط، لا يشوبه شك. امتد من بؤادر الوعي حتى نضوج العقل نسيباً. وإذا كانت ثمة دلالة في هذه المرحلة فتقصر على بارقة الذكاء من خلال أسئلة فتى بسيط، قد تتفجر مستقبلاً أو تحبو. تلاحق بعض الظواهر، أو تخلق أبعد من السماء بأسئلة ميتافيزيقية، ضمن أسئلة الوجود الكبرى، وما يخص خالق الكون بالذات، حتى تخيلت إحدى المرات أن السماء ستسقط عليّ غضبا وانتقاما، فهربت إلى مخدعي، لاستعادة وعي، وعلامات استفهامات أهلي تلاحقني لشدة ارتباكِي وأنا مازلت شاباً صغيراً لم أبلغ الحلم!!!.

ثم ذات الإصغاء والتلقي وما رفدني به قراءاتي وتجربتي الحياتية فيما بعد، كل هذا تحول بدوره إلى مرجعية تفرض محدداتها. وهو أمر طبيعي يمر به كل شخص. والفارق في قدرة الفرد على مغادرة المألوف وطرح الأسئلة، وهو أمر صعب لرسوخ المقولات العقدية مبكرا في أعماق البنية المعرفية، فيتعذر نقدها لعدم وجود مقولات سابقة عليها، وفقا لنظام المعرفة البشرية. وكان محفز الوعي في بداياته محفزا أيديولوجيا.

وعندما لا حت الشكوك في أفق اليقين، سيما اليقين السلبي، بدأ التساؤل يرسم علامات استفهام. فكان خروجي من أجواء الإسلام السياسي والأيديولوجي مبكرا إيذانا بأقول مرحلة التكوين. لتبدأ مرحلة الاستنارة العقلية التي دشنتها بمحاكمة التراث ومراجعة نقدية للفكر الديني. وكان العقل مرجعيتي، سواء كان مستقلا أو من خلال تراكم معرفي نقدي. وظل مرجعيتي في مقاربة الخطاب الديني، بل وصار يتقدم على النص. ثم بدأ يتبلور لديّ جهاز مفاهيمي جديد، سمح بتقديم قراءة مغايرة للنص المقدس. ومن الطبيعي أن تقتصر قراءاتي في مرحلة ما بعد التكوين المرجعي، على التراث العقلي والإنساني بدءا من المعتزلة، وامتداداتها، بعيدا عن الأشاعرة ومقولاتها. وقد تعززت قدرة العقل على النقد والاستنارة العقلانية من خلال قراءات متواصلة، فكرية وفلسفية ونقدية. بهذا الشكل بدأت تحل إمكانات العقل النقدي الحداثي المستنير محل تابوهات العقل التراثي. وبشكل أدق: يبقى العقل مرجعيتي في وعي الخطاب الديني في ضوء رؤيتي للعالم، بمفاهيم مغايرة للنسق العقدي المألوف، وتفسير مختلف لمصفوفة مفاهيم عقدية. كما أن جميع قراءاتي العقلية والفلسفية والنقدية، شكّلت تراكما مرجعيا لفهم الخطاب الديني والواقع. ولو لخصت مشاغلي الفكرية فأنا مشغول دائما بسؤال الحقيقة، أطارده من قضية إلى أخرى، ومن نص إلى غيره. ويبدو أنها مهمة لا تنتهي أبدا. لست بصدد سرد لحياتي ومسیرتي الفكرية سوى معالم الوعي. فالمشكلة الأساسية بالنسبة لنا وعلى جميع الأصعدة هي مسألة وعي. وكان وراء تطور الوعي قضايا ذاتية، فأنا مسكون بالأسئلة وملاحقة الاستفهامات. وقضايا موضوعية، ترتبط بنوع القراءة، والانفتاح الفكري والفلسفي،

وعدم الجمود على الموروث الثقافي والديني. وأيضا للأحداث والتجارب الحياتية دورها في تطوير الوعي، وهي مسيرة طويلة، مشبعة بالأحداث السياسية وغيرها.

للأسف لا أجد الحديث عن الذات بما يُشبع نهم السائل، والمتابع المتلهف، وأفشل في تسويق نفسي، وما زلت أعتقد أن منجز الإنسان كفيل بتحديد أبعاد شخصيته، وإلا تبقى العناوين ادعاءات فارغة بلا مصاديق، مهما كان حجمها. لذا دائما أترك القارئ يشكّل انطباعه من خلال أعمالي ومشاريعي. ومن يطالع منجز ماجد الغرابوي ستتضح صورة صاحب القلم: أبعاد شخصيته، طريقة تفكيره، أهدافه. شخص طموح، ويجيد رسم علامات الاستفهام، يبحث عن الحقيقة بلا هوادة، يطاردها في كل مكان. اتسمت بحوثه بالجرأة والعقلانية والمشاكسة. أنا شخص مسكون بالأسئلة منذ طفولتي، أمارس النقد بأوسع أبوابه، لا أخشى الممنوع، والمتستر عليه، أتوغل عميقا، وأعتبر كل شيء أمامي قابل للنقد، لا فرق عندي بين المقدس وغيره، ما دام التقديس ظاهرة بشرية، كرّسته سلطة رجل الدين والسياسية. كنت دائم النقاش مع أصدقائي وزملائي خلال سنوات الدراسة الطويلة، حول شرعية السائد والمتعارف، والراسخ تقليدا في وعي الناس. وكنت أعبر عن آرائي بشكل وآخر، رغم أنها مغامرة في الأجواء المغلقة، خاصة الأجواء التي تعتمد الأيديولوجيا ركيزة لتثبيت سلطتها، دينية كانت أو سياسية. نعم لا أبوح بالخطر منها الا لعدد محدود جدا، تارة يكون واحدا فقط. كانت وما زالت تستفزني المظاهر، فأأمل باحثا عن خلفياتها، وأسبابها الحقيقية، بهذا الشكل تراكم لدي الوعي وما زلت أبحث عن الحقيقة، ولن أتوقف، ولن أدعي الكمال، وليس لدي نهائيات، فكل شيء قابل للمراجعة والنقد بشكل مستمر. وآرائي هي وجهات نظر، قد أتخلى عنها مستقبلا عندما أكتشف خطأها.

لم أجد على أي فكرة أو نظرية، لذا يتهمني بعضهم بالانحراف الفكري والعقيدي، لكن لا أبالي، ما زلت أنشد الحقيقة، وأعتقد أن الجمود الفكري صفة الحجر، والإنسان كائن مفكر ذو عقل. وليس ثبات الناس على ذات الرؤى دليل استنارتهم، بل دليلا على بساطتهم وخمول وعيهم وتعصبهم. كنت وما زلت دائم البحث عن الحقيقة، متى وجدتها أتمسك بها ما دامت تستوفي شرطها العلمي.

ومستعد للتراجع عن أي مبنى فكري أو عقيدي إذا اكتشفت خطأه. لذا لا أقصر في قراءاتي على وجهة نظر واحدة بل أقرأ للمعارض أيضا بكل تجرد، ثم أعمل عقلي لمحاكمة كلا الطرفين. لست أيديولوجيا، بعد أن تحررت من سطوتها بمعاناة طويلة، ولا متعصبا، وأرتبط بصداقات مع مختلف الانتماءات السياسية والدينية والمذهبية، صداقات قائمة على التسامح الديني والثقافي والاعتراف بالآخر، اعترز بها واحترمها جدا. ولي في صحيفة المثقف شاهد، حيث غدت مساحة لتلاقي الأفكار المختلفة والمتقاطعة بكل احترام وتقدير، بل وليس هناك سيادة لأي لون من التفكير، وما يكتب في المثقف من نقد فكري وغيره لا يكتب في أي موقع موضوعي إلا نادرا. فلا حدود لحرية الفكر في المثقف سوى حرته.

قدري أن أولد أكثر من مرة، وأعيش أكثر من حياة. صَنَعَتِي الأسئلة وارتقى الشك بتفكيري وتأملتي النقدي عالياً. وسأبقى أواصل ما استطعت من مشاريعي. أتعهد بنقد مسلماتي ومراجعة يقينياتي والإطاحة بأوثاني. وهكذا في دوامة النقد والمراجعة لا أركن لليقين مادام اليقين خدعة نفسية. وسأبقى وفياً لسؤال الحقيقة، أتعهده وأجد في مقارنته، لا أنتظر ثناء ولا تبجيلا، ولا أتنازل عن قناعاتي بلا دليل علمي، مهما قاطعوني، أو حاربوني. وإذا دل الدليل أترجع عن قناعاتي وأقول ذلك علناً. فأنا لست معصوما ولا أدعي امتلاك الحقيقة.

أعود لأتقدم بجزيل الشكر والامتنان لجميع المشاركين من السيدات والسادة في كتاب التكريم. أحبة غمروني بلطفهم واحترامهم وتقديرهم. وأشكر كل الجهود الطيبة التي بذلت جهودا كبيرة في إعداد ملف التكريم، سيما أسرة تحرير المثقف، والأخ الأستاذ موراود غريب صاحب المبادرة الكريمة.

ماجد الغرباوي

سيدني — أستراليا

2024/8/1م

القسم الأول

شهادات

ماجد الغرباوي

عبور الطوائف والأيدولوجيات

(تقديم الكتاب الأول)

بقلم: د. عبد الجبار الرفاعي¹

ينتمي ماجد الغرباوي إلى زمان ثالث في الحوزة، تمثله جماعةٌ قليلة من طلاب علوم الدين العراقيين يمتلكون رؤيةً تجديدية. تميز هؤلاء بعدم ارتداء زي رجال الدين. لبث ماجد سنوات طويلة في الحوزة تلميذًا وأستاذًا ومؤلفًا، يرتدي اللباس الشائع اليوم "البنطلون والقميص والسترة". لم يتطع ماجد وزملاؤه، ممن يوشكون مغادرة العقد السابع من أعمارهم، لشهاداتٍ تُمنح لهم، أو امتيازات مالية، أو مقامات دينية، لبث كلٌّ منهم يحلم بتأهيلٍ رصين في الفقه وأصوله ومعارف الدين المدروسة في الحوزة. وذلك ما دعاهم للدراسة بعزيمة وإرادة صلبة وصبر طويل، ومثابرة استثنائية، لا تفرط بأية ساعةٍ منذ الفجر حتى منتصف الليل، ينفقونها في الدراسة والمباحثة "المدارس" بين زملاء الحلقة المدرسية، ثم التدريس، ولاحقًا التأليف.

في محاولةٍ أوليةٍ لمواكبة إعادة بناء علوم الدين ونظام التعليم الديني في الحوزة، يمكن رصدُ ثلاثة أزمنة منذ حركة المشروطة، ورائدها محمد كاظم المعروف بالآخوند

1 - مفكر عراقي متخصص في الفلسفة وعلوم الدين، وأحد مؤسسي علم الكلام الجديد وفلسفة الدين. دكتوراه في الفلسفة الإسلامية بامتياز عام ٢٠٠٥م، رئيس تحرير مجلة قضايا إسلامية معاصرة المتخصصة في فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، منذ إصدارها سنة ١٩٩٧م، صدر منها حتى اليوم ثمانون عددًا، ورئيس مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد. وهو عضو المجمع العلمي العراقي، وأستاذ دراسات عليا لفلسفة الدين وعلم الكلام الجديد وعلوم الدين في جامعة الأديان والمذاهب.

الخراساني (1255 - 1329 هـ / 1839 - 1911م) وتلميذه محمد حسين النائيني (1276هـ - 1355 هـ الموافق 1860م - 1936م)، إلى نهاية العقدين الأول والثاني في القرن الميلادي الجديد. هذه الأزمنة تتسلسل كالآتي: يبدأ الزمان الأول برؤية إحيائية، والزمان الثاني برؤية إصلاحية، والزمان الثالث برؤية تجديدية. يمتد كل زمانٍ عدة عقود، وتتعاقب عليه أكثر من مرحلة عمرية، وينظر لهذه الرؤى بعض الطلاب والأساتذة في الحوزة بارتياح، وتلاحق رجال هذه الأزمنة الثلاثة الشائعات والأكاذيب حتى في قبورهم. يتداخل الزمانان الإحيائي والإصلاحي بنحو يصعب فيه التمييز بينهما أحياناً، وتنفرد الرؤية التجديدية للزمان الثالث بعودتها لعلم الكلام وعلم أصول الفقه وعلوم القرآن والحديث، والعلوم المؤسّسة للتراث الديني في الإسلام، وغربلتها وتمحيصها في ضوء الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع الحديثة، ومتطلبات الواقع، ومحاولة اقتراح علوم دين تواكب إيقاع متطلبات روح المسلم وقلبه وضميره وعقله اليوم.

بوارد النواة الجنينية للرؤية التجديدية بدأت بنقد نظام التعليم الديني في الحوزة، قبل أربعين عاماً، لدى جماعة صغيرة، تتحدث همساً في الحوزة، وأعلنت عن نفسها في نشرة: "الرأي الآخر"، صدر منها ثلاثة أعداد لتقف سنة ظهورها 1992، وفي سنة 1994 صدر العدد الأول من مجلة "قضايا إسلامية"، وتوقفت سنة 1997 عندما تخلّى عنها مؤسسها ورئيس تحريرها: عبد الجبار الرفاعي، وآثر تأسيس مجلة قضايا إسلامية معاصرة في تلك السنة، وتحمل وعائلته نفقاتها المالية والإدارية والتحريرية، واتخذ منها منبراً حرّاً عابراً للطوائف والأيدولوجيات. التفت في أعدادها الأولى أصوات إحيائية وإصلاحية وتجديدية، وسرعان ما أفلعت المجلة من مشاغل الإحياء والإصلاح، وأصبحت صوتاً يختص برؤيته للتجديد، ويعمل على بناء أرضية معرفية لفلسفة الدين وعلم الكلام الجديد في المجال العربي. وأردف الرفاعي قضايا إسلامية معاصرة بتأسيس: "مركز دراسات فلسفة الدين ببغداد"، بعد عودته من المنفى مباشرة، ونشر المركز عدة سلاسل من الكتب، صدر منها حتى اليوم 300 كتاب، ومن المجلة ثمانون عددًا.

ماجد وأقلية من فقهاء عراقيين من جيله، لم ينشغلوا بالبحث عن إجازة اجتهاد، كما يفعل غيرهم من زملاء معممين، كانوا شغوفين بالحصول على اعتراف أساتذتهم في البحث الخارج، ليمنحهم تلك الإجازة قبل عودتهم إلى ديارهم. فرض ماجد وجيله على المنصفين من الخبراء بالفقه وعلوم الدين الاعتراف بتكوينهم اللافت في علوم الدين. لم يقتصر هؤلاء على تخصّصهم في علوم الدين، بل كانوا منهمكين بملاحقة المعطيات الجديدة في الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع، وواكبوا التيارات المتنوعة في الفكر العربي والإيراني، وشكلوا تياراً أفراداً قليلون، إلا أنهم كانوا يمثلون صوتاً جديداً في المحيط الحوزوي، لا أقول متمرداً، بل كان صوتاً ليس مألوفاً. ظل هذا الصوت وفيّاً للتراث، وإن كان هذا الوفاء من نوع مختلف، وفاء من تشبّع بمناخات التراث، واستوعبه استيعاباً علمياً، بعد العيش في طبقاته سنوات طويلة، درساً وتدرّساً، واستطاع بشجاعة عبوره، وهو يتحدث ويكتب عن عناصره المميّزة عن عصرها، وعناصره المميّزة، مثل مقولات التكفير وفتاوي الارتداد، ومعاداة الإنسان المختلف في المعتقد.

تفرّد هذا الجيل بشجاعةٍ وحرية فكرية رحبة، وإعلان رؤيته للتجديد بصراحة، بلا مراوغةٍ وكلماتٍ زبّيقية ملتبسة. دعا هذا الجيل لإعادة النظر في المقررات المتعارفة للتعليم الديني مضموناً وشكلاً، ونقد بوضوح وجرأة طرائق التدريس التقليدية، وكيف يضيع فيها عمرُ التلميذ، وعدم الاكتراث بقيمة الزمن في الدراسة، وإهدار العمر على تفسير عبارات كتب غامضة مدونة بلغة مُلغزة، تفتقر لأساليب البيان القديمة كنثر الجاحظ، والنثر الحديث كما في أدب نجيب محفوظ. يضيع في كلماتها من عمر التلميذ ثلاث سنوات على الأقل لدراسة كتاب واحد هو: "كفاية الأصول" للأخوند الخراساني مثلاً، وتفسير كلماته وعباراته المبهمة، في حين يستطيع طالبٌ مجدّ دراسة هذا الكتاب واستيعاب مباحثه في سنةٍ أو أقل، إن كان ما يضمّه من مباحث في علم الأصول مكتوباً بلغة واضحة. فضلاً عن أن مباحث متنوعة في هذا الكتاب وأمثاله فائضة عن الحاجة، ومباحث أهمّ غائبة عنها.

تنوعت مسالكُ الرؤية للتجديد لدى ماجد وجماعته، أحدهم يدعو لإعادة النظر في معتقداته الموروثة وتمحيصها في ضوء منطق التراث من جهة، فضلاً عن

بحثها بوصفها مرآةً لواقع عقائدي وثقافي وسياسي واقتصادي ومجتمعي تشكلت على وفق متطلباته من جهة ثانية، وآخر يدعو لإعادة بناء علم الكلام بوصفه يمثل نظرية المعرفة في الإسلام، وكلُّ بدايةٍ لا تبدأ ببناء نظرية المعرفة من جديد تحطى الطريق، وثالث يدعو إلى غربلةٍ شاملةٍ للتراث وتمحيصه، ورابع يدعو لتجديد مناهج الاستنباط الفقهي، وهكذا كلُّ منهم يفكر على شاكلته، ويرى رؤيته الخاصة للتجديد. كلُّ منهم أصدر سلسلةً مؤلفات يتحدّث فيها عن رؤيته لتجديد الفكر الديني في الإسلام، وأثارت هذه الكتب نقاشاً في الحوزة وخارجها، وحدث انقسامٌ حيالها وحيال كتابها. لم يستطع أحدٌ منصفٌ نزع الانتماء الحوزوي والتنكر للتكوين العلمي الرصين لهؤلاء الكتاب، ولا لتاريخهم الحوزوي الطويل، ولا التنكر لإيمانهم وتدينهم، وإن حدث انقسامٌ حول طريقة تفكيرهم الديني، وصراحتهم في الحديث عما ينشدونه، بلغةٍ لا تتطابق مع ما هو متداول في الحوزة، ونقدِهم التراث والمناهج التقليدية في دراسته، والدعوة للخروج من آفاق التراث وأسسهِ المتجذرة المبنية في القرون الأولى والمترسخة في القرون التالية، والمرسومة تاريخياً في حدود صارمة، لعلوم عديدة تتمثل في: علم الكلام، وأصول الفقه، ومناهج الاستنباط، وعلوم القرآن وقواعد التفسير، وعلوم الحديث والدراية.

في تسعينيات القرن الماضي التحقت مجموعةً من الشباب العراقيين بالتعليم الديني الحوزوي، لكن لم يجد أكثرهم ذاته في علوم الدين، وغادر شبابٌ تحمسوا لرؤية التجديد مبكراً بعد سنواتٍ قليلة، ولم يربط منهم في الحوزة بصبرٍ وجلَدٍ إلا نوادر، ويمثل الرهان اليوم من هذا الجيل علي المدن، الذي يمكث منذ ثلاثين عاماً تقريباً في فضاء الحوزة.

ماجد الغرباوي صديق صدوق نادر، أنا محظوظٌ بهذه الأخوة الإيمانية والأخلاقية والمعرفية الأصيلة بيننا، لا شك أن هذه الأخوة استثناء من الصداقات الشائعة. أنا وماجد أصدقاء عمر، يقترب عمر صداقتنا من عمرنا الزمني، صداقة تناهز الستين عاماً، التقينا بتوفيقٍ إلهي في متوسطة قلعة سكر سنة 1968، ولم ينقطع حبلُ المودة بيننا. من النادر ألا تتصدع صداقةٌ تتواصل عشرات السنين بنمائم

تفسدها، ووشايات تعبت بها، ودسائس تنهكها، وطعن في الظهر يجرحها. كانت صداقتنا وستلبث منزهة من كل ما يفسدها ويعبت بها وينهكها ويجرحها.

ماجد إنسان أخلاقي وفيّ مهذب، قليل الكلام، إن تحدّث يتحدث همساً تكاد لا تسمعه، يمتلك ذكاءً حاداً، تدهشك أسئلته اللاهوتية، أعترف أنني مدينٌ لشيءٍ من هذه الأسئلة في إيقاظ السؤال اللاهوتي في وقت مبكر في ذهني، وذلك ما أعلنته في إهداء كتاب مقدمة في السؤال اللاهوتي الجديد بالقول: "وتبقى هذه الأسئلة والرؤى مدينة الى ماجد الغرابوي، الذي اجتمعنا أنا وهو للمرة الأولى في الصف الأول في متوسطة قلعة سكر سنة ١٩٦٨، ثم التقينا ثانية في المنفى سنة ١٩٨٤ في حلقات دروس الحوزة العلمية، الى أن غامر بخوض عباب المحيط الهندي بمعية عائلته سنة ٢٠٠١، ليصل الى استراليا على ظهر سفينة متهالكة. كانت استفهامات ماجد وآراؤه الجريئة، التي ظل يكررها في حلقاتنا النقاشية، منهالاً لانبثاق شيء من السؤال اللاهوتي لدي".

كان ماجد الغرابوي مدينيّاً، المرحوم والده من وجهاء قلعة سكر وتجارها، قلعة سكر قبل ستين عاماً تشبه مدينةً متحضرة، شوارعها معبّدة نظيفة مضاءة، لا تشبه القرية بكثيرٍ مما نألفه نحن أبناء القرية الفقراء الحفاة، يتكلم أهلُ المدينة لهجةً كانت سائدةً في المدن العراقية، مفرداتٌ لهجتنا في القرية غريبةٌ عليها مفرداتٌ لهجتهم، كنتُ أخجل من لهجتي، وأخاف من انكشاف أمري بأني من القرية، وجوهنا كالحمة، وجوههم نظرة، يصفها أهلنا بقولهم: "كأنها طماطم!"، ملابسنا أسمال بالية متسخة، ملابسهم نظيفة، لا نعرف ارتداء البنطلون والقميص، الزيّ الجديد المفروض علينا في المتوسطة، اعتدنا في القرية ومدرستها ارتداء الثوب المحلي الذي نسميه: "دشداشة". أتذكر الحزام الذي اشتراه أبي رحمه الله كان مخصّصاً للكبار، حين ألبس البنطلون مع هذا الحزام كنتُ أظهر بصورةٍ كاريكاتورية مضحكة، أمشي في شوارع المدينة وأنا مذعور. أبناء المدينة لا يتهيبون أو يخجلون مثلنا أبناء القرية، مجرد أن يسمع كلامنا بعضُهم ويعرف أننا قرويون يرمينا بالحجارة، أو الطماطم التي يلتقطها من المياه الآسنة، أو غيرها من الأشياء المتعفنة، لحظةً يهاجمونا سرعان ما ترتجف وننهزم. لم أرَ

ماجد يومًا يفعل شيئًا من هذا السلوك المستهجن، لا أتذكر أنه سخر من زملائي أبناء القرية في المدرسة أو الشارع، بسبب لهجتنا أو لباسنا أو وجوهنا الشاحبة.

ماجد إنسانٌ ينحدر من أبوين مؤمنين نبيلين فاضلين، كنت وزملائي نتطلع بإعجابٍ لتهذيبه ولطفه ودفء شخصيته، ننظر إليه وكأنه معلمٌ ومليحٌ أخلاقي لنا، على الرغم من أنه بعمرنا وزميلنا في الصف المدرسي ذاته. كنا معًا في دراسة الحوزة، ندرس الكتاب نفسه لدى الأستاذ نفسه، وهكذا تواصلت رحلتنا المشتركة في دراسة علوم الدين. كنا نتحدث بلا حجبٍ وأسرار خاصة، ما في ذهني أقوله له، وهو يفعل ذلك، حتى هواجسي وآلامي ومواجعي الخاصة لا يعرفها إلا هو، ونعرف معًا ما تتمناه ونحلم به. بدأنا معًا، وسرنا معًا، وتكونًا معًا، وسنظل معًا إلى أن نرحل للقائه الله. لفرط رفقتنا ووثوق أخوتنا عندما نمشي في الشارع كان يظن بعض الناس أننا شقيقان.

أنا إنسانٌ أعيش بالمحبة، وأستثمر بالمحبة الأصيلة، محبتي لأخي الحبيب ماجد الغرباوي مُشبعةٌ بالإيمان والصدق والاخلاص، إنها من أعذب منابع المعنى لحياتي. تزداد وحشة الحياة كلما تقدّم عمر الإنسان، يرحل أكثر الأصدقاء الأوفياء للعالم الآخر، وعزلة الشيخوخة لمن يتبقى منهم. الأمراض المزمنة تربض في الأبدان، ووهنُ الجسد لا يمكن الهروب منه. جوهر المحبة لا يمكن أن يستغني عنه الإنسان يومًا ما في مراحل حياته كلّها. أحتاج محبة ماجد اليوم أشد مما كنت أحتاجها أمس. كلما تقدّم عمر الإنسان احتاج كثيرًا لكلمة المحبة الصادقة، بوصفها تصنع السعادة، وتتغذى بها القلوب، وتبتهج بها الأرواح.

عبد الجبار الرفاعي، بغداد، ليلة الجمعة 6-6-2024.

مونولوج

ماجد الغرباوي وبشرى البستاني

بقلم: أ.د. بشرى البستاني¹

كان ذلك قبل عقدين من الزمن، أكثر أو أقل لا أذكر، ما أعرفه أن الأمر لم يعد الآن مهما فهو يعرف أن مثل هذه الأمور لا تعني، أقول له ذلك فيبتسم عن بعدٍ قائلاً، وأنا كذلك إلا في التوثيق. أسأله وهل في حياتنا من توثيق على الإطلاق. ولكي ينهي مثل هذا الحوار يقول: أحياناً. ونصمت.

اليوم تفصل ما بيننا ظلال بعيدة لم يخطر ببالي أنها امتدت كل هذه السنين، فقد مرت بنا خلالها مصائب وفواجع وانكسارات، كان خلالها يعلمنا ألا نعيشها دفعة واحدة بل نبتلعها على وجبات أو جرعات أو ان استطعنا لقيمات..

من يعرف الأستاذ ماجد الغرباوي مدير مؤسسة المثقف العربي يدرك بأمانة أيّ مثقف عراقي واسع الأفق صادق السلوك في التدين وفي التعامل مع الكتاب والمثقفين في عمله بإدارة مؤسسة المثقف، نزيه العلاقات في تعامله مع الجميع متواضع، وصبور حليم بسعة محبته وتأنيه وقدرته على خلق أجمل العلاقات مع كل مثقفي وكتاب المؤسسة، ومن فضائله التي يتسم بها على الدوام الصبر الجميل على المرض، على الشدائد، على فقدان، والعودة لزملاء العمل بكل هدوء ورصانة وأمل بثواب الله.

في البداية كنت أخاف التعصب، التعصب الذي أضر بديننا الحنيف كثيراً، ولذا كنت أتعامل معه بحذر يهدف إلى الكشف عما وراء هذا الهدوء الرصين، وحالفتني

1 - شاعرة وناقدة وأكاديمية وصوت نسوي عراقي معروف.

الصدفة بحلول (يوم القدس) واحتفالنا بذلك اليوم على المستوى الإعلامي والوطني فأرسلت له فيروز

تغني (يا قدس ..) توجست خيفة أن تزعجه حرمة الأغاني لكنه أجابني بما كنت أنتظر، ولماذا لا نسمع الأغاني الرصينة، الله سبحانه خلق لنا العيون لتأمل الجمال وخلق الأذن لنسمع الجمال وهكذا اللمس والشم والتذوق وخلق لنا نعماً لا تعد ولا تحصى، وعلينا أن نمارسها لنشكره، ونحسن عبادته.

الآن أدرك أن ما أكده هيدجر حقيقة نعيشها، إيجابيات الماضي حاضرة في ثنايا حياتنا وهي التي تشكل رؤانا لمستقبل نتوخاه ولإيقاعات جديدة، مستقبل نتطلع لتحقيقه بآليات وتشكيلات عصرية وليس بالتشكيل الذي تحدده الطائفة أو العشيرة أو المذهب، فالإنسانية فوق الجميع وقيمها المشرعة على الخير والجمال هي المنتصرة في النهاية وهكذا كان..

عام 2008 أرسل لي عميد كلية الآداب في جامعة جرش بعمان وكنا نلتقي في المرشد ببغداد يخبرني أنه أرسل لنا دعوة للتدريس في كلية الآداب بعمان حتى انتهاء الأزمة الطائفية في العراق وعودة الأخوة العراقيين جميعاً لحضن الوطن، وحينها سارع رئيس جامعة الموصل مشكوراً للموافقة وتزويدي بالكتاب الرسمي قائلاً هذه محنة وستزول وتعودون لجامعتكم.

في حينها كتب لي الأستاذ الغرباوي، تعرفين يا بشرى أن تطوير الذات والمجتمع يبدأ من الإرادة وها نحن نعيش هذه المرحلة أو المحنة بصبر وإرادة، وسيكون السفر فرصة للاطلاع وتطوير الذات والكتابة معاً فالأدب صراع الذات الفردية المغتالة بقهر المجتمع وسلبات العصر وأدوات رعبه القاسية، وأمام هذه المرحلة القاسية سيكتب الأديب مخلصاً لإبداعه، مجدداً لأساليبه وطرائق أدائه بتوجيه من العقل وحساسية الأداء.

أسأله لكن الأدب يمكن أن يكون رعباً حينما تظل الورقة بيضاء أمام عينيه لا يزخرها السواد، ويقول تلك قضية أخرى، فقد تنهض التجربة بذاتها ويواصل القلم زخرفة الصفحة البيضاء وقد تكبو التجربة فيدرك المبدع أن هذه التجربة قد ذوت

وتوقفت وغابت معالمها. يقول يحدث هذا عندكم في الأدب مرات حين يكون النص إبداعاً، أما نحن فبعد التخطيط المنهجي وجمع المصادر وتأمل الأسباب والحلول فحالة النكوص أقل مما لديكم.

قلت له في كل ثقافات الدنيا لا يكون الدين إلا جانباً روحياً وسلوكياً مهما في الثقافة الكلية وممارسات العقيدة للأمة إلا عندنا فإن الدين هو الذي يشكل الثقافة كلها ويشكل القيم كلها، والسلوكيات الظاهرة للعيان فهو الماضي والحاضر والمستقبل هو الثقافة وهو العلم والطب والفلك وهو الاقتصاد والزراعة والصحة والأدوية ولذلك ظل مجتمعنا مقيداً بأطر خُشر فيها الدين قسراً فلا مجال في ديننا للنقد الحر ولا أفق لطرح الآراء ولا محل لثقافة الاختلاف إنما الفضاء كله لذوي العمائم الذين غامت ألوانُ عمائمهم من عبور زمن قديم عليها متناسين أن لكل زمن مشاكله وظروفه وحقوقه ولكل زمن دولة ورجال وأحكام وقوانين صالحة لمعالجة إشكاليات ذلك الزمن وأمله وإن الحلول الجمعية لا يمكنها أن تصلح إشكاليات فردية أو تعم عليها في وطن يموج بإشكاليات شتى وبمختلف الكوارث والمصائب والمصاعب والتناقضات والاحتلالات مما يحتاج لاستجابة الحلول لأنواع المشاكل حيث لا يجدي توحيد الحلول أمام اختلاف الإشكاليات ولا تجدي حلول القرون الوسطى لعلاج إشكاليات عصر مابعد الحداثة، فنحن شئنا أم أبينا إنما نعيش زمننا عصراً نكابد إشكالياته ونحتاج لحلول قادرة على معالجة معضلاته، نعم سنضحك يوماً ما أو ربما ستضحك أجيالنا القادمة على ذلك التهافت الطائفي المشين الذي قتل من أجله بعضنا بعضاً على قضايا مضت من أربعة عشر قرناً والقرآن الكريم يقول وكأنه يخاطبنا نحن ((تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون)) البقرة 134، بمعنى أن ما جرى أمره لله، هو الذي يحكم فيه، لأنه انتهى ومضت أحداثه وانتهت نتائجه والعجب أننا اليوم غارقون بإشكاليات شتى نتركها ونقتتل لأحداث الماضي معتمدين على المرويات في التاريخ والتاريخ مؤدج يكتبه ذوو المصالح والأدجلات الذين قُتل إخوتنا وأهلنا وجيراننا بسببها وقد مرت قرون على حدوث معظمها لأسباب زمنية لاعلاقة لنا بها ولم يساهم أحد منا بأي حدث أو سبب فيها، فلماذا الاقتتال عليها، أليس الأجدى أن نلتفت لمشاكل واقعنا

ومعضلات شعبنا وعصرنا وإعمار وطننا بثرواتنا الوفيرة ومعالجة العدوانات الذي تحقيق بنا من كل جانب، ونسعى لدراسة أسبابها والعمل على وضع الحلول الناجعة لها، وفي ذلك اليوم سندرك أننا كنا نقتل بعضنا بدل أن نلقي القبض على من أشاعوا الفتنة بيننا وحرقوا بيوتنا ومزقوا نسيج شعبنا الواحد ونستعيد منهم ماسرقوا من خيرات وطننا ونحاكم خطاياهم وما ارتكبوا فينا من جرم وآثام.

يقول بحدوئه المعتاد، كل ذلك كلام سليم لكنه التاريخ يستعيد بعض أحداثه أحيانا، والمعرضون الطغاة المنتفعون موجودون دوما، وعلى استعداد لإشعال الفتنة التي تخدم مصالحهم.

يوم قرأت كتابه الحوارى عن قضايا المرأة في الإسلام، قلت له وهو الحوارى المتفهم، أظننا كنا بحاجة لشجاعة أمضى في معالجة القضايا المطروحة، وما أظن أن القرآن الكريم طرح مصطلح التأويل أكثر من مرة إلا لحاجتنا إليه في جانب مهم من حياتنا ودراسة الآيات والأحكام عبر العصور التي امتلك رجال الدين تفسيرها وترسيم مراميها دون طرحها أمام إشكاليات عصرنا المستجدة، ليكون القرآن كما أكدت نصوصه الكريمة كتاب حياة وفعل وتطوير دائم للإنسانية المعذبة.

ويجب بثقة وتفهم، سيكون ذلك وسترين لكنه لن يكون إلا بضمن، والضمن لا يدفعه أحد غيرنا؛ لأننا وشعبنا أولى بحل إشكاليات وطننا. هكذا هو المفكر المتواضع الشري بالثقافة الإسلامية والفكر الانساني والوعى النقدي، والانسان العصامي، الصلب، المحارب بالكلمة والقلم، والثورة الحققة لديه فصل حب كوني إنساني شمولى وقادر على حلّ مجمل الإشكاليات الخاصة بحياة الفرد والجماعة.

ماجد الغرباوى المفكر المتمرس في التراث الاسلامي، والذي يمتلك الأسس الفكرية المفتوحة بالنسبة لرجال الدين في زماننا والأدوات الفنية الجادة التي يعتمد عليها أسلوبه الكتابي النقدي ومقارباته الثقافية، التي تعد اهم ركائز واوليات ومتطلبات المثقف صاحب الفكر المتأني الحاضر لقبول الاختلاف الذي لا يلحق ضررا بالعقيدة والذي يحارب الجهل والتزمت ..

الغرباوي والكتابة النسوية

حول الكتابة النسوية كنا على وفاق في أنه لا يمكن الجزم بوجود كتابة نسوية أو ذكورية خالصة؛ لأن الكتابة نتاج حركة المجتمع أجمع، وحركة المجتمع في كل بيت وأسرة شئنا أم أبينا، الكتابة لها جلالها وهيبتها عند المرأة والرجل معا، إلا أنها عند المرأة لها ممارسة ذات طقوس تسكب فيها معاناتها منذ أمسكت بالقلم، وهذه المعاناة لها بعدها الكوني الذي يلامس جذور النفس البشرية، فروح الكتابة عند المرأة تشكل لغزا وصراعا وتعبيرا عن وجع نفسي ومجتمعي يختلف عن مشاكل الرجل الجسدية والمجتمعية، فهي التي تدفع ضريبة الإنجاب والأمومة غالية من أوجاع شتى في مجتمعات العالم الثالث التي لم تلتفت لاحتياجاتها في الحمل والولادة والإرضاع والتربية المبكرة، ولذلك فهي تكشف في تعبيرها عن عالم ضبابي معقد يخيم على عصرها، بعيدا عنها وعن إشكالياتها، فضلا عن عملها إن كانت عاملة. عصر الذرة والحروب النووية والاقتتال حول كيفية نهب ثروات الشعوب المستضعفة، كما أن الحرف الأنثوي يجسد موقفاً جمالياً وفلسفياً تطفح فيه مشاعر الحب، والأمومة، فالحرف الأنثوي موقف إنساني له دلالاته الخاصة. إذ إنها تسكب في كتاباتها الخوف الكوني من الفقر وسوء السكن وضيق العيش وأرض الله تزخر بالخيرات. فضلا عن الحروب التي اشتدت عواصفها ونيرانها في عصرنا الحاضر؛ لأنها ليست حروبا من أجل تحقيق العدالة على الأرض، وليست حروبا من أجل نصرة الضعفاء، بل هي اقتتال شرس قائم على الظلم وابتزاز حلم الإنسان وموارد عيشه ليس في الحياة حسب، بل حتى بعد موته فهي إنعام كججي الروائية العراقية المغتربة نلمس منذ اللحظة الأولى في روايتها "طشاري" عنوانا يجذبنا إلى المعنى المأساوي للتغرب عن الأوطان والعذاب الذي لحق الإنسان في نفيه القسري عن بيته ووطنه وماله من أبعاد ثقيلة ترهق النفس، فالفعل طَشَرَ يأخذنا إلى معناه اللغوي أي بعثر بعنف وفرّق ورمى بلا قانون أو نظام، فتجلت الرواية بمضامين مثقلة بهموم الإنسان العراقي الذي بددته الحروب وجعلته في بحث دائم عن هويته وحضارته وتراثه الذي نشرته أمريكا ومن معها هباء بوابل قنابلها وصواريخها، بعيدا عن كل معاني الإنسانية، -تؤكد إنعام كاججي- أن الإنسان بدأ يراوده القلق الكامن في داخله أين سيكون قبره وهل ستكون المقابر مكانا يلتقي فيه

الأهل والأحبة يللمون شتاتهم وعذاباتهم وجراحات وطنهم، فهي تلامس بحروفها شفافية مشاعر المنفيين وآلام الانسان المغترب ومكابدته في كل بقاع الأرض.

أما الكاتبة المصرية رضوى عاشور فقد دونت في " ثلاثية غرناطة " التي تتكون من ثلاث روايات وهي: غرناطة، مريم، الرحيل، حين تأخذنا أحداثها إلى تاريخ عميق تمتد جذوره إلى عام 1491م وقد تعمق العذاب العربي في الرحيل عن غرناطة، وما زال هذا الانكسار مستمرا إلى يومنا هذا بتتابع الاستعمار على أراضيها حتى اليوم والشعور الممزوج بالغربة على أرضنا.

أما الشاعرتان العراقيتان آمال الزهاوي وبشرى البستاني فقد علا صوتهما في المشهد الشعري النسوي في العراق بعد الرائدة نازك الملائكة بقصائدهما ذات العواطف الوطنية الملتاعة على ما جرى والسحر الأنثوي والوطني الذي يرفض مبادئ النسوية وأهدافها لما فيها من مخاطر على الدين والأسرة والانسان والحكم عليهما بالتفكك. ذلك الشعر الذي تغنى بجمال العراق وحدائقه الفكرية والجمالية وبكى أحزانه ونزيف جروحه، فضلا عن القضايا الإنسانية والوجودية الأخرى، وعن العذابات الداخلية التي حفرت بعيدا في روح المرأة.

إن حلم المرأة الكاتبة هو التحرر من السجن الداخلي، وهو حلم يميل إلى بلورة مجتمع مشرق يمنحها أبسط الحقوق في الحياة، وفي طليعتها حرية التعبير واحترام خبراتها وإرادتها وحق صنع القرار الذي تجد فيه حياتها.

عام 2014 بلغت بصدور قرار مؤسسة المثقف التي يديرها المدير العام الأستاذ ماجد الغرباوي بتكريمي وأنا في عمان لكني واصلت تواصلتي مع (المثقف) من هناك، وعلمت أن التكريم باقتراحه على اللجنة الاستشارية وكان حدثا مهما إذ لم يكن المعتاد تكريم امرأة عراقية منفية خارج العراق، حينها قلت له، لا أريد ولن أفرح بأي تكريم يلقي مسؤولية على مؤسسة المثقف ومسؤوليها، يومها قال لي بثقة ومسؤولية: هذا قرار لا يستطيع نقضه أحد حتى لو كانت بشرى البستاني. لأنه حقك الذي يللمسه الجميع في مختلف أجناس الأدب.

بودي لو تحدثنا قبل النهاية عن مجمل موقف القرآن الكريم من المرأة وقضاياها وتباين آراء المفسرين في مواقفهم من هذه المخلوقة أم الرجال، وإلى أي مدى سيكون التأويل مفيداً في تكييف الأحكام دون مساس بالعقيدة في كتب الغرباوي، ولكن القضية تحتاج لمواقف جديدة وشجاعة قد لا نمتلكها الآن ومعنا الكثير من المفسرين المحدثين، بل ويرفضها الكثير من رجال الدين التقليديين الذين يهيمنون على عقول الشباب ليكونوا في طليعة التصدي لكل فكر جديد ومتنور..

ماجد الغرباوي تصدى لمعظم هذه الأمور في حواراته، لكننا نعلم أن الآراء تحتاج لنقلها إلى قوانين وتطبيقات حقيقية لتكون نافعة.

تحية لأستاذنا في عمره المتجدد الرصين، ومجداً لكل المخلصين في نواياهم وفعلهم من أجل قضية الإنسان وتطوير حياته وتأمين عيشه.

ماجد الغرباوي

صانع الاسئلة والمحاور المعرفية الجديدة

بقلم: الأستاذة ا.د. بتول فاروق¹

لم ألتقيه ولم أحاوره وجها لوجه ولا عبر الهاتف، لكنني اشعر انه كان يحاورني على الدوام، بطريقة شفيفة وملهمة، يعيش خارج مدنا المتعبة وخارج أوطاننا التي سكنها التكلس المعرفي وان كانت تنتج كتباً ودراسات كثيرة نسبياً، البعيد بالوطن والقريب من هموم ابناء جلدته وأبناء وطنه، قرأت اسمه بالصدفة في كتابه (المرأة والقرآن)، الذي كان كتاباً حوارياً بين د. ماجدة غضبان وبينه، في قضية المرأة في القرآن الكريم، اقتنيت من احد معارض الكتب التي تقام في النجف قبل عشر سنوات تقريباً، كنت ومازلت أهتم بالكتابات التي تناقش وضعية المرأة في القرآن والحديث والفقه لمجال اختصاصي الفقهي ولكوني رأس جمعية تعنى بقضايا المرأة، قرأته في يوم واحد، ان أهم ما وجدته في الكتاب أنه يعترف بوجود مشكلة في فهم قضية المرأة عند المسلمين، وأن ليس كل ما هو مطروح في الكتب التقليدية والعرف السائد هو يمثل حقيقة القرآن الكريم.

ثم فيما بعد اكتشفته من خلال منبره الثقافي الذي كان قد أسسه: المثقف، فكان منبراً لنا جميعاً، من كل مشاربنا المتصارعة في بلادنا، كان الفضاء المتعالي الذي يليق بالمثقف الناطق والكاتب بالعربية، هذه المنبر لوحده يكشف عن نزعته التجديدية وانشغاله في خلق جو ثقافي محايد للكتاب العرب. نشرتُ مقالات عدة فيه، فكانت مراسلاتي الرسمية عبر ايميل الموقع قد كشفت لي عن روح صاحبها

1 - أستاذة الدراسات العليا في كلية الفقه - جامعة الكوفة

الطافحة بالمودة والمحبة، تفيض على المتعاملين معه والناشرين في موقعه الالكتروني، فكان يشعرنا بأننا أصحاب الفضل على الموقع وليس العكس.

ثم فيما بعد تابعته عبر صفحته في الفيسبوك، فكتشفت كاتباً ومحاوراً من الطراز الرفيع في نقد التراث، وضرورة التعامل الوسطي معه، فهو لا يركن التراث على جنب مهملاً له بالمطلق، لكنه لا يقدسه كما لو كان معصوماً كله .

كتبه العديدة التي تعاقبت كشفت عن ولع معرفي نقدي بالتراث الاسلامي الذي صار متصلباً وجامداً وغير قادر على تقديم الحلول للجيل المعاصر ولا يتماشى مع تطلعات أبناء الحضارة المعاصرة . كان يحث في حقل ملغم، يقدم رؤى حديثة ومتسامحة تتسم بالوسطية، ودعوة الى ربط الشريعة بالأخلاق، ومقتضيات الحكمة، بحثاً عن منهج جديد يحل الإشكالية المعاصرة التي ترى ان الفقه الإسلامي لم يعد يواكب العصر ولا يقدم حلولاً ناجعة، فلماذا تبدو هذه الاحكام بعيدة عن الأخلاق؟ فكيف نبرر منهج العلاقة مع الآخر المخالف لنا في الدين؟ كيف تساق أحكام الردة واحكام غير المسلم اليوم؟

لماذا هي متعالية على النقد، ولماذا تقذف هكذا في وجوه المعاصرين دون ان تراعي الأخلاق في قضايا المرأة أيضاً وجعلها تبدو كما لو كانت أداة لاروح فيها بيد هذه الأحكام القاسية التي تنتقص من كرامتها وإنسانيتها، مستبعدين كون الفقه جهداً بشرياً قابلاً لإعادة القراءة والإجتهد، كما ان التجربة الدينية لا تعني حصرياً الفقه هذا، بل هي تجربة روحية فردية خاضعة لعلاقة الإنسان وخالقه، فلا يمكن سلب التدين عن الإنسان الذي لا يطبق الشريعة كما يراها الفقهاء التقليديون.

إن إعادة الإجتهد مسألة حيوية وضرورية في يومنا هذا، لابد ان تتظافر الجهود الكثيرة في إنجازها .

هو من الأصوات التي لا تجد صداها الا في قلوب عاشقة للحق الناصع غير المرّمز، صوت يكره الزيف والتصنع والمباهاة الفارغة . هو قلم يصدق بالجديد، لكن البيئة العربية بيئة غير قارئة وغير حاضنة للفكر المخالف للسائد، لا يتلقف الجديد من

الأفكار فتظل عالقة في الكتب، مع أن خلاص المجتمعات العربية يكمن في مثل هذه الأوراق وهذه السطور المكتوبة عبر تجربة غنية وقراءات فكرية كثيرة ناضجة .

تكشف كتابات الغرباوي إطلاعا واسعا على مختلف التراث الإسلامي الفقهي والقرآني والكلامي والفلسفي، مع إمتلاكه الحس النقدي المطلوب أثناء الكتابة والإطلاع.

يبدو أن الصمت يرافقه من خلال صورته التي تظهره صامتا بابتسامة هادئة، لكنه صاحب الفكر يحدثنا بغزارة منقطعة النظير في عمقها وسلاستها في آن واحد. انه يحمل قلما سهلا ممتعا، مع ثقافة غزيرة مصبوبة بقوالب لغوية غير معقدة، ليستطيع ان ينهل من فكره كل طالب علم ومعرفة وكل متطلع ليفهم هذا التراث الذي مازال مؤثرا في حياتنا الى اليوم، وهذا مايؤرق الباحث الغرباوي؛ خطورة هذا التراث غير المنقح الذي أمكنه ان يشظي العالم وجعل المسلمين يبدون كأرهابيين يخشاهم العالم الحر . إن تشعب القضايا بين المصالح السياسية والجماعات الإرهابية المسلمة جعلت من هذا الدين يبدو للآخرين دينا إرهابيا يدعو للقتل وانتهاك حياة الأبرياء ولايحترم حقوق الإنسان، ولذا يقع على عاتق المفكرين المسلمين وأصحاب القلم الواعي منهم؛ أن ينبروا للدفاع عما آمنوا به من دين يدعو للتسامح واحترام الإنسان بما هو إنسان . وهذا ماعمله السيد الباحث ماجد الغرباوي بوعي وثقة وحرص فوق العادة .

نسأل الباري تعالى ان يديم له الصحة والعافية ليتحف العالم الإسلامي بجديد علمه وفكره النير .

شجاعةُ الفكرِ مع ماجد الضرباوي

بقلم: ا.د. سامي عبد العال¹

"الفكر الأصيل هو الذي يفتحُ مفترقَ طرقٍ،
يُعطيك الاختلاف لا التماثل..."

عندما تُفكر بعمقٍ، فليس أبدع من الشعور بالاتفاق والاختلاف في الوقت نفسه. هذه المفارقة التي تُحرك ما في داخلك، كأَنَّها (اختبارٌ نقدي) لما تملك من خلفياتٍ. في ردهة القول بإنجاز الأفكار، تُوجد مساحةٌ من عدم اليقين وإثارة الأسئلة تُلَوِّ الأسملة. لأنَّ فكرًا ثريًا يحملُك على بُساط ما يطرح إلى حيث ما لا تحتل، ولكنه بالمثل سيجعلُك قادرًا على التنفُّس بحرية. وحده الفكر الأصيل يُثري وجودك ويفتح نطاق الوعي. ما أدق أن تأخذ مساحةً للتأمل حين تُريد، فليس يُوجد في حمأة الحياة غير اللُّهات وراء الأشياء، بينما من الضروري النظر: ماذا عساک أن تفعل، وكيف ستفهم القضايا من الآن فصاعدًا؟!

أن تنفَس ملءَ رئتيك فتحاً لآفاق العقل هو أمرٌ في غاية الحيوية. دوماً لا تكون الأفكار محلَّ إجماع ولا محل اتفاق، ولكنها تمثلُ دعوةً لإعمال العقل، دعوة للاختلاف. هي علاقةٌ ملتبسة (مع / ضد) في الآن ذاته، بل ستحدُّ ما يشغلنا من قضايا وستجدد وضعة الفكر. إنَّها قوة التفكير الناقد وشجاعته التي تُصقل ملكات الإنسان. شجاعة وجرة مهورتان بمقارعة مشكلات الحياة والمبادأة في كشف حُجب التاريخ. إنَّ الماضي بالنسبة لنا كعربٍ هو أكبر تحدٍّ يمكن مواجهته. فالتاريخ بات

1 - أستاذ فلسفة - مصر

يبحثُ على الأبواب كحيوان مفترس ينتظر إلتهامنا في أية لحظة. لتتخيل الماضي الذي صنعناه يوماً باتَ ثِقلاً نعاين من وضعه. إننا قد نترك أثراً قابلاً للتضخم دون درايةٍ بوزنه المفقود، لكنه سيمثل مُعضلة في المستقبل. كيف سنواصل الإضافة إليه؟ بل كيف سنفك شفراته التي استغلقت علينا؟!

المفكر ماجد الغرباوي يعطيك قراراً لحرية القول أو بالأحرى يعطيك قراراً لقول الحرية. وهو- فوق هذا وذلك- صاحب فكر راعٍ لما ستقول، شريطة أن تفكر على الأصالة، أن تكون أنت أنت لا أحد سواك. أي أن تصبح نفسك متخذاً حركة المبادأة، وهو الأمر الذي يخص عملية التجديد والتطوير العقلي. إذ لا يوجد تطوير لجوانب الحياة دون "حرية قول" أي كان موضوع القول. لتشمل الحرية كل شيءٍ آخر، لأننا طالما حددنا بوصلة التفكير، فلن تكون هناك غير عملية من البحث المتواصل. لكن عن ماذا نبحث حينئذ؟ إننا سنبحث عن ذواتنا التي تنتظرنا في الغد. وما أكثر الخصوبة الفكرية حين يعدنا ماجد الغرباوي بالإلتقاء مع ذواتنا المتجددة. وهذا هو غاية خطابات الفكر المختلف. لأنَّ عملاً على تطوير الإنسان هو أبعد هدف بإمكانه أن يُؤتي ثماراً وأن يحقق ما نصبو إليه.

ولكن: هل الحرية تجاه القيود قرار؟! بالنسبة لماجد الغرباوي هي (قرار فكر) لا قرار معيار، هي قرار عقل لا نقطة نهاية خلف إطار. لعل كل ما كتبه الغرباوي يتبلور حول كيف نخرج من هذا الكهف المظلم: كهف العجز عن التجدد والتطور في تاريخ الفكر والحياة والدين. فالمعايير تحتكم إلى جوانب موضوعية إذ تعود - آجلاً أم عاجلاً - إلى سلطةٍ ما. أمّا قرار الفكر، فهو إرادة قول حيال أزمة تحتاج إلى كد العقل والتحقيق والبحث والتساؤل داخل كافة المجالات. وكما أن صاحب القرار يحتكم إلى ذاته وراثته الفكري، فإنّه يحترم قرار الآخرين بالمثل. وهذا ما يُميز قدرتنا العقلية على التحرر عند الغرباوي: طالما أنك تتمتع بحق إتخاذ القرار، فإنك تسمح للآخر باتخاذ قراره كذلك... لا انفصال بين الاثنين. ولا يوجد هناك أوثق حالة مزدوجة كحالة الأصالة التي تسمح للطرفين بأن يعبرا عن أفكارهما. وستزيد تلك الحالة الأطراف تنوعاً واختلافاً في المواقف والرؤى.

يتميز قرار حرية القول عند الغرباوي بالحذر (قبل / بعد) موقف التفكير تجاه مسألة ما. وهذا معناه أنك لكي تقول لا بد لك من أن تكون واعياً بالمحددات التاريخية المحيطة بالمسألة المطروحة. ولكي تواصل القول لا بد أن تغدو مهتماً بما ستقول المحددات تطلعاً للأمام. وهذا صُلب تحرير الوعي كما جاء في كتاب الغرباوي (تحرير الوعي الديني)¹. متاهات الحقيقة (5)، ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف العربي، سيدني - أستراليا ودار أمل الجديدة، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى (2021). فهو لون من النقد المتواصل والطرق المتواصل لأبواب العقل المؤرخ وإيقاظ التمييز بين الأصلي والمزيف، بين المخادع والحقيقي، بين المختلق والأساس.

قد نلاحظ أن كلمة (تحرير) تأتي بصيغة التفعيل، أي كسر لمغاليق الوعي إن كان هناك، ولم تُصغ معنى مطروحاً علينا الذهاب إليه بلا عودة. هو معنى يأتي إلينا ليقف أمام إرادتنا، أمام مصيرنا، أمام قوتنا الإنسانية. أنه سيكون مرهوناً بفاعلية الإنسان الحر بالمقام الأول. فليست القضية انكاراً لموقف ديني واعٍ سلفاً، ولكنها ترتبط بكيفية الانفكاك من المحددات التاريخية التي تكبح الوعي وتسقط به في هوة التقاليد البالية.

ومن ثمّ، فإنّ قرار الحرية هو إستنارة بقدر ما يمثل مسؤولية على الفرد أن يتحملها. كثيراً ما يُقال إنّ مجال الفكر الديني تقع تبعاته على المؤسسات والكيانات الكبرى في المجتمعات البشرية، غير أن ماجد الغرباوي يبدأ من فكرة تحرير الإنسان ذاته، وما إذا كان ذلك ممكناً أم لا؟ ذات مرة قال كانط علينا باستخدام عقولنا من غير خوفٍ وبكل جرأة ممكنة، لكننا لا بد أن نعتبر ذلك قراراً تأسيسياً بالضرورة. وكما أنّ الإنسان قد آمنَ وسارَ عبر طريق الإيمان إلى منتهاه، فيجب أن يكون مسئولاً بالتبعية عما شوه تلك القضية. والمسئولية هنا ليست أقل من عملية متواصلة من التحرر وإثارة الوعي، لا مستوى أدنى من التحمل لأثقال ما يعرفه الإنسان.

1 - الغرباوي، ماجد، تحرير الوعي الديني، متاهات الحقيقة (5)، مؤسسة المثقف العربي، سيدني - أستراليا ودار أمل الجديدة، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى (2021).

إنَّ الإنسان القادر على إتخاذ قرار التحرر هو من يستوعب ويفهم ماذا حدث بالضبط. بالأحرى عليه أن يقاوم ويدخل إلى آفاق المشكلات التي استغلقت أمامه. ولذلك كان انطلاق الغرباوي لفهم الدين من الأصول الأولى بلا تشوهات واعتبارها المرجعية التي تنزع عن كاهلنا أفعال التاريخ اللاحق. فالدين لديه كان وسيظل صافياً لا غبار عليه، ولكن المشكلة عندما يختلط بغيره من ممارسات اجتماعية وطقوس وايدولوجيات مسيّسة. في تلك اللحظة هو ليس ديناً، سمّه ما شئت إلا أن يكون ديناً كما كان من قبل. ولهذا سيحتكم الأستاذ الغرباوي إلى المنابع الأولى التي تعطينا قدرات التحرر. ولن تكون لنا تلك الخطوة اعتباطاً، لكنها ستتم بممارسة تحررية قوية كأننا نتحرر من استعمار بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ. فالاستعمار واحد سواء أكان آتياً من قوة سياسية مهيمنة على الحياة أم من قوة رمزية تمتص قدرات الإنسان كسياسات الأديان.

وهنا أيضاً يصح التساؤل: ماذا عن اتساق مهمة التحرر فلسفياً مع جوانبها وما تعد به من أهدافٍ؟! إن الاستعمال الأخير لمعنى الاستعمار (بصدد التاريخ) أخطر من الأول (بصدد السياسة) لعدة أسباب تجيب عن التساؤل:

أولاً: يأتي استعمار الماضي غير مشعور به، ويتسلل إلى كافة التفاصيل الحياتية. ولذلك في كل كتبه يناشد الأستاذ الغرباوي القارئ بضرورة الوعي بالحقائق. وليس غريباً أن تحمل مؤلفاته سلسلة متاهات الحقيقة. وكأنه يتساءل: أين ضاعت الحقيقة؟ أو كيف ضعنا نحن في دوائر الحقيقة الحاضرة/ الغائبة؟

ثانياً: استعمار الماضي المشوّه يشترك في كل أنواع التراجع الحضاري والثقافي. العقل الفقهي والمقدس والأخلاق والنص. كلها رقعة ممتدة تحت هذا الزحف غير المقدس بالمرّة. والغرباوي بتلك الخريطة يمسك مفاتيح الحلول من غير أن يعطينا أيها مجاناً. الثمن أن تكون واعياً بشكل حر على ما يقول. ليست هناك أنصاف حلول، لأن المعتقدات لا تمثل أنصاف مواقف. المعتقدات هي وقود الحياة بالنسبة للإنسان ويجب أن يجرها قطار العقل داخل التاريخ فاتحاً منافذ للحرية إلى أقصاها.

ثالثاً: يطرح الغرباوي كيف يتكون استعمار التاريخ داخل حياتنا الراهنة، وذلك عن طريق عقائد وأفكار تتحول زمنياً إلى مرجعيات فتزحزح الأصول وتحتل مكانها الأصلي. ولذلك سيكون التحرر فاعلاً عندما تتمكن المرجعيات من ضحاياها، وما أكثر الضحايا الذين ينضمون إلى أسلافهم مع الأيام. بل قد يكون الإنسان ضحية أفكاره من حيث اعتقاده الساذج بكونه حُرّاً. ومن هنا يدخل أدعياء الدين ومجاذيب العقائد ودراويش الأيديولوجيات.

رابعاً: إذا كان كل استعمار لا يجلو جحافله من تلقاء نفسه، فإنّ التحرر من استعمار الأفكار الماضية يتطلب عملاً من جنسه. أي يقتضي حفرّاً وتساوُلّاً متواصلين. وما لم يكن ذلك أمراً ممتداً وفي جميع الاتجاهات، فلن تكون هناك فرصة للتحرر من الماضي الجاثم على أنفاسنا.

خامساً: يسمح لك الغرباوي أن تعارض أفكاره طالما اشترط منذ البداية يقظة الفكر بإطلاقٍ وذلك لكونه وضع الأفكار في رحلة الرجوع إلى طهرانية الدين. ورغم أن تلك مسلمة ضمنية وقد تكون هدفاً متناثراً في تفاصيل خطابه النقدي إلا أنه هدف يجمع قوى مضادة لما سيقول. فالدين – أو الأديان عموماً – لا يمكن نقدها من الداخل، فكل نقد سيعود إليها طالما تمثل غاية من طرق أخرى. فالأديان تغطي بسرعة على عمليات التناقض وتلتئم الجروح الواعية داخلها من أقرب الطرق. فالأستاذ الغرباوي له ثوابت من إيمان وأخلاق وإطار للفكر الصحيح. وبالتالي ستتفاعل الأهداف الصحيحة مع عمليات النقد وستجعل القضايا تلتئم وستحقق وجودها مرة أخرى. أي إذا كان الأستاذ الغرباوي ينتقد أخلاقاً لصالح أخلاقيات أخرى، وإذا كان ينتقد أيديولوجيات لصالح أفكارٍ غيرها، وإذا كان يحلل معتقدات لصالح معتقدات سواها، فما الفرق بين الجانبين عندئذ؟ ويصبح السؤال الأهم: ما الذي يمكن أن يتحقق خارج تلك الدائرة؟

سادساً: إن تحرر الوعي الديني يصعب أن يكون كذلك إذا كان محاطاً بالدين. لأنّ الدين ليس وعياً، ولكنه إيمان واعتقاد ومباشرة. الوعي يعني تحول المعتقد إلى أيديولوجيا. والتحرر يعني نفخ الغبار الذي ران عليه تاريخياً وما شكلته من قوالب

استوطنت بالإقامة عن الأصول. والتحرر هو عملية تكسير لهذه الأصداف التي تغلف الوعي إجمالاً. ولكن ومن أجل أن يحدث التحرر، لابد من إعتباره وعياً في المطلق لا المقيد، وعياً إنسانياً قبل أن يكون دينياً أو بأي مسمى آخر. وعلى طريقة الأستاذ الغرباوي إذا كان الوعي دينياً يعني الفكر الديني لا إعتقاد. وهذا مشروع كان لابد أن يفهمنا في البداية كيف تحول الدين إلى فكر أي بيني مرحلة تكوين الأفكار وأصولها التاريخية ثم الإجابة عن مسألة: هل يمكن تحريره بالبناء الآخر الأكثر انفتاحاً وجدارة؟

ثامناً: يجب أن يكون التحرر (تحرراً وجودياً) لا تحرراً فكرياً وحسب، لأن الماضي تشكل في حياتنا داخل مؤسسات وتراكبات مادية واقتصادية وهياكل طقوسية في أشكالها المتأخرة، سواء أكانت نصوصاً أم أنظمة أم مذاهب أم أيديولوجيات أم سياسات ودولاً. وعليه فالتحرر الذي يقصده الغرباوي عليه أن يصبح تحرراً مصيرياً من لون الوعي الذي يقصده كموضوع للمقاومة. وألا يكون موضوعه الوعي الديني قصداً كمصطلح معروف بنقد ترسبات المعتقدات وغلافها حول الأفكار وتوطنها تاريخياً في الذهنيات والعقول، ولكن يجب أن يكون وعياً إنسانياً يخلص الدين من ذاته (التاريخي)، من أشكاله ومن الوعي نفسه. وتلك مسألة دقيقة بالمرّة، فالوعي لو دخل الدين سيحوّله إلى محدد للأفعال والسلوك، ويجب أن يدخل فيه باعتباره حارساً لا صاحب مُلك وأرض وقرار كما أشرت في البداية رغم جوانبه الإيجابية.

تاسعاً: الوعي الديني يُصبح رؤى للحياة والعالم والزمن والحقائق لا إطاراً وإخلاقيات جديدة فقط. أي على الفكر الغرباوي أن يعيد إلينا تعريف الوعي من منظور مغاير أكثر انفتاحاً وتحرراً. فالوعي قد يكون قيداً هو الآخر ما لم يتحرر من نفسه ولا سيما في مجال الأديان. وأتصور أن ذلك أمر خطير طالما نريد أن نستبدل منظومة وعي تاريخي معين تشكلت في حقبة زمنية ما بمنظومة أخرى يفضل الناس أن تستند إليها أحوالهم كذلك.

عاشراً: مرحلة البناء - المفترض القيام بها - مرحلة مهمة جداً لتكملة عملية التحرر، فالمقاومة قد تتخذ كافة السبل للخروج من الاستعمار بشقيه الديني

والسياسي. الملاحظ أنَّ تحرر الوعي ينتقد موضوعاته إلى أبعد مدى ممكن. ولكن ما لم تُبَنِّ أفكار فوق المساحات التي تم كشفها نقدياً وبصورة أكثر مغايرة ستتحوّل الساحة إلى مناورات أيديولوجية أخرى. والأستاذ الغرباوي يأخذ من تراث الدين ويعطي له بالتوازي، أي يستل من التاريخ ويسدد له الضربات. وهذه نقطة ستكون أكثر أهمية عندما تصبح التسديدات بنائية في اتجاه مغاير أبعد تحرراً وتطوراً. فالعقل يتحرر لا بالوعي فقط ولكن بكشف محدداته وقيوده ذاتها. وهذه علة أن كانط أراد اختبار قدرات العقل ذاته قبل أي تنكيس لبناء الفلسفات التي أُنشِجها.

هل ممكن أن يحدث ذلك مع الأديان؟!

ماجد الغرباوي ، المقاتل بالكلمة

بقلم: د. صائب عبد الحميد¹

أولاً: الغرباوي الإنسان والصديق

هكذا استطيع أن أصفه باختصار، وصفا مكثفا.. (المقاتل بالكلمة).

عرفت الغرباوي مقاتلا على جبهتين في الآن نفسه، جبهة المعاناة الشخصية مع الأمراض التي رافقته في عنفوان شبابه، وجبهة الثقافة التقليدية التي استعبدت مجتمعه، وعلى كلا الجبهتين كانت الكلمة سلاحه.

ما أَلَمَّ به في صحته كان كفيلا بأن يهوي بالعملاق ويطوي قامته. لكنه لم يخضع يوما ولم يستسلم، ففي ذروة المعاناة كان عقله يكافح ويبحث عن سبل تنبيه عامة الناس من غفوتهم على سطوة التعاليم المتخلفة، وهيمنة المعارف المستمدة من الأساطير، ومن التاريخ المتخيل. مترويا، هادئا، مطمئنا، كما تملي سجيته، وكما يتجلى حياؤه ونقاؤه. بعيدا عن الصدامات والمقارعات المباشرة، موقنا بأن الناس، شيئا فشيئا، سوف تستسيغ الهواء النقي، وتنفض غبار الغطاء السميك الذي ألقاه على كواهلها أصحاب النهج التقليدي ودعاة التجهيل وتسطيح الوعي.

نائيا بنفسه عن الأضواء البراقة، والألقاب المخادعة، ليشق طريقه بهدوء وروية، حتى يصبح مضيئا بذاته، بعبائه الذي جمع بين سلاسة الأسلوب وبين سعة الآفاق وعمق الأفكار.

1 - باحث، له عدد كبير من المؤلفات، منها موسوعة فلسفة التاريخ

ابتدأت علاقتي المعرفية بالغرباوي حين دعاني الى مكتب مجلة التوحيد، قبل ان يتولى هو رئاسة تحريرها، ثم تعمقت معرفتنا ببعضنا حين ترأس تحرير المجلة، ونشر لي بحثا جريئا يتحدى المعارف السائدة في فهم الطقوس والشعائر الدينية، وتحمل معي سهماء وافرًا من اللوم على نشره. تلك المعركة كانت سببا جديرا في بناء صداقة واعية بيننا.

لكن ثمة معركة ثانية تشاركنا فيها، واختار الغرباوي الانسحاب من فضائها المباشر. ذاك حين أسسنا (رابطة الكتاب والمثقفين العراقيين في المهجر)، في سنة 1999، وكان الغرباوي واحدا من خمسة عشر تم انتخابهم لعضوية الأمانة العامة للرابطة، وحيث تم انتخابي من قبل أعضاء الأمانة العامة أمينا عاما للرابطة في دورتها الاولى، أثر الغرباوي الانسحاب من الأمانة العامة مع الإبقاء على عضويته في الرابطة، تحت ضغط ظرف خاص به. لكن هذا الحدث لم يخلق شرخا في علاقتنا بعد معرفتنا بطبيعة الغرباوي وعذره المقبول. لاسيما وأننا كنا نعيش فضاء معرفيا مشتركا، نلتقي في معظم مفاصله. وحين أذكر هذا الفضاء لا يفوتني ذكر بعض الأصدقاء الآخرين من رواده، والذين كانت لي وللغرباوي صداقة مشتركة معهم، في مقدمتهم عبد الجبار الرفاعي، الذي ناطح اسمه السحاب لاحقا، وهو الأقرب الى الغرباوي، كونهما يشتركان ايضا بمسقط الرأس (الناصرية). وطاهر الحمود/ أبو رضوان، وطاهر آل عكلة/ أبو آلاء، مع أنهما كانا أقل حضورا ورغبة في السجال المعرفي، مستمتعان بتوقفهما اللغوي والأدبي، مع أن أبو آلاء كان يمزغ الفلسفة الإسلامية كما يمزغ العلك الطري، وينسجها شعرا وأهازيج لا أدري لم لا يبادر بنشرها، مع مزايا أخرى لا يضاهيه فيها أحد. في مثل هذا الفضاء تكون الصداقة أعمق من أن يخذشها حدث عابر، فالمشتركات كثيرة، والتحديات واحدة. كنا ندرك ببصيرة تامة أن الثقافة الدينية الشعبية والتي يعززها الخطاب الديني السائد، هي ثقافة تراكمية تأسست على تاريخ متخيل، صار مصدرا لعدد من المعتقدات الوليدة، والمقدسات المصطنعة، التي غلّفت المعتقدات والمقدسات الحقيقية وتفوقت عليها في ميادين الاهتمام والاشتغال الشعبي والديني بشكل عام. وكنا في عزلتنا شبه التامة عن هذا الوسط، ندرك أن الكلمة هي سبيلنا الوحيد في السعي الى نشر الوعي وإيقاظ العقول. وتنوعت

اهتماماتنا بعد ذلك، فاشتغل الدكتور عبد الجبار الرفاعي على التنوير الديني وفق مناهج البحث والهرمنيوطيقا المعاصرة، وانصرفت أنا من التاريخ الى الفكر التاريخي وفلسفة التاريخ لما لازمني من شعور بعدم الجدوى في محاولات إصلاح وتحديد الخطاب والفكر الدينيين، حيث تنفجر العصبية الدينية والطائفية بين الحين والآخر، إما أمام ما تراه تحديا، وإما أمام تحديات مفتلعة تقوم هي باختلاقها والنفخ فيها لتصبح قضايا تشغل الرأي العام، عاميا وثقافيا، ووفق أساليبها المعتادة في صناعة الضجيج، وتغليف مواقفها بالفتاوى الجزمية.

ويقفز الزمان، ويقفز معه المكان، فيغترب الغرباوي موعلا في غابات استراليا، لأشاهد بعد حين (صحيفة المثقف العراقي) التي أسسها في سديني، ويشرف عليها ماجد الغرباوي، وهو يعيد نشر مقال قديم لي تحت عنوان (الوحدة الإسلامية والمسار الأحذب). ما حفزني لكتابة مقال أنقد فيه رؤيتي السابقة نقدا قلبها رأسا على عقب، فنال ذاك إعجاب ماجد الغرباوي فكتب مبرزا إعجابه بأن ينقد الكاتب رؤيته السابقة بناء على تطوره الفكري وقناعاته المتجددة.

ويتجدد التواصل بيننا، فأستقبل كتابا مهما من مؤلفاته، لأتولى نشره والتقديم المتواضع له، ضمن إصدارات (معهد الأبحاث والتنمية الحضارية). ثم كتابا آخر من مؤلفاته ضمن إصدارات (المركز العلمي العراقي)، لتمنحني تلك المقالة وهاذان الكتابان أجمل فرص التلاقي الحميم بعد افتراق الزمان والمكان.

لكن ثمة لقاء حقيقي حصل بعد ذلك، في زيارة الغرباوي لبغداد، على وليمة عشاء في منزل الصديق طاهر الحمود/ أبو رضوان، الذي أصبح وكيلا لوزارة الثقافة لنحو عقد من السنين.

ثانيا: الغرباوي الباحث والمفكر

تعمق الغرباوي في دراسة التراث الاسلامي، لا سيما في بعدي العقائد والأحكام الفقهية، واشتغل مفككا وناقدا، متنوع المباحث، غزير الانتاج.

كتب في الفكر السياسي عدة مؤلفات، منها: (الحركات الإسلامية .. قراءة نقدية في تجليات الوعي)، و(الضد النوعي للاستبداد.. استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني)، و (تحديات العنف).

كتب في الحركات الإسلامية المعاصرة، وقد عايشها، واطلع على أديباتها، وعاصر تجاربها في ممارسة السلطة. أدرك الضعف في منهاجها العام، والتناقض بين مبادئها المعلنة، وبين أساليبها العملية، بين المدعى وبين الفعل والممارسة.

وكتب في التراث والفكر الديني كتبا متنوعة، حتى نهض بمشروع كبير، أصدر منه حتى الآن / آذار 2024، تسعة مؤلفات كبيرة، اختار لمشروعه هذا عنوانا لافتا: (متهاتات الحقيقة). وكأنه يرى ان (الحقيقة) دائما مزعومة، مدعاة، كل يدعيها لنفسه، ما ينتج في النهاية متهاتات لا حصر لها. هذه هي قراءتي أنا لهذا العنوان.

في هذا المشروع، وتحت هذا العنوان الرئيسي، أبحر الغرباوي في متهاتات عدة، متهاتات العقيدة، ومتهاتات الفقه، ومتهاتات التراث، ومن الصعب ملاحقة كل ذلك في ورقة واحدة او أوراق معدودة، لكنني أستأذن الصديق المفكر الغرباوي في اقتناص قضايا متفرقة مثلت نقاطا محورية في فكره.

* فمع الأخلاق مثلا، يأخذ الغرباوي بمذهب كانط القائل بأصالة الأخلاق، فالأخلاق ليست معطى دينيا صرفا، كما انها ليست معطى اجتماعيا يتميز بالنسبية، إنما هي (قيم أصيلة، بما تصدق إنسانية الإنسان). لكن الغرباوي يستشهد على هذا البعد أحيانا بنصوص دينية، كقول الإمام علي لولده الحسن: «أحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم...». مع ان هذا النص هو نص تربوي، إرشادي، وإن جاء بصيغة الأمر والنهي «أحبب، واکره، ولا تظلم». فهو كسائر النصوص الإرشادية الدينية؛ القرآنية والنبوية، لا يثبت أصالة

الأخلاق بقدر ما يؤكد دور الدين في تعزيزها والحث عليها. وليس فيه دلالة على ما أرادته الغرباوي مسبقا من أن الأخلاق هي من نتاج العقل العملي. لذا يعود الغرباوي ليؤكد مبدأه، مجادلا في (أن الإنسان يبادر لعمل الخير بدافع ذاتي مجرد، محض، فيأتي بالفعل لذاته لا لغيره). وقد يجد الغرباوي ردا في أن هذا النص العَلَوِي ليس نصا دينيا محضا، بل هو نص عقلي مصدره العقل وحده. إذن هو يستعير عليا بصفته الحكيمة لا بصفته الدينية. وهذا توجيه مقبول بلا شك. لأن الغرباوي يكمل فيقول: (إن اعتبار الأخلاق قائمة على الشريعة هو اتجاه خطير جدا، يمكن من خلاله توظيف الدين لتعزيز مصالح سياسية أو طائفية، قد تطيح حتى بقيم الدين ذاته).

وبعد معالجة مستوفية لتأثير المقدس على الأخلاق، يخلص الى (أن المقدس يرتحن صدقية موضوع الفعل الأخلاقي، دون قيمه وأحكامه. الأولى (القيم) قيم إنسانية بعيدا عن المقدسات والأديان. وأحكامها صادرة وفق معايير العقل العملي. وبهذا نحدد سلطة المقدس، ونحول دون استغلاله وتكريسه لمصالح سياسية وطائفية، طالما أضرت بمصادقية المسلمين في خضم صراع مرير على السلطة، وحاجتهم لتوظيف الرموز المقدسة). ليؤكد (أن القداسة رهان خاسر ما لم تكن صفة ذاتية للمقدس).

* ومع الفقه والفقهاء: يتوقف الغرباوي عند مفاصل غاية في الدقة والاهمية، لعل في مقدمتها قضية التحيزات المسبقة للفقيه، والتي غالبا ما يكون مصدرها عقديا، فالفقيه ليس متجردا من التحيز العقدي، وقد كتبت سابقا: الفقهاء تمذهبوا قبل أن يتفقهوا، والمفسرون تمذهبوا قبل أن يفسروا القرآن، وعلماء الكلام تمذهبوا قبل أن يتكلموا.. وهذه حقيقة يغفلها أكثرنا وهو يقرأ للفقهاء والمفسرين وعلماء الكلام والمؤرخين وأصحاب الحديث، وغيرهم. وهكذا رأى الغرباوي: (أن كل فقيه ينحاز لا شعوريا لقبلياته وقناعاته العقدية، ويدافع عن نسق يقينيته وأحكامه المسبقة كمنبي عقدي ينعكس على فهم النص، فينحاز لنتائجه لا شعوريا، بل ويوجه النص بذات الاتجاه). وعندي أنه ينحاز شعوريا، وليس لا شعوريا، وهذا يتفق مع قول الغرباوي: (بل يوجه النص بذات الاتجاه). وهذه مسألة دقيقة حين ندركها نفهم الكثير من أسباب اختلاف الفقهاء. وبالتالي يقول الغرباوي: (لا يمكن تبرة الفقيه وإلقاء اللوم

على الأدلة الشرعية فقط، مادام الفقيه يمارس عملية استنباط الأحكام الشرعية وفقا لمبانيه، ويستبطن نُهجا عقديا يوجه وعيه).

وأیضا يتابع الغرباوي سؤال خضوع الفقيه لسلطة النص ومحدداته، فالفقيه او المفسر او المفكر، لا يفكر بالتححر من أسر النص، لأن قداسة النص هي التي تتولى هندسة قبلياته وبنيته الفكرية والمعرفية، وتحدد هامش الحرية وفضاء التفكير داخلها. وهي التي تسمح أو لا تسمح له بتجاوز النص. فالحرية لا تعني بالنسبة له التححر من قيود النص، بل هي عنده حركة مغلقة داخل فضاء النص. فالاجتهاد لديه هو اجتهاد في دائرة النص ومدياته، فهي حرية محدودة، غير منتجة، تطاردها إكراهات النص. وبخلاف ذلك تأتي القراءة المقاصدية التي تحاول تقديم فهم جديد للدين، والبحث عن مقاصد تشريعاته، دون التفريط بقداصة النص.

وهكذا يسير في ما أسماه (مناهات الحقيقة) ليغطي مساحات واسعة في التعاطي مع التراث الاسلامي في معظم ميادينه.

* لكن ثمة سؤال منهجي يمكن أن يثار:

لماذا جعل الغرباوي كتابه عن المرأة: (المرأة وآفاق النسوية) ضمن سلسلة (مناهات الحقيقة)، ولم يجعله كتابا مفردا، مستقلا في موضوعه؟

لعله رأى أن التشريع الفقهي يوقعنا في مناهة حقيقية في فهم الفهم الفقهي للمرأة، فهل هي إنسان قائم بذاته، له مقوماته الإنسانية الكاملة، وحقوقه وامتيازاته وواجباته كإنسان فرد؟ أم هي كيان تابع ومملوك للرجل؟ فما زال الفقه مترددا في هذه المفارقة، يركب المتناقضات، ويروغ عنها، بين مبادئ قرآنية ونبوية كلية تمنح المرأة مكانتها، وبين أحكام تغتصب شيئا من إنسانيتها لتكون خاضعة لسلطان الرجل.

وأخيرا، وهو يختصر توصيف المعاناة في نضاله الفكري، في مقارنته لتوصيف الوعي الجمعي الديني، يرى الغرباوي رأيا سديدا: (إن مشكلتنا اليوم ليست في عجز الأدلة عن بيان الحقائق، بل مشكلتنا الأساس مع رثاثة الوعي، والجمود، والمصالح الأيديولوجية، ووجود حواضن للغلو تشكل درعا يصعب زعزته بسهولة. وهي

معاناة حقيقية لمن يروم ترشيد الوعي، وفضح تزوير الحقائق لغايات طائفية
وسياسية).

لعلي بهذه الكلمات المقتضبة أتيت على بعض أهم المحاور التي يدور حولها فكر
الغرباوي، منذ بداياته، وحتى أواخر مؤلفاته في سلسلة (مناهاة الحقيقة). عساني
كنت موفقا في عرضها، لتكون هدية متواضعة من زميل وصديق يكن له المحبة ويرجو
له التوفيق.

التحدي والتصحيح

في فكر ماجد الضرباوي

بقلم: د. صالح الطائي¹

تتماز العقائد الدينية بمجموعها بصفة الصرامة القسرية المقرونة بالإكراه الفكري المقرون بدوره بمنهج تخويفي يكاد يقيد حراك المرء، ويضيق أمامه السبل الحراك، فلا يحاول تجربة العبث الفكري مع الشدة المتشنجة للتأبؤ المهيم على أجواء العلاقة بين الاثنين، ذلك المنهج المقرون دائماً بلهجة التخويف والتحذير من نار وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد، تلك الصورة المرعبة التي وقفت بوجه كل من يريد أن يبدي رأياً بشأن مسألة دينية تكاد لا توافق العقل، أو تناقض المنطق، والمرات القليلة التي جرب بها الكلاميون والفلاسفة حظهم بآت واقعا بالفشل، لا لقصور في مناهجها بل بسبب شدة وشراسة الهجمة التي تعرضوا لها، تلك الهجمة المدعومة من السلطة والسلطان؛ الذي تحسس مكنن الخطر في منهج التنوير، فتخوف على عرشه وغلمانته وجواريه وخزائنه، فاستعان بالمتشددين ليحارب الأفكار التوعوية التنويرية، بعد أن وصمها بالكفر والمروق والردة، وهي تُهم قاسية عقوبتها الموت المحتم، ليس لأن الأديان تُقر ذلك، فجميع الأديان بما فيها دين الإسلام لا يوجد فيها أي نص يوجب حتى قتل المرتد، وإنما هي مجرد أحكام مبتكرة، ابتكرت كأداة لمنهج تخويفي مبتكر، كان وليد الاجتهاد، بحجة الحفاظ على الدين، تماماً مثل تلك المجاميع التي كانت تضع الأحاديث وتنسبها لرسول الله ﷺ وحينما يسألونهم عن السبب، يقولون: "نحن نكذب له، ولا نكذب عليه!"

¹ - كاتب وباحث في الفكر الإسلامي، له عدد كبير من المؤلفات.

إن من يقلب صفحات تاريخنا الموهل بالقدم، يجد هناك عشرات الأسماء التي تحدث الواقع ببسالة، فحملت مشعل التنوير بإخلاص المجاهدين، بعد أن تأثرت بكتب الفلسفة المترجمة عن اليونانية، وهؤلاء الشجعان أنفسهم هم الذين أعادوا صياغة مفهوم الفلسفة؛ الذي كان يعني لدى اليونانيين القدماء: "حب الحكمة"، فجعلوه أوسع من ذلك التضيق، طالما أنه يرمز إلى الأفكار المُستنبطة بواسطة العقل، وإعمال الفكر، حول الموجودات ومبادئها وعللها. هذا الجمع المغامر وضع المفهوم العربي للفلسفة موضع التطبيق، بعد أن تناولت طروحاتهم هذا الجانب بالذات، أقصد مهمة الاستنباط بالعقل، فتسببوا في إثراء المنهج الفلسفي الإنساني، وتطويره وترسيخ جذوره، ذلك لأنهم لم يكونوا تقليديين، ولم يقتبس أي واحد منهم ما عثر عليه دون تمحيص وإدراك، وإنما كانوا مجددین بامتياز، بدليل اختلاف مواقفهم من الفلسفة المستوردة (اليونانية)، بين رافض لها، ومكفر لمنهجها، متشدد، نظر إليها على أنها تفتح أبواب الضلال والفساد ويجب محاربتها. ومن وقف منها موقفاً وسطاً محايذا مبنيًا على النقد والتمحيص والامتحان والتدقيق، وكان المعتزلة وبعض الأشاعرة من هؤلاء، وكان الفيلسوف الغزالي واحداً منهم، وهؤلاء بالذات كانوا يتقبلون، ويأخذون منها ما يرونه حقيقياً، ويرفضون ويتركون ما يرونه باطلاً. ومنهم صنف ثالث سحرته وبهرته، فوقف منها موقف الإعجاب والإكبار والتقدير، فدرسها بعمق وعمل على محاكاتها، بل والكتابة والتأليف على نمطها، وكان من بينهم الكندي الذي يُعتبر الأب الروحي والمؤسس الحقيقي للفلسفة العربية الإسلامية، ولاسيما بعد أن فتح أبواب النظر الفكري من خلال كتاباته مثل كتاب "الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد"، وباقي طروحاته التي اهتمت بالميتافيزيقيا وعلم ما وراء الطبيعة، والأخلاقيات، والبحث في توضيح مشكلة حرية الإرادة توضيحاً فلسفياً، فخرج بنتيجة أن لإرادة الإنسان قوة نفسية تُحركها الخواطر والسوانح. ونتيجة ذلك صار ملهما لمن عاصره أو جاء بعده، مثل أبي نصر الفارابي، الذي كان قريباً من عصر للكندي. وعلى نهجهم سار ابن رشد الذي أفاد كثيراً من كتاباتهم وتجاربهم. وهو وإن بدا تجديدياً ومختلفاً عنهم، إلا أن طروحاته أثبتت أنه كان متأثراً بنظرية الأخلاق الأفلاطونية؛ التي بين فيها أفلاطون أن الفضائل الأساسية هي: الحكمة والشجاعة

والعدالة والعفة. ومن خلال الإبداع والتقليد والتأثر انطلق ابن رشد بفكرة أن الدين والفلسفة هما أدوات تُمكن الإنسان من معرفة السبيل للخلاص البشري. وقد سار ابن باجة على أثره وكان من أكثر الفلاسفة المتأثرين بفلسفته، وكذا ابن سينا وابن طفيل وابن الهيثم وأبو حامد الغزالي الذي كتب في التصوف والفلسفة والعقيدة.

وبين هذا وذاك كانت هناك كوكبة من المفكرين الذين تباينت طروحاتهم بين تصحيح الواقع الديني، فاتهموا بانحيازهم، وتم التشكيك بنزاهتهم بسبب جرأة طروحاتهم، مثلما اتهم أبو حامد الغزالي بأنه اتهم الخليفة عمر بن الخطاب بمخالفة إمامة علي بن أبي طالب؛ أثناء حديثه عن رواية: "من كنت مولاه فعلي مولاه" في كتابه "سر العالمين وكشف ما في الدارين"، وتصحيح الواقع السياسي، حتى اتهم بعضهم بأنه يروج لتأييد السلطان، مثلما اتهم الغزالي أيضا بأنه دعم السلطة العباسية بعد أن وضع كتابا بعنوان "فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية" بطلب من الخليفة العباسي المستظهر بالله، أشاد فيه بدور الأخير.

إن الطروحات الغريبة عن الأجواء العامة للمجتمعات العربية كانت سببا في اتهام الفلاسفة بتهم وصل بعضها إلى التكفير، واتهام الفلسفة بالتهافت، وربما كانت هذه التظاهرات هي الأسباب التي قلصت الحراك الفلسفي في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية، وجعلته مقصورا على قلة من الناس، لأن سلطة الحاكم والسلطة الدينية كلاهما كانا يستدعيان المقدس "القرآن والسنة النبوية" كعناصر إسناد وقوة لتبرير مواقفهم لا السياسية وحدها بل وحتى القمعية، فلطالما استدعي النص الديني لقمع الخصوم والمناوئين والأعداء، بما فيهم المحتملين والحقيقيين طوال تاريخنا الإسلامي، وهو الأمر الذي تسبب بانكفاء الحراك الفلسفي، وتقلص المساحات التي يمكن للفلسفة أن تتحرك من خلالها بسبب التضييق والشدة.

وقد تسبب الانكماش الفلسفي في طغيان الفكر الساذج القائم على الخرافة ومنظومات الفضائل؛ التي ما أنزل الله بها من سلطان، فتسبب ذلك في تأخر مجتمعاتنا، وانتشار الفقر والجهل والامية، والدجل والشعوذة، والحديث عن الجن والتلبس والتابعة، بدل الحديث عن العلم والحرية والعدل، وهو الأمر الذي حدا

ببعض الذين يملكون جرأة الوقوف بوجه التيار ليتصدوا بشحذ عقولهم والتصريح بالحقيقة المغيبة التي يرفضها الكاهن والسلطان، ومن بين ركام الفوضى جاءت إشراقات المفكر والفيلسوف العراقي محمد باقر الصدر، والمفكر والفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري الذي تناول بمؤلفاته الحديث الصريح عن الفكر الإسلامي المعاصر، ومنها كتاب "نقد العقل العربي" وكتاب "نحن والتراث". والباحث والأكاديمي الجزائري محمد شوقي الزين، الذي طرح رؤاه في عدة أعمال فكرية مثل: "تأويلات وتفكيكات"، و"سياسة العقل"، و"الثقاف في الأزمنة العجاف". والفيلسوف التونسي المعروف محمد الحبيب المرزوقي، وثلة من الفلاسفة الآخرين.

أدى ظهور تلك الآراء والأفكار التي بدا بعضها مشاكسا جريئا إلى إثارة زوبعة من الآراء المضادة المتباينة حول مواقف الفلاسفة من الدين والحياة والواقع والمجتمع والسنن والعادات وأشياء كثيرة أخرى، وتباينت المواقف منهم بين رافضٍ معترض، وساكِتٍ، ومؤيدٍ ومناصر، بدل أن تتم مناقشة تلك الطروحات بمنهجية علمية، وأدت المواقف السالبة إلى إلحاق الأذى والضرر بالفلاسفة، فبدا وكأن عصر الفلسفة انتهى، ولكن في كل مرحلة كانت هناك اقلاما ناضجة ترفع رأسها متصدية للسلبيات بكل أنواعها، اعتمادا على تفكيك جذور التابو الديني، والدوافع التي تجعله ينمو حتى في القرن الحادي والعشرين بكل تلك الشراسة التي تتمثل بالأعمال الإرهابية، بما يعني أن من المؤمل لها أن تخوض معارك فكرية صعبة، توجب عليهم الوقوف أمام حشد من الجهلة والمؤدلجين والجامدين على النصوص والسلفيين، ولاسيما وأن الإسلام نفسه بدا في هذه الحقبة متشعبا ضمن أطر سياسية تمتد من الإخوان المسلمين، إلى السلفية، إلى الحركات الميلاشيوية إلى الحركات الجهادية الراديكالية المتطرفة، وقد تسبب هذا التشظي بولادة نزعات عدوانية بينها، صَعَبَ مهمة الفلاسفة وأعاق تقدم الفلسفة، ولاسيما وأن التهديد كان سيد الموقف والسلاح الكاتم كان هو المتحكم والقاضي.

ضمن أجواء الشد الحرجة هذه لم يكن من السهل على مفكري الداخل العمل بحرية وهم يرون السيوف مسلطة على رقابهم والنحر أبسط ما يمكن أن يواجهونه، ولقد عشتُ هذه المحنة بعد عدة مؤلفات أصدرتها ونشرتها ضمن سلسلة من أربع

مجلدات، تحدثت فيها عن أثر النص المقدس في صناعة بعض العقائد المنحرفة مثل التكفير والتهجير وقتل المرتد والمثلة وحرق البشر، حيث قاموا بتهديدي بالقتل إن لم أتوقف. أما المفكر الموجود في الخارج فقد وجد فرصة كبيرة للتعبير عن رؤاه ومواقفه من كل ما يدور على ساحة الدين والمجتمع والسياسة، وكان الأستاذ المفكر العراقي المقيم في أستراليا ماجد الغرباوي أحد هؤلاء؛ الذين حظوا بالفرصة واستغلوها ليطرحوا رؤاهم، وقد ساعده البعد على التحدث بصراحة يكاد يفتقد إليها أبناء الداخل.

هذه الفسحة فضلا عن راحة الفكر، والإعداد الفكري المتأصل المتجذر الذي حظي به المفكر الغرباوي، بعد أن قرأ ودرس عددا كبيرا من أهم وأخطر المؤلفات، وتعمق بدراسة الفقه على مدى سنين طويلة، وتولى القيادة والإشراف على عدة منشورات عقائدية تعتبر من أهم وأخطر المنشورات؛ رئيسا للتحرير وكتبا ومقوما ومقيما، فضلا عن احتكاكه المباشر مع كبار رجال المؤسسة الدينية والعمل معهم، وإطلاعه على خفايا لا يتسنى لأحد من خارج المؤسسة الاطلاع عليها، بل لا يتسنى لبعض من هم داخل المؤسسة أن يطلعوا عليها، كل هذا مقرونا بشجاعة شخصية مائزة واعتداد بالنفس وحسن تدبر ورجاحة عقل وسمو أخلاقي، فضلا عن وجود الوساطة، وأقصد بها موقع صحيفة المثقف الذي بناه بمجده وعرقه، وحولة خلال بضعة سنين إلى دوحة للمفكرين والباحثين والأدباء والفنانين، اجتمعت كلها وصقلت موهبته الفكرية. فكان هذا النتاج الثمر المانع الرائع المفيد والخطير أيضا.

ولا أبالغ إذا ما قلت لكم أي كنت أحد المعترضين على كثير من طروحاته، وكنت أرى فيها انحرافا عن المألوف لا أكثر، لكنني حينما بدأت أتعلم بتفكيك كتاباته، واستشرف مقاصدها، وجدت نفسي أمام عقل شره للعلم، شجاعا بالطرح، رائعا بالتفكير، أستاذا بالاستقراء والاستنتاج، وكان للنتائج التي توصل إليها وطرحها من خلال مواضيعه التي نشرها تباعا على صفحات صحيفة المثقف تأثيرا على بعض رؤاي الشخصية، وقد أفدت منها كثيرا، بل وجدتها تصحح لي بعض مسارات تفكيري.

وقد سبق لنا (الغرباوي وأنا) ودخلنا في حوارات عميقة من خلال المداخلات على كتاباته المنشورة، أخذت من خلالها بكثير مما قاله، وأخذ بما قلت، والظاهر أن هذا التعاطي الفكري الرائع أوحى لبعض ضعاف النفوس الذين لا يملكون القدرة على مقارعة الحجة بالحجة، فانتحلوا اسمي، وبدأوا يوجهون له المطاعن والسباب! وقد يرى بعضكم أن هذا أمرا طبيعيا لا غرابة فيه، لأن الأعم الأغلب من أصحاب الفكر وجدوا على مر التاريخ من يتصدى لهم ويوقع بهم الأذى، ألم يعدم سقراط، ويقتل فيثاغورس؟ ألم يقتل الفيلسوف والخطيب الروماني الشهير شيشرون بأمر من الطاغية نيرون؟ ألم يكن موت الفيلسوفة هيباتيا على يد متطرفين مسيحيين في مصر؟ ألم يعدم الفيلسوف بوثيوس صاحب كتاب "عزاء الفلسفة" بأمر من الملك ثيودور الكبير؟ ألم يقتل جوديا هالفني، وجون هاس، وإبراهيم بن داود، ألم يعدم الفيلسوف الإيطالي غوردانو برونو حرقا وهو حي؟ ألم يحاكم غاليليو بسبب آرائه الفلكية ويسجن؟ ألم يقتل الفيلسوف توماس مور صاحب المدينة الفاضلة "يوتوبيا" بأمر الملك الإنجليزي هنري الثامن، ألم يقتل الفيلسوف الغورنون سيدي بتهمة التآمر ضد الملك الإنجليزي؟ ألم يقتل ليون تروتسكي بأمر من ستالين، ألم يقتل الشيوعيون المتطرفون جيوفاني جنتيله الإيطالي؟ ألم يقتل فيلسوف الوضعية المنطقية موريس شليك على يد طالب مجنون؟ ألم يقتل الفيلسوف الفرنسي سيجر البرابوني على يد المتشددين لمجرد أنه من أتباع الفيلسوف العربي ابن رشد الذي تهمه أوربا بالإلحاد؟ ألم يخشى ديكارت على نفسه أن يلقي مصير أقرانه من الفلاسفة فأحجم عن نشر كتابه "العالم" لأنه يطرح الآراء نفسها التي قتل من أجلها برونو وسجن غاليليو، ولم يطبع الكتاب إلا بعد موته؟

لكن غير الطبيعي، الذي ينم عن سمو أخلاق الفيلسوف ماجد الغرباوي أنه لم يفتأ يفتأني بالأمر ولم يعاتبني أبدا إلى أن اكتشفت من خلال الحوار معه وجود هذا الموضوع الشائن، فقمنا بالبحث والتحري لنكتشف أن هناك من عمل إيميلًا مقاربا لإيميلي ليرسل من خلاله تلك التفاهات من مدينة الكوفة. وكان طوال مدة تلقي الإيميلات الخبيثة يتصرف معي كأخ وصديق، دون أن تظهر عليه أي علامات حتى

للزعل البسيط، وهذه مكرمة لا يتمتع بها إلا الفلاسفة الكبار، وأنا أكبرها به وأشيد به بسببها في جلساتي.

وآخر ما أردت الإشارة إليه هو رغبتى الجارحة في أن تتولى المؤسسة الدينية والمؤسسات الأكاديمية دراسة طروحات الغرباوي بشكل منهجي علمي أكاديمي حوزوي محايد وستكتشف أسرارها هي بحاجة ماسة إليها، فمن الغريب أن نفرط بذلك الكم الكبير من الفكر المتحرر الناهض العلمي دون أن نلمس أثره على الواقع الإسلامي الذي هو بأمس الحاجة لمثل طروحات الأستاذ الغرباوي.

كما وأتمنى أن يبادر الرأسماليون المسلمون وغيرهم إلى جمع مبالغ لإعادة طباعة مؤلفات ماجد الغرباوي وتوزيعها بشكل مكثف على كافة طبقات المجتمع، فالمرحلة التي نمر بها اليوم من أخطر المراحل التاريخية، وعلينا الاستعداد للمواجهة بحكمة وعقل، فزمن المعارك والسيوف ولى، والعقل هو الذي يحكم العالم اليوم، وما يطرحه ماجد الغرباوي هو لب العقل بعينه.

وفي الختام أقول: سبق لي في عام 2021 ووضعت كتابا بعنوان "الإلهي والبشري والدين التراثي رؤية نقدية في مشروع ماجد الغرباوي" يتألف من أكثر من 250 صفحة، لقي رواجاً وقبولاً واسعاً، ولو سنحت لي الفرصة الآن لوضعت كتاباً آخر تناولت فيه طروحاته الجديدة، فهي تستحق القراءة والتفكير.

سؤال الدين والأخلاق في فكر ماجد الغرباوي

بقلم: أ.د. نايي بوعلي¹

إن المتتبع لما يكتب المفكر ماجد الغرباوي، خلال رحلته الفكرية منذ عقود من الزمن، والذي لا يزال في قمة حضوره الفكري وهو يبلغ سن السبعين، يجد أن مشروعه الفكري ينخرط في الإطار العام لإشكاليات تحديد الفكر العربي والإسلامي والاهتمام بقضايا الأمة المعاصرة، قصد تحقيق نهضة حضارية وتجاوز محنة التخلف، على أساس مركزية الإنسان في الكون، ودوره في الحياة من حيث هو مخلوق من أجل مهمة، وليس مخلوقا عبثيا حسب رسالة السماء. يبرز ذلك من خلال سلسلة المؤلفات والأبحاث والحوارات والتحقيقات والترجمات، التي تعكس ثقافة علمية موسوعية كبيرة والتي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: إشكاليات التجديد، تحديات العنف، التسامح ومنابع اللاتسامح، إخفاقات الوعي الديني، الضد النوعي للاستبداد، المرأة والقرآن، الحركات الإسلامية، جدلية السياسة والوعي، النص وسؤال الحقيقة، الهوية والفعل الحضاري، مدارات عقائدية ساخنة، رهانات السلطة في العراق، نقد مرجعية التفكير الديني، الهوية والفعل الحضاري، موارد النص، الفقيه والعقل التراثي، مضمرات العقل الفقهي، تحرير الوعي الديني، المرأة وأفاق النسوية، تراجيديا العقل التراثي... وهي مؤلفات ازدانت بها المكتبة العربية لواحد من رموز الثقافة العربية والمجددين في تحليل التراث. حيث تمثل إسهاما كبيرا في النقد والدعوة

1 - جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر - الجزائر

إلى التنوير وتحرير العقل العربي من مخلفات وقبضة القوة الأسطورية للتراث، التي نسجت حول النص الديني. ومن أواخر المنجز الفكري لماجد الغرباوي مؤلفه الموسوم بـ: "المقدس ورهان الأخلاق" الذي يقدم فيه قراءة نقدية عميقة لمفهوم المقدس وعلاقته بالقيم الأخلاقية. والكتاب عبارة عن سلسلة بحوث نشرت في سياق حوار مع الباحث، وصادر عن مؤسسة المثقف في سيدني في استراليا، ودار أمل الجديدة في دمشق عام 2022، ويقع في 385 صفحة من الحجم الكبير، وهو الكتاب الثامن في السلسلة أو الموسوعة التي اختار لها ماجد الغرباوي عنوان (متاهات الحقيقة).

لقد استرعى المشروع الفكري لماجد الغرباوي اهتمام العديد من الباحثين، حيث قدموا حوله دراسات ومقالات تحليلية ونقدية، مثل: الإلهي والبشري والدين التراثي.. رؤية نقدية في مشروع ماجد الغرباوي، للكاتب صالح الطائي. جدلية العنف والتسامح.. قراءة في المشروع الإصلاحي لماجد الغرباوي، للكاتب صالح الرزوق. الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري، ماجد الغرباوي ومكشافته في المقدس ورهان الأخلاق للكاتب محمود محمد علي.

يسعى المفكر ماجد الغرباوي، باعتباره متخصص في علوم الشريعة والعلوم الإسلامية، في مشروعه التنويري إلى تحرير الخطاب الديني من سلطة التراث الديني، بمعنى تحريره من الخطابات التي تسيّجه في إطار دوغمائي، لا يسمح بهامش الحرية للتعامل معه وفق ما يطرحه العصر من تحديات. إن النص الديني يجب أن يخضع لقراءة متجددة مما يجعله صالحا لكل زمان ومكان من حيث أن قداسة النص الديني لا تتعارض مع آنسة المقدس، وإلا ما الفائدة من وجود النص أصلا؟ حيث يري ماجد الغرباوي أن العقل التراثي صار لا يتماشى مع هموم العصر، وهو ما يترتب عليه تداعيات خطيرة تجعله غير قادر على مواجهة تحديات الراهن، وبالتالي يكرس الفجوة التاريخية بين الأزمنة، مما يجعل المسلم المعاصر يطرح السؤال في أي زمن أعيش؟ وهذا ما يطلق عليه ماجد الغرباوي مأساة التراث. ولذلك نجده في مسيرته النقدية والبحثية يثير دائما الأسباب التي تقف أمام نهضتنا، ويتوقف أمام القوة الأسطورية للتراث، لتشخيص أزمته وسطوته، وينتقد التفكير من خلال مرجعيات التراث، والرؤية التراثية التي تحتوي الإنسان، دون تحليل أو مراجعة ودون تفعيله في

واقعنا المعاصر، وكل ما من شأنه مناصبة العداء لاستخدام العقل والتفكير باستقلالية عن التحيزات الإيديولوجية والأهداف السياسية. ويتساءل كيف يطمئن العقل الحي إلى العقل الميت، ويخلص إلى أن العقل التراثي يريد أن تكون أحكامه مطلقة لا تتأثر بمقولات الزمان والمكان، أي أنه عقل نصّب نفسه ليفكر في مكان الآخرين.

إن سؤال الأخلاق، وإعادة بناء الوعي الأخلاقي، يأتي على رأس الأسئلة المهمة في مشروع ماجد الغرباوي ويحظى بأهمية قصوى. ما حقيقة النظام الأخلاقي الذي يحكم سلوك البشر، وما مرتكزاته وأصوله المؤسسة؟ يركز البعد الإشكالي لسؤال القيم الأخلاقية في منظور ماجد الغرباوي، في ذلك التعارض القائم بين ما يدعو إليه النص الديني من تسامح ومحبة وعدالة وإخاء وحوار... وما نواجهه في أرض الواقع من تعصب وكراهية واستبداد وتطرف؟ ولماذا لم تنتقل هذه القيم وتتجسد في تجربة الفرد وفهمه؟ أي ما طبيعة العلاقة بين الأخلاق والمقدس الذي قد يبرر بعض السلوكات اللاأخلاقية؟ ولماذا يبرر ذلك؟ ولمصلحة من؟ وهل يمكن إنهاء هذا التعارض القائم بينهما؟

وأمام هذه المفارقات التي تطرح نفسها بقوة أمام الفكر، لابد من إعادة إحكام سؤال القيم الأخلاقية من أجل بناء إنسان جديد، وصياغة رؤية جديدة للمجتمعات العربية المعاصرة، التي هي في حاجة إلى تحديد شكل وجودها في التاريخ. وهذا يتطلب تصحيح القيم الأخلاقية الملوثة والمناقضة لجوهر الدين، التي ترسبت في اللاوعي الفردي والجماعي نتيجة التقليد وعوامل القهر التاريخي. ومن هذا المنطلق يعيد ماجد الغرباوي طرح السؤال التالي: ما هو الواجب وإلى أي سلطة يخضع؟

يرى ماجد الغرباوي أن الفعل الأخلاقي مطلوب لذاته، كما هو الحال في التصور الكانطي، الذي يفترض أن القيام بالواجب يكون استجابة لنداء الواجب ومن أجل الواجب فقط، من دون النظر إلى نتائج الفعل. هناك "قيم أصيلة بها

تصدق إنسانية الإنسان¹ ومن هنا لابد من مراعاة البعد الإنساني في القيم الأخلاقية، فنحن نأكل خبزاً لا ندري من يزرعه، ونستعمل دواء لا نعرف من ينتجه، ونلبس ثياباً نجهل من يخططها... فالإنسان في بعده العالمي واحد ولكن تفرقه الثقافات. وبهذا يرفض ماجد الغرباوي خضوع الأخلاق لأي سلطة خارج سلطة العقل. ومن أسباب فشل المنظومة الأخلاقية هي تحول العقل بوصفه معياراً للتمييز بين الخير والشر إلى عقل حولته الذرائعية إلى عقل أداتي منفعي ينظر إلى الحق بمنظار المنفعة.

يتناول ماجد الغرباوي بالتحليل والنقد إشكالية العلاقة بين المقدس والأخلاق، بالاستناد إلى مناهج غربية مثل: الهيرمينوطيقا، وفلسفة التفكيك، والمنهج التاريخي، والتحليل السوسيولوجي، بالإضافة إلى التراث الكلامي والفلسفي العربي الإسلامي للكشف عن سلطة المقدس. ينطوي المقدس على جانب من الغموض، مما يجعله مبجلاً ويكسبه الهيبة والرغبة في نظر الإنسان، ويحظى بحراسة شرسة من قبل الجهات القائمة عليه، والتي تجعل الاقتراب منه محرماً وممنوعاً. إلا أن مسألة الفحص الموضوعي، والتنقيب العلمي الدقيق في الأصول والمرجعيات المؤسسة لسلطة المقدس التي اكتسبها عبر الزمن، سرعان ما تكشف الأسباب الحقيقية المتوارية، التي ترفع من شأنه، وتعلي من منزلته وتجعله خارج نطاق المساءلة. وعبر هذا الطريق اتخذت المنظومات الفكرية طابع القداسة، وأصبحت تؤطر الفكر العربي الذي غاب عنه الإبداع وروح الفاعلية.

يؤكد ماجد الغرباوي أنه يجب الاحتكام إلى العقل في أحكامه المعيارية في التشخيص والحكم، على غرار ما ذهبت إليه المعتزلة والفلاسفة العقلانيين، لأن التحسين والتقبيح من مقتضيات العقل قبل الشرع "الحسن والقبح عقليان لا شرعيان. وأتخما من مدركات العقل العملي، وأن المقدس لا يحول دون الرجوع للعقل

1 ماجد الغرباوي، المقدس ورهان الأخلاق، الطبعة الأولى، سنة 2022، نشر وتوزيع: دار أمل الجديدة، دمشق، سوريا، ص30

لمعرفة حقيقة السلوك البشري، مهما كان مصدره"¹. لسبب بسيط ومعقول وهو أن العقل يقتضيه التكليف وما يترتب عن ذلك من تحمل المسؤولية استحقاقا للثواب والعقاب متى كان الإنسان عقلا مستقلا وإرادة حرة.

كما تطرق في مشروعه الفكري لمسائل حساسة لها علاقة بسؤال الدين والأخلاق مثل فرص التعايش بين الأديان والثقافات الذي تستوجبه التعددية والاختلاف، ونشر ثقافة التسامح الديني الحقيقي للقضاء على منابع اللاتسامح، إثراء للمشهد الثقافي الإنساني دون الانغلاق على الذات، وقبول الآخر المختلف دينيا وايدولوجيا وطائفا ومذهبيا وسياسيا على أساس أن الناس خلقوا شعوبا وقبائل"، لأن تأكيد الذات لا يتحقق إلا من خلال وعي الآخر"². فالآخر امتداد إنساني حقيقي وليس صوري، فهو إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

إن المراجعة النقدية المكثفة والدقيقة والصارمة لأهم الأنساق الفكرية المضمرة في النص، وتفكيك بنية العقل التراثي، وعقلنة التراث باعتباره نتاجا بشريا، رغم صلابته، واستدعاء المسكوت عنه والمهمش والمستبعد إلى دائرة النقاش والمساءلة من أجل التنوير، وفهم دور الإنسان ورسالته في الحياة، هي أهم ما يميز المشروع الفكري لماجد الغرباوي. لأن الأسئلة في زماننا صارت تطرح في ظل مناخ جديد هيمنت عليه تحديات كبرى لم يكن للسابقين عهد بها. وهذه الدعوة إلى التنوير التي يرفع لواءها ماجد الغرباوي ليست خيارا، وإنما صارت حاجة ملحة تفرض نفسها اليوم على جميع المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي يستدعيها الفهم البشري الذي هو تاريخي في جوهره. وكأن لسان حال ماجد الغرباوي يقول وهو يقف متأملا مشروعه الفكري: "نحن محكوم علينا بالنهضة والتقدم" في إطار مجتمعات مدنية عصرية تحترم إنسانها وثقافتها، وترسخ قيم المواطنة والحرية والعدالة

1 ماجد الغرباوي، المقدس ورهان الأخلاق، الطبعة الأولى، سنة 2022، نشر وتوزيع: دار أمل الجديدة، دمشق، سوريا، ص 16.

2 المصدر نفسه، ص 23.

بعيدا عن كل ما يعيق تحقيق إنسانية الإنسان وكرامته من استبداد وحروب وكرهية وتخلف. ذلك هو السر وتلك هي الوصفة.

ولكن يبقى التساؤل مطروحا، حول قدرة هذا المشروع الفكري المهم في تاريخ التجديد والتطور، في الخطاب العربي المعاصر - والذي يستحق الثمين - في تحريك المجتمعات العربية، التي تسير عكس حركة التاريخ من خلال الإخفاقات المتتالية في كل منعطف تاريخي. ثم ما هي المؤسسات العلمية والثقافية، والإرادة السياسية التي تتبنى هذا المشروع وتحوله من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، في إطار نهضة حضارية مستأنفة في المجتمعات العربية والإسلامية. وهل ستنجح مساعي المفكر ماجد الغربي، في معركة الانتصار على قلاع الكهنوت والفكر التقليدي ومظاهر الاستبداد السياسي والعنف الطائفي، وتسهم ضمن جهود أخرى مخصصة للتنويريين المعاصرين في دخول مجتمعاتنا إلى نادي الأمم المتقدمة، وتفتك لها مكانا تحت الشمس، أمام الصدمة الحضارية وتداعيات النكوص الحضاري، من أجل غد عربي أفضل.

شهادة بحق المفكر والفيلسوف الأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: د. عدنان عويّد¹

"ماجد الغرباوي"، كاتب وباحث ومفكر وفيلسوف إسلامي عقلائي تنويري بكل ما تعنيه هذه المفاهيم من دلالات، وما يميزه عن الكثير ممن اشتغل على الفكر الإسلامي، هو فهمه العالي والعميق لجوهر الخطاب الإسلامي في مقاصده التي جاء بها النص المقدس ذاته قرآنا وحديثاً، وبالتالي هو من القلة الذين أعادوا قراءة هذا النص قراءة محايدة ومجردة من أي موقف طائفي أو مذهبي، أو من أي مصالح أنانية ضيقة تحركها منافع ذاتية أو سلطوية.

(الفيلسوف الغرباوي) الذي أدرك جوهر المنهج "الهيرمونطقي" عن تأويل النص، جعله يعيد قراءة النص المقدس من منطلق إنساني محض، وهذا ما أضفى على تفسيره وتأويله ليس للنص المقدس فحسب، بل ولقراءة الحدث التاريخي الذي رافق النص منذ نزوله حتى اليوم، وتحديد موقفه العقلائي من الفقهاء ورجالات علم الكلام والحديث الذين فسروا وأولوا هذا النص وفقاً لهواهم ومصالحهم أو مصالح السلطان الذي يشغلون عنده، إن كان من قبل رجالات العصور الوسطى، أو من قبل رجالات تاريخنا المعاصر الذين لم يخرجوا عن عباءات مشايخهم القدامى، حيث راحوا يتماهون مع النقل على حساب العقل ورفضهم فتح باب الاجتهاد، إي إعادة فتح مخزون النص على كل دلالاته الإنسانية، الأمر الذي ساهم في تجميد الخطاب الديني والعمل

1 - كاتب وباحث من سورية.

دائماً على ليّ عنق الواقع كي ينسجم معه. وبذلك اسأؤوا للنص المقدس وللواقع ذاته.

على العموم نستطيع القول من خلال متابعتنا لما كتب فيلسوفنا الكبير الاستاذ ماجد الغرباوي: إن فكره قد امتاز كباحث في التراث الإسلامي بمجموعة سمات وخصائص أهمها:

أولاً: هو اختص في الفكر الإسلامي وكرس كل جهده في دراسة هذا الفكر، عقيدة وفقها وحديثاً وتاريخاً وعلم كلام، وكتب الكثير عن قضايا الخطاب الإسلامي وفقاً لفهمه التجديدي التنويري بما يخدم قضايا العصر والإنسان بشكل عام.

ثانياً: نظر في مناهج البحث التي اشتغل عليها رجال الدين من فقهاء وعلماء حديث وعلم كلام، وإذا كان قد برر هذه المناهج لرجال العصور الوسطى، فهو لم يبررها لرجال الدين في تاريخنا المعاصر، وطالبهم بضرورة تجديد مناهج البحث والتقصي داخل الخطاب الديني عن كل ما هو إنسانيّ وقيميّ حتى نخرج من شرنقة مناهج الماضي التي لم تعد قادرة على حل قضايا عصرنا، لا سيما وأن هناك مناهج بحث علمية كثيرة قد ظهرت على ساحة المعرفة، إن كان على مستوى اللسانيات، أو دراسة التاريخ من وجهة نظر تاريخية أو جدلية، أو تفسير وتأويل النص المقدس نفسه.. الخ، ولديه أمثلة على بعض رجال الدين الذين اشتغلوا على هذه المناهج ومنهم "محمد اركون" و"الجابري" و"حسن حنفي" و"السيد القمني" و"ماجد الغرباوي" وغيرهم ممن درس التراث الإسلامي وحلل خطابه العقيدية والفقهية والتاريخية وغيرها.

ثالثاً: الموقف العقلانيّ التنويري من التراث، وهنا عمل "الفيلسوف الغرباوي" على إبعاد كل ما لا يتفق والعقل والمنطق، وبذلك الغى الأسطورة والخرافة والتخيل والمواقف الذاتية والعاطفية والحدسية عن قراءات التراث والبناء عليها. وبهذا يكون "الغرباوي" قد اتخذ من العقل مرجعاً أساساً في تعامله مع الحدث التراثي الإسلامي، ولكن ليس العقل مجرداً في صيغته الديكارتية، وإنما العقل المرتبط بالواقع وأحداثه ودرجة تأثير هذه الأحداث على الواقع وعلى تحديد الفكر ذاته.

رابعاً: لقد تعمق الفيلسوف الغرباوي في قراءة النص المقدس ذاته، فوقف كثيراً عند الثابت والمتحول في النص، وكذلك عند الناسخ والمنسوخ، وتبيان جوهرية الدين يؤكدان هنا على حركة وتطور وتبدل الحوادث أو الظواهر المادية والروحية المتعلقة بحياة الناس في الزمان والمكان. وعلى هذا الأساس لم يأخذ "الغرباوي" النص المقدس بظاهره بل بخصوص سببه الذي يكشف سر ظهر هذا النص وموقفه من حياة الناس الخاصة والعامة، فجاءت رؤيته في تعامله مع النص تتفق وروح مقاصد الدين في تطورها وتبدلها وفتح دلالاتها على مصالح الناس، ومن هنا جاء إيمانه أيضاً بقواعد الفقه الفرعية كالمصالح المرسلّة والاستحسان وتغيير الأحكام بتغير الأزمان وغيرها.

خامساً: لقد كان الباحث "الغرباوي" قارئاً عقلاً وروحاً للنص الديني قرآناً وحديثاً كما بينا أعلاه، وعلى هذا الأساس وقف كثيراً عند المحكم والمتشابه من النص الديني. فالقرآن كما يقول الرسول (ذلول حمال أوجه، وعلينا أن نأخذه على وجهه الحسن). وهنا يأتي موقف "الغرباوي" من النص المحكم وضرورة الأخذ به، والابتعاد عن المتشابه أو إعادة تأويل هذا المتشابه بما يخدم مصالح الناس، لإدراكه بما يحققه هذا النص المتشابه إذا ما أخذ لمصالح أنانية ضيقة، من تشويه للدين ومقاصده عند من في قلوبهم زيغ. والعمل على توظيف النص لمصالحهم، وهذا ما جرى تاريخياً، لذلك عمل كثيراً على فضح الذين تاجروا بالدين في الماضي وكانوا وراء الفتن والصراعات الدموية بين المسلمين أنفسهم، وجعلهم فرقاً كل فرقة منهم تقول هي الفرقة الناجية وما تبقى كفار وأهل نار.

كلام كثير يمكن أن يقال بحق فيلسوفنا الكبير الأستاذ "ماجد الغرباوي"، ولكني سأكتفي بهذا القدر من معرفتي بطبيعة فكره، مع اعتقادي بأن هناك شهادات أخرى ستكمل ما جئت إليه هنا أو توضحه.

ماجد الغرباوي في مشروعه النقدي الى صاحب اليراع الذهبي

بقلم: ا. أياد الزهيري¹

إنه لمن دواعي سروري، وصميم قلبي، كما يشرفني أن أتقدم الى الكاتب الكبير الأستاذ ماجد الغرباوي بمناسبة بلوغه السبعين من عمره الحافل بالعطاء الزاخر، والمواقف النبيلة، داعياً الله أن يُطيل في عمره ويمده بالصحة ويحفظه بالسلامة. الكلمات قد تعجز بالتعبير عن ما قدمه الأستاذ الغرباوي من منجز فكري كبير، وهو صاحب اليراع الذهبي المعطاء، ولكن لا بد من أن نسجل شهادتنا للتاريخ عن فارس الكلمة، والمفكر المبدع، والمجدد الأملعي الأستاذ الغرباوي، الذي قدم من خلال مشروعه الفكري، فكراً نبيراً أغنى من خلاله مكتبتنا العربية والإسلامية، فقد كان ذو تجربة فريدة في نقد الموروث الديني، ذلك التراث الذي أثقل مسيرة الأمة في تقدمها للأمام، بل كان السبب في الكثير من تعثراتها، فكان الأستاذ الغرباوي من القلائل الذين شمروا عن سواعدهم للكشف عن ألغام هذا التراث، فقد أشر على الكثير من إشكالاته مفسراً وموضحاً ومحدراً عما يتضمنه من هنات ومخاطر .

لا يمكن لجهودك أستاذ ماجد أن تُنسى، فقد أوفيت بالغرض و وبذلت الكثير فأنرت لمتعطشي المعرفة طرق المعرفة بضياء معارفك الوفيرة التي سطرتها مؤلفاتك الكثيرة، والتي هي محل فخر واحترام كل المنصفين من العلماء والمثقفين في الساحة العربية والأسلامية. لك مني كل الثناء والتقدير بعدد حبات المطر، وألوان الزهر على جهودك الثمينة والقيمة والتي هي محل افتخارنا والتي فجرت ثورة فكرية في عالم نقد التراث، فقد كنت غاية في الجرئة والشجاعة، فقد اقتحمت ساحات أحجم عنها

1 - كاتب وباحث - هولندا

الكثيرون ترددوا وخوفاً، فكنت فيها فارساً مغوراً مقتحماً ساحات الوغى الفكرية بعقل مفتوح، وروح مقدامة، وعزيمة راسخة، أنتج من خلالها قلمك أروع المؤلفات وأجمل الدراسات التي أثارت أعجاب كل من أطلع عليها، وغرف من معين معارفها، واستنشق من شذى علومها، وتنسم من عبير نتاجها المعرفي. لقد كنت أنا شخصياً ولازلت من المتابعين لثراء كتابات الأستاذ ماجد الغرباوي، فهي جزء لا يتجزأ من مائدة زادي الفكري، التي لها الفضل في تشكيل خزيننا المعرفي، وبناء فضائنا الثقافي، وأنا كواحد من قراءه لا يسعني إلا أن أسجل وافر شكري وامتناني على ما قدم من جهد استثنائي في بناء هذا الصرح الفكري، فقد كان كريم في عطائه، وجميل في عرفانه، فشكري لن يوفيكم حقكم بأستاذ ماجد لما سعيتم من مساعي مشكورة، وأن جف حبري عن التعبير عن شكركم، فقلبي يبقى يحمل مشاعر الحب والتقدير لشخصكم الكريم، ولمزيد من التوفيق والنجاح لأكمال مشروعك الذي لم تدخر جهداً لإنجازه.

المشروع النقدي لماجد الغرباوي

لا شك إن الكتابة عن الأستاذ ماجد الغرباوي، ليس كتابة عن كاتب عادي، لأن الغرباوي عبارة عن مشروع ثقافي كبير. هذا المشروع ساحته التراث، والخوض في عالم التراث كالتخاض في بحر مائج يتسم بالمدى البعيد، والأعماق السحيقة، وهذا يتطلب لمن يخر به أن يجيد العوم، الذي يتمثل بدرجة عالية من الكفاءة والحرفية، وكثير من الصبر لكي يتجنب أمواجه العاتية التي لا ترحم من لا يجيد فن أقاء عواصفها المجونة .

الغرباوي يعتبر واحد من الباحثين القلائل الذين أقتحموا ساحة النقد العقلي للتراث، وهي ساحة تتطلب من مقتحمها الكثير من الجرأة والشجاعة المنقطعة النظر، لأنها ساحة غاية في الحساسية، وفيها من المصدات والعوائق والمصاعب ما لا يقتحمها الا ذوي البأس الشديد، والماشي بها كالماشي في أرض مزروعة بالألغام، ومن لا يحسن المسير بها، ويتقي عثراتها، يكون مصيره الفناء، كما حصل لفرج فودة،

أو التسقيط والتشويه، كما حصل للدكتور نصر حامد أبو زيد، ولكن الأستاذ الغرباوي بخبرته وانتقاد ذكائه نجح في تجنب سقوطه في حقل ألغام ساحة التراث، وتمكن من نزع فتيل قنابله الموقوتة، لأنه يعرف خرائطه ويمكن بالمسير في ممراته الآمنة، وهذا لم يأت من فراغ بل نتيجة لباعه الطويل بتضاريس ساحة الموروث الفكري والديني، واشتغاله الطويل بين ثناياه، والعارف بمحتواه وأنساقه المعرفية.

الأستاذ الغرباوي تابعته منذ بداياته في مشروعه النقدي، وكدت أتחסس خطواته وكأن الرجل أحسبه يسير بطريق الانتحار المعنوي، وكمن وطن نفسه للشهادة على مذهب تحرير الوعي النقدي، ويذكرني ببعض رجال المعتزلة الذين اشتغلوا على مشروع حركة الوعي النقدي فتعرضوا الى محنة قاسية قادت بعضهم للقتل الجسدي وآخرين للقتل المعنوي، وآخرين أنزوا في بيوتهم آثرين السلامة، وقد ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ان أحد رؤساء المعتزلة لزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج من بيته خوفا من عامة الناس، ولكن الأستاذ ماجد الغرباوي بمحنته وحذاقته الفكرية وتمكنه الأدوات العقلية تجاوز ما وقع به غيره، وتعرثر آخرون .

أن المهمة الكبيرة التي أضطلع بها الأستاذ ماجد الغرباوي كانت مهمة صعبة، ولكنها عظيمة النتائج، وأهم حصاد هذه المهمة، هو الفصل ما بين النص المقدس، وبين تفسير النص وتأويله، الذي هو نتاج بشري، وهذا في حد ذاته انجاز في غاية الأهمية، حيث رفع وشاح القداسة من الفكر الديني المتمثل بالتفسيرات والتأويلات للنص المقدس، ففصل بينهما، ورسم برزخاً بينهما لكي لا يتحول كل ما أنتجه الإنسان من نتاج فقهي إنساني الى موروث مقدس عابر للزمن. إن رفع الغرباوي للغطاء المقدس للفكر الديني و جعل منه مادة قابلة للحوار والمناقشة والنقد فتح عظيم في عالم النقد والاصلاح الديني. فالغرباوي قد حرث أرض الموروث الفكري والفقهي مُخلصاً أياها من كل مائصَحَرها، ويجعل منها أرض بوار لا تصلح لأنبات كل ما يضرر أرض الفكر، ويعالج قضايا الإنسان . فقد أدخل الغرباوي أدوات النقد العقلي كأداة ينخل بها هذا التراث ليفصل منه الغث من السمين، ويحوله من مادة كاذبة لحركة التاريخ الى مادة دافعة للأمام في صيرورة تصاعدية. ومن تجليات مشروع الغرباوي، هو إزالة مشاعر الخوف والتردد في اقتحام هذا الحقل، الذي اختلط

فيه الحابل بالنابل، حتى أصبح ذلك الجدار الذي صد كل محاولات النهضة لهذه الأمة، فمشروع الغرباوي، هو بالحقيقة مشروع نهضوي لأنه حرك المياه الراكة في حركة النقد، وتحرير العقل من أوهام وأساطير تسملت الى سرديات النص الديني، وهي سرديات منها ما هو دخیل، ومنها ما هو نتاج ظروفه وبيئته الزمكانية. الأستاذ ماجد الغرباوي بالحقيقة حمل على عاتقه تحقيق منجز فكري كبير، تمخض عن رؤية نقدية جعلت من العقل دوراً فاعلاً في الحكم على الموروث المعرفي، كما جعل من الفكر التراثي فكراً تاريخياً مؤطر بظرفه الزمني، ومنوطاً بأدواته المعرفية، ومعطياته البيئية، ولا يمكن أن يكون خارج حدود الزمن، وأنه محكوم بنسبيته المعرفية البعيدة عن إطلاقية النص المقدس.

بخلاصة القول أن الغرباوي قد ساهم بتأسيس مشروع نهضوي غايته تحرير العقل، والتأصيل لفهم يكون للعقل فيه الدور الأكبر بعيداً عن الأوهام والأسطرة، كما دعا للتسامح في تحليل ونقد التراث، وهو ما يذكرني بنظرية العنبري المعتزلي المعرفية التي تدعو الى التسامح في عدم تكفير أحد من المتأولين لأنه يرى أن كل مجتهد مصيب . إن مشروع الغرباوي يدعو للتسامح في تقييم الأفكار بعيداً عن الإطلاقية المتزمتة في الحكم على الأفكار باعتبار أن المعرفة تبقى نسبية ومتعلقة بظروفها ومعطياتها التاريخية وأن معرفة الإنسان معرفة تراكمية لا يمكن أن تتطابق مع الحقيقة الكلية والمطلقة. إن الغرباوي بلغته السهلة وبيانه الواضح، وابتعاده عن الغموض في شروحاته جعل من منتوجه الثقافي يتسرب الى أكبر عدد من القراء، حتى يمكن القول بأن مؤلفاته أصبحت في متناول أكبر عدد من الجمهور، حتى دخلت ضمن الثقافة الشعبية، وهذا بحد ذاته انجاز كبير، بعد ما كان هذا اللون من المعرفة محصوراً على النخبة من القراء.

المشروع التنويري للمفكر الغرباوي

بين أنسنة الموروث الديني

وعقلنة السرد التاريخي

بقلم: الأستاذ ثامر عباس¹

قلما يفلح البعض من الباحثين في إيفاء المواضيع المتعلقة بالموراث الديني حقها من مستحقات البحث العلمي والتدقيق الموضوعي، نظرا "لكونها موضوعات إشكالية بامتياز تلابس فيها التاريخي بالأسطوري، والواقعي بالمتخيل، والمعرفي بالإيديولوجي، بحيث نادرا "ما كانت محط إجماع أو اتفاق أصحاب الشأن من علماء ومفكرين ورجال دين، فما بالك حين يغامر أحدهم بإضافة صعوبات أخرى جمة الى تلك الإشكاليات السابقة عن طريق الانخراط في تحليل السرد التاريخي وتأويل مضامينه سعيا "وراء الحقائق المغيبيّة والوقائع المطموسة . ولعل المفكر (ماجد الغرباوي) كان من رواد أولئك الذين أظهروا مقدرة فريدة ليس فقط للخوض في غمار مثل هكذا مواضيع حساسة وإشكالية فلسفيا "واجتماعيا" فحسب، بل وكذلك الخروج بتأويلات ومقاربات واستنتاجات كانت حصيلتها أنسنة موروثنا الديني وعقلنة سردنا التاريخي .

وهنا ربما يطرح سؤال نفسه؛ لماذا نجح (الغرباوي) في عمليات حصاده الفكري من هذا الحقل الواسع والمتشعب، في حين أظهر آخرين عجزهم وإخفاقهم عن بلوغ مثل هذا المأرب الحضاري رغم تمتعهم بحسن النوايا وسلامة الطوايا؟! . فمن وجهة نظرنا المتواضعة يمكننا عزو هذا التفرد والتميز الى ثلاث عوامل أساسية رغم كونها تمتح من مصادر مختلفة ومراجع متباينة، إلا أنها تترابط فيما بينها على نحو (بنوي)

1 - ثامر عباس - كاتب وباحث عراقي

على صعيد ماهية الظاهرة / الحالة، و(عضوي) على صعيد وظيفة الفاعل الاجتماعي / الثقافي، و(جدلي) على صعيد تطور الوعي / الإدراك:

العامل الأول: يتعلق بطبيعة التكوين الذاتي (الذهني والنفسي) لشخصية الباحث المعني، من حيث كثافة وتنوع المجهودات الفكرية والثقافية التي بذلها خلال مراحل تقدمه العمري ونضوجه العقلي، حيث الاشتغال المتواصل على كينونة الذات لجهة بلورة ملكاتها وصقل مواهبها وتنقية تصوراتها . ولعل هذا الأمر يعكس حجم التنوع في الاهتمامات العلمية والمعرفية التي انخرط في أتونها الأستاذ (الغرباوي) طيلة مسيرته الحافلة بالعطاء، كما جاء في مسرد سيرته الفائضة بالاهتمامات الإنسانية، والثرية بالإنجازات الفكرية، والمهجوسة بالتطلعات الحضارية .

والعامل الثاني: يتعلق بكم ونوع المصادر والمراجع التي نهل من معينها (الغرباوي)؛ أسطورية وتاريخية وتراثية ودينية وفقهية وفلسفية، عبر محطات بناء مدمائه الفكرية المتناضد الأساسات والمتعدد المنطلقات والمتنوع المسارات. إذ يمكننا بمراجعة خاطفة لسيرة هذا الباحث المتميز اكتشاف أن الحصيلة العلمية والمعرفية التي يتوفر عليها لم تأت من فراغ أو تنبثق من العدم، بقدر ما كانت نتاج دراسات واسعة وحفريات عميقة في مجالين هما من أخطر المجالات الفلسفية والمعرفية (الدين والتاريخ) . بحيث أن هذا العامل مكنه من الحراك السهل والانتقال السلس ما بين حقول تلك المجالات، دون أن يتيه في المسارات المتعرجة للأبحاث التي ينجزها، أو أن يفقد بوصلة الاتجاهات المتقاطعة للأفكار التي يصوغها .

العامل الثالث: يمكننا اعتبار أن هذا العامل هو حصيلة تضافر العاملين الآخرين (الأول والثاني) من جهة، وتفاعل العوامل الثلاثة مع بعضها مجتمعة في مجال دراسة الظواهر الاجتماعية من جهة أخرى . ففي إطار تكوين عقلية الأستاذ (الغرباوي) وما تنطوي عليه من خصال تتمثل؛ بالمرونة الفكرية، والرصانة المعرفية، والموضوعية العلمية، والمعيارية الأخلاقية . لم يترك لوعيه الانسياق خلف حالات الرضا بحصيلته العلمية والاقتناع برصيده المعرفي والاكتفاء بمخزونه الثقافي، بحيث يركن

الى التقوقع داخل شرائق تصوراته الذاتية والتمترس خلف سواتر انطباعاته الشخصية، وإنما شرع بالنهل من معين كل ما أنتجه الفكر الإنساني من علوم ومعارف حدائية وما بعد حدائية، والتسلح بكل ما أبدعه هذا الفكر من منهجيات تحليلية وتفكيكية وتأويلية، لسبر أغوار اللاوعي والكشف عما يضمره في قعر المسكوت عنه والممنوع القول فيه من جانب، وإمالة اللثام عما تخفيه السيكولوجيا في أعماق المحرم دينيا" والمؤثم اجتماعيا" من جانب ثان .

وإذا ما وضعنا هذه المعطيات وتلك المؤشرات في إطار ما يعانيه الواقع الاجتماعي من تخلف في البنى الفكرية والأنساق الثقافية والأطر الحضارية، حينذاك سنكتشف أي نمط من أنماط المشاريع التنويرية التي عقد الأستاذ (الغرباوي) العزم على وضع أسسه وإقامة أركانه وإشادة معماره، بحيث لا يكون فقط مختلف نوعيا" عن جبهة المشاريع الفكرية القائمة هنا أو هناك تحت مختلف العناوين والمسميات فحسب، وإنما يمتاز بفضائل الجرأة في طرح التساؤلات، والجدرية في نقد المسلمات، والإبتكارية في صياغة الطروحات أيضا". وهو الأمر الذي جنبه الوقوع في مصائد الاختزالية في معالجة الإشكاليات، والتقليدية في تصور العلاقات، والاستاتيكية في تأمل السيرورات، لاسيما وإن متاهات حقول الموروث الديني المؤسّس والسرديات التاريخية المؤمّلة في المجتمعات المتشظية الى ملل ونحل، والمتندرة الى طوائف ومذاهب، والمبعثرة الى قبائل وعشائر من التشابك والتعقيد، بحيث تحتاج الى باحث يمتلك قدرات فكرية هائلة وامتيازات منهجية متعددة . تتيح له ليس فقط إمكانيةولوج الى فضاءات تلك الحقول المغمومة بالصعوبات والمفاجئات فحسب، بل وكذلك اجتثاث كل ما علق فيها من زؤان الأساطير والخرافات . ليس بالاعتماد على أساليب الاختلاق والتلفيق التي غالبا" ما يعمد الى ممارستها أولئك المهوسيين بالأصول المدرسة والمفتونين بالأرومات البائدة، وإنما عبر محاولات أنسنة (الوعي الديني) من جهة، وعقلنة (الوعي التاريخي) من جهة أخرى .

وتلك مهمة - كما تبين لنا - لا يستطيع الخوض في أتونها والنهوض بأعبائها سوى تلك الثلة من المفكرين المبدعين، الذين أوتوا نصيباً "من فضائل العلم والحكمة ما مكنهن من أن يستحيوا الى نجومنا" لامعة في سماء الثقافة والمعرفة الإنسانية، وهو ما أصبح عليه المفكر (الغرباوي) عبر مشروعة التنويري - النهضوي الذي لم يبرح يطرح ثماره اليانعة في أكثر من مجال وعلى أكثر من صعيد.

ماجد الغرباوي .. مفكراً

بقلم: د. عبد الجبار العبيدي¹

تعايشنا مع صحيفة المثقف منذ زمن طويل حين وجدنا فيها الاستجابة والانفتاحية التامة مع افكار التنوير التي اصبح المجتمع العربي بشكل عام والعراقي بشكل خاص بحاجة ماسة اليها بعد هذه الهجمة الشرسة التي واجهها الوطن من أعدائه التقليديين .

المفكر الغرباوي واحداً ممن يدقون نواقيس الخطر والتنبيه في عالمنا العربي الجريح الذي شغل عن كل شيء الا عما يربطه بالملهيات والمغريات، الا انه لا يفقد الامل في وجود من يستطيع القيام بالبحث والتدقيق في واقعنا الحالي المهان ليصحح كل ما يحتاج الى تصحيح.. وما يحتاج من تصفية مما شابه من عدم الدقة، في تسليم الامور لغير مستحقيها حتى اوصلونا الى حافة الهاوية والعدم والتهديم.

يعتبر ماجد الغرباوي هو احد مفكري العصر الحديث، وواحدا من الذين وعوا مشكلة الانسان العربي حاضره ومستقبله موضع درس عميق، واطلق العنان للبحث في مشكلته، حين فتح المجال لمجلته المثقف ان تنشر كل ما يهمه اليوم لتخليصة من ازمت الزمان، ليفتح للانسانية ابوابا واسعة للتفكير والتغيير، تمهيدا لثورة طويلة بعيدة المدى في الفكر والنظم السياسية والتشريعية والاجتماعية .. كما بدأت بالثورة الفرنسية ولا زالت مستمرة ليدخل وطنه في عصر الحضارة الجديد.

صحيفة المثقف تقدم قراءة معاصرة، ونظرة جديدة للاسلام والعروبة، تنطلق من خصائص اللسان العربي، وقوفا على الارضية الفلسفية والمعرفية للقرن الحادي والعشرين، وهو يعرض بكتاباته وتآليفه الرصينة وجهة نظر جديدة الى الوجود والمعرفة والتشريع والاخلاق والجمال والاقتصاد والتاريخ، يستنتجها من آيات الذكر الحكيم

1 - كاتب وباحث.

ومن قراءات المختلفة: أخذنا بعين الاعتبار شمولية الاسلام التي جاءت من حنيفية التشابه بالحدود.

من كتاباته يتبين لنا ان العمود الفقري للعقيدة الاسلامية، هو قانون الصيرورة (نظرية التطور) حيث تكمن عقيدة التوحيد، وقانون تغير الاشياء.. وفي كتاباته المستمرة يحاول ان يتوصل الى وضع منهج جديد في اصول التشريع الاسلامي، القائم على البيانات المادية، وازماعات الاكثرية، وان حرية التعبير عن الرأي وحرية الاختيار، هما اساس الحياة الانسانية في الاسلام.

من هنا لا يمكن فهم حضارة الاسلام اليوم دون الامام بهذه الاراء وما ينتظر لها من تطور في مستقبل الزمان. ولا احد يستطيع التحدث عن هذه المفاهيم الثقافية والعلمية والاجتماعية الا بعد الاطلاع على دراسة كتبها ومحتواها.. وهنا احس ان الاخ ماجد هو واحد من الذين توفرت فيه هذه المزايا والخصال، نرجو الى المزيد من فتح ابواب الاراء والأفكار الواسعة للتفكير اكثر لنقل الاسلام الى واقع القناعة المبني على الحجة بالدليل، بعد هذه الهجمة لنقد الاديان والتي تطالب بقراءة معاصرة للدين وتفسير جديد للقرآن خاصة وان اللغة نظام لربط لكلمات ظلت مترادفة عند المفسرين الاوائل وهي مرحلة تاريخية قديمة كانت فيها الفاظ اللغة العربية تعبر عن التفكير القائم على ادراك الشخص ولم تكن التسميات الحسية قد استكملت في تجريدات..

فهل سنجد في فكر ماجد الغراوي ما نأمله من التغير..

واخير أسأل الله ان ينفع الناس بهذا الفكر الآخاذ نحو التغير لخدمة العلم واهله وهو يستحق مكانة التكريم.

الرسالة الفلسفية للأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: ا.د. محمود محمد علي¹

إذا أردت أن تعرف الرسالة الفلسفية للأستاذ ماجد الغرباوي فأقرأ له حواراته المفتوحة، والتي جسدها على منصة صحفية المثقف الزاهرة، وكذلك في كتاباته المتعددة بداية من الشيخ المفيد وعلوم الحديث، 1992، مروراً بالشيخ محمد حسين النائيني.. منظر الحركة الدستورية، 1999، ومنه إلى إشكاليات التجديد، 2000، والتسامح ومنابع اللاتسامح: فرص التعايش بين الأديان والثقافات، 2006، وتحديات العنف، 2009، والضد النوعي للاستبداد: استنفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني، 2010، والحركات الإسلامية.. قراءة نقدية في تحليلات الوعي، المرأة والقرآن.. حوار في إشكاليات التشريع 2015، وقراءة في تداعيات السلطة والحكم في العراق، 2016، ونقد مرجعية التفكير الديني، 2018، والهوية والفعل الحضاري، 2019، وموارد النص، والفقيه والعقل التراثي، ومضمرات العقل الفقهي، 2020، وتحرير الوعي الديني، والمرأة وأفاق النسوية، وتراجيديا العقل التراثي، 2021.. وهلم جرا.

وقد جرى العرف في تاريخ الفلسفة أن يأتي في سياق مدارس فلسفية، ومن هنا يلزم إثارة هذا السؤال: هل في الإمكان العثور على مدارس فلسفية في كل ما كتبه الأستاذ الغرباوي؟، إذا كان الجواب بالسلب فهذا ونعمت، أما إذا جاء الجواب بالإيجاب فيكون السؤال التالي على النحو الآتي: ولماذا هيمن فكر الإرهاب على الفكر العربي، وأسس مدرسة دينية واحدة هي مدرسة الأصوليات الدينية التي تكفر في الحد الأدنى وتقتل في الحد الأقصى؟

1 - أستاذ الفلسفة وعضو مركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط المصرية / مصر

أما جواب الغرباوي فقد جاء مؤيذا لعدم وجود مدارس فلسفية حيث رأيناه يكتب مقالاً بعنوان " دعوة لإنقاذ الدين من سطوة الفقهاء"، وكذلك في حواراته المفتوحة حيث أعلن فكرنا العربي المعاصر لا يطلق على كيانا ثبت ومحدد بالفعل.

أما إذا أردت معرفة فكر ماجد الغرباوي الفلسفي فأقرأ هذا الكتاب التذكاري الذي كتب عنه، حيث تبدو فيه اهتمامات متعددة، ومع ذلك فهي تدور حول محور محدد وهو علاقة الأنا بالآخر، أو بالأدق علاقة العربي بالعربي، وتكون الغلبة للعربي على العربي، ومن شأن هذه الغلبة أن يمتنع إيقاظ العقل العربي من سباته الدوجماتيقي . وفي هذا السياق يمكن القول إن ماجد الغرباوي في إمكانه الكشف عن أسباب هذا السبات من أجل مدارس فلسفية جديدة، في نهاية المطاف، أن يقال عنها إنها تعبير عن فلسفات عربية - إسلامية معاصرة جديدة بهذه التسمية . وإذا أردت بعد ذلك أن تحدث توليفة بين رسالته الفلسفية وفكره الفلسفي، فأنت في هذه الحالة، نحصل على سيرته الذاتية .

وليس ثمة شك الأستاذ الغرباوي قد كرس مجهودا متواصلا للتعريف بالمواقف والمقاربات الفلسفية والنظرية الفكرية في ميادين عديدة تخص العقيدة، والدين، والمرأة، والتسامح، والعنق، والإرهاب .. إلخ . فالعدد الضخم من الكتب التي ألفها، والمقالات التي كتبها، والحوارات المفتوحة التي جسدها على منصة المثقف تشير بما لا يدعو للشك إلى سعة اطلاعه وإلمامه الشديد بكل ما يجد في الميادين الفلسفية والفكرية .

لقد حرص الأستاذ الغرباوي حرصا شديدا على ضرورة تأكيد ضرورة الاستفادة من الغير والانفتاح على الآخر على ضوء النظر بتمعن إلى تجربته، فلا ضير من الاستنارة بأنوار العقل ولا يهم مصدرا، كما أنه من المفيد جدا الاهتمام بهدي القيم العقلية الكونية ما دامت متناغمة مع تطلعات الإنسان وتواقة إلى الحرية والعدالة، وبناء على ذلك، من المشروع الاقتداء بتجربة الغربيين مادام التصور الذي يملكونه فيه غنما ولا يتعارض مع ما نحتاج إليه في مقارنة مشاغلنا ومشاكلنا، لكن لا يعني الاستغراق في الآخر واستنساخ تجاربه الفلسفية.

في الاحتفاء بمفكر بلاد الرافدين ماجد الغرباوي

بقلم: د. الطيب النقر¹

هناك حقيقة واضحة معروفة، ليس إلى الاغفال عنها من سبيل، أن مؤلفاتكم المترفة، التي نتبادل فيها الرأي، وندير فيها الحديث، لا نستطيع أن ننكر منها شيئاً، أو تضطرنّا حتى للطواف حول مضامينها عدة مرات، لكي نستقصي مراميها، وأهدافها، فهي واضحة جلية، أقامها صاحبها على الخير المحض، وأقصاها عن الدنس المريب، لأجل ذلك طافت من بلد إلى بلد، ومن بيئة إلى بيئة، دون أن تعيقها عوائق، أو تتكلف عناء عظيم، لتحقيق الغاية المنشودة منها، مضت مؤلفاتكم الجامعة لشتيت الفوائد، عالمنا الثبت "ماجد"، تطوف أقطار الأرض، لتدفع عن بابل، و مراكش، مصر، والسودان، الشر المستطير، ونحن إذ نظهر لها هذا الحب، ونخبرها أنها قد ملأت القلب فتونا، لا لشيء إلا لأنها حاربت الجهل، وفضحت الزيف، وعالجت العلة، ولم تتورط في معرة الاستلاب لا عن عمد ولا عن غفلة، نظهر هذا الرضا، وهذا الإذعان لكتب أستاذنا "الغرباوي"، لأن صاحبها قد خاض في خطوب لست في حاجة إلى تفصيلها في هذا المقال، ولكني في حاجة لأن أعلم كيف احتمل هذه الخطوب؟ وكيف صبرها عليها؟ وكيف لم توهي صريمته مظاهر الضعف والفتور، تلك الأسقام التي تعبت بنا نحن أصحاب الطموح الساذج؟. لقد سارت كتب "الغرباوي" في كل صقع وواد، لأنها في الحق، تصور الوقائع للناس التي تألفها عقولهم، وتطمئن إليها أذواقهم، كما يقول عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين.

¹ - كاتب وباحث سوداني

لقد احتفظت حقاً مؤلفات المفكر "الغرباوي" بطهرها ونقاها، ولم تتورط في خطايا انفصام الوعي، أو محاربة الثوابت، أو تقديس الرمز، أو اهتبال الأفكار، تلك الأفكار التي تدعوننا للأخذ بهذه الحرية المسرفة، والتحرر من قيود التراث في غير ابطاء، وواهماً من ظن أن الأستاذ "الغرباوي"، ساخطاً على التراث، ناقماً عليه، فهو يعني أن التراث ضرورة لا مرد لها، ولا منصرف عنها، فالتراث الذي تظله الفضيلة وتسيطر عليه، يذهب أستاذنا "ماجد" ما شاء من المذاهب في مناصرته ومعارضته والهتاف له، ولكنه يتردد، ويحتاط، ويتحفظ، على ذلك الضرب من التراث، الذي يثير في دواخلنا الشك، ويدعوننا إلى شيء قليل من الريبة، هذا التراث الذي يحمل عقولنا على أن تظل جامدة هامة، تسعى أسفار "الغرباوي" إلى دحضه، لأنه اشتمل على الخمول والجمود، وبث في مجتمعاتنا العداوة والبغضاء، ومنعنا عن البحث والاستقصاء، وتراثنا الغث الضعيف هذا، موجود دائماً، ومتصل بعقول الناس، الذي يحرصون على تمجيده، ويكرهون تقييده، إن النتيجة التي انتهينا إليها بفضل هذا التراث، هو انحراف أمتنا عن حقيقة الدين الصافي، الذي يؤمن بسلطان العلم وتفوقه، ديننا الذي يزداد قوة وانتشاراً غداة كل يوم، أضرب به هذا التراث الذي يدعو إلى العنف المنكر، والتسلط الذي لا يطاق.

و"الغرباوي" يسعى في الكثير من مؤلفاته لتحرير العقل من آساره، وأن يحملنا على أن نسعى لأن نقدم للإنسانية مزاجاً معتدلاً من الرقي والتطور، فالإنسانية تظهر ضيقها، وسخطها، واشفاقها منا، لأننا ننأى بأنفسنا دائماً عن الجهد والجد والعناء، ولأننا لا نتكلف التفكير، ولا ننظر إليه إلا على أساس أنه تاريخ ليس غير، فالحقيقة المرة القاسية، أننا أمسينا لا نسعى لاستلهام أي لونا من ألوان الفكر التي كانت سائدة في مجتمعاتنا القديمة، والتي تأثرت بها الثقافات الأجنبية، وأظهرت لها هذا الود، وهذا التقدير، وقادهم هذا الود، وهذا التقدير لمناهج فكرنا، لأن ينعموا في نهاية المطاف، بهذه الحياة الوادعة المطمئنة، ونشقى نحن بجهلنا وحياتنا الضئيلة التي كلها بؤس، وكلها شقاء، لقد استفاد الغرب الذي يسومنا الذل والهوان الآن، من التفاتات ذهننا، وبلغ من هذا كل ما يريد، ثم استأثر بالأمر كله، بعد أن بذل كل جهد، واحتمل كل عناء، حتى يقدم للناس، كل الناس، نهضة المترفة، وتطوره الرائع.

وحضارة الغرب التي منها الملتوي، ومنها المستقيم، يحدثنا عنها الفيلسوف والمفكر "الغرباوي" حديثاً علمياً عميقاً، تلك الحضارة التي لها حظ من أدب، ونصيب من خيال، خضعت لعقل "الغرباوي" الهادئ الرزين، والهدوء قد يكون من أهم خصال "الغرباوي" وأوضحها، فهو يدنو من القضايا التي تؤرقه، وتشغل تفكيره في الكثير من الرزانة، ثم يلتمس مظاهر القوة والحياة فيها، ثم يتعمق في البحث عن الأشياء التي تبقى وتبرتها باقية متجددة، والموازن التي يتكئ عليها الأستاذ الغرباوي في دراساته الضافية، ليس العقل وحده، بل نجد الحس والشعور، والاغراق في القياس والمقارنة، والاسراف في الشك في بعض الأحيان، والسمة البارزة في مؤلفات الغرباوي "كثرة الأسئلة" التي يطرحها بين ثنايا كتبه، "فالغرباوي" يستمع منك، ويتحدث إليك، في حوار طابعه الجد، كل الجد، حوار لا تكلف فيه ولا صنعة، كما لا يفسده الاطناب والتطويل، أو الامعان في التفصيل، وأنا هنا أريد أن أقدم أنموذجاً لتلك الأسئلة التي يطرحها "الغرباوي" في عنف والحاح، ثم يتكفل بالرد عليها في هدوء وتؤدة، يقول الأستاذ "الغرباوي" في أحد مقالاته الرصينة، نجده يطرح فيها أسئلة عديدة، ثم يسلط عليها بوارقاً من الضياء، وهي أسئلة بل شك تخدم غايته من طرحها، وهي مفيدة بأدق المعاني التي تحملها تلك الكلمة وأوسعها، يقول الأستاذ الغرباوي:

أسس القرآن الكريم منهجا، حالت رمزيته العالية دون ادراك أبعاده، وظل المسلم يعيد قراءة آياته، وهو لا يفقه من معانيه شيئا .

فتحدث القرآن عن حوار دار بين ابليس وبين البارئ - تعالى -، ليؤكد لنا ثمة اسئلة مشروعة، من اي جهة صدرت، يجب الاجابة عليها (ولو كان الرب جلّ وعلا). كما نقل لنا القرآن الكريم، حواراً دار بين الخالق وملائكته، وهم كائنات صالحة، دأبها الطاعة، لكن هواجس خلق الانسان استبدت بها، فكانت هناك اسئلة طرحها القرآن الكريم ورد عليها، دون اي قمع او اضطهاد او تهديد، كل ما في الأمر، أجّل الاجابة بالنسبة لسؤال الملائكة، لأن طبيعة الجواب تحتاج الى تجربة عملية . ثم طرح القرآن الكريم أخطر الشبهات التي تهدد رسالته، وهي التوحيد، دون اي اكراث، ونقل لنا اسئلة المشككين، والكافرين والملحدين، والناكرين، وناقشها

علنا. قال هكذا كانت اشكالاتهم، وهذه اجوبتنا . فهل هناك أخطر من مسألة وجود الله بالنسبة للأديان جميعاً؟ وما قيمة ما عداها لو اهتز الايمان بوجود الله - سبحانه - أو توحيده؟ فلماذا لا يستفز الأنبياء من اسئلة المنكرين، والجاحدين؟ وكيف وضعهم القرآن وجهاً لوجه امام تلك التساؤلات؟ . لماذا لم يعترض النبي ويقول له يارب، لقد اخطأت التوقيت، انما ستضعف دعوتي، وأنا في بدايتها؟ لماذا تقبلها وأعلنها على الملأ بكل ثقة ومسؤولية، ورد عليها، وفند حججها . اذن المنهج القرآني يقوم على شرعية السؤال، وحق الرد، ومنهجه قائم على طرح الاسئلة بشكل شفاف علني، كي يتحمل المسلم مسؤوليته امام اي عمل يقوم به، ويكون مسؤولاً تجاه اي رأي يطرحه، لاستحالة قمع الاسئلة، ولا بد من متنفس تطفو من خلاله بحثاً عن اجوبة مقنعة . ولولا السؤال لما تطورت الحضارة¹. انتهى.

هذا أنموذج من بعض النماذج التي ينثرها لنا عقل "الغرباوي" في كتبه، ومثل هذه النماذج كما أسلفت، شائعة في أسفاره وكتبه شيوخاً شديداً، ومثل هذه العروض تقبل الأخذ والرد كما نعلم، هذا ارهاصاً يدل أن "الغرباوي" لا يجد مضاً ولا غضاضة، في المناقشة، وفي نقد ما أيقن بصحته، وتلك مظاهر تدل على صفاء الطبع، وكمال الثقة، وحسن الاستعداد، خصال قلّ أن نجدها في ذهنيتنا العربية المعاصرة.

حفظ الله صاحب الوعي المتميز أستاذنا "ماجد الغرباوي"، حامل لواء الفكر الناهض، ومدّ في أجله، وأترف عليه من مننه، وعوارفه، وفضائله.

¹ - من مقال بقلم: ماجد الغرباوي، بعنوان: المثقف وتحديات السؤال

ماجد الغرباوي .. المفكر العصامي

بقلم: الأستاذ: طاهر أبو آلاء¹

استطاع الاخ العزيز والصديق الوفي ماجد الغرباوي أن يوجد لنفسه موطيء قدم في ساحة الثقافة والفكر العراقية والعربية. ومن خلال قراءتي لبعض ما أنجز في سياق مشروعه التنويري، ومتابعة ما كتب عنه وعن منجزه في الساحة العربية الثقافية والفكرية أستطيع القول أنه من أولئك القلائل الذين مزقوا الشرنقة التي عجز الكثيرون من التخلص من خيوطها التي كبلت العقول من الانطلاق في آفاق التفكير الحر بعيدا عن القول «إنا وجدنا آباءنا على....».

لا أعتقد أن أحدا منصفاً يجادل في أن هذا الرجل المغترب عن أهله ووطنه كان عصامياً بكل ما للكلمة من معنى ودلالة، ولعل الالتفات إلى البيئة المتواضعة التي نشأ فيها وانطلق منها، والظروف غير المستقرة التي عاشها معاناةً في كل مراحلها وتقلباتها تؤكد بكل وضوح ما ندعيه لهذا المثقف المثابر من إصرار وعزم على بلوغ ما يصبو إليه من إيصال ما يعتقده من آراء ومتبنيات، بغض النظر عن كوننا نتفق معه في بعض ما يطرح أو لا نتفق.

لا أريد في هذه الكلمة القصيرة أن أقوم مشروع الغرباوي، ولا أن أشير إلى نقاط قوته وضعفه بحسب رأيي المتواضع جداً، لأنني وجدت عددا لا بأس به من ذوي الاختصاص والرأي قد فعلوا ذلك، والسعيد من اكتفى بغيره كما يقال، ولذلك سوف أقتصر على إيجاز ما يتعلق بالأخ والزميل ماجد الغرباوي في الأيام التي كنا فيها زميلين في مدرسة علمية واحدة، وفي صف دراسي واحد يوم عصفت بنا أيام الهجرة والغربة لتلقي بنا في طرق ومواقع ليس لنا في اختيارها أو اختيار بعض تفاصيلها وجزئياتها إلا هامش ضيق من الحرية.

وبعيداً عن المقدمات وجدت نفسي ذات يوم في مدرسة دينية في مدينة تعد من المدن العلمية المعروفة باعتبارها حاضنة لأحدى الحوزات العلمية الدينية، وذلك في السنوات الأولى من عقد ثمانينات القرن الماضي، ومن الطبيعي في وسط علمي كهذا يكون المرء فيه أشد انتباهاً لما حوله فيما يتعلق بمحيطه العلمي والدراسي، على صعيد المواد الدراسية، والأساتذة المعتمدين، وكذلك الطلبة وزملاء الدراسة من عدة نواح وزوايا.

وقد لفت نظري - وبشدة - أحد الطلبة الذين تجمعوا في هذه المدرسة المتواضعة من محافظات عراقية عديدة، ولكنهم أمة واحدة من حيث الإيمان والأهداف والمتبنيات على الرغم من تباين وجهات نظرهم في ما اختار كل واحد منهم من أساليب العمل لأداء ما يراه واجبا مناطا به في تلك الحقبة الزمنية المليئة بالآزمات، وعنقوان الشباب المتفجر.

وبلا مجاملة ولا مواربة أستطيع القول أن صاحبنا آتاه الله بسطة في الجسم والعلم، كان «أبو صادق» الذي لا نعرف عنه إلا كنيته - في تلك الحقبة التي كانت فيها الأسماء الصريحة من أشد المحرمات - شاباً جميلاً يتميز عن الجميع تقريباً بقامته وبياض وجهه المشرب بالحمرة وشعره المائل إلى الشقرة، ولا أنذكر الآن إن كان لقب الغرباوي شائعاً يوم ذاك أم كان الاقتصار على الكنية وحسب.

وأنا على يقين أن العقود الأربعة التي تصرمت لتكون فاصلاً بين ذلك التاريخ ويومنا هذا أنستني الكثير من التفاصيل والانطباعات التي كانت حاضرة يوم كنت ألتقي «أبا صادق» في أروقة المدرسة ومحيطها، وبين جدران صفوفها، ولكن ما أستطيع أن أجزم به الآن يتمثل في امرين اعتبرهما من أهم ما استقر في ذاكرتي فيما يخص الأخ العزيز ماجد الغرباوي.

الأول أنه كان من الطلبة المتفوقين في جميع مراحل الدراسة، وفي كافة مواد المنهج ومقرراته، ولعلي غير مبالغ إذا قلت أنني كنت أعده ممن أحشاه في حلبة التنافس العلمي حينما تعلن نتائج الامتحانات الفصلية والنهائية، لما يتمتع به من ذكاء، وجدية ومثابرة، ولست بحاجة إلى أن أستحضر ما يدل على ذلك، فمؤلفات

الغرباوي وآراؤه دليل واضح وجلي على استيعابه وقوة إدراكه وإحاطته العلمية والثقافية.

الأمر الآخر الذي يعد من مميزات هذا الرجل وبشكل واضح كل الوضوح في ذاكرتي هو ما كان عليه من جدية وثقة بالنفس واعتزاز بآرائه ومتبنياته منذ أيام شبابه، وقد تجلّى ذلك بأنصع صوره فيما كان يدور في أوساط الطلبة والمحيط خارج هذا الإطار من نقاشات ومداولات تتسع لأكثر من جانب على الصعيد العلمي والاجتماعي وحتى السياسي في تلك الحقبة الملتهبة بسني الحرب وأيام الأزمات.

لا شك أن البرهة الزمنية التي لا تتجاوز العامين أو الثلاثة التي زاملت فيها أخي ماجد الغرباوي لا تكفي لمعرفة جميع جوانب حياته المليئة بالعطاء والانجازات والمواقف، ولكن ما لا يرقى إليه الشك هو أن الرجل بنى مجده بيديه، ولم يتكئ إلا على إصراره وعزمه وجده وحزمه، وشعورية بالمسؤولية الملقاة على عاتق أصحاب الوعي والعلم والثقافة في وضع العلامات المضئية لعلها تكشف جانباً من طريق الحياة الذي تسيطر العتمة على أكثر زواياه ومنعطفاته.

وإذا أردنا أن نختار سمة مناسبة لنعت هذا الرجل الجدير بالتقدير والاحترام لا نتجاوز مفهوم «العصامية» التي قيل فيها:

نفسُ عصامٍ سودت عصاماً...وعلمته الكَرَّ والإقداما

وصيرته فارساً هماما

عذرا أبا صادق فليس هذا القليل يفي بحقك، ولكنك كريم تقبل العذر، ولا يسعني في الختام إلا أن أفخر بك رفيق درب وأخا صادقا ووفياً، ومثقفاً رائداً نفض ركام المحنة والغربة والتشرد، وتجاوز الصعاب والآلام ليشيد مجداً وإن كان بعيداً عن مسقط رأسه ومرابع صباه، فهو ليس كما قال الشاعر:

وشيدت مجدي بين أهلي فلم أقل

إلا ليت قومي يعلمون صنيعي

كنا نتمنى أن يكون الغرباوي بلحمه ودمه بين أهله يكلمهم وجها لوجه،
ويستمعون إليه بكل حواسهم ومشاعرهم، ولكن حسبك أبا صادق أنك من أولئك
الرجال الذين قال فيهم القائل:

وكن رجلاً إن أتوا بعده

يقولون مرّ وهذا الأثر

ماجد الغرباوي وهدف التنوير

بقلم: ا.د. جودت العاني¹

طالما قرأت الكثير من إنتاجاتكم الرصينة.. وأكثر ما شديني هو إقدامكم الشجاع على إقتحام فلسفة التنوير في إطارها الأيديولوجي وفلسفة التحرير في إطارها السياسي.. وهي ساحات لم تكن سهلة، ومع ذلك فقد كان إقتحامكم لهذه الساحات (السياسة والدين) له مغزاه ومدلولاته في مجال الإدراك العقلي وليس فقط في الفكر المحض.. وكنتم دائماً تريدون ان تضعوا أسساً للتنوير وأسساً لإصلاح العقول في واقع يشترط إزاحة المستبد في العقل عن طريق التنوير الذي يستمر الى نهاية التاريخ الذي لن ينتهي هو الآخر.

كنتم ولا زلتم قامة رائدة في هذا المضمار الشائك والمعقد، وإن إقتحامكم كان شجاعاً حتى اذا استمر البحث من اجل إيجاد مقاربات بين السياسة والدين وبين منطق العقل الحسي ومنطق العقل المجرد، عقود من السنين. وتلمست من خلال أطروحاتكم الرصينة تساؤلات تحتاج الى التوسع وإظهار الفرق بين التنوير في الواقع وبين الثورة على الواقع (وأيهما الأولي..؟).. فالكثير من العقول وأنماط التفكير تستخدم في بعض المفاصل الثانوية.. والقليل من العقول تجرؤ على الاستخدام الاساسي والأمثل الذي يعالج وجود الانسان العقلي، وصديقي العزيز أحدهم بإعتزاز.

الواقع مشحون كما تعلمون بالتناقضات والمشكلات والإشكاليات، وما يهمننا في هذا المجال هو كيف يتخلص العقل من (نفاياته) كما يشير اليه "كولن ويلسون" التي تعمل على التشويش الذهني؟ ومن هذه ما يترسب من إقحام السياسة بالدين وإقحام الدين بالسياسة.

1 - أكاديمي، أديب وكاتب - ألمانيا

فعندما يستخدم الانسان نسبة عالية من قدرات العقل في مسائل (ثاوية) يستهلك طاقته العقلية دون ان يقدم حلولاً لها.. وما يقوله إيمانويل كنت (تجرؤا على استخدام عقولكم).!! وأنتم تدخلون هذا المدخل بمجادة وثقة، كما أرى وأتابع ما تكتبون، وخاصة وأنتم تشخصون خطر الوصاية على العقول وتشخصون الاوهام والخرافات القديمة وهي مكبوت ايدولوجي يتعارض مع المنطق العقلي، وتدعون إلى الخلاص والتنوير، أي التحول من حالة عدم استخدام العقل الى التجرؤ باستخدامه بعد التخلص من تلك النفائات.

ماجد الغرباوي فكرٌ أصيدُ ورؤيةٌ متجددةٌ لتحرير العقل.

بقلم: د. سعد ياسين يوسف¹

قليلون أولئك الذين يعمدون بفكرهم النير إلى حلحلة الجمود القار في منظومة القيم وبعض الثوابت التي تحتاج إلى الكثير من المراجعة والتمحيص بل والفهم وفق حركية الحياة والتاريخ وجعل واقعنا المعاش ممكن ودون تقاطعات حادة تقودنا إلى إلغاء الآخر وما ينجم عن ذلك من عنف وعدم استقرار يضعف بل وينهك المجتمع.

وعلى مدى التاريخ البشري الحافل بالمنعطفات الفكرية برز من استطاع أن يُعلي صوت العقل والحكمة ورؤية الأوجه المتعددة لتلك الثوابت وتطويعها لإنتاج فكر خلاق يتلائم مع تطور العقل البشري على الرغم من أن هذه الشريحة تشكل قلة قياساً بعامة المجتمعات وبمن تعايش مع ما هو سائد وتقبله كما هو بكل مسلماته ومشاكله.

وعلى مدى القرون الماضية ظهر العديد من رجال الفكر التنويريين في المجتمعات الغربية وهم يواجهون سلطة الكنيسة وكذلك في مجتمعنا العربي في مواجهة المغالاة في تطبيق الشريعة الإسلامية.

ولعل ما طرحه المفكر العراقي ماجد الغرباوي من فكر متنور يأتي من منطلق الجرأة في الطرح والانفتاح في تناول مواضيع مهمة وبما ينسجم ورؤيته كمفكر وباحث ديني يسعى من خلال مشروعه إلى تحرير العقل من بنيته الأسطورية وإعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني

من سـطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي ومن خلال قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المستمرة من أجل فهم متجدد للدين كشرط أساس لأي نهوض حضاري يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتناؤذ والاحتراب .

وقد تجسد ذلك فيما أنتجه من مؤلفاته التي بلغت أكثر من (35) مؤلفاً تأليفاً وتحقيقاً وحواراً في الفكر الإسلامي والشريعة والفلسفة و المرأة والنسوية وسبل تحرير الوعي الديني والفقهـي ومرجعيات الفكر الديني والعنف والتسامح ونقد الحركات الإسلامية وفرص التعايش في الإسلام .

وإذا كان الكتاب الصادر عن المفكر الغرباوي قد أخذ مكانه في المكتبات العربية ومراكز الدراسات والبحوث مثلما تناوله بالبحث العديد من الباحثين الأكاديميين كفكر أصيل فإن ما ابتكره الغرباوي في تأسيسه لموقع المثقف الإلكتروني قد خلق ديمومة التواصل مع النخب العراقية والعربية المفكرة التي وجدت في سماحة واتساع ورحابة الفكر التنويري في هذا الموقع ملاذاً مهماً في طرح الرأي و الرأي الآخر في مجالات الفكر والثقافة والفن والفلسفة والذي أصبح هو الآخر مرجعية مهمة للباحثين وطلبة الدراسات العليا ينهلون ويقتبسون منه ما يتعلق برسائلهم وأطاريحهم العلمية .

إنَّ قراءة متبصرة لمضامين صحيفة المثقف العربي وتحليل لمضامين خطابها الفكري والثقافي نجدها قد وضعت لنفسها جملة من المبادئ والثوابت التي تؤطر بها سعيها نحو إشاعة الابداع وترصينه وفق رؤية إنسانية وقيمية تحترم الإنسان وتسمو به إلى العطاء واحترام وجوده كصانع للحضارات وسبباً من أسباب استقرار الأمن والسلام في هذه المعمورة، وهي ذاتها قيم ومبادئ المؤسسة ككل باعتبار أنَّ الصحيفة شكل أساس من أشكال الإعلام الإلكتروني للمؤسسة التي تؤمن بالتعددية والرأي الآخر والدعوة للتعايش بين الأديان والثقافات وتبني قيم التسامح، والحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان ومحاربة العنف والتحريض والتكفير ورفض الخطاب الطائفي

والأيدولوجي المحرض والمساهمة في تعميق لغة الحوار والتفاهم وفق الثوابت الأساسية المستمدة من تعاليم السماء وقوانين الأرض ..

ولهذا فلا غرابة في أن نجد اهتماماً بالغاً في تناول فكر الغرباوي شرحاً وتفصيلاً ودراسةً وترجمةً من قبل المفكرين العراقيين والعرب مسلمين الضوء على جوانب مهمة من فكره التنويري في وقت أخذ التشدد مأخذه من عظمة وإنسانية الفكر الإسلامي مع انتشار التطرف ممثلاً بتنظيم بداعش وما شاكله والذي انعكس على الضفة الأخرى بتشدد مقابل وفق نظرية الفعل وردّ الفعل فبرزت ظاهرة (الإسلام فوبيا) عند الغربيين وما رافقتها من مشاكل وأحداث مؤلمة لا تمت للديانات السماوية بصلة معيدة بذلك عقارب الزمن والفكر الإنساني إلى الوراء وصولاً إلى ظلال الحروب الصليبية.

إنّ ما طرحه الغرباوي من قيم ومبادئ في فهم روح الإسلام بشكل معاصر يتطلب الدراسة والتأمل ليس على صعيد محلي فحسب بل على صُعد متعددة وبشكل خاص في الجامعات ومراكز الأبحاث الأكاديمية التي تسعى إلى تحديد الفكر وإطلاق حريته.

إنّها دعوة صادقة لدراسة هذا الفكر دراسة أكاديمية لتعزّيد مسارات الفكر العربي الإسلامي بما يكتنزه من سماحة ومنحه دققاً تجديدياً يليق بأهدافه النبيلة التي نشرت السلام والتسامح والحب في أرجاء المعمورة.

الوعي الموسوعي عند الأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ عبد الأمير المؤمن¹

على الرغم من ان العصر الحديث والمعاصر هو عصر علمي تخصصي صارم، يهتم في الدرجة الاولى بالتخصصات الضيقة، وخاصة التخصصات العلمية والتكنولوجية الا ان الثقافة الموسوعية العامة التي تتصل بامور الحياة المختلفة وما وراء الحياة، لا بد منها في سبيل حياة متكاملة متزنة جميلة وممكنة.

فالثقافة الموسوعية العامة امر ضروري لكل فرد يعيش في مجتمع يضم انواعا وألوانا من الاعراق والعادات والسلوسات والحالات، والا سيكون معزولا خارجا عن سياقات المجتمع الذي يعيش فيه.

وقد سلك اعلام التراث العرب والاسلامي في امتداد الحضارة العربية الاسلامية هذا السلوك الموسوعي العام في حياتهم العلمية والفكرية والادبية.

فمثلا كان ابو يوسف الكندي المتوفى سنة ٢٦٠ هجرية فيلسوفا رياضيا وفلكيا وعالما طبيعيا وطبيبا وجغرافيا وما الى ذلك، وقد سجل له ابن النديم عددا كبيرا من الكتب والرسائل والتي ضمت انواعا مختلفة من العلوم والمعارف.

ومثله كان الشيخ الرئيس ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هجرية، كان فيلسوفا وطبيبا وشاعرا وفلكيا وعالما طبيعيا وما الى ذلك. وكذلك كان الفارابي والبيروني وابن رشد والغزالي وغيرهم الكثير.

1 - باحث له عدد كبير من الاصدارات تدور حول تاريخ الفلك والعلوم عند العرب.

وغالبا ما كان مصطلح (الحكمة) يضم تحته مختلف العلوم والمعارف، وكان العالم او الحكيم او الفيلسوف او المؤرخ يجمع عددا من العلوم والمعارف لمحدودية العلوم والمعارف المتوفرة في ازمانهم. فكتاب (الاصول) للرياضي اليوناني اقليدس يجمع اغلب المادة الرياضية والهندسية، وكتب الطبيب ابوقراط وجالينوس كانت تجمع اغلب العلوم الطبية. هكذا كان الفرد الواحد العالم او المفكر يجمع بين هذه العلوم في زمن قصير لمحدودية تلك العلوم التي كانت معروفة في عصره.

وبدخول العصر الحديث في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر وما بعد ذلك، وخاصة بعد ظهور عالم الفلك البولندي كوبرنيكوس المتوفى سنة ١٥٤٣ وتوسع العلوم وتفرعها واستقلالها بدأ الباحثون والعلماء يتخصصون، فهذا فيزيائي وذاك كيميائي وآخر فلكي ورابع نباتي او حيواني، ومثل ذلك توسعت الدراسات الانسانية والادبية فظهر علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ وما الى ذلك.. وفي هذه الظروف الجديدة ظهر متخصصون صارمون في هذا العلم او ذاك، وظهر معهم الابداع في العلم والتكنولوجيا والعلوم الانسانية المتنوعة.

وعلى الرغم من اهمية التخصص الكبرى في نمو العلوم وتطورها، باعتباره يوفر جهودا كبيرة وتركيزا خاصا لموضوع واحد، الا انه يبقى بعيدا عن تكامل الشخصية العلمية والثقافية المؤثرة في عصر جديد هو في امس الحاجة الى الحالة الموسوعية العامة لكي تستطيع ان تغير المجتمع المتنوع وتؤثر فيه.

وهكذا وجدنا في حاضرتنا المعاصر شخصيات علمية وفكرية جمعت بين التخصص والثقافة الموسوعية العامة، شخصيات اثرت في مجتمعاتها وغيّرت كثيرا مما فيه.

ولكي لا ندخل في اسماء وعناوين الشخصيات العلمية والفكرية التي جمعت بين التخصص والثقافة الموسوعية العامة سنتحدث عن شخصية علمية وفكرية ودينية انسانية جمعت بين تخصصها الاساسي الاول (الشريعة والعلوم الاسلامية) والثقافة الموسوعية العامة، ذلكم هو الاستاذ الباحث الجاد الاخ العزيز ماجد الغرباوي،

الصديق الصادق الذي لم ينس اصدقاءه واحباءه في حياته الاجتماعية والعلمية والفكرية والثقافية .

فهو انسان انساني بحق جمعنا معه الدين والعلم والفكر والثقافة والوعي، جمعنا ذلك المعلم الديني والفكري والثقافي في (مجلة التوحيد) و(كتاب التوحيد) والمساجلات العلمية والفكرية والثقافية حينما كنا نجتمع سوية لتناول موضوع معين في هذا المجلس او ذاك، لاجل فكرة او منجز علمي او فكري او ديني او ثقافي او اجتماعي وغير ذلك.

كان الاستاذ الغرباوي باحثا علميا فكريا واعيا، ادار عددا من المؤسسات والندوات العلمية والفكرية والدينية والثقافية. كان رئيسا لتحرير مجلة التوحيد، المجلة الاسلامية الفكرية والثقافية، وكان عضوا استشاريا (لكتاب التوحيد) الفكري الثقافي، وهي سلسلة دورية تصدر عن مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، وكان ايضا رئيسا مؤسساً لسلسلة (رواد الاصلاح) وهي سلسلة فكرية ثقافية اصدر منها عددا من الكتب المهمة. وكان في كل ذلك رئيسا ومديرا ومسؤولا ناجحا، مازجا علمه بالاخلاق العالية، وكان يدير الحوار الديني والفكري والثقافي ادارة منهجية ناجحة متزنة، جامعا بين ثقافة الدين الواعي والثقافة الموسوعية المتنوعة، من علم وفكر وادب وتاريخ واجتماع وفن ومواد موسوعية متنوعة اخرى.

لقد ادار مجلة التوحيد الدينية الفكرية والثقافية ادارة واعية، فكان يختار موضوعاتها اختيارا واعيا مقتربا من العقل ومبتعدا عن الخرافة والعشوائية.

وكانت كلمة التحرير التي يكتبها هو في مقدمة المجلة مليئة بالوعي الديني والفكري والعلمي والثقافي، ومن ذلك يمكن ان اذكر ما كتب في العدد ١٠٢ لسنة ٢٠٠٠ ميلادية من المجلة.

ففي كلمة التحرير التي حملت عنوان: (اخفاقات الوعي في المرحلة الراهنة) يقول الاستاذ الغرباوي:

(عندما ننقب في ماضي الحضارات المتطورة بحثا عن عوامل نهوضها، يتمثل امامنا دور الوعي في صناعة نهضتها، وسيوضح ايضا ان التطور الحضاري يبدأ دائما مع اول بوادر الوعي، كما ان صدقية ذلك التطور على ارض الواقع ستتحقق اذا اتيح للوعي ان يسود المفاصل الحياتية في المجتمع.

والوعي يعني ادراك الحقيقة، وتشخيص الواقع، وتحديد الأولويات وتمييز الالتباس واكتشاف التزوير. وعلى العكس تعيش الشعوب غير الواعية السكونية والتجرد والجمود، والاصرار على رهانات خاسرة والتبرير، اضافة الى تضخم الذات والشعور بالفوقية والانغلاق على الانا).

لقد كان الاستاذ الغرباوي قارئاً ومنتقفاً مؤمناً، وفي الوقت نفسه كان ناقداً، والنقد سمة اساسية للبحث العلمي، لم يخرج عن الاوليات الدينية الصحيحة، بل كان يؤكد، واذا كانت له آراء خاصة في اي موضوع، فهي له لا يفرضها على احد وهذه سمة مهمة من سمات الموضوعية والوعي والاتزان الثقافي.

والمثقف الواعي يفيض علماً وفكراً وثقافة، وهكذا كان الاستاذ الغرباوي. فحين غادر الى بلاد المهجر، لم يهجر الثقافة ولا الدين، لم يغيب عنه الوعي، ولم يترك هويته الدينية والثقافية والموسوعية، فانشأ سنة ٢٠٠٦ م مؤسسة ثقافية واعية تحت اسم (مؤسسة المثقف) بمدينة سدني باستراليا، وهي مؤسسة ثقافية اهتمت بنشر الثقافة وقيم التسامح الديني، قد صدر عنها (صحيفة المثقف) كما قدمت عددا من الجوائز، من بينها (جائزة الابداع) و(جائزة المرأة) و(جائزة المثقف).

لقد استقطبت هذه المؤسسة عددا كبيرا من الباحثين والمفكرين والمثقفين والكتاب، كتبوا في موضوعات متنوعة، موضوعات علمية وفكرية ودينية وادبية ونقدية وغير ذلك. اضافة الى عقد الاستاذ الغرباوي الندوات والحوارات والمقابلات العلمية والفكرية والاجتماعية والثقافية وما الى ذلك.

وقد اصدر الاستاذ عددا مهما من المؤلفات والدراسات والبحوث، وله ايضا عددا من الترجمات الى اللغة العربية.

وفي كتاباته في مؤلفاته ودراساته تجد موضوعات موسوعية متنوعة، تجد موضوعات قرآنية وحديثية وفكرية وعلمية وتاريخية وسياسية وحضارية وفي الأديان وفي المرأة فهو بحق باحث موسوعي.

ويمكن قراءة ذلك في مؤلفاته المختلفة، ومن مؤلفاته يمكن أن نذكر بعض ما

ورد

في سيرته الشخصية.

* اشكاليات التجديد

* التسامح ومنابع اللاتسامح

* تحديات المثقف

* المرأة والقرآن

* الهوية والفعل الحضاري

* الأصول الرجالية الأربعة

* تحرير الوعي الديني

* الشيخ المفيد وعلوم الحديث

* وأخرى أهمها موسوعة متاهات الحقيقة، وغيرها لا مجال لذكرها هنا.

مع ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ عبد الإله الياسري¹

أُحيي الباحث المفكر (ماجد الغرباوي) مباركاً له بلوغه السبعين من العمر، ومعتذراً لإبطائي عليه بتلبية دعوته الكريمة، لظروف خاصة حالت بيني وبين الإجابة إلى سؤاله في وقته. ومهما يكن فإني أشهد أنه مفكر نقدي عقلائيّ إصلاحيّ ذو موقف ثقافيّ حر ومستقل وشجاع. يذكرني تاريخياً بمواقف أصيلة قديمة لمفكرين نقديين مثل الجاحظ والتوحّيدي وابن خلدون، وفلاسفة عقلانيين مثل الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد. ويذكرني كذلك بمواقف معاصرة حديثة لباحثين ومفكرين إصلاحيين مثل محمد عبده ورشيد رضا وهادي العلوي وغيرهم من الباحثين والمفكرين الإصلاحيين في عصرنا الحاضر. ولئن تشابه معهم في منحى النقد العقلي والإصلاح المعرفي؛ فإنّ له رؤيته الخاصة التي تميّزه ثقافياً عن أولئك وهؤلاء كليهما. وأشهد أنّه مثقف تنويريّ في بيئة عربيّة — إسلاميّة قد اشتد ظلامها على المثقفين النقديين والعقلانيين بدءاً من القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) حتى يومنا هذا؛ بعد أن بلغت مصابيحها النقدية العقلية أقصى شعاعها، في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد)، من حيث طرح القضايا الإشكاليّة التي كان يتداولها المثقفون النقديون والعقلانيون تداولاً صريحاً بحثاً عن الحقيقة دون أي شعور بخرج أو خشية من ردود أفعال المؤسسة الدينية التي تخصّص نموذجها الفقهي التقليدي، بعد القرن الرابع للهجرة، بقمع حرية البحث النقدي العقلي، وبقصر المعرفة على التفسير اللغوي للنصوص الدينية دون أي نزعة نقدية عقلية لتحليلها، ودون أي نظر إلى الواقع العربيّ - الإسلاميّ، لحل مشاكل الإنسان فيه؛ على الرغم من أنّ الدين هو

1 - شاعر وكاتب - أتاوا - كندا.

للإنسان وليس الإنسان هو للدين. ومهما يكن من شيء، فقد ساد ذلك النموذج الفقهي التقليدي منذ ذاك العهد حتى اليوم، وانتصر جموده على النقد العقلي الخلاق، وأدخلنا في خندق مسدود مقابل الإنفتاح الثقافي الأوربي الذي شرع بالرقى والإزدهار الحضاريّ منذ القرن السادس عشر للميلاد. ولا تفسير عندي لاستمرارنا في هذا الخندق المغلق إلا لوجود سلطات رسمية وغير رسمية قد ضيّقته وأحكمت إغلاقه. وأخطرهنَّ السلطة الدينية التقليدية والسلطة السياسية الإستبدادية. وفي مثل هذه الحال تصبح مهمة المثقف النقديّ الفاعل هي أن يعرّي حقيقة هاتين السلطتين القمعيّتين، وأن يواجههما نقدياً بكل شجاعة ودون أيّ تردد لتحرير الدين من الأولى، وتحرير الإنسان من الثانية. ولتكن ما تكون عقبى تلك المواجهة النقدية في سبيل كشف الحقيقة وتغيير الواقع.

ولقد كان الباحث المفكر (ماجد الغرباوي) مثقفاً نقدياً فاعلاً، بإزاء تعرية تينك السلطتين المذكورتين. وتتجلى فاعليته الثقافية في هذا الشأن، من خلال دراساته للتراث العربيّ — الإسلامي، ومنشوراته و محاضراته، ولاسيما تأسيسه لـ "مؤسسة المثقف العربيّ" في مدينة سديني في إستراليا، وإصدار "صحيفة المثقف" المهمة المفيدة، والحرّة تماماً من المذهبية المهيمنة على معظم الصحف العربية. تلك المذهبية المقيّنة التي لا ترى وجوداً للمثقف الآخر المختلف إلا إذا كان امتداداً لإجاباتها الجاهزة؛ ولا حقاً له بالكلام إلا إذا كان يتكلّم ضمن إطارها مؤكّداً الإئتلاف لا الاختلاف والتماثل لا التباين. أي أن يسير باتجاهها أو لايسير إطلاقاً. إنه الإرهاب بعينه، ولكن بصيغة ثقافية قد تكون ذات لون دينيّ أو قوميّ أو لون آخر. إنّ صحيفة المثقف باختلافها النوعي قد تخطّت تلك المفاهيم الثقافية السائدة التي تؤكّد العجز لا الإبداع، وتعلّم الإلتباع لا الإستقلال، وأتاحت للمثقف حرية ثقافية كاملة لكي يبحث ويعبر ويتساءل ويتجاوز حرّاً دون أيّ قيد إيديولوجيّ، . وهذه الحرية الثقافية المنوّه بها في "صحيفة المثقف" قد تمّت بفضل صاحبها (ماجد الغرباوي) الذي سيبقى نظره وممارسته منارين ثقافيّين خالدين رغم الفناء.

في رحاب ماجد الغرباوي التفكير في حقيقة الإيمان

بقلم: الأستاذة هبة شاكر احمد¹

في خضم التفكير في الإسلام اليوم، من خلال التراث الضخم الذي تراكم خلال أكثر من أربعة عشر قرن، بغته وسمينه وقريبه وبعيده، وقنوات استيعابه، ومعضلاته وثماره، نجد أنفسنا أمام مشروع نقدي تجديدي وفق منهج لا يمكن القول عنه توافقي وإنما معتدل كما العديد من المشاريع الموازية له في جغرافية التفكير النقدي الديني داخل المنظومة الثقافية الإسلامية. هذا المشروع الذي لا يزال يعمل عليه الأستاذ ماجد الغرباوي (1954م) هو بمثابة بوصلة مهمة بحجم الكتابات والقراءات والحوارات التي تم نشرها ضمن سلسلة متاهات الحقيقة - والتي لا تزال بالفعل تقارب العديد من المفارقات والمغالطات والمدارات ولكن من الصعب الوصول إليها دون الوقوف على أهم خطوطها العريضة التي تحاكي سؤال: كيف وماهو السؤال الديني المركزي في عقلانية الغرباوي، الذي تحدى علامة "الفقيه المثقف" لكنه اكتسب تمامًا مظهر الفيلسوف الديني المثقف.

فلسفة الغرباوي ليست فقهية. لكن هذا لم يمنعه من جلب الفقه "على حدود الفلسفة"، نحو أخلاق الإسلام الطبيعية الإنسانية، التي كان الغرباوي دائماً في جل عباراته ما يحمل قيمها ومبادئها من الأدب الإسلامي بامتياز. في البدء. ما يحدد فهم الإسلام في ماجد الغرباوي هو الواقع بعيون الفلسفة والأخلاق، دون التفريغ المنهجي للموضوع الديني.

¹ - كاتبة من سورية

النقد الفلسفي والتجديد الديني

طوال حياته، كان ماجد الغرباوي يجمع بين النقد الفلسفي وروح التجديد. لقد قام بتأليف أعمال نقدية عظيمة، على افتراض عدم أهمية المنهجية في بداياتها، والامتناع عن التعبير عن الإيمان الراسخ في الرؤية الرئيسية، هناك تواضع مميز يبدو ضرورياً في حواراته الفلسفية، كما يظهر في أولى حلقات متاهات الحقيقة. في الوقت نفسه، موضوعية الطرح في فتح ملفات المغالطات وقراءات الاعتراف بالتخلف والضمور الذي يكتنف العديد من أركان الامبراطورية التراثية الدينية خاصة الكلامية والفقهية، دون ان ننسى التزامه بالضرورة الإصلاحية العميقة، من خلال إعادة تجديد وعينا لمفهومي المقدس واللاهوت.

تندرج أعمال الغرباوي التي تم جمعها في تسعة مجلدات (متاهات الحقيقة، مع قرابة عشرين كتاب غيرها)، في ظل منهج فلسفي نقدي للتراث، تحت عنوان مخاوف رجل الإيمان من فساد إيمان الناس بمطبات تاريخ التحيز الفقهي والتمويه الحقائق. حيث يواجه الغرباوي "حرمة الشكوك" (تراجيديا العقل التراثي، الفقيه والعقل التراثي) وانتقاد الفقه (مضمرات العقل الفقهي)، وكذلك التحديات التي يمثلها العنف والاستبداد في المجتمعات العربية والاسلامية الحديثة (تحديات العنف، مدارات عقائدية ساخنة، الضد النوعي للإستبداد) وخصوصيات الهوية (الهوية والفعل الحضاري، تحرير الوعي الديني). رجل الحوار والتسامح، يستفرد بقدرته على سماع النقد الموجه إليه، ولكن أيضاً لتخيل صور وتمثلات محتملة لإيمان وهمي (مواربات النص).

مقاربات جديدة للمعضلات الفقهية الصعبة

من النفس إلى التأويل والتاريخ والنسيان والصدمة والرهاب إلى اللغة والفلسفة المعاصرة للتواصل يحتفظ الغرباوي بدروس في استخدام التفكيك الموضوعي لمعضلات العقل التراثي في الراهن. ضد العنف الديني الذي يسبب سلطة الإستبداد. وعبر فرويد، يقف الغرباوي مشخصاً "التشابه" بين العصاب والعنف (التسامح ومنابع

اللاتسامح). إنه يتعرف على التحليل النفسي لإمكانية "إظهار حقائق العقل التراثي المستبد". "إن مقارنة العنف قد حولت بعمق رؤيته للوعي الديني السليم، مما أثار عليه "النقد القاسي". ثم إنه أمارط اللثام عن إشكالية اللاهوت والمقدس، وأن "الدرس الفقهي" ليس فوق الدرس المنهجي العقلاني، بل هو الذي يتلقاه، واستطاع أن يعيد النظر في علاقة الإيمان بالمنهج والقيم الأخلاقية.

خلال هذه النصوص الكثيفة للغاية، يقدم ماجد الغرباوي مناهجًا جديدة لأسئلة صعبة وحاسمة، مثل علاقة الإيمان الإسلامي بالعنف والأخلاق والميتافيزيقا، المقدس باللاهوت، العقل بالتراث، القرآن بالحياة الإيمانية والذات الإنسانية، الفقه بالأخلاق، التشريع بمقتضيات الكرامة ...

باختصار زيارة فكرية معمقة في حديقة ماجد الغرباوي الثقافية خطوة بخطوة، تمكن من التراجع عن التهاون حيث يبرز عنوان المسؤولية ضمن الجزء المطوي من معادلة تحديد الوعي الديني، واضاءات هامة في السراييب المسدودة للتراث المقهور. وهكذا في رحاب الغرباوي تستنشق عطر النباهة الذي يغذي العقل بقدر ما يؤمن بالاسلام الحضاري..

سحر ما كشفتهم يد الأستاذ

ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ احمد راضي الشمري¹

منذ أن قرأت للمفكر العراقي المسلم الأستاذ ماجد الغرباوي وأنا اشعر بأن قدمي قد داست على بداية دروب الهداية الفكرية. يكتب هذا المفكر مايكتب وهو متحرراً من قيود الدين والمذهب والطائفة والمجتمع، فهو إنسان ينطلق من فكره الإنساني الذي يراه قالباً لفكره الديني كما أعتقد، وهو يفعل ذلك لأنه يحترم عقله جداً. إنه يفكر بأفق رحيب عريض مفتوح بلا قيود ولا خطوط حمراء ولا محاذير ولا موانع ولا مجاملات أو مدهانات أو محاباة. ولا يفعل ذلك أبداً إلا من يؤمن بالحقيقية ولا يقدر غيرها وليس مستعداً لأن يخفيها أو يلوي عنقها إرضاءً لمعتقدات الآباء والسلف الراحل. وهو عندما يتحدث يشبه نفسه كثيراً عندما يكتب فلا خلاف عند الغرباوي بين الحالتين. فحديث الأستاذ الغرباوي هو حديث العقول المنفتحة وحديث الأفكار الحرة حيث يتناول فيما يتناول مواضيعاً حساسة عند غيره ومحرمة عند آخرين وغير جائزة عند البعض..

لقد كان لي شرف اللقاء بالأستاذ الغرباوي مرات عديدة. ولا أبالغ إذا ماقلت بأن اللقاءات معه هي من أثنى وأغزر اللقاءات الفكرية طيلة تواجدي في أستراليا. تشعر وأنت تستمع لحديث الأستاذ الكبير و المتواضع ماجد الغرباوي بطاقة إيجابية كبيرة تتسلل إلى مفارق جسدك وتمدك بعزم هائل يدفعك نحو التحليق في فضاءات الفكر اللامتناهية وإلى الخوض في كنوز العقول الضائعة.

1 - أحمد راضي - كاتب وأديب، ملبورن - أستراليا

طاقة عظيمة قد تحللت عندي ذات مرة وأنا أستمع إلى حديثه الذي ابتدأه بثقة عالية تدل على عمق اطلاعه وصلابة يقينه واتضح رؤيته فيما يخص مشاكل الإسلام عامة والتشيع خاصة، وعلى رأسها التطرف. ثقة الغرباوي وقوة طرحه وجرأته الواضحة مع هدوئه المتزن كسر ماتبقى عندي من القيود الثقافية والاجتماعية التي كبلتنا بها عادات الآباء والأجداد الذين وجدناهم على أمة وسرنا على آثارهم غير مهتدين. لكن إلى حين؛ وها هو قد حان ذلك الحين بيزوغ هذا الفكر الحر على يد الغرباوي.

إستدلالات الغرباوي ومقارناته الواقعية واكتشافاته الحقيقية كانت بمثابة مفاتيح للمغالق الذهنية التي نمت وترعرعت بجهود الخط الغلوائي المتشدد في كل فرق الإسلام مهما تباين. ذلك الخط الممتد على تأريخ الأمة والذي حاول أن يسلب حرية الفكر وحرية العقل وحرية النقد لكي يحيل عقولنا الى جمادات، وربما نجح في ذلك إلى حد بعيد.

كلام الغرباوي عن كسر قيود الماضي وضرورة إعطاء العقل المسلم حيزًا ملائمًا في التفكير كان مشاعلاً تضيئ الطريق أمام الساعين إلى انقاذ العقل وتحريره من عبودية الخرافة وسلطة الطقوس و منهج التطرف والتشدد والتزمت وسحر الغلو ورفض الآخر واحتكار الحقيقة.

وفي حين يستمر هذا المفكر الفذ بالإنتاج الفكري وتناول موضوعات ذات ثقل كبير، إلا أنه دائماً ما يذكرنا بمسؤولية المثقف في تحمل أعباء المشروع الاصلاحى والقيام بادوارنا الفردية وعدم التراخي في تأديتها. فهو يرى إن نهضة أمة تحتاج إلى مشاريع جماعية وحركة شاملة لاتقف عند حدود المفكرين بل تتعاها إلى نطاق المثقفين الذين يمكنهم تمرير تلك الأفكار في مشاريعهم الخاصة ويبتئهم المباشرة.

وبخلاف ذلك فان مشروع الخرافة والجهل والتطرف والتقديس سينتشر ويكون له التأثير الأكبر. ذلك لأنه يكتسب قوته من غالبية غير مؤمنة بحرية العقل والفكر كما إنه يحصل على من يموله مالياً ومادياً ومعنوياً في أقسى الظروف.

لأنفع في الفكرة الجيدة والحقيقة البينة ما لم تصحبها شجاعة البوح وجرأة الطرح؛ فقد يضل الذهب حبيسًا في مناجمه ويبقى الماس دفينًا في مواطنه ما لم تمتد إليه يد المجازفين الذين يدخلون مناجم البحث عن النفائس لكي يقدموها كنوزًا تسحر عيون الناظرين، وهكذا كانت شجاعة الغرباوي. وأنا لا أشك أبدًا أنني واقع تحت سحر ما كشفته يد الغرباوي من أسرار كبيرة أزال عنها بجرأته وشجاعته في البحث والكشف والتعدين والتنقيب غبار قرون خلت من التجهيل والكسل والتخويف ومسح عنها بهمته أدران المغالاة والمجاملات والمحاباة.

بوركت وبورك جهدك وجهادك ايها المجاهد.

هذه وجهة نظري بالندوة التي عقدت في مركز الحوار الانساني في مدينة ملبورن -أستراليا يوم 29 - 10 - 2016، حيث تحدث فيها الكاتب والباحث الأستاذ ماجد الغرباوي، بجرأة عالية عن أسباب العنف وخلفياته الفكرية والثقافية والعقيدية

أبو حيدر ومتاهااتم . شكر وتحية تقدير

بقلم: د. صالح الرزوق¹

بمناسبة مشروع تكريم الأستاذ ماجد الغرباوي لا يسعني غير الإشارة إلى أمرين اثنين:

الأول تفضله بحراسة وتمويل موقع المثقف. وهو مغامرة في عصر ما بعد الحداثة. وتأتي أهميته من الحدود التي يلتزم بها. وفي المقدمة الإسهام بتعويم معنى الإسلام العربي وليس الإسلام الأممي. ولا شك أن للعرب خصوصيتهم في عصر الفضاء المفتوح الذي تحول لأداة غزو ثقافي، أو ما اعتدنا أن نقول عنه الاستعمار الناعم. وأي عمل يتكفل بسلامة المحتوى العربي - أو بلغة أبسط الهويات الوطنية هو عمل له أهمية وجودية، ويغني الثقافة من طرفين. في الداخل لأنه يساعد على خلق معنى نوعي *intrinsic identity* وفي الخارج لأنه يضيف تجربة خاصة لعالم متعدد وكثير المحاور والاهتمامات.

الأمر الثاني هو إلحاحه الدائم على موضوع حل الخلافات سلمياً. واللاعنف جزء من رسالة المثقف ومدير تحريرها الأستاذ ماجد الغرباوي، أبو حيدر كما اعتدنا أن نخاطبه.

وربما كانت هذه المهمة هي أكثر أدوار المثقف أهمية. ولكن مشروعه الفكري الذي بدأ بإشكاليات التجديد وتواصل حتى بلغ موسوعته التي صدر منها تسع أجزاء بعنوان "متاهاات الحقيقة" هي أيضاً إضافة هامة، ومن عدة وجوه، في نقد التشريعات السكونية، وفي إغناء العمل العقلي. و دائماً كنت أقول إن ماجد الغرباوي شمعة مضيئة بين أفراد جيل التنوير الثالث. وهنا أود التذكير بملاحظة

1 - ناقد وأديب وباحث - سوريا

الدكتور محمد الطالبي عن جيل التنوير الأول. فهم، بنصف راديكالياتهم وبحلولهم التوفيقية التي سمحت بها ظروف صعودهم، تحولوا إلى عقبة أمام مزيد من تطوير التفكير العربي. ومشكلة العروبة أنها لا تستطيع التناكر لدور إسلامياتها. واللاهوت الإسلامي معروف أنه مادي - وأستعير هذا المصطلح من الشهيد حسين مروة. فكل الأديان سماوية وغير سماوية كانت دون دولة. ولا يوجد دين أسس لدولة مثل الإسلام، والإسلام تحديدًا، لذلك يصعب جدا عزل ما لله وما لقيصر. وقد حاول الأستاذ أبو حيدر أن يحمل هذه المهمة. وهو يتابع دوره ويدحرج صخرة الفكر الإسلامي كأبي سيزيف عربي.

ولذلك يجب أن نتوقع أن يدخل بمحاورات معقدة مع أعداء تطوير العقل وأساليب الإدراك. وفي الذهن الحوار المطول الذي دار بين أحد أساتذة الجيل السابق وهو محمد عابد الجابري، ورمز من رموز التنوير الوطني في سوريا، وهو المرحوم جورج طرابيشي.

من هذه النقطة أستطيع أن أتلصص معالم الدرب الشائك الذي يسير عليه مشروع أبو حيدر، والذي أصبح مشروعنا...

ماجد الغرباوي المفكر التنويري المثابر

بقلم: د. صلاح حزام¹

عندما هممت بالكتابة عن الأستاذ ماجد الغرباوي ومساهماته الكبيرة التي تصب في عنوان واحد واسع هو: التنوير، والتي تتشكل من عدة اعمدة يقوم فوقها مشروعه التنويري، تساءلت بداية عما يربطني بهذا الرجل/ القامة !!!

أنا اقتصادي واعمل منذ ثلاثين سنة في ميدان التنمية البشرية المستدامة، وهذا المنهج التنموي الحديث يقوم على فكرة مركزية الانسان في التنمية (تنمية الانسان بواسطة الانسان ومن اجل الانسان).

مركزية الانسان في الفكر الديني هي واحدة من منطلقات ماجد الغرباوي الاساسية في نشاطه الفكري التنويري. وهذا الرابط الفكري زاد من اهتمامي ومتابعاتي للانتاج الفكري لماجد الغرباوي وساعدني في توسيع المنظور الذي امتلكه حول الدور المركزي للانسان في التنمية بكل ابعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والتي يلعب فيها الفكر الديني دوراً مهماً في عالمنا الاسلامي .

فبعض الاتجاهات الفقهية قد تدعو الى حرمان المرأة من التعليم وحرمانها من العمل والمشاركة الاقتصادية ومن ممارسة النشاط السياسي والاجتماعي، وبذلك يعطل تنمية وتطور نصف المجتمع.

الفقه المتشدد والمتطرف قد يدعو لمقاطعة الاجانب بحجة انهم كفّار ويحرم البلد من الخبرات والمهارات والاسواق والتكنولوجيا والاستثمارات الخ.

1 - باحث وكاتب اقتصادي - العراق

وهكذا فإن الفقه المتفتح والذي يحترم العقل والعقلانية ويحترم الحياة الانسانية ويدعو الى التنمية والتطور وعمارة الارض، ذلك النوع من الفقه وذلك النوع من التفكير والتأويل العقلاني المنطقي للنصوص، ذلك هو ما اتمنى سيادته لدعم جهدي وجهد غيري من العاملين في ميدان التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

بعد هذه المقدمة التي اردت من خلالها تسليط الضوء على الرابط الفكري بيني وبين الأستاذ ماجد وهو يصب في صميم اهتماماتي المهنية، اذهب الآن الى الاعمدة او المرتكزات الاساسية لمشروعه التنويري النهضوي كما اراها أنا ولا ادعي المقدرة على الاحاطة بكل جوانب ذلك المشروع الواسع.

– الدعوة الى العقلانية واستخدام العقل:

من اكبر اشكاليات الفكر الديني هي قضية تحييد العقل واستبعاده من تحليل ودراسة وتأمل القضايا الكبرى في الدين. لقد شاعت ظاهرة الركون الى تفاسير وتأويلات القدماء بغض النظر عن عقلانياتها او منطقيتها او اتساقها مع مجمل الاتجاهات الدينية والثوابت الألهية. بل ان البعض يحذر بقوة من اللجوء الى العقل ووجوب الاعتماد على تأويلات وآراء الشيوخ القدماء. وهنا تأتي دعوات وجهود الأستاذ ماجد الدؤوبة لمناهضة هذا الاتجاه الخطير . ومن يراجع مؤلفات الأستاذ ماجد سوف يتأكد من حجم المساحة التي تحتلها قضية العقل والعقلانية في تلك الاعمال.

– مركزية الاخلاق في الجهد الفقهي:

تحتل قضية الاخلاق وتعريفها وموقف الفقه بكل تياراته منها، مركزاً مهماً في اعمال الأستاذ ماجد.. حيث يرى ان الدين هو الاستقامة او هكذا ينبغي ان يكون .. الميزان الاخلاقي للتفسير والتأويل واصدار الاحكام يجب ان يكون حاضراً ... يقول رسول الله (ص): انما بُعثت لاتمم مكارم الأخلاق...

انه يختزل الغاية من البعثة النبوية بهدف واحد عظيم يجمع كل ما هو خير، انه الاخلاق..واذا تحقق ذلك الهدف الكبير يتحقق ماسواه..

الاخلاق من الناحية الفلسفية لاتعني دماثة الخلق والطيبة في التعامل مع الناس فقط بل هي تعني الالتزام بالاحكام والقواعد والقوانين المتفق عليها اجتماعياً (هذا اذا كانت وضعية) اضافة الى الالتزام بالاحكام الالهية كما يراها رسول الله..

- نزع القداسة عن النصوص والتراث (بمعنى السماح بنقدتها وتحليلها):

وهذه في نظري تمثل المدخل الرئيسي للاصلاح والتحليل الموضوعي.. اذ بدون نزع القداسة عن التراث وعن النصوص والتأويلات القديمة التي قد تكون لاتعكس جوهر الاسلام الحقيقي، بدون ذلك لايمكن الخروج من قيود الماضي السحيق. ولايمكن الاستجابة للتطورات العلمية والبحثية الحديثة..

يجب السماح بمراجعة التراث ونصوصه المختلفة وان لا يكون ذلك بمثابة خطوطاً حمراء ..

نزع القداسة لايعني اهانة النصوص او تقليل احترامها بل عدم التعامل معها باعتبارها من المحرمات ولايجوز الاقتراب منها ولا الاعتراض عليها ووجوب التسليم بكل ماجاء فيها.. ذلك هو القتل الحقيقي للعقل..

ماجد الغرباوي وعلي شريعتي

لطالما كنت معجباً بكتابات الأستاذ الراحل علي شريعتي، والذي دفع حياته ثناً لمواقفه التنويرية التحررية.. لقد كان شريعتي من أشد المطالبين بتحرير العقل والخلاص من قيود الفقهاء التي حرّمت العقل والاستقلال الفكري والذين نصبوا انفسهم رسلاً بين الانسان وخالفه.. ومقابل شريعتي، فأنا لدينا ماجد الغرباوي داعياً الى العقل والاخلاق والى صيانة كرامة الانسان.. اشعر بالسعادة عندما ارى استمرار خروج المفكرين الابطال.

- الأستاذ ماجد يكتب وينقد (ولا أقول ينتقد) ويحلل في شؤون الدين والعقيدة وهو يعيش في عصر خطير يختلط فيه الدين بالسياسة والمال والعمل الاستخباري (ذلك يحتاج بطولية لمواجهة ذلك التحالف والاستعداد لتحمل النتائج).

المفكر العراقي ماجد الغرباوي

داعية نير لتحديث الدين

بقلم: الأستاذ سليم جواد الفهد¹

- الغرباوي مفكر إسلامي عراقي فذ من مواليد 1954.
- هاجر إلى أستراليا في عهد نظام صدام حسين وحصل على الجنسية الأسترالية.
- أسس صحيفة ومؤسسة المثقف في مدينة سيدني الأسترالية.
- له العديد من الكتب والمؤلفات التي تدعو لتحديث الدين الإسلامي ونبتد التطرف.
- ينتقد الغرباوي التفسيرات الجامدة للنصوص الدينية ويؤكد على أهمية العقل والاجتهاد في فهم الدين.
- يدعو إلى قراءة جديدة للنصوص الدينية تتوافق مع قيم العصر الحديث.
- يرى أن الدين الإسلامي قادر على التكيف مع متغيرات العصر دون المساس بجوهره.

أبرز أفكاره:

- 1- ضرورة التمييز بين الدين كعقيدة إيمانية وبين الدين كمؤسسة اجتماعية.
- 2- الدين الإسلامي دين إنساني يدعو إلى الحرية والتسامح والعدالة.

1 - كاتب وباحث عراقي

3- يجب تحرير الدين من سطوة المؤسسات الدينية التقليدية.

4- أهمية الاجتهاد والتفكير النقدي في فهم النصوص الدينية.

5- ضرورة مواكبة الدين للتطورات العلمية والفكرية في العصر الحديث.

القلة من أصحاب رسائل التنوير من ينذر نفسه لإكمال مشروعه حتى النهاية غير أبة ولا مبالي بالعقبات والصعوبات وكأن رسالته التنويرية وحيانية ومسؤولية ما وراثية يترتب على أكملها مصائر الخلق أجمعين.

المفكر العراقي ماجد الغرباوي من هذه الطينة النقية طينة عُجِنَتْ بماء المسؤولية لتبرز وجه الحق للخلق والغاية هي ترسيخ كرامة الكائن الإنساني وسعادته. من خلال وضع المعادلة المقلوبة في نصابها الصحيح: (الدين في خدمة الإنسان) و(ليس الإنسان في خدمة الدين).

من أجل ذلك سعى المفكر الغرباوي إلى قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المستمرة من أجل فهم متجدد للدين كشرط أساس لأي نهوض حضاري يساهم في ترسيخ قراءة متجددة للنص وهي ضرورة لنهوض حضاري راسخ في قيم الحرية والتسامح والعدالة.

أدرك مقكرنا أن الدين عنصرا أساسيا في حياة الكثيرين فهو يقدم لهم الإرشاد والهداية والمعنى في الحياة. ولكن مع مرور الزمن قد تصبح بعض النصوص الدينية غير مفهومة أو غير متسقة مع قيم المجتمع المعاصر.

من هنا تأتي أهمية القراءة المتجددة للنص الديني والتي تقوم على النقد والمراجعة المستمرة من أجل فهم متجدد للدين. فهم عصري للنص يتناسب مع احتياجات العصر الحديث. تُساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة وهي القيم الأساسية لأي نهوض حضاري. غايته معالجة التطرف والظواهر السلبية التي قد تُنسب إلى الدين والدين منها براء.

مبادئ القراءة المتجددة للنص عند الغرباوي

أولاً: النقد والمراجعة المستمرة:

يجب أن تُبنى القراءة المتجددة للنص على النقد والمراجعة المستمرة دون الخوف من التساؤل أو إعادة النظر في بعض الأفكار.

ثانياً: الاعتماد على العقل والمنطق:

يجب أن تعتمد القراءة المتجددة للنص على العقل والمنطق مع الأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخي والثقافي الذي نزلت فيه النصوص.

ثالثاً: التسامح مع التنوع:

يجب أن تُراعي القراءة المتجددة للنص التنوع في التفسيرات وأن تتسامح مع مختلف وجهات النظر.

مقتضيات الحكمة في التشريع نحو منهم جديد لتشريع الأحكام

سأقف مع هذه الإضاءة من إضاءات مفكرنا الفذ بإختصار لأن من المستحيل الإحاطة بكل درره في هذه الشهادة القصيرة.

مقتضيات الحكمة في التشريع تشير إلى الضوابط والمبادئ التي يجب أن توجه عملية صياغة القوانين والتشريعات. هذه المقتضيات تهدف لتحقيق المصلحة العامة وحماية حقوق المواطنين وتعزيز العدل والمساواة في المجتمع. وفيما يلي بعض المقتضيات الرئيسية للحكمة في التشريع:

1. الدقة والوضوح: يجب أن تكون القوانين محددة ودقيقة بحيث يتسنى للمواطنين فهمها وتطبيقها بسهولة. يجب أيضاً أن لا تكون هناك تركيبات لغوية معقدة أو غامضة التفسير.

2. المرونة: ينبغي أن تكون القوانين مرنة بما يتناسب مع احتياجات المجتمع والتطورات الاجتماعية والتكنولوجية الجديدة. وبالتالي، يمكن تعديل القوانين وتكييفها لتلبية المتغيرات الجديدة.

3. المساواة والعدل: ينبغي أن تكون القوانين عادلة وعادلة بالنسبة لجميع أفراد المجتمع، بغض النظر عن جنسهم، عرقهم، دينهم أو أي خصائص أخرى.

4. السلامة والأمان: يجب أن تهدف القوانين والتشريعات إلى حماية سلامة المواطنين وتوفير بيئة آمنة ومستقرة. يجب أن تكون هناك تدابير فعالة لمكافحة الجريمة والحفاظ على الأمن.

5. الشفافية: يجب أن تكون العملية التشريعية شفافة ومفتوحة، بحيث يتسنى للمواطنين معرفة كيفية اتخاذ القرارات وصياغة القوانين. يجب أن يحظى الجميع بحق الوصول إلى المعلومات والمستندات ذات الصلة بالقوانين.

6. الاستدامة: ينبغي أن تعمل القوانين والتشريعات على تحقيق التوازن بين الاحتياجات الحالية والمستقبلية للمجتمع.

ومن أجل تحقيق هذه المقترضيات يجب أن يكون التشريع مبنيًا على أسس قوية ومبادئ قائمة على العدل والمساواة وحماية حقوق الفرد والمجتمع بشكل عام. كما ينبغي أن يتمتع المشرع بالحكمة والفتنة في اتخاذ القرارات الصائبة التي تحقق المصلحة العامة وتسهم في تنمية المجتمع بشكل شامل.

تتضمن مقترضيات الحكمة في التشريع الاستناد إلى الدراسات والبحوث العلمية الموثوقة والتحليل الشامل للظروف والمتغيرات المحيطة بتلك القضايا. كما يتطلب الأمر الاستماع لآراء ومقترحات الخبراء في المجالات ذات الصلة واستشارة الأطراف

المعنية والمجتمع المدني لضمان إشراك جميع الفئات الاجتماعية وتلبية احتياجاتها وتطلعاتها.

وتكمن مقتضيات الحكمة أيضا في وضع تشريع يأخذ بعين الاعتبار توجهات التطور العلمي والتكنولوجي والاجتماعي ويكون متكيفا مع التحولات السريعة في المجتمعات الحديثة. فعالمنا المعاصر يشهد تطورات هائلة في مختلف المجالات ومن ضمنها القانون والتشريعات ولذا فإن التشريع يجب أن يكون قابلاً للتطور والتعديل لمواكبة التحولات والتحديات الجديدة.

وأخيراً تعني مقتضيات الحكمة في التشريع ضرورة توفير آليات فعالة للمراقبة والتقييم المستمرة لسلوكيات التطبيق والتنفيذ لتشريعات المجتمع. يجب أن يتمكن المجتمع من مراقبة تلك القوانين وقياس فاعليتها والتأكد من تحقيقها للأهداف المرجوة. علاوة على ذلك يجب وضع آليات قانونية لتعديل أو إلغاء التشريعات التي تثبت فشلها أو عدم ملاءمتها للظروف الراهنة.

باختصار يجب أن يتسم التشريع بالحكمة والعقلانية والتفكير الاستراتيجي لتحقيق الاستقرار والتنمية المستدامة في المجتمعات لذا ينبغي أن يعكس التشريع المقتضيات الحكيمة والمتطلبات العصرية للتشريع بناء على أبحاث واستشارات ومراقبة فعالة.

وهذا عرض مختصر لفحوى كتاب مقتضيات الحكمة في التشريع للأستاذ ماجد الغرباوي:

يُعدّ كتاب "مقتضيات الحكمة في التشريع" للأستاذ ماجد الغرباوي من أهم الكتب التي تناولت فلسفة التشريع في الإسلام. ويُناقش الكتاب العلاقة بين الحكمة والتشريع ويؤكد على أن الحكمة هي الأساس الذي تُبنى عليه القوانين والشرائع. أهم الأفكار التي يُناقشها الكتاب:

مفهوم الحكمة في الإسلام:

يُعرّف الكتاب الحكمة بأنها "علمٌ يُدرك به ما يجب فعله وما يجب تركه". ويؤكد على أنّ الحكمة هي صفة من صفات الله تعالى وأنها تمثل الغاية من التشريع الإسلامي.

العلاقة بين الحكمة والتشريع:

يؤكد الكتاب على أن التشريع الإسلامي مبني على الحكمة وأن جميع الأحكام الشرعية لها حكمة وسبب ويشير الكتاب إلى أن الحكمة قد تكون ظاهرة أو خفية وأن على المسلم أن يؤمن بحكمة الله تعالى حتى وإن لم يدركها.

مقتضيات الحكمة في التشريع:

يناقش الكتاب بعض أهم مقتضيات الحكمة في التشريع، مثل:

- **التدرج في التشريع:** يؤكد الكتاب على أن التشريع الإسلامي جاء متدرجا وأن ذلك من مقتضيات الحكمة. فمثلاً لم يُحرم الله تعالى الخمر دفعة واحدة بل حرمها على مراحل.

- **مراعاة المصالح:** يؤكد الكتاب على أن التشريع الإسلامي يُراعي المصالح وأن ذلك من مقتضيات الحكمة. فمثلاً حرم الله تعالى الربا لأنه يُضر بالمصالح الفردية والمجتمعية.

- **سدّ الذرائع:** يؤكد الكتاب على أن التشريع الإسلامي يُسدّ الذرائع التي قد تؤدي إلى الفساد. فمثلاً حرم الله تعالى الزنا لأنه قد يؤدي إلى الفساد الأخلاقي والاجتماعي.

- أهمّ خصائص الكتاب:

الأسلوب السهل والمبسط: يقدم الكتاب أفكاره بأسلوب سهل ومبسط مما يجعله مناسباً لجميع القراء.

- الاستدلال بالقرآن والسنة: يؤكد الكتاب على أفكاره بالاستدلال بالقرآن والسنة مما يعطيها مصداقية وقوة.

- الشمولية: يُناقش الكتاب موضوع فلسفة التشريع بشكل شامل ويُعطي جميع جوانبه.

- خلاصة:

يُعد كتاب "مقتضيات الحكمة في التشريع" من أهم الكتب التي تناولت فلسفة التشريع في الإسلام. ويُقدم الكتاب أفكاراً قيمة حول العلاقة بين الحكمة والتشريع ويؤكد على أن الحكمة هي الأساس الذي تُبنى عليه القوانين والشرائع.

ملاحظة:

هذه نبذة مختصرة عن فحوى كتاب "مقتضيات الحكمة في التشريع" لا تغني عن قراءته لأنه كتاب غني وفيه يصل المؤلف إلى قمة الفهم الناضج للعلاقة بين الأحكام الشرعية وفلسفتها التاريخية.

ماجد الغرباوي

المثقف التنويري والمفكر المضيء

بقلم: شاكِر فريد حسن¹

الكتابة عن الكاتب والشاعر والباحث والمبدع والمفكر العراقي القدير والملهم والمضيء والاستثنائي ماجد الغرباوي هي مغامرة كبرى ...!

فحذار من الكتابة عنه والخوض في غماره، لأنك ستكون كمن يحاول القاء القبض على مجرة أو سوق البحر الى السواقي، أو رسم خريطة جامدة لتسونامي حي لا يهدأ ...!

اننا نحتمي بـ ماجد الغرباوي، بفكره الراقى المتنور العقلاني، ورأيه السديد، وحضوره الكثيف بكتبه ومؤلفاته النفيسة، التي سنرفعها كالمتراس في وجهه المشرق لنحدد في وجهه الانساني والنقدي والبحثي والعلمي والفكري، وسنربض خلف عناوين منجزه الفكري والثقافي، لكن وجوهه الاخرى سوف تحتاجنا .

لا امتلك سوى الاعتراف بأن لا قدرة لي على اقتحام عالم ماجد الغرباوي والنفوذ الى كنوزه والواحه الماسية والذهبية، ولكن ساحاول قدر المستطاع .

ماجد الغرباوي رمز ونجم فكري وثقافي نقدي لامع يتجدد كل يوم في فضاءات العلم والثقافة والسياسة والمعرفة، ويقف ضمن طليعة المفكرين والمثقفين العرب المستنيرين والنقديين المشتغلين على نقد الفكر الديني والحركات الاسلامية ومسائل

1 - شاكِر فريد حسن - كاتب وناقد، وفاء لروحه الطيبة

النهضة والاصلاح والتجديد والمعاصرة والتنوير والعنف والتسامح بين الاديان والعقائد والمذاهب، وقضية المرأة ومسألة تحررها المرتبطة بتحرر المجتمع كله.

انه يتمتع بموهبة أدبية ابداعية وخلاقة وآفاق علمية واسعة، ويتصف بالذكاء والفطنة والبصيرة الثاقبة وبعد النظر والرؤية الواضحة والوعي المتجدد المتوهج المتوقد . وهو المفكر المتواضع الثري بالثقافة الاسلامية والفكر الانساني والوعي النقدي، والانسان العصامي، الصلب، المقاتل والمحارب بالكلمة والقلم، والثورة لديه فصل حب وعشق كوني شمولي .

ماجد الغرباوي المفكر المتمرس المتبحر في التراث الاسلامي، يملك الأسس العقلية المنفتحة والأدوات الفنية التي يعتمد عليها أسلوبه الكتابي النقدي ومقارباته الفكرية والثقافية، التي تعد اهم ركائز واوليات الاستنساخ للمثقف المبدع الخلاق المبتكر المجدد .

ماجد الغرباوي كاتب وباحث عميق وجاد، صاحب مشروع فكري نهضوي معاصر يسعى من خلاله الى ترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، ومن خلال قراءة متجددة للنص الديني على اساس النقد والمراجعة المستمرة من اجل فهم متجدد للدين كشرط أساس لأي نهوض حضاري وعصري متقدم وجذري يساهم في تأصيل قيم الحرية والتسامح والعدالة في اطار مجتمع مدني خال من العنف والتناوب والاحتراق .

ماجد الغرباوي نخلة عراقية باسقة وشاحنة في الفكر العربي الاسلامي، عانق نور الحياة في مدينة قلعة سكر، النائمة على نهر الغراف، وتتوشح بجمال طبيعتها وانسياب نهرها .

نشأ بين ازقتها وحواريها، وتعلم الابتدائية في مدارسها، ثم انتقل وهو صغير السن مع افراد أسرته الى العاصمة العراقية بغداد، وفيها اكمل دراسته في اعدادية الكاظمية ثم الثانوية، لكنه تعرض للسجن مع ثلة من رفاقه، وبعدها واصل دراسته

خارج حدود وطنه بموضوع الشريعة والعلوم الاسلامية، واستقر به الحال والمطاف في سيدني باستراليا .

مارس ماجد الغرباوي التدريس بالمعاهد العلمية في اطار تخصصه لسنوات عدة، وشارك في العديد من الندوات والحوارات والمؤتمرات والحلقات والمواسم الفكرية والعلمية، واشغل رئيس تحرير مجلة " التوحيد "، واشرف على اصدار سلسلة رواد الاصلاح، وعمل على تأسيس صحيفة " المثقف " ومؤسسة المثقف العربي في سيدني باستراليا .

نال عدداً من الجوائز التقديرية عن اعماله الفكرية والعلمية البحثية .

له العديد من المنجزات في ميادين البحث والعقل والتنوير، بلغت حوالي ٢٥ عملاً ومؤلفاً اضافة الى عدد كبير من الدراسات والبحوث والمقالات التي نشرها في الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية المختلفة المتعددة، ومن اهم كتبه:

اشكاليات التجديد، التسامح ومنابع اللاتسامح، الضد النوعي للاستبداد، الحركة الدستورية، الحركات الاسلامية - قراءة نقدية في تجليات الوعي، جدلية السياسة والوعي - الشيخ مفيد وعلوم الحديث، المشروع الاصلاحى، المرأة والقرآن، اخفاقات الوعي الديني - حوار في تداعيات النكوص الحضاري، رهانات السلطة في العراق - حوار في ايدولوجيا التوظيف السياسي، مدارات عقائدية ساخنة وغيرها .

منذ عهده الاول بالحياة وتشكل وعيه، رسم ماجد الغرباوي خريطة المستقبل، وراح بصلاية المؤمنين وحبر الانسان ينحت في الصخر الحديد، وينهض بالبناء ضلعاً قاصراً حتى استوى على هذا الطراز من الاصاله والتجاوز، فلا عجب اذا اصبح المثال والنموذج الفكري الذي يضرب ويحتذى به بين حراس الثقافة وعشاق الابداع، عن تحديه العنيد لاقدار المرحلة وتمرد الشجاع على سلطانها الجائر . ورغم انه يعيش في الغربة الا ان روحه وقلبه وعقله مع وطنه بلاد الرافدين ودجلة والفرات، مع عراقه وشعبه، مؤكداً حرصه الدائم وتمسكه بالسلم الاهلي والوطني والاجتماعي كخيار استراتيجي ومنطلق اساسي للتعاشيش السلمي بين كل اطراف واطياف وتشكيلات المجتمع العراقي .

وهو يدعو في خطابه الى ترسيخ حس ثقافي وفكري تقدمي وعقلاني يهدف الى وعي ومصالحة شاملة بين مكونات المجتمع العراقي والعربي على حد سواء، ويرى ضرورة واهمية تقديم قراءة متأنية لاسس واصول التسامح السائدة في واقعنا العربي المزري، قراءة واعية وحقيقية مبنية على قاعدة متينة تشكل قفزة نوعية في اخراج المجتمع من محنه وازماته المتراكمة، وتقوده للخلاص من الجهل والتخلف والامية .

ماجد الغرباوي مثقف ومفكر مسكون بالأسئلة، يجيد علامات الاستفهام، ويبحث عن الحقيقة، ويطاردها في كل مكان، ويتوغل عميقاً في الجزر والمساحات المغلقة، رافضاً المسلمات، مؤكداً على ان كل شيء قابل للنقد والمراجعة، ولا فرق عنده بين المقدس والا مقدس، يمارس النقد باوسع أبوابه، ولا يخشى دخول مساحات الممنوع والمحرم والمقدس المستتر عليه .

ماجد الغرباوي هو صاحب ومؤسس صحيفة " المثقف " التي ساهمت في نشر الوعي الثقافي والفكر الحر الديمقراطي والليبرالي، وتركت صدًى واسعاً، ولقيت تقديراً واحتراماً من الاوساط الادبية والثقافية والفكرية في مختلف اقطار العالم كونها منبراً حراً للكلمة والرأي والموقف، وبفضل ما تنشره من دراسات وأبحاث ومتابعات ومداخلات واضاءات أدبية وفكرية واجتماعية وسياسية، وكتابات ابداعية، شعرية ونثرية، وهو ايضاً رئيس مؤسسة " المثقف " الرائدة في تكريم رجالات الفكر والأدب والأقلام الثقافية والرموز الادبية والفكرية، وتكريم كتاب وكاتبات " المثقف " ومنحهم الشهادات التقديرية، واسهامها في طباعة ونشر الكتب المتنوعة في جميع الألوان والأجناس الكتابية، وكل ذلك بفضل جهوده الطيبة المباركة .

ماجد الغرباوي، تلك الارادة الفذة القادرة على المجابهة والجدال والنقاش دفاعاً عن الحقيقة في سياق التخطيط المستمر في تلك الحركة المجنّدة لتدمير اعمدة الهيكل الاجتماعي الثقافي الفكري الراهن، وانشاء تلك العمارة حلم البشرية جمعاء وغاية نضالاته المتواصلة عبر مسيرته الحياتية والثقافية .

وهو ذلك المتواضع النقي المستخفي الظل الذي لا يستمليه صخب الاضواء ولا تبهره الكاميرات ولا الميكروفونات ولا الفضائيات . انه النسر الجارح الآتي الناهض من

ارض الرافدين، الذي تعاضم وجعه مع وجع العراق دون ان ينتابه الوهن او يصبه الفتور، ولم يستسلم لجبروت الراهن من الزمن العربي الرديء، حاشا، فاليقين لديه يتعزز بحتمية التغيير، ويغدو اكثر اطمئناناً كلما اوغلت قوى الثورة المضادة والجماعات التكفيرية المتأسلمة والقوى المتطرفة الوهابية في سفك الدماء والخرائب وتدمير التراث الحضاري العراقي والعربي واغتيال رموز الثقافة والفكر والادب بنهم وحشي .

ان مساهمات ماجد الغرباوي ومقارباته ومداخلاته الفكرية على جبهة الفكر النهضوي التنويري ليست من ذلك النوع المرحلي العابر، بل هي جذورية نفاذة ومستمرة في شعاع المراحل الراهنة واللاحقة، بمنهجية علمية واضحة، وتأتي لتصحيح النظرة الفكرية المعاصرة للتاريخ والتراث، مستمداً أدواته المعرفية من المنهج التاريخي المادي في تفسير التاريخ ومنهجه، وترشدنا عناوين اعماله من مؤلفات ومنجزات فكرية، الى مفاتيح أفكاره وتوجهاته، وتدل على مدى رغبته كمثقف عضوي مشاكس ومتنور ونقدي في التأسيس لفكر نهضوي حداثوي جديد، لا يساوم على الحقيقة، اذ انه منذ بداياته التفكيرية او التجادل الفكري قدم سجلاً جديداً للثقافة العربية والفكر الديني الاصلاحى قوامه نقد المحذور، لكنه لم يكن ولن يكون مفكراً للفرد، ولا يبحث في قضايا ومسائل من فوق المجتمع وخارجه، بل يستظل على مسائل فكرية تم وتمس ثقافتنا وعقلايتنا ووعينا الانساني .

ماجد الغرباوي علامة مضيئة كبيرة ومشرقة في الاجتهاد الفكري، وظاهرة مميزة ومتفردة في الشجاعة والجرأة الفكرية والتعفف الاخلاقي، تبدو غريبة في زمن الانحطاط والخواء والفقر الثقافي والتخلي عن الافكار والقناعات الايديولوجية .

انه مثقف طليعي ومفكر نظيف وعفيف قوي الروح، يشكل نموذجاً في الثبات على الموقف والمبدأ والطرح والاستعداد للتضحية، والتفاني لاجل ان تتصارع الأفكار، وتتجاوز المواقف، وتتجادل وصولاً الى الحقيقة والافئاع واحترام الرأي الآخر .

ماجد الغرباوي -

قراءة في معالم شخصيته الفكرية والأخلاقية

بقلم: الأستاذة صفاء الهندي¹

رغم الغربة والمرارة والحنين واللوعة، وأنين الجسد وآلامه، وذاكرات الوطن والأمنيات وشوقه ودموعه وأحلامه .. ورغم بُعد المسافات وترامي الحدود، ما زال نجمه لامعاً يتجدد كل يوم في سماء العلم والفكر والمعرفة .. لم تقف قريحته الفذة عند حد، ولم يبخل على طلابه وقرائه من فيض عطائه. كما لم يمنعنا بُعد مهجره أن ننهل من وحي علمه وفكره المعطاء، ولم يتوان كرمه بدرس أو نُصح أو إرشاد .. وهذا ما عهدناه من خلال متابعتنا وتواصلنا معه عبر الأثير، أنه استاذي الباحث المفكر القدير ماجد الغرباوي، الذي نبقي نتطلع لرؤيته ولقائه شخصياً، والتزود من فكره وعلمه ومواهبه وعطائه ذات يوم.

الغرباوي .. الاكتشاف

لسنا بصدد استعراض ومناقشة مشاريع الاستاذ الغرباوي وما يتمتع به من آفاق علمية وثقافة واسعة ومواهب فكرية وأدبية عالية بقدر ما نحاول إعطاء صورة ولو تقريبية من وجهة نظر "قارئ" يحاول اكتشاف معالم شخصيته، والتعرف على ملامح فكره وعلمه، لاننا نعتقد انه ما زال يكتنز في صدره أكثر مما ظهر في نتاجاته، وأبعد مدى مما طرحه في الساحة الثقافية. ورغم أسلوبه الواضح في مناقشاته ومعالجاته، إلا أن القارئ المتفحص بامعان يستطيع ان يلحظ ويلمس، ان هناك مشروعاً آخر لم ير

¹ - كاتبة عراقية

النور. وهناك فكر، وفلسفات، وعلم، ومعارف، واخلاق. هناك أفكار ومشاريع، واشياء كثيرة لا تزال مختزنة في روحه وعقله، لم يُفصح عنها بعد ! .

ما يشدنا أكثر الى متابعته هو:

فضلاً عن الذكاء والفطنة والبصيرة وبُعد النظر وسرعة استيعاب الرؤية واحتوائها، هناك الشفافية وعمق التجربة الذاتية وحضور البديهة المثقفة والواعية التي يمتاز بها في رهاناته. اضافة الى قدرته الفائقة على ادارة الحوار، وهي صفة تعكس خصائصه التربوية والاجتماعية، ثم قدرته على حسم الموقف وارضاء الجميع بنفس الوقت.

ومن ذلك الحضور الواثق كدليل بسيط على مستوى فهمه ووعيه المتوقد والمتجدد هي ردوده على قرائه، حيث يتجاوز فيها الصراعات التقليدية والكلاسيكية المعروفة لدى الوعي العام والسائد. وايضا فان استجاباته ومناقشاته تعد تجسيدا بارزا وحيا لاخلاقه الرائدة وفهمه المتطور الخلاق. ففي ردوده الشفافة والرائعة على من يتعاطى بعاطفة وتشنّج وعصبية وأنفعال زائد مع القراءات المخالفة لآرائهم او إعتقاداتهم او أفكارهم، تجد اجابات علمية، فكرية، ثقافية، اسلامية، واجتماعية تنطوي على عشرات الأسئلة المختزلة "الآنيّة والمستقبلية"، كل ذلك يطرحه بأسلوبه الحضاري وروحه المفتحة المعهودة بدقّة وعمق وقوّة موضوعية وشمولية عادلة وصالحة.

فمثلا، كتب مقالا حول أهمية السؤال كرد على مجموعة من التعليقات، جاء فيه: (أسس القرآن الكريم منهجا، حالت رمزيته العالية دون ادراك ابعاده، وظل المسلم يعيد قراءة آياته، وهو لا يفقه من معانيه شيئا. فتحدث القرآن عن حوار دار بين ابليس وبين الباري - تعالى -، ليؤكد لنا ثمة اسئلة مشروعة، من اي جهة صدرت، يجب الاجابة عليها (ولو كان الرب جل وعلا).

كما نقل لنا القرآن الكريم حوارا دار بين الخالق وملائكته، وهم كائنات صالحة دأبها الطاعة، لكن هواجس خلق الانسان استبدت بها، فكانت هناك اسئلة طرحها القرآن الكريم ورد عليها، دون اي قمع او اضطهاد او تهديد، كل ما في الامر أجّل الاجابة بالنسبة لسؤال الملائكة، لان طبيعة الجواب تحتاج الى تجربة عملية . ثم طرح القرآن الكريم أخطر الشبهات، التي تهدد رسالته، وهي التوحيد، دون اي اكتراث،

ونقل لنا اسئلة المشككين، والكافرين والملحدين، والناكرين، وناقشها علنا. قال هكذا كانت اشكالاتهم، وهذه اجوبتنا .

فهل هناك اخطر من مسألة وجود الله بالنسبة للاديان جميعا؟ وما قيمة ما عداها لو اهتز الايمان بوجود الله - سبحانه - او توحيده؟ فلماذا لا يستفز الانبياء من اسئلة المنكرين، والجاحدين؟ وكيف وضعهم القرآن وجها لوجه امام تلك التساؤلات؟ .

لماذا لم يعترض النبي ويقول له يارب، لقد اخطأت التوقيت، انها ستضعف دعوتي، وانا في بدايتها؟ لماذا تقبلها واعلنها على الملأ بكل ثقة ومسؤولية، ورد عليها، وفند حججها .

اذن المنهج القرآني يقوم على شرعية السؤال، وحق الرد، ومنهجه قائم على طرح الاسئلة بشكل شفاف علني، كي يتحمل المسلم مسؤوليته امام اي عمل يقوم به، ويكون مسؤولا تجاه اي رأي يطرحه، لاستحالة قمع الاسئلة، ولا بد من متنفس تطفو من خلاله بحثا عن اجوبة مقنعة . ولولا السؤال لما تطورت الحضارة¹.

لم أقرأ له سوى كِتَابَيْنِ من مؤلفاته: "أشكاليات التجديد" و"التسامح ومنابع اللاتسامح". وانا بصدد إقتناء وقراءة كل نتاجاته الأخرى، وكل ما رُفد به المكتبة الثقافية والاسلامية ان شاء الله تعالى . لكنني تابعت وإطلعت على كتاباته ونقاشاته ومعالجاته وحواراته من خلال مقالاته في أرشيف صحيفة المثقف الألكترونية² وغيرها من المواقع والصحف.

بكل تجرد وإنصاف: يجد القارئ نفسه وهو يطلع على تراث هذا الرجل امام امكانيات معرفية ثرة، ومكونات فكرية اسلامية واجتماعية وأدبية غزيرة تتجدد على الدوام، ويلحظ سيطرته التامة على المطالب المتناولة فكريا وعلميا مع مواكبة متطورة

1 - مقطع من مقال كان منشورا في صحيفة المثقف حول شرعية السؤال

وعصرية. يُلاحظ ذلك في مقالاته وبحوثه ومعالجاته الفكرية والثقافية، بل وغيرها مما يتناوله في نقاشاته او التي يحللها بكتاباته ..

وبحوث الغرباوي تتصف ايضا بالاستقراء الموضوعي الصحيح، وتعدد القراءات لكل حادثة وواقعة يتناولها، والاستيعاب المدرك، والفهم المعرفي الدقيق ضمن ثقافته التخصصية والعامة. وحيادية واخلاقية وموضوعية تامة، وقدرة على بحث ودراسة اي قضية من جميع جوانبها ومداخلاتها واستنطاقها، وشم المفاضلة في تقييم التنوع والاشكال وحل المالبسات ودفع السلبيات والمؤاخذات وملاحقة اليجابيات وبلورتها وتبسيطها بصور تتماهى جذرياً او تأسيسياً مع متطلبات المرحلة "الآنية" برؤية مستقبلية، فضلاً عن ثقافته التي تتصف بسلاسة الاسلوب، ومرونة في دراسة الحالة او الظاهرة مهما كانت ابعادها شائكة، وتذليلها بدلالات واسعة لا يضيق على القارئ استيعابها وفهمها. فمثلا في بحوثه الاسلامية عندما يقدم الاسلام كنظام يجمع بين التأصيل الشرعي والوعي الواقعي والثقافي بتاريخ الأمة وحاضرها ومستقبلها، يدرس الغرباوي منهج الإسلام من حيث هو كلي مترابط في القيم والنظم والفكر.

ثم روعة الارتكاز العلمي المؤسس وأدواته المنطقية في الاستقراء والسلوك والفهم تتجلى بوضوح في كل عمليات المعالجة والتشريح المعرفي على طاولة المفكر الاسلامي المتمرس والاجتماعي المتبحر والخبير . كما ان الأسس المنطقية والأدوات الفنية والعقلية المنفتحة التي يعتمدها اسلوبه الكتابي النقدي ومعالجاته الثقافية والفكرية، تُعد من أهم ركائز وأوليات الاستنتاج "المبدع والمبتكر".

الوطن في روح الغرباوي وإيمانه

ان شعور الانتماء للوطن يتجلى في افكار الاستاذ ماجد الغرباوي وهو يناقش حالات القلق الحاصل على ارض الوطن. وكان حب الوطن حافزه، من واقع المسؤولية الثقافية والوطنية، في التعاطي بمرونة في نتاجه الفكري. فمن اسهاماته الوطنية الكثيرة التي رقد بها الساحة السياسية والاجتماعية، ثقافة الوعي للجماهير وما تحتاجه لاعادة النظر في سلوكياتها وقيمها الكلاسيكية ومورثاتها المؤججة. وهو

يدعو دائماً لعدم الانجرار وراء صراعات قبلية وسياسية واجتماعية لا طائل منها سوى زيادة الشحناء والمأساة. ويرى أن هناك دائماً ثمة حوار واخلق وسلوكيات بديلة أكثر قيمة مدنية وحضارية كفيلة باحلال السلام بين الجميع، تعزز لغة الأنسجام وإعادة النظر في الصراعات القائمة برمتها. كل ذلك من أجل العمل على إيجاد تسوية دائمة وشاملة تحقق الأمن والسلام، وهي دعوة تؤكد على حرص وتمسك الغرباوي بالسلام الوطني والاجتماعي كخيار استراتيجي ومنطلق اساسي للتعایش السلمي بين كل اديان واطياف المجتمع على ارض الوطن .

ويحس القارئ ان الخبرة الحياتية والعلمية والاجتماعية موظفة بصورة واضحة في طاقات الغرباوي وبرامجه وعطاءاته الفكرية والانتاجية. يتجسد ذلك من خلال دعوته لتوفير ارضية سليمة للتواصل مع هموم المجتمع وأزماته المتراكمة. ودعوته لايجاد حلول قيمة مثلى، من خلال:

- دراسة الواقع السياسي والاجتماعي والديني بصورة جذرية.
- الاسهام في ترجمة الموروث الديني والاجتماعي وفق رؤية أكثر تطوراً وانفتاحاً.
- البحث عن كل الخيارات المتاحة من اجل توفير فرص للتعایش السلمي والحضاري بين الثقافات والأديان.

وليس من صورة واضحة لتلك المشاعر الوطنية أكثر من خطابه في كتابه "التسامح ومنابع اللاتسامح". حيث يتميز هذا الخطاب بصلاحيته لكل المجتمعات التي تمر بنفس ما يمر به مجتمعنا العراقي من أزمات. ووفقاً لهذا الخطاب، كما يرى الغرباوي، يجب البحث عن سبل بديلة وخلق وأبتكار أجواء تسامحية جديدة، وبرمجتها معرفياً وحركياً في فضاءات المجتمع، من أجل البقاء وديمومة التعایش السلمي ضمن حياتنا المجتمعية.

الغرباوي مفكرا

في كتابه التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات .. يقول الغرباوي:

(ان ما نشاهده اليوم من صراع محتدم بين القوميات والأديان والمذاهب يكشف عن رخاوة الأسس التي يقوم عليها مفهوم التسامح او غيابه، فهو في نظر الأوساط المتصارعة لا يعدو كونه قيمة اخلاقية تتحكم به المؤثرات الاجتماعية والسياسية، وهو في رأيها منّة وتفضيل مشروط . قد ينقلب الى ضده اذا فقد رصيده الاخلاقي، وما نحتاجه فعلاً لتوطيد العلاقة بين الطوائف والقوميات مفهوم يرتكز الى أسس متينة، تتفادى الاحتكاك على خطوط التماس .. لتكريس مفهوم التسامح وفق حاجاته الاجتماعية بعيداً عن المنة والتفضل والتكرم، فالتسامح هنا حق لجميع الافراد على أساس الاعتراف بالآخر، وحماية لحقوقه، حق تفرضه الحقوق المشروعة لكل انسان في الحرية الشخصية، وحرية الاعتقاد، وحرية التعبير)³¹.

اذا فهو يدعو الى زرع وبث روح التعايش السلمي بين الأفراد والمكونات، وفق قراءات وأسس متينة جديدة، خلافاً لما هو سائد في الوضع الجاري، كي تتفاعل من خلالها جميع مكونات المجتمع بصورة حضارية اكثر انفتاحا واكثر ديمقراطية.

كما يدعو في خطابه الى غرس حس ثقافي يهدف إلى وعي أمني شامل في نفس وفكر جميع مكونات المجتمع على حد سواء. أي يهدف الى تكوين قاعدة بشرية كبرى من التعاون المدني والاجتماعي، بحيث يسهم ذلك بشكل ايجابي وفعال في تحقيق العملية الأمنية والتعايش السلمي المستقبلي بين الأفراد والمكونات والأديان. وفي هذا المشروع محاولات دؤوبة لانقاذ المجتمع من العزلة والمصير المجهول .

1 - الغرباوي، ماجد، التسامح واللاتسامح .. فرص التعايش بين الاديان والثقافات، دار العارف، بيروت لبنان، ط 2008، ص11.

لقد كشف الغرباوي بنظرته حجم المعاناة التي ما زالت تعيشها وترزح تحتها مجتمعاتنا العربية. لذا فالامر بنظره يستدعي تقديم قراءة متأنية لأسس التسامح السائدة في واقعنا المزري .. قراءة مبنية على دراسة نوعية تشكل قفزة في اخراج المجتمع من أزماته المتركمة.

ان بلورة جديدة لتلك الأسس الرخوة وبنائها بانسجام وحذر ستساهم في خلق مجتمع متناغم بمكوناته ونسيجه، يحتقر ماضيه الميخجل ويداوي جروحه بحماس ويللم شتاته بجمّة، ويتطلع نحو مستقبل أفضل .

راحت البحوث العلمية والسياسية للغرباوي تسبر الأدبيات والقيم الاجتماعية وتفترزها بموضوعية وتحدد عناصر الأهمية والخطورة والفائدة لهذا الجانب من ذاك في حياة الإنسان والمجتمع . وكان يحذر المجتمعات التي تعيش سباقا محموما في لا وعيها كي لا تجازف في خلق ازمات جديدة، تسلب المجتمع راحته ورفاهيته وقوته ونفوذه.

كما دأب الغرباوي في بحوثه على تقصي الحقائق التي تعين الإنسان والمجتمع في التغلب على مشاكله، التي هي كالأمراض فتكا بالشعوب، ودعا في بحوثه الى ضرورة فهم الظواهر المتأزمة والمربكة ومحاولة تفسيرها ومعالجتها من خلال التعميمات والقوانين الكلية الشرعية والاجتماعية العامة، وإيجاد حلول لمشكلات حياة الإنسان والمجتمع وانتشالهما من هذا الواقع الذي يعيشان فيه. والاستفادة من التجارب البشرية، وتحري الموضوعية التي ترفع من مستواه السلوكي نوعاً وكماً، وهو ما يساعد على تطور فكر الأفراد، وتزيد من نسب النجاح التي يتوخاها المجتمع .

لقد أولى الغرباوي البحوث العلمية اهتماماً بالغاً، واعتبرها عاملا استراتيجيا لضمان وديمومة قوة المجتمع والدولة وبقائها فاعلة بين غيرها من الدول. إن الأمثلة على اهتمامات الغرباوي وباقي الشريحة المثقفة والواعية بالتقدم العلمي والبحثي أكثر من أن تحصى، ولكن منذ أن ساءت الظروف وغُيِبَ الفكر والمفكرين عن ساحة المجتمع بدأ التراجع في مختلف المجالات وأصبحت الهوة بعيدة والفجوة عميقة بين الناس ومجتمعهم .

مشروع الغرباوي الحركي والتجديدي

التسامح ومنايع اللاتسّمح، الضد النوعي للاستبداد، تحديات العنف، و.. إلخ، ليست مجرد مؤلفات شاء تخصص الكاتب تأليفها بدوافع مادية أو شخصية أو دعائية، وإن كان ذلك من حقه .. ولكن بقدر ما يراها القارئ هي بحوث إنثقت ضمن مشروع وهدف أعمق وأبعد من مجرد الكتابة. فهناك تأسيس .. وهناك تخطيط .. وهناك برنامج موضوع مُسبق .. وهناك هدف أكبر وأسمى من الآن .. هناك سعي حثيث ملموس . أي أن ما يلمسه القارئ أن هناك شيئاً لا يستطيع القارئ معرفة ماهيته تحديداً، أكثر من كونه مشروعاً ثقافياً حضارياً مؤسساً حتى يأخذ مكانه التربوي في الساحة الاجتماعية والوطنية ودوره الطبيعي في ساحات العلم والفكر والمعرفة، وتساهم في خلق تطور ثقافي جديد بكل المجالات الوطنية والاجتماعية والدينية.

فضلاً عما تقدم يجب ان ننوه بكتاب: "الشيخ محمد حسين النائيني منظر الحركة الدستورية" والذي صدر بطبعته الثانية حديثاً، حيث اطلعت على توطئته. ففي هذا الكتاب يبين الغرباوي معالم مشروعه الاصلاحى ضمن سلسلة "رواد الاصلاح". وهي سلسلة دورية تعنى بدراسة مشاريع الاصلاح التي نهض بها الرواد المسلمون، والتي كان الاستاذ الغرباوي يرأس تحريرها وأصدر منها خمسة كتب على نفقته الخاصة، إلا أن هجرته من الشرق الاوسط الى الشرق الأقصى - كما يقول - حالت دون الاستمرار بصدورها. لكن بدأ وهو في مهجره باعادة اصدار ما صدر منها مجدداً، حيث صدر منها لحد الان كتابان، نأمل ان يوفق في اعادة اصدار ما تبقى منها.

وقد درس الباحث في هذا الكتاب حياة الشيخ محمد حسين النائيني باعتباره اول فقيه ينظر للحركة الدستورية والديمقراطية، وينتقد الاستبداد السياسى والدينى بعنف. وبما ان حياة النائيني زاخرة بالاحداث والمواقف، لذا اهتم الاستاذ ماجد الغرباوي بشخصيته ومواقفه وفكره فكان هذا الكتاب، الذي قدم رؤية مغايرة لما

كتب عن الشيخ النائي، وهي رؤية نقدية صارمة، من أجل الوقوف على الحقيقة في خضم الاحداث التي رافقت النائي.

نأمل ان يشكل هذا الكتاب رافدا وبعثا حركيا للأصلاح والاستفادة من معينه الفكري. وان يكون مصدرا للطلاب والباحثين على السواء، أسوة بباقي بحوث ونتائج الاستاذ الغرباوي التي أغنى بها الساحة الثقافية والاجتماعية والاسلامية والسياسية .

ان افكار الكتاب كما هو واضح من موضوعه وعنوانه وما قرأت عنه، تعد افكارا اصلاحية، وتعكس وجهة نظره ورؤيته بالحاضر والمستقبل وما بينهما من احداث. ان مشروع الغرباوي الاصلاحى اذا ما كتب له النجاح سيساهم في رفد الساحة الثقافية والفكرية، ويقدم معالجات عملية للمشاكل التي تحيط بالمجتمع بسبب الثقافة والفكر والمواقف الخاطئة، خاصة مواقف بعض رجال الدين.

وقبل ان اختم مقالي لا بد ان انوه بجهد الاستاذ ماجد الغرباوي الاعلامي من خلال صحيفة المثقف، التي تركت صدى اعلاميا واسعا بفضل ما ينشر فيها من بحوث ودراسات ومقالات فكرية واجتماعية ونفسية وادبية وسياسية وثقافية. وايضا يجب ان انوه بمؤسسة المثقف، التي كانت رائدة في تكريم الاحياء من الرموز الفكرية والادبية، والرائدة في تكريم كتّابها وكاتباتها. كما لا ننسى مساهمات المؤسسة في طباعة ونشر الكتب، ولعلمها المؤسسة الاولى التي نجحت في هذا المجال بفضل جهود الاستاذ الغرباوي حتى اصدرت لحد الان ما يقارب 30 كتابا.

ماجد الغرباوي ومثاهات الحقيقة

بقلم: الأستاذ حسين علاوي¹

بعد ان تحول التراث الفقهي، والفكر الديني المتحجر الى مقدس.. تقاس به الحقائق الأخرى وتفرض على مجتمعات متعددة الأديان والثقافات.. ويكفر من يعترض عليه وتسلب حريته وانسانيته.. وما اعطاه الخالق تميزاً له عن سائر المخلوقات مثل: العقل والحرية والارادة.. الا ان الانسان في الكثير من مجتمعاتنا الإسلامية والعربية اضحى مجرد آلة تنقل الكلام دون نظر أو تساؤل، أو بحث.. وبعد ان قيدت الثقافة الدينية وارتهنت في الكتب والبحوث الفقهية التراثية.. عاجل الفقيه و المفكر ماجد الغرباوي من خلال مشروعه التنويري الكثير من القضايا المقيدة بين الدين و العقل.. ومواجهة التحديات التي تواجه المجتمع العربي والاسلامي..

واهتم الغرباوي بالأنساق المعرفية.. والقضايا الإيمانية.. وركز كفقيه ومفكر على الدين بوصفه تجربة روحية اجتماعية.. وشريعة واسلوب عمل متواصل.. لا يوجد فيه توقف و جمود وقداسة لأفراد... ولا فتوى تباع للحكام.. ولا يستطيع فرد ان يدعي تمثل الله في الارض.. وان الافكار فيه لا تتجمد على زمان ومكان محدد..

فاستطاع الاجابة على الأسئلة الكثيرة.. وتأصيل الخطاب الفكري والفقهي بعيداً في مثاهات الفكر والعقيدة.. وفي أكثر كتبه ودراساته قدم الغرباوي الكثير من الاشارات الجادة والمنطقية التي تفرض نفسها في جميع مراحل التفكير الانساني.. بل ان اغلب افراد الانسان وبجميع مستوياتهم الفكرية قد واجهوا هذه الاسئلة.. وليس هناك قوة في الكون تستطيع منع الانسان من التفكير والتجديد في حقه المعرفي و

الوجودي.. وطرح القضايا التي تتعلق بمصيره.. فالإنسان اساس الوجود وهو المحرك للوجود في البناء الاعمار.. وخليفة الله في الارض.. الا ان البعض من الفقهاء اعتبروا ان للفقه مجاله الخاص.. ونسي هؤلاء ان كل شيء شرع بالعقل.. وان من شروط اجتهاد الفقيه هو العقل.. فاعتبر الغرباوي ان التفكير العقلاني هو الطريق الوحيد لتحقيق منطق اقوى، و حجة علمية.. فكانت افكاره لها حضور كبير بين الأوساط المثقفة... لما لها من بعد معرفي معاصر و مواكب لحركة الواقع والاحداث والافكار بعد ان عاجل الكثير من الافكار من خلال بحثه الدائم (المتاهة) وادانه العقلية الدينية المتعصبة والمتحجرة والرافضة لكل تحديد يتناول جوهر الدين ويواكب حركة العصر والافكار.. فعالج الكثير من متاهات الحقيقة في المقدس..

و في التراجيديا.. وفي المضمرات.. وفي الفقيه والعقل التراتي.. وفي الهوية والفعل الحضاري والنص وسؤال الحقيقة.. ونقد مرجعات التفكير الديني.. ودراسات نقدية للحركات الاسلامية المعاصرة.. واعتبر الغرباوي ان العقلية الدينية القائمة على الايمان الاعمى والاستسلام الكلي للاوامر الدينية، تقوم على اساس غير منطقي لا يمتلك مرونة وقدرة على التطور... ويؤكد على ضرورة الانفتاح على المعرفة والتعليم المثمر.. و الانفتاح على الأديان والثقافات الأخرى معتبراً انه الطريق الامثل للتعايش و التعاون مع التأكيد على ان الدين يجب ان يكون وسيلة للسلام والمحبة..

وبما ان التسامح ضرورة حياتية تبقى الحاجة اليها قائمة ما دام هناك من يمارس العنف والاقصاء والتكفير، ويرفض التعايش السلمي مع الآخر المختلف.. بل الحاجة الى التسامح تستند مع اتساع التنوع الاثني : والديني لامتناسات تداعيات الاحتقان بين القوميات والثقافات والأديان، والخروج بها من دائرة المواجهة الى مستوى التعايش والانسجام... فقدم كتابه المهم في التسامح واللا تسامح.. والذي طبعه وترجمه الى اكثر من لغة.

فهو يعتقد ان كل ما يجري في عالمنا بسبب غياب مفهوم التسامح وانه لاخبار امام ثقافة الموت والاحتراب والعداء والاقصاء المتفشية في كل مكان سوى قيم التسامح.

فالغرباوي ومن خلال مشروعه الحداثي يسعى الى تحرير العقل من بنيته الاسطورية واعادة فهم الدين على اساس مركزية الانسان في الحياة.. وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي.. من خلال قراءة ومراجعة للنص، من اجل فهم متجدد للدين، كشرط اساس لأي نهوض حضاري، يساهم في ترشيد قيم الحرية والتسامح والعدالة.. في اطار مجتمع مدني خالٍ من العنف و التنابذ والاحترا ب يواكب حركة العصر والافكار.. ويرفض الجمود والمراوحة على افكار عفى عليها الزمن.. أو اضحت خارج العصر الذي نعيشه.. بعد ان جعلت الزمان الذي نعيشه كله ماضياً.. والمستقبل مجرد مجال لتحقيق الماضي.. وما على الحاضر الى ان يقتدي به.. أو ينسج على منواله.. فرفض الغرباوي هذه البنية الفكرية التي لا يكون فيها الحاضر أو المستقبل إلا انعكاساً للماضي..

ماجد الغرباوي والعقد التراثي

بقلم: الأستاذ عبد الستار نورعلي¹

المفكر التنويري والباحث ماجد الغرباوي غنيٌّ عن التعريف، فبحوثه ودراساته، وحواراته في مناقشة الفكر الديني، والمقدس التاريخي، والأخلاق، والكمّ الهائل من التفسيرات والتأويلات المختلفة، وعلاقات كل ذلك بالعقل البشري، والعمق الزمني، وما استجدّ من حقائق وتغيّرات في البنية العقلية الجمعية والفردية، وكذلك من خلال التطور الإنساني، وطرح أفكاره ورؤاه مستنداً الى علمه وخلفيته الثقافية والدينية والعامة الغنية، وهو ما نجده في بحوثه ودراساته التي تحمل في طياتها موقفه العقلي التنويري في النظر الى هذا التراث الغزير، وبجدارة واقتدار، بحيث تصبح تراثاً فكرياً مضافاً ذا تأثير بالغ على المتابعين والمهتمين بالتاريخ الثقافي التراثي للأمة، وتداعياته وأثره البالغ في التكوين العقائدي والاجتماعي والفكري والأخلاقي والسلوكي، وإلى حدّ التطرف عند البعض، وإلغاء الآخر المختلف. وهذا الفكر التنويري عند المفكر الغرباوي في غاية الأهمية؛ فهو ماتحتاجه مجتمعاتنا العربية والإسلامية الواقعة في مركز اهتمام الصراع الأيديولوجي والسياسي في هذا العالم المضطرب، ونظرة هذا العالم تجاهنا وتجاه عقائدنا وقناعاتنا، وفي موقفه العام من الحضارة الإسلامية والعربية في عصورها المزدهرة.

لم يكتفِ الغرباوي بمنجزه الفكري الثقافي فحسب، بل خاض غمار الفنون الأدبية بأجناسها المتعددة، فقد كتب الشعر، بشكله الحديث، وهو ما يُسمى بقصيدة النشر، كما كتب القصة القصيرة أيضاً، ويبداع ملحوظ. نلاحظ في هذا الجانب من منجزه الثقافي أثراً ممّا يكتنزه من ثقافته الفكرية الفلسفية والنفسية، ومن

تخصّصه الذي ذكرناه سالفاً. ولنا قراءة نقدية نُشرَتْ على صفحات صحيفته الغراء (المثقف)، وهي في قصيدته "مديّات حلم". فهو مجاهدٌ بالكلمة، مثلما جاهدَ بالفعل، وكما قالَ نبينا الكريم في حديثه الشريف:

"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ."

ومفكرنا الكبير ماجد الغرباوي مجاهدٌ بالثلاثة: فعلاً، وقولاً (الكلمة والكتابة)، وقلباً (الإيمان الصادق). وذلك مشهودٌ له. ومنَ جهاده الكبير إصدارُهُ صحيفة المثقف الغراء (اللسان الناطق بالحق والتغيير ونشر العلم والابداع الإنساني)، والتي أصبحت من أهم ركائز الثقافة العربية فكرياً وعلمياً وثقافةً وفناً أدبياً، إذ اجتمع فيها كبارُ المبدعين العرب في شتى مجالات المعرفة والثقافة والأدب، وبمختلف توجهاتهم الفكرية والسياسية والإبداعية. وما زالت الصحيفة تواصلُ مهمتها الكبيرة بنشاط وفعالية، دون كلل أو ملل أو تقاعس. وهذا بفضل ربانها المجاهد ماجد الغرباوي، بجهدٍ مشهود، وإصرارٍ معهود.

العقل التراثي

منَ طروحات المفكر ماجد الغرباوي المصيبة والدقيقة إطلاقه مصطلح (العقل التراثي) في الإشارة إلى تقديس التراث كمرجع فكري سياسي اجتماعي اقتصادي، والاستشهاد به كمثال مُقدّس لتطبيقه على واقع جديد ينمو، ويتطور كلَّ يوم، بفعل عقلي يتجدد دائماً، وبتأثير الزمن المرتبط بالنمو العقلي الإنساني، والخلق البشري في إبداع ما يتناسب مع هذا التطور. والتقدّم التكنولوجي هو المثال والمعيار لديناميكية العقل. لكنّ العقل التراثي الذي يرى الماضي مثلاً هو العقبة المانعة في مجتمعاتنا لمواكبة هذا التطور، ومنعه من الوصول إلى مجتمعاتنا، في محاولة لكبحه، وتطبيق المثال التراثي على واقع بعيد في تطوره العقلي والتقني المؤثر. لذا نعيش هذا الصراع المرعب، الذي أوصل بلداننا إلى ما وصلت إليه. لكنّ بالمقابل استلهام العبر من التراث،

وفهمه بدقة عقلية، وفق زمنه هو اضافة تراكمية، كما أشار الغرباوي، الى المعرفة والدفع الى الأمام.

ولذا، من خلال المتابعة والرصد، نجد الكثيرين مِنْ حَمَلَة التراكم التراثي الذين ناضلوا في تقديسه، والعمل على تطبيقه في الحياة المعاصرة كمثال يحتذى به، وتأکید على مصداقية ما يدعون اليه، والاستشهاد به وبنصوصه كحقيقة أبدية خالدة، حين تعمّقوا ودرسوا واستفادوا ثم أشغلوا عقولهم ومقارناتهم، وبحكم وعيهم المتقدّم وثقافتهم الواسعة وعقولهم المنفتحة، وتربيتهم النفسية والروحية، أخذوا بالعقل النقدي والتشريح النصّي؛ ليصلوا الى قناعة الإيمان بالتطور العقلي الإنساني، وعليه التطور الحياتي فكرياً لخلق حياة جديدة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، تتلاءم مع الزمن المتغيّر المرتبط بتغيّر الفكر المناسب للواقع الجديد. وهذا خيرٌ لمجتمعاتنا والإنسانية؛ لامتلاك هذه العقول لخبرة المعرفة الواسعة فكرياً، والقادرة على الاستلهام والتفكيك لمرجعية العقل التراثي الساكن غير المتحرّك. والأمثلة عديدة من هذه الأسماء التي انتقلت من التراثي المقدّس الى التراثي المتحرّك. وبالمقابل كان هناك المتحرّك الديالكتيكي الذي تحوّل الى التراثي الساكن غير المتحرّك، والدكتور محمد عمارة أحد الأمثلة.

فالنشاط الفكري النقدي للغرباوي، ومحاولته هزّ هذا الساكن وتحريكه، هو مِنْ حسن حظّ الفكر العربي الإسلامي المعاصر. وهو جهد كبير، وجهادٌ بالعقل والفكر للوصول الى التنوير المرتجى الذي يرفع الأمة مما هي فيه من كبوة.

السعادة تكمن في متعة الإنجاز

بقلم: الأستاذ زيد الحلبي¹

لست مبالغاً بالقول، ان الاستاذ ماجد الغرباوي موسوعة ممتعة تشرح الأفكار الفلسفية بصورة غاية في البساطة، وأكثر ما يميزها هو الاستخدام المبدع للأشكال الفلسفية وشرح مفاهيمها الملتصقة بالحياة، وبذلك جذب القارئ له، بأسلوبيته الممتعة، وشخصياً، اثق بقدرته الشخصية على التفكير الفلسفي بعقلانية، مؤكداً قول أبي الفلسفة الفرنسية رينيه ديكارت (1596 – 1650) "أنا أفكر، إذن أنا موجود" فالشك الوجودي، ينطلق من الشك نفسه، المبني على النهج الفلسفي القادر على محاكاة الأشياء، والتفكير في سيرورتها، وبذلك نصل الى الجواب المنطقي، وهو ان الشخص الذي يفكر يجب أن يكون موجوداً، وهذا ما يشير اليه دوما الاستاذ الغرباوي في كتبه ومقالاته.. حيث يوضح فيها أهمية الفلسفة وحاجتنا إليها..

قراءاته في الفلسفة، وفي العطاء الثر الذي يتمثل في موقعه الاعلامي الرصين "المثقف" يؤكد ان له قابلية حياة دائمة، وهو يسكن ذاكرته بشكل عجيب، ينضح ويتصفى ويشف كقطرات الماء الصافي، وبذلك نعرف بأن لولا الذاكرة لأنتفت القدرة على بناء الحضارة الانسانية، فالذاكرة هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن الانسان من خزن تجاربه وخبراته وخياراته المكتسبة في سباق نشاطه اليوم .

والمطلع على افكاره، يلمس عمقها في تناولها لموضوعات قريبة من الواقع، بعيدة عن الرؤى الضبابية، مثل الحرية والمسؤولية والعدالة الاجتماعية، ضمن مفاهيم الفلسفة النقدية وفلسفة التاريخ، ويتعد عن التنظير الذي ينفر منه القارئ، فيإيمانه

متجذر في ان متابعه وقارئه يهتمهم معرفة معنى وجودهم، ويستجلوا غاية المتغيرات المجتمعية والكونية، لذلك أراه دائم التأكيد على إيمانه المطلق بالعقل الإنساني ما يشيئ الى نظرتة الحياتية، المفعمة بالفلسفة، فالعقل عنده، عدو الوهم والانخداع والتعصب، لأنه لا يفتأ يجوب الآفاق سعياً وراء المجهول، حتى يكشف عنه ويجلوه للعيان .. والعقل بطبيعته منتظم وناظم، يربط حلقات المعرفة بعضها ببعض ..

في كتابات الاستاذ ماجد ، يحس القارئ، ان الكلمة فيها تنطلق الى الاخرى بثقة عالية، ومن اللفظ الى معانيه، وهو لا يحدق في ما وراء الكلمات والالفاظ، هو يكتب وفق منظوره الخاص، معبرا عن دواخل ما يريد بيسر اخاذ، دون ان يتقيد بهواجس الاصداء التي ربما يطلقها من يريد المناكدة والنقد، واطن ان وراء تلك الثقة بالنفس التي يمتلكها الاستاذ ابا حيدر، شعور مبن على قناعة بأن كل مبدع حقيقي، هو شجرة شائخة، باسقة، ويرى في نفسه إنها تلك .. الشجرة .

وهو ايضا يؤمن أن الحياة شاسعة، والحقيقة ليست مجرد ادراك ذهني بحت، وقد دفعه حبه للحياة بما فيها من ثراء الى السفر في عالم الابداع وهو عالم واسع جداً، واثمر هذا السفر عطاءً ثرا في مجال الكتابة الفكرية، الى جانب الصحافة الثقافية الالكترونية التي قدم فيها اسماء عديدة هي الان في صدارة المشهد الثقافي العراقي والعربي ..

سبق أن كتبت عن ثلاثة كتب من كتبه، سنة: 2010م، هي: (التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات. وكتاب تحديات العنف، وكتاب الضد النوعي للاستبداد. تساؤلات عن جدوى المشروع السياسي الديني) بعنوان: كتب الغرباوي تدخل دائرة المحظور من باب النقاش.. تساؤلات عن الضد النوعي للاستبداد. أشرت في مقدمة المقال أنه يقدم أفكارا لم يسلط عليها الضوء احد كونها أفكارا من العيار الثقيل، التي يخشي الخوض في تلايبيها الكثرة الكاثرة من كتاب الفكرة الجاهزة والمطروقة.

تقبل مودتي ابا حيدر الحبيب ... ان السعادة تكمن في متعة الإنجاز ونشوة المجهود المبدع..

المفاهيم الأساسية في فلسفة

ماجد الغرباوي

بقلم: د. قصي الشيخ عسكر¹

كنت قد كتبت بضع مقالات عن أعمال الأستاذ ماجد الغرباوي وتحديث عنها، حينها رحلت أبين المشاهد الجمالية في تلك النصوص، وأعني بالدرجة الأولى كوني ناقدًا، أو أضع نفسي موضع الناقد، أقول أعني بالجماليات الأدبية وسبك العبارة وترابط الصورة وتأثير ذلك في المتلقي.

ولم أغفل أيضًا البعد الفلسفي لتلك النصوص، فالعمل الأدبي يعني الشكل والمضمون والبعد الجمالي، وهناك البعد الرابع وهو العمق الفلسفي للعمل، لأنَّ أيَّ عمل فلسفي لا يحمل في طياته خطرات فلسفية لا يعيش ويستمر.

وقد اطلعت على بعض أعمال الأستاذ ماجد الفكرية التي يمكن أن أطلق عليها الفلسفية وهي تلك الكتب التي أصدرها ونشرها عبر مؤسسة المثقف، وتابعت في الوقت نفسه الدراسات التي كُتبت عنها من قبل المختصين في الحقل الفكري والفلسفي وهم أفضل مني في هذا المجال، وهذا ما يشير إلى أن لأستاذ الغرباوي يحتل مكانة مرموقة في عالم المعرفة بشهادة كبار المفكرين.

المواضيع التي لفتت نظري في كتب الأستاذ ماجد هي:

تناوله السلبيات بتتبعها من المنبع . إنَّه لا يغطي القبيح أو يجمله بل يتتبع جذوره لكي يستأصله.

لا يجمال في المواضيع الجديدة، فهناك المنهج المقارن عنده بين (أ) و (ب) بتبيان نقاط التشابه والاختلاف ثم يختار الأصوب أو يختار الاثنين إذا كانا متساويين.

معالجة العادات والتقاليد لا عن طريق التغيير بالعنف بل بمبدأ التسامح عن طريق خلق التكافؤ، وإيجاد البديل.

اهتمّ اهتماما كبيرا بالخرافة والأسطورة لكنّه لم يعالجها مثلما فعل السلفيون بالتكفير أو بالعنف ثمّ إحلال نمط أسطوريّ خرافي بديل ومثلما فعل ويفعل الثوريون واليساريون عن طريق العنف والإلغاء بل بالحوار الهادئ وتطوير المجتمع نفسه واللجوء إلى وسائل العلم الحديثة. لأنّ الأسطورة تشكل تراكمات مقدّسة وتتعلّق بعض مسارها بالدين والفكر القومي فمن الصعب أن تجتثها من دون أن تجد البديل لقد وجد الاستاذ الغرباوي أن مجتمعاتنا بقي متمسك بالماضي في حين هناك حركة عالمية عائرة وأحد وسائل التغيير هو الالتفات إلى الحاضر.

إنّ من الأمور المهمة التي لفت الانتباه إليها السيد الغرباوي هي قضية تفكيك العقدة الاجتماعية، تتبعها وتحليلها وإيجاد البديل لها فمحّن نقف أمام عقد كثيرة متشابكة تخص المجتمع وتتعلق بسلوكه وهويته ووجوده، فتعدد العقد يجعلنا نضيع في متاهتها وتشابكها ما لم ندرسها واحدة واحدة ونحللها، إلى مفرداتها من دون أن نغفل عن علاقتها بالعقد الأخرى.

وفي الختام أودّ الإشارة إلى أنني فخور حين أقرأ نتاج المفكر الفيلسوف الغرباوي الذي كتب عن كثير من المفكرين، وأجديني أيضا في غاية السعادة والحبور حين أطلع أعماله الأدبيّة فأكتب عنها، فهو الفيلسوف الأديب الذي تستحقّ أعماله كل تقدير واحترام.

أما المفاهيم الأساسية في فلسفة ماجد الغرباوي، فهي:

المفهوم الأول: التسامح

يحتل التسامح في فكر الباحث ماجد الغرباوي موضعاً مهماً لكننا نستشف من بحوثه في الموضوع ذاته أن التسامح لا يجب أن ينطلق من مقطة ضعف ولا ينتهي إلى قسوة، وهو هنا يمثل قيمة التسامح النوعية فلو عدنا إلى التجارب الناجحة في فكرنا العربي والإسلامي لوجدنا أن السنة المحمدية تحتوي تسامحاً كبيراً وواسعاً في فتح مكة مع من سببوا قتل عمه، وحين قدم زعماء القبائل يسلمون أبقاهم النبي في مناصبهم تلك ليستفيد من خبرتهم في الدولة الجديدة، وهذا يعني أن الباحث الغرباوي لا يعني بما يسمى مبدأ الاجتثاث، ولا يفكر فيه، ففي فلسفة غيره من المفكرين يتأسس الاجتثاث على رفض كل من شارك في العملية السياسية السابقة، نعم إننا لا ندعو إلى مسامحة من اقترفوا جرائم بحق المجتمع غير أننا لا يمكن أن نعاقب الجميع، ولنا مثال واضح في العملية السياسية التي جرت في العراق بعد الاحتلال حين دفعنا آلامنا ومآسينا التي تسبب بها النظام السابق على إلغاء والاجتثاث والتأثر غير المنضبط انهارت الدولة بكاملها وجرت عمليات انتقام وانهارت البنى التحتية إلى درجة أن بعض الباحثين رأى أن نظام الدولة المنضبط لن يعود إلى البلد في فترة قصيرة .

هذ فيما يخصّ أما فيما يخصّ المجتمع نفسه فهناك الخصوصية العربية التي تستند إلى الموروث القديمويلتزم بها المجتمع العراقي منها على سبيل المثال الثأر وغسل العار، بعض هذه العادات أصبحت تفرض نفسها على القوانين الحمومية فيكون لدى الدولة قانونان واحد موم الذي يتضمنه الدستور للمساواة بين المجتمع وقانون العشائر المتعارف عليه منذ عصر ما قبل الإسلام. وأقرب مثال على ذلك حين تعفو الدولة عما تسميه مثلاً خائناً لكن العشيرة ات تقنع بالعفو لأن عمله جلب عليها العار، فتخضع الدولة لقانون العشيرة المتعارف عليه وتضطر الدولة إلى أن ترضخ للأمر الواقع.

إن مفهوم التسامح حسب رأي المفكر الغرباوي يميل إلى الاستفادة من عامل الزمن واستغلال تثقيف المجتمع وجعله حضارياً أكثر من كونه عشائرياً، ومجتمعاتنا

العربية ومنها العراق تحتاج إلى وقت تتم فيه إعادة بناء المواطن حضاريا فما وجدناه من سلوك حسن مواكب للعصر ساعدت الدولة على بقاءه وما وجدناه سيئا أوقفناه ثم محوته بسلوك حضاري مواز وإن تطلب ذلك وقتا.

تبقى النقطة الثالثة في مفهوم التسامح وهي حلّ الخلافات بين الشعوب للعيش بسلام، في هذا الموضوع يركز الباحث على أن تسعى الشعوب بمخاصة المتجاورة إلى حل كل خلافاتها بالحوار، يجب أن يكون هناك لقاء حضارات، وتلاقح حضارات وليس صدام حضارات. إن الحضارات لا تتصادم بل تتلاقى، فما زلنا حين نتمعن في فكر الغرباوي التسامحي نجد أن المنطق الأرسطي وهو نتاج وثني أبدعته الحضارة اليونانية يدرّس ويطبق في كل جامعات العالم ومنها جامعاتنا الإسلامية كالأزهر والنجف وقم والقيروان، فهذه النتاج الحضاري الوثني يلتقي مع الفكر الإسلامي، ويتفاعل معه فهو نقطة التقاء لا افتراق وعداء والأمثلة كثيرة لا تعدّ ولا تحصى.

ثانيا مفهوم التجديد:

الذي يطّلع على فكر الغرباوي من خلال مؤلفاته يجد أنه يدعو إلى المزاوجة بين ثلاثة حقول: الدين والديمقراطية والسياسة، فهو لا يدعو إلى فصل ذلك المثلث، ليسلب المجتمع من تراثه وفكره، فلاخوف على ضياع الدين لأنّ الأمة نفسها هي حاملة الفكر الديني، ويمكن أن يكون الدين عامل خسم في المجتمع يمكن أن يفركه أو أن يجمعه، وقراءة ماجد الغرباوي تتمثل في قراءة النصوص الدينية البعيدة عن العنف وفهم مشاهد العنف في القرآن الكريم على أنها جاءت في وقتها ولأسباب لذلك نحن نفهم الدين على أساس أنه كائن حي، يمكن أن نحيه نحن بالتركيز على منابع التسامح فيه ونشرها والتأكيد عليها بداعي الدعوة إلى الأخوة مساواة بين أخ الدين وأخ الإنسانية والمواطنة، والسياسة نفسها يمكن أن تستفيد من الدين من خلال مبدأ المساواة بين المواطنين واختيار الأكفأ لوظيفته، على وفق رأي ماجد الغرباوي أن اليهودي يمكن أن يصبح وزيرا إذا كان مفؤا والمسيحي ورئيس الدولة

المنتخب المسلم هو ممثل لكل الأديان والطوائف، فهو يتعامل مع الأزدي بصفته أزديا لا مسلما وكذلك مع المسيحي والمندائي واليهودي ليشعر الناس بالأمان وليشعر المجتمع أن أساس الحكم فيه هو العدالة لأن الدالة هي السمة المشتركة في كل الأديان ومنها الدين الإسلامي .

إن كثيرا من الباحثين رؤوا صعوبة بين توحيد أضلاع المثلث (السياسة والدين والديمقراطية) لكن لتعمقنا في فكر ماجد الغرباوي لوجدنا أنه يمكن الجمع بين تلك الأضلاع المتنافرة من خلال التركيز على ما يبدو لنا أنه إيجابي وتاويل مشاهد العنف في الدين على أساس أنها وقتية أو لها مدلولات رمزية بخاصة إذا جاءت تلك المشاهد في الكتب المقدسة (التوراة العهد الجديد القرآن). أما في سير الأنبياء والتاريخ فالحال واسع لرفض والشك في كل ما هو يثير الشحنة والبغضاء والعداوة بين المجتمع، فالقراءة الخاطئة للدين أدت بنا إلى دمار هائل وقد تحقق ذلك حين قرأ الماضون ومن عاشروا النبي فكثرت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا فكانت الضحايا بالآلاف قياسا إلى نفوس ذلك الوقت.

المفهوم الثالث: التجديد

يفهم المفكر الغرباوي التجديد على أنه فهم للواقع المعاصر وموازاته بما يناسبه، وهذا مانجده في القرآن الكريم في باب الناسخ والمنسوخ. إن الغرباوي يؤمن بالثوابت الأساسية كأصول الدين وهي التوحيد والنبوة والعدل الإلهي، وغيرها وكذلك بالأفروع مثل الصلاة والصيام والحج أما التجديد الذي يؤمن به فهو في الحقول التالية:

1 - الاقتصاد.

2 - الاجتماع. خاصة نمط تفكير المجتمع والعادات والتقاليد.

3 - السياسة.

من هذه الفروع الثلاثة يمكن أن نجد علاقة بين الدين والديمقراطية والعلم فما هو خارج عن العلم في موضوع العادات فعلينا إلغاؤه، وما هو غير مناسب من موضوع

اقتصادي قديم وجدناه في عصر البعثة وما بعدها فيمكن تغييره، على سبيل المثال قضية الزكاة والخمس لتحقيق العدالة ومجتمع الرفاهية يمكن زيادة نسبة الضرائب، وإيجاد ضرائب أخرى مساعدة، إن المجتمع يتطور ولا يمكن أن نبقى على الموروث الاقتصادي الوارد إلينا من عصر صدر الإسلام من دون أن نغيّر فيه لأنه موضوع لا يخص الأصول بل المعاملات والاقتصاد.

المثقف مرآة مبدعها!!

بقلم: د. صادق السامرائي¹

في تسعينيات القرن العشرين كنت غاطسا في الكتابات الروحية، ونشرت عددا من النصوص في المجلات المهمة بها، وبعد إنطلاق الصحافة الإلكترونية، نشرت بعضها فيها، ومنها نص أشبه بالمناجاة مع جبران خليل جبران، ومطلعه " وَلَدَ الرُّوحُ قَبِيلَ الْأَزَلِ.. وتهادى ببراقِ الأبدِ، في قلوبِ كُضَيَاءٍ وَسِعَتْ... كَوْنٌ حَبٌّ لِّجَمِيعِ الْبَشَرِ".

وفي ذات اليوم وصلتني رسالة تُعَلِّمُنِي بنشر النص المذكور، في صحيفة إسمها "المثقف" وتدعوني للكتابة فيها، وتوقيعها "أبو حيدر"!!

أول ما شدني الإنجذاب للنص وهو يُبحر في المعاني الروحية، فالمنجذب إليه لا بد أن يكون صاحب حس روحي، لكنني ترددت في النشر، بسبب مَنْ غمروني برسائل لا تشجعي على النشر فيها، لأن إسم صاحبها مجهول.

ومضيت أتابعها لبضعة أيام فاستشعرت الإرادة الثقافية الحرة، وكأنها تحاول أن تبني منبرا إبداعيا مشرقا بالمعارف الصالحة للحياة الأفضل، فأخذت أمدّها بنص ومقالة كل يوم، وما أن بدأت حتى تواصلت بلا إنقطاع، وشعرت بالمسؤولية أن أنشر فيها يوميا.

"المثقف" إبتدأت بذرة تكثر طاقات تنويرية ورسالة إنسانية تسامحية، وإرادة راسخة وثابة، وثقة بأنها ستنبث وتتبرعم وتتحوّل إلى شجرة، ومروج أنوار معرفية دفاقة في فضاءات الوعي الجمعي العربي.

1 - كاتب وشاعر - أمريكا.

فالتواصل معها منذ خطواتها الأولى ينظر بإعجاب ودهشة لما أنجزته في مسيرتها، التي إنتصرت فيها على التحديات والمعوقات، وفازت في المنازلات التي خاضتها، وهي تحمل رايتها وتمسك برسالتها.

وتميّزت بإستقطابية عالية للأفلام العربية المؤثرة في الواقع الثقافي ، والمتفوقة بقدراتها الفكرية والإبداعية، فأصبحت مدرسة معرفية متنوعة الموضوعات والدروس.

ويمكن القول بأنها موسوعة ثقافية فريدة وفعّالة، أسهمت بتفاعل العقول وتواصل الأفلام الحرة المنوّرة، التي زادت مساحة السطوع الإنساني في أرجاء الأمة.

فالمثقف إنجاز فكري ثقافي مرموق ورائع يستحق التباهي والتفاخر، وتعبير صريح وشديد الوضوح عن الإرادة المشرقة، ذات الإمتدادات الحضارية والإنسانية المطلقة.

ويقف وراءها إنسان مبدع مؤمن بالكلمة الصادقة، ومتواصل بإصراره على إعلاء شأن الفكرة الطيبة الصالحة للحياة الحرة الكريمة.

وهو يمثل الإرادة الكبيرة المتحدية المثابرة، التي تنتصر على المرض والمعوقات بأنواعها، ويمضي بهمة فائقة وصولاً أصيلة واثقة، حاملاً مشاعل التنوير المعرفي الإبداعي، اللازمة لطرد الظلام والضلال والخداع والبهتان.

مما جعلها تحمل رسالة الصفاء والألفة والمحبة، والصدر الرحب والأدب الأنيق، والأمل بمستقبل أحلى وأجمل، ففيها معين دفاق من الأفكار الإيجابية، ومناهج صيرورات حضارية متوافقة مع إرادة الأمة، وتطلعات براعم أجيالها المتوافدة.

وصاغها مثلاً حياً على الجد والإجتهاد والتواصل والإصرار، والإيمان بالعمل والتفأؤل بالإنجاز، وبها يؤكد إرادة أكون التي تحتاجها أمة عليها أن تكون.

فصارت مشروعاً إنسانياً مؤهلاً للتعبير عن القدرات الإبداعية، بأسلوب ثقافي متقدم على غيرها من المواقع والصحف الإلكترونية، وتتفاعل على منبرها عقول ذات قيمة فكرية وعلمية وأدبية مهمة ومتنورة.

وميّزها بتبني ضرورة الاختلاف وأهميته لبناء الحياة، والتأكيد على ثقافته وتوظيفها الإيجابي للتقدم والرقاء، مما يؤكد على رؤية حضارية معاصرة وسبّاقة في واقعنا العربي.

فهي تمتلك مرونة واسعة وحرية تستحق التقدير والإحترام، ويبدو أن لمبدعيها القدرة الأخلاقية على جذب النوعية المتميزة من الكتاب الذين يساهمون في النشر على صفحاتها.

فالمثقف ذات رفعة وسمو، وتتسامى على الحالات السلبية، ولا يمكن لكتاب بلا رؤية إنسانية وفهم ثقافي معاصر أن يتواصل على صفحاتها، وأي ضيق في الرؤية والأفق تنهاوى وتنحسر.

وهذا السمو الخلاق منحها قوة معنوية وفكرية خاصة، فأصبحت تضم شريحة من المثقفين المتميزين في ميادين إبداعهم، ويمكن مقارنتها بمجلات مهمة في العقود الماضية، أوجدت مبدعين مهمين في الثقافة العربية، لإجتذابها للنخب الفكرية والأدبية والإبداعية الأصيلة، الصادقة المحبة للمثل والقيم الإنسانية الراقية.

فقوة المواد المنشورة، يتفق والنوعية المتميزة للكتاب الذين ينشرون فيها، ولقدراهم الواضحة في الدراسة والتحليل والنظر الموضوعي والعلمي، الذي يهدف إلى التبصير بالحقيقة وتقديم المعلومة بأسلوب حضاري معاصر.

وهي صحيفة رحبة، بمعنى أنها ليست ضيقة الأفق، أو منزوية في زاوية حادة، فهي ذات آفاق وتفاعلات إنسانية متسعة كما الكون يتسع، وفي هذا تأكيد على وعيها لطبيعة العقل البشري ومعاني الإبداع الصحيح، اللازم لتقوية القيم الإنسانية وتعزيز الألفة المحبة والأخوة والتسامح والسلام.

وتميّزت بالتواصل والتحدي، لأنها مشروع ثقافي متنامي، وقد مضت في طريق تأكيد الدور والفعالية برغم الصعاب وكثرة الصحف الإلكترونية، ففي البداية لم يصدق الكثيرون بأنها ستنجح، لكنها استطاعت أن تشق طريقها بجدارة ونجاح فائق.

ولديها خطاب ثقافي معاصر ومتفتح، فهي بستان أفكار ورؤى وتصورات إبداعية ثاقبة، حتى في تخاطب إدارتها مع الكتاب، تقرأ معالم السلوك الخطابي المتحضر وإحترام خصوصيات الكتاب، وتضمن جهودهم ودورهم في المشروع.

وتبذل جهدا ثقافيا يوميا، فهي تتواكب مع الأيام ويندر أن تنقطع عن الصدور إلا لأسباب تقنية، بعكس الكثير من الصحف التي تتعثر في صدورها وتتوقف لأيام، وهذا يعكس حسن الإدارة والتفاني في الجِد والإجتهاد للوصول إلى ذروة النجاح والتألق.

ومن أهم أسباب نجاحها إلزامها برسالتها ورؤيتها ومنهجها، ونجاح أي صحيفة يرتبط بقدرات رئيس تحريرها على الإدارة والتفاعل مع الكتاب والقائمين عليها، ومن الواضح أن الأخ رئيس التحرير يتميز بقدرات ناجحة وأخلاقيات سامية وثقافة عالية، أهله لأن يكون قائدا ناجحا لهذا المشروع الثقافي الباهر، ونرجو له التوفيق والنجاح المتواصل والعطاء الأصيل.

هكذا أرى الأستاذ ماجد الغرباوي من خلال منظار تفاعلي مع المثقف منذ إنشائها، وقد أعطى مثلا حيا لقدوة فكرية ثقافية ذات قيمة حضارية تنويرية وهاجة، فالمثقف مرآة مؤسستها، وهو هي!!

فتحية للمثقف ولحادي ركبها التنويري الساطع الفيض!!

ماجد الغرباوي .. المفكر المستنير

بقلم: د. عبد الرضا علي¹

ما قدّمهُ المفكر المستنير الأستاذ ماجد الغرباوي للثقافة العربيّة الفاعلة من إضاءات ، وللمثقفين الحقيقيين من رعاية عجزت عنه مؤسسات حكوميّة كبرى، فقد جعل من صحيفة المثقف التي يرأس تحريرها منبراً للوعي الفكري، وللثقافة الإنسانية المحصّنة، سواء أكان ذلك في الشعر، أم النقد، أم في التشكيل الفنّي، أم في السرد الباهر، أم في غير ذلك.

وفضلاً عمّا كتب من أسفار مهمّة في الفقه، والعقائد، وما إليهما من مقاصد إسلاميّة، فقد اضطلع بإعداد كتبٍ تكمليّة تناولت حيوات، وأثار العديد من المبدعين العراقيين ممّن كانت لهم بصماتهم في الحراك الثقافي الموضوعي .

ولأنني في وضع صحّي مُتعبٍ جدّاً، فأرجو عفوّه، وعفو القراء الكرام عن تقصيري في هذه الأسطر عن ردّ بعض جميله، فقد رعاني خير رعاية، واحتضن مقالاتي النقدية، بأن نشرها بإخراج جميل، وحروف ملوّنة، فإليه أحنّي هامتي عرفاناً، وتقديراً، ومحبةً .

1 - باحث وناقد - كاردف - بريطانيا

كلمة حق!!

بقلم: ا.د. مصدق الحبيب¹

تعرفت على الصديق والاخ الاستاذ ماجد الغرباوي منذ السنة الاولى لتأسيسه موقع ومجلة المثقف التي تحولت فيما بعد الى مؤسسة المثقف العربي ومركزها سديني - استراليا. ولم يمض وقت طويل حتى ترسخت علاقتنا بحكم التقارب في افكارنا وفلسفتنا ونظرتنا لما يدور حولنا من شؤون وطننا الذي ابتلي بسلسلة من الفواجع. وكذلك بحكم احترامي الجمل لخلقه العالي وكرمه وتواضعه.

عرفت في الاخ الغرباوي رغبته الصادقة لشق طريق مختلف تماما عما انتشر من مواقع وصحف ومجلات انتشارا انفجاريا على الانترنت وماهو مطبوع. كان همه الاول هو نشر الكلمة الصادقة وتنمية الافكار الناضجة ورعاية الافلام الجادة الملتزمة بالوطنية الحقبة البعيدة عن التكتلات والتحزبات والاصطفافات العقائدية والمذهبية. وهذا امر واضح لمن يريد ان يلقي الضوء على تاريخ ما نشرته المثقف منذ تأسيسها ولحد اليوم والذي سيجده خاليا تماما من الترهات الصحفية ومنشورات الانترنت الهادفة الى الاثارة او الى التحزب والتنازع وتجنيد العواطف مع او ضد هذا الطرف او ذاك.

وحري بي القول ان الاخ الغرباوي أخذ على عاتقه تمويل هذا المشروع من جيبه الخاص دون مساعدة او تعاضيد من أي جهة. وقد مضى الى دعم نشر عدد من الكتب لشخصيات ادبية وثقافية مهمة، ثم بدأ بالتدريج وبأناة لنشر مؤلفاته الخاصة التي فتحت حقلا جديدا وسلكت دربا حاسما لم يسلكه احد من قبل حسب معرفتي

1 - أكاديمي، اقتصادي، فنان تشكيلي وخطاط - أمريكا

المتواضعة. وهكذا خرج الى النور مشروع الغرباوي الفكري بعدة اجزاء، وما زال ماض في الصدور.

لقد ركز مشروع الغرباوي على البحث الجاد في موضوعات فكرية تنويرية اكتسبت اهميتها القصوى في هذه المرحلة الثقافية والحضارية المعتمدة من تاريخنا الحديث. فما احوجنا مثلاً للتنوير في اشكاليات السلطة والحكم والاستبداد، والحرية والعنف والتسامح والتعايش، والدين والعقيدة والمواطنة! وفوق ذلك فقد أخذنا الغرباوي الى فضاء فكري آخر، ادق واعمق وله ضرورة حاسمة اليوم في مجتمعنا العراقي والعربي الذي يشهد نكوصاً ثقافياً وحضارياً مفاجئاً. ألا وهو الغور في موضوعات الحقيقة والاصلاح، والقدسية والدين والآلهي السماوي والبشري الارضي، واشكاليات الفقه والتفسير والحكمة والتشريع.

وليس اصدق من أن نراه يلخص رسالته الفكرية وهدفه التنويري بالقول انه يسعى الى:

" تحرير العقل من بنيته الأسطورية وإعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة. وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، ومن خلال قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، من أجل فهم متجدد للدين، كشرط أساس لأي نهوض حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابد والاحتراب".

فمن فكر وسيرة هذا المعلم الجليل نتعلم وتتعلم الاجيال القادمة ليتمهد السير باتجاه العقل الراجح والوعي الرصين الملتزم من اجل المواطنة الحققة والعيش بكرامة وسلام ومحبة للجميع.

ماجد الغرباوي شجرة ضوء توزع ثمارها هدايات.

بقلم: الأستاذ أنطوان القزي¹

ما يجمعني بماجد الغرباوي ليس "موقع المثقف" الذي يشرف عليه وحسب، وليس عمق مؤلفاته وفكره التنويري، بل هي المسافة الملغاة بيني وبينه في النظرة الى الواقع والرأي بالمرورث والجامد والمتحرك، بل لأن كوكب ماجد الغرباوي التنويري، جعلني أسبر خاصيته التي تتجلى فيها مضامين لم يطرقها سواه جرأةً وتحليلاً وتثقيفاً.

ولكم استوقفتني عناوينه: التجدد، التسامح، والحركات الاسلامية، والمرأة، والاصلاح والتجديد، وهو المتخصص في علوم الشريعة والعلوم الإسلامية..

تعرفت إلى ماجد الغرباوي الإنسان وتابعت أخباره ككاتب، وكشاعر وباحث دؤوب؛ حيث يسعى من خلال مشروعه الى ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتناوب والاحتراب.

وتابعته قلماً لماحاً في إطلاقاته عبر المواقع والصحف، وهامة عراقية تشي بنبل السعي ورفعة الصياغة، فوجته كشجرة الضوء توزع ثمارها هدايات، ويراعاً أثقل السطور رحاب معرفة.

كيفما قلبت كتاب الحضور الثقافي الإغترابي تراه حاضراً: في المناسبات الفكرية وفي الندوات وحفلات إطلاق الكتب، وكأنه سفير الحضور الإبداعي لبلاد ما بين النهرين..

1 - كاتب وشاعر، رئيس تحرير "التلغراف" الأسترالية

لم يتوقف الغرباوي عند إرث تاريخي يحتزنه، بل أضاف إليه ما فيه الغنى والألق والإشراق.

وكم أسعدُ عندما يزفّ إليّ ماجد الغرباوي وإلى الجالية العربية كتاباً جديداً أرى فيه نхраً موفورَ الضفاف في عُسر نتاجنا الإغترابي.

ختاماً، شهادتي بمجد الغرباوي، هي أنني رقة هزارٍ يزهو بعرش الأديم الى جانب النسور، حيّاه الله أديماً لكل طالب معرفة.

المفكر ماجد الغرباوي

جهد التأسيس الثقافي والانتشار الاجتماعي

بقلم: الأستاذ محمد محفوظ¹

حينما نتحدث عن تجربة دينية أو فكرية أو سياسية، ونعمل على تظهير العناصر الإيجابية ونقاط القوة فيها، هذا لا يعني خلو التجربة من مطبات أو عيوب أو نواقص، لأن هذه من طبائع الأمور . وفي إطار استفادة الأجيال اللاحقة من هذه التجارب، تتأكد الحاجة إلى تظهير عناصر القوة ومؤشرات التميز في هذه التجربة أو تلك . لأن هذا التظهير هو سبيل أخذ العبر والدروس من هذه التجارب في كل مراحلها وأطوارها . وهذا الكلام ينطبق على كل التجارب سواء كانت دينية أو ثقافية أو اجتماعية . وتنوع هذه التجارب لا يلغي حاجة المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة إلى الانفتاح والتواصل مع هذه التجارب بصرف النظر عن مآلاتها ونتائجها المباشرة . ففي كل الأحوال تتأكد حاجة الأمة الدائمة لفحص وقراءة تجارب علماء الأمة ولا سيما من خاض غمار التحدي وتصدى لشؤون الأمة المختلفة في ظروف وأوضاع حساسة ودقيقة على المستويات الثقافية والسياسية والأمنية .

وفي سياق ضرورة الاهتمام بمعرفة تجارب الإصلاح في الأمة جدير بنا أن نتوقف عند النقاط التالية :

1- الأمم الحية هي التي تحتضن عظماءها وفعالياتها وزعاماتها، وتعمل على الاستفادة منهم إلى أقصى حدود . أما الأمم الميتة والخاضعة لتأثير ثقافات الجمود والاجترار، فهي تعمل على عرقلة مسيرة الإصلاح ومحاربة المصلحين، وإطلاق حروب الأوراق الصفراء ضدها، كوسيلة فعالة لمنع إتساع تأثير هذا المصلح سواء

1 - كاتب وباحث من السعودية

على الصعيد الشخصي المباشر أو على صعيد خياراته العامة وأفكاره وأطروحاته الفكرية والحضارية .

و أحسب أن ما تتعرض إليه مشروعات الإصلاح وشخصياته من حروب متعددة وتشويه متعمد تشترك فيه لاعتبارات عديدة جهات متنوعة، ساهم في منع بعض شرائح الأمة من الاستفادة من هذه التجارب والاستفادة من فكر وتوجيهات ودروس هذه التجارب .

وهذا يحمل شرائح الأمة المختلفة مسؤولية صياغة رؤية حضارية في التعامل مع علماءها ومصلحيها، بحيث لا يتم الاشتراك في تعويق عجلة الإصلاح في الأمة، تحت يافطات وعناوين ليست دقيقة وتساهم في عملية التسقيط المادي والمعنوي لكل راية وتجربة تحمل مشعل النور والتنوير في الأمة ..

وتعلمنا مختلف التجارب أن الأمة بكل فعاليتها تتحمل مسؤولية دينية واجتماعية وأخلاقية للوقوف في وجه كل الأطراف التي تشن حروبا ظالمة على المصلحين في الأمة . فلا يجوز الصمت والتوازي عن الأنظار في المرحلة التي تتجه فيها بعض الإرادات لاستهداف تجارب الإصلاح في الأمة . وأدنى ما يمكن أن تقوم به شرائح وفئات الأمة المختلفة هو عدم الاشتراك في مشروع الاغتيال المعنوي لأي شخصية تحمل هم الإصلاح وتعمل من أجله... .

2- تجارب الإصلاح الديني والثقافي والسياسي في الأمة، ليست تجارب نهائية ومقفلة، وإنما هي تجارب مفتوحة على كل العطاءات التي تساهم في إدامة واستمرار هذه التجارب من جهة، ومن جهة أخرى مفتوحة على الإضافة ومشروع التراكم المعرفي والفكري . لذلك ثمة ضرورة معرفية وتاريخية لتزخيم التجارب الإصلاحية في الأمة بعطاءات نوعية، متميزة، ترفد الساحة بالمزيد من الرؤى والأفكار التي تستهدف تحرير الأمة من ربة التخلف والاستقالة من المسؤولية . وكما يقول احد المصلحين [فعندما نكون أمة العقل، لا أمة الانفعال، وأمة الإرادة لا أمة الاسترخاء، وامة اقتحام المستقبل، لا امة النوم في انتظار المستقبل، فإننا نستطيع أن نتقدم] ..

3- ثمة ضرورات عديدة ذاتية وموضوعية، تؤكد أهمية أن يلتقي أهل النور والتنوير والتجديد في الأمة مع بعضهم البعض، لتبادل الآراء والخبرات، وتطوير نسق التعاون والوصول بمشروع الإصلاح والتجديد إلى مديات واسعة .. فما يطمح إليه أهل التجديد والإصلاح في الأمة، لا يمكن لأي طرف بوحده أن يفي بحاجاته ومتطلباته، ولا خيار أمام الجميع إلا العمل على بناء كتلة واسعة من الإصلاحيين تنسق مع بعضها البعض وتدعم وتسند بعضها البعض وتدافع عن بعضها البعض وتعمل بشكل مشترك لبناء مشروعات مشتركة تعزز من خيار الإصلاح والتجديد في الأمة.

و ذلك [لأن الانسان في المفهوم الإسلامي يمثل المخلوق الذي يتصل العمل بكل موقع من مواقع وجوده بحيث يمثل العمل مسؤولية كل طاقة من طاقاته، بحيث إنك ستسأل عما عملت في عمرك، وعما عملت في شبابك، وعما عملت في عمالك، وعما عملت في مالك، وعما عملت في كل ما يحيط بك ليكون العمل هو حركة المسؤولية في كل حياة وهذا ما نؤكد فيه نستوحيه من التأكيد في القرآن الكريم على العمل كأساس لسلامة المصير إذا كان العمل إيجابيا وعلى العمل كأساس لابتعاد المصير عن خط السلامة إذا كان سلبيًا . (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)¹

ولابد أن نتذكر جميعا : إن أمة لا تدافع عن مصلحتها لا تبلغ الرفعة والتمكين، وإن أمة لا تقرأ تجارب مصلحتها، ستصاب بالضمور والتآكل الداخلي .

من التاريخ الفكري:

تشدني فكريا ومعرفيا كل الكتابات المتعلقة بالسير الفكرية والتجارب الثقافية .. لأنني أعتقد أن هذه الكتابات، تحتضن الكثير من العبر والدروس، الذي يستفيد منها الإنسان بعمق وصدق في آن ..

1 - سورة الزلزلة، الآية: 7.

فإنسان من الناحية البيولوجية لا يستطيع أن يعيش حياة الجميع، ولكنه بإمكانه أن يستفيد من تجاربهم وأطوار حياتهم الفكرية والمعرفية ..

ولا يمكن أن يتحقق ذلك من دون الإطلاع على سيرهم الفكرية وتجاربهم الثقافية .. ولقد اعتنى العديد من المفكرين والمثقفين بكتابة بعض سيرتهم الفكرية .. فطه حسين ودون بعض سيرته في أيامه، والدكتور سمير أمين كتب سيرة ذاتية فكرية وجلال أمين وأمين صايغ وحازم صاغية وزكي نجيب محمود في حصاد السنين وعلي حرب في خطاب الهوية — سيرة فكرية وغيرهم من المفكرين والمثقفين الذي كتبوا سيرتهم الثقافية .. وجميع هذه السير مليئة بالمضامين المعرفية والإنسانية التي تستحق التأمل العميق فيها والاستفادة منها على المستويين الخاص والعام ..

ويحاول الدكتور علي حرب في كتابه الموسوم بخطاب الهوية .. سيرة فكرية، أن يوضع لقرائه جملة الأطوار النفسية والفكرية والفلسفية، التي مر بها في حياته العامة والعلمية .. وكتابه المذكور أعلاه، عبارة عن مسيرة فكرية، نضجت وتطورت، واتخذت أبعادا عديدة، وخيارات مختلفة، وهي ما زالت سيرة مفتوحة على كل الخيارات والقناعات والأفكار الكبرى ..

لذلك يقول (حرب) في سيرته: وأيقن أن هويته هي كل هذا الاختلاف والتعدد، وكل ذلك التعارض والانفصام، وإنها أضيق ما تكون من وجه وأوسع ما تكون من وجه آخر .. فهي تضيق في حدها الأقصى لتقتصر على ما يخصه وحده وينحاز به عما سواه ..

وإذ ذاك ينفرد بوجوده الخاص، ويتماهاى مع حقيقته الذاتية فيبرأ من كل نسبة، ويعبرى عن كل إضافة، غير مدرك سوى أحديته، وإنه هو لا يشبهه شيء ..

ولكن هويته قد تتسع في حدها الآخر إلى درجة الذوبان والتلاشي في هذا العالم .. ويدون الدكتور سمير أمين في سيرته الفكرية هذه الحقيقة (لم تكن اهتماماتي الفكرية على الإطلاق اهتمامات جامعية بالمعنى الضيق للكلمة، بل اعتبرت نفسي دائما، بالأحرى، مناضلا لتحرر الشعوب، واضعا بخدمتها كل المعرفة التي أستطيع الحصول عليها من خلال تكويني الفكري .. وكانت التحليلات التي اعتقدها صائبة

تستوجب بالنسبة لي مواقف وخيارات سياسية .. وما زلت إلى الآن أحمل وجهة النظر الجوهرية هذه ذاتها .. فهناك إذن علاقة وثيقة بين هذه التحليلات واللحظة التاريخية والسياسية التي تقع ضمنها والخيارات العملية التي سلكتها) ..

وتظهر هذه السير الفكرية، بمختلف أطوارها وأنماطها، أن الانحباس في نمط فكري، بلا قناعة عقلية وعلمية ثابتة، يؤدي إلى ممارسة الأعمال النقيضة لها على مستوى السلوك، لأنه لم يتسرب إلى دواخل النفس والوجدان ..

كما أن القناعات الفكرية، ليست خيارات نهائية، ليس بمقدور الإنسان تطويرها وتغييرها .. وإنما هي مشروع مفتوح على الإضافة والتطوير والتغيير ..

وبهذا يكون المثقف أو المفكر المحتفى به الأستاذ ماجد الغرباوي، إمكانية فعلية ودائمة للمراجعة والمفاكرة، والبحث عن الأفكار الكبرى في فكره، والتعامل معها وفق منهج نقدي، ينضجها على مستوى الذات، ويحدد معانيها ونواقصها، ويؤهل ذات المفكر إلى الإضافة النوعية والتجاوز المعرفي ..

من هنا تنبع ضرورة اهتمام المفكرين العرب، أولاً بتكريم مفكرها والسعي لتدوين سيرهم الفكرية، وأطوار نموهم العلمي والثقافي، حتى يتسنى للقارئ العربي، معرفة منطق التفكير لدى كل مفكر، والتاريخ الفكري الذي مر به المفكر ..

ومن الأهمية بمكان في هذا الإطار، أن نفرق بين المذكرات اليومية، التي غالباً ما توضع وكأنه بطل على الدوام، وإن آراءه الفريدة سبقت عصره، وإنها كانت ملازمة لشخصه منذ بداية تكوينه العلمي .. وبين السيرة الفكرية، التي تجعل المفكر كتاباً مفتوحاً بأطواره الفكرية وقلقه المعرفي، وأخطائه السياسية، وتنقلاته المعرفية ..

لهذا فإن المطلوب، ليس أن يكتب كل مفكر مذكراته، وإنما أن يكتب سيرته الفكرية وأطوارها ومراحلها ..

وما نطالب به ليس جديداً، فقد كتب عميد الأدب العربي (الأيام) كسيرة فكرية ويومية، والدكتور عبد الرحمن بدوي والدكتور حسن حنفي في (محاولة مبدئية لسيرة

ذاتية) وهشام شرابي وأخيرا محمد عابد الجابري في (حفريات الذاكرة)، ولكن يؤخذ على بعض هذه الأعمال، أنها أقرب إلى المذكرات، منها إلى السير الفكرية .. وهناك جملة من المسوغات التي تدفع بهذا الاتجاه، وتجعل العناية بالسير الفكرية، ضرورة معرفية وثقافية أهمها ما يلي :

1- أن كتابة السيرة الفكرية، هو جزء من عملية توثيق المرحلة الزمنية، من زاوية فكرية - ثقافية .. ونحن في العالم العربي، أحوج ما نكون إلى عملية التوثيق الفكري والرؤية الثقافية، إلى جملة الأحداث الجسام التي مر بها عالمنا العربي ..

وتتعمق هذه الحاجة، حينما تكون عملية التوثيق أو صناعة الرؤية الثقافية على منعطفات وأحداث تاريخنا القريب، من قبل المفكرين العرب، الذين يعتبرون جزءا أساسيا من قيادات الرأي في العالم العربي ..

2- إن قنوات المفكر، وآراءه الثقافية والفكرية، ليست ثابتة أو جامدة، وإنما هي قابلة للتحويل والتطور والتغيير، وإن كتابة السيرة الفكرية وبشكل موضوعي، تساهم بشكل كبير في تجديد قنوات المفكر الثقافية والفكرية .. ولا يجعل قراء هذا المفكر ومتابعيه ينظرون إلى آرائه وأفكاره، نظرة نمطية ثابتة ..

وبهذا يكون التعامل مع المفكرين والمثقفين، تعاملًا تفاعليًا، يبتعد عن كل أشكال اليأس والنمطية، ويؤسس لنمط من العلاقات قائم على الحوار والمفارقة والتفاعل ..

3- إن هناك علاقة عميقة، تربط الإنتاج الفكري والثقافي لأي مفكر، والواقع الذي يعيشه محيطه الثقافي والاجتماعي والسياسي .. لذلك من الصعب الفصل بين ما يكتبه المفكر، وما يتطلبه محيطه .. إلا أن النص الفكري الذي ينتجه المفكر، ليس صريحا في بيان خلفية المحيط وتداعياته وتأثيراته ..

وكتابة السيرة الفكرية، تساهم بشكل قوي في بيان الخلفية الثقافية والاجتماعية والسياسية، التي أسهمت بشكل أو بآخر في القنوات التي بثها في نصوصه الثقافية والأدبية ..

لهذا كله، نرى ضرورة أن يعتني المفكرون العرب، بتدوين وكتابة السيرة الفكرية، تساهم بشكل قوي في بيان الخلفية الثقافية والاجتماعية والسياسية، التي أسهمت بشكل أو بآخر في القنوات التي بثها في نصوصه الثقافية والأدبية.

لهذا كله، نرى ضرورة أن يعتني المفكرون العرب، بتدوين وكتابة مسيرتهم وسيرتهم الفكرية والثقافية بتحولاتها وانعطافاتها وصعوباتها وأسرارها، وعوامل التأثير الكبرى في مسارها.

لأن هذا التدوين، يساهم بشكل فعال، في إنضاج الحياة الثقافية، ويبعدها عن حالات الجفاء والتباعد، والقطيعة التي تعمل المنازعات والمنافسات السيئة.

إن السيرة الفكرية، لأي مفكر، هي عبارة عن تحولات عدة، وتفاعلات مختلفة، بحيث أنه نستطيع القول : أنه وليد التفاعل مع مختلف المدارس الثقافية والسياسية والفلسفية المتوفرة في الواقع العربي، وان كشف وبيان هذه المسألة يؤدي في تقديرنا إلى إغناء الحالة الحوارية في الحياة العربية.

وهذا مما يجعل سيرة المفكر ماجد الغرباوي الفكرية والثقافية، تكون رافدا من روافد تعزيز وإثراء الحياة الثقافية العربية ..

بل تفتح سيرته الفكرية، مساحة للتفكير والتأمل، وحقلا من حقول البحث عن الخيارات المناسبة لفضائنا المعرفي والثقافي.

وصراحة المفكر في سيرته، ليست عيبا أو نقصا، وإنما هي إمكان وقوة.

أسوق كل الكلام أعلاه في سياق تكريم الأستاذ ماجد الغرباوي بمناسبة مرور سبعين سنة من عمره راجيا من العليقدير أن يطيل عمره ويمتعه بصحة وعافية، ومتمنيا على الحالة الثقافية في العراق والعالم العربي أن يلتفتوا إلى عطاءات هذا المثقف ويتفاعلوا مع أطروحاته الثقافية والمعرفية الإستراتيجية في بناء الوعي السليم والمنهج الرصين .. كما أدعو الأستاذ ماجد الغرباوي الى كتابة سيرته الثقافية والمعرفية (الفكرية)، حتى تكون نبراسا صريحا على عطاءاته المتميزة لنا جميعا ولأجيال الأمة في المستقبل ..

باقة ياسمين تونسية بسبعين وردة

بقلم: الأستاذ سُوف عبيد¹

منذ أكثر من عشرية ونصف وقصائدي وغيرها من النصوص منشورة بعناية كبيرة وحفاوة لطيفة ومتابعة دقيقة على موقع — صحيفة المثقف — فصار هذا المنبر منارة إشعاع لمختلف كتاباتي يصل مداها إلى الأفاصي نحو مشارق الأرض ومغاربها بالإضافة إلى أنني كنت أقرأ على صفحات هذا المنبر مقالات ذات فائدة جمّة في شتى المواضيع والشؤون والاختصاصات ناهيك عن الأشعار والقصص والمترجمات من اللغات الأخرى بالإضافة إلى تقديم الكتب الجديدة مع الحوارات والمطارحات النقدية والفلسفية والاجتماعية والنفسية والسياسية وغيرها بحيث أضحت — صحيفة المثقف — تمثّل دائرة معارف صغيرة أطلّ منها كل يوم على الدنيا وما فيها وبفضل التواصل مع كتّابها ارتبطت بيني وبين الكثيرين منهم أواصر صداقة بفضل وشائج المودّة والمحبة الخالصة التي نتقاسمها من معين الأدب والمعرفة فلا يسعني إلا أن أذكر من بينهم خاصة الأستاذ ماجد الغرباوي عميد هذا المنبر وأُسّسه وراعيه فقد تابعت حواراته باهتمام على مدى عديد السنوات وشدّني إليها جدية الأسئلة المطروحة والمنبثقة من إهتمامات فكرية متنوعة فإنبرى لها الأستاذ ماجد الغرباوي بإجابات ترشح من سعة إطلاع على عيون تراثنا الزاخر وعلى قراءة عقلانية للقرآن الكريم وعلى روح من التسامح والأريحية تكتنفها فلاحات القدرة على إستيعاب السابق من النصوص وإخراجها من التكلّس والجمود إلى فضاءات رحبة من عمق المعرفة وشمولية النظرة في روح تحررية تنثال في تباريح الصّفاء والمحبة الإنسانية.

1 - كاتب وشاعر - تونس

إن تلك المحاورات العميقة هي مواصلة لمنهج البيان وإقامة البرهان الذي عرفته الثقافة العربية في عصورها الزاهرة حيث كان قائما على بسط المسائل وطرح مختلف الآراء فيها وقد تجلّى في ما قرأناه مثلاً في أدب أبي حيان التوحيدي ضمن كتاب . الإمتاع والمؤانسة — ومثل ما نقله القاضي النعمان عمّا دار بينه وبين الخليفة المعز لدين الله الفاطمي في كتاب . المجالس والمسائرات . فمحاورات الأستاذ ماجد الغرباوي تُبرز شخصية مستوعبة للتراث العربي الإسلامي في بعده الإنساني من ناحية ومن ناحية أخرى تُعلن بوضوح القطيعة مع كان سائدا فيه من تقديس للمقولات الفقهية إلى حدّ التزمّت فهو يدعو إلى المراجعة الشاملة لما استقرّ في الأذهان عبر توالي العصور والأزمان بروح تحرّرية من أجل سعادة الإنسان لأنها هي الغاية من الشرائع والأديان .

هذه هي عين الحكمة والضالة المنشودة التي ما إنفكّت تتردّد في كتابات الأستاذ ماجد الغرباوي ومحاوراته على مدى سنوات عديدة...

فتحية تقدير وإكبار مفعمة بالموّدة والمحبة والإمتنان أرسلها إلى الأستاذ ماجد الغرباوي بمناسبة بلوغه السبعين راجيا له الصحة والعافية وطول العمر مع المزيد من العطاء والتوفيق في إرساء مشروعه الفكري المتنوّر ليفتح آفاقا جديدة في الثقافة العربية وليواصل الإشراف على منبر - صحيفة المثقف - هذا المنبر الذي أضحي ملتقى فكريا وإبداعيا للأدباء والمثقفين العرب ومن بينهم الأدباء التونسيون الذين وجدوا في رحابه العناية والرعاية لنصوصهم بل قد حظي البعض منهم بالتكريم في مناسبات سابقة وكان لي الشرف أن أكون من بينهم .

مسك ختام هذه التحية باقة ياسمين تونسية بسبعين وردة !

المفكر ماجد الضرباوي كما عرفته

بقلم: الأستاذة سنية عبد عون¹

قرأت له منذ سنين خلت من خلال صحيفة المثقف والتي تكون تحت اشرافه.. يسير على مبدأ واحد ولا يمتلك محاباة برأيه ولا يميل لجهة معينة دون أخرى.. يمتلك مهارة في انتقاء افكاره.. عرفناه مفكرا اسلاميا متنورا للرؤى عميق التحليل جلي الأفكار بأسلوب رصين... راقى اللغة رفيع المعاني ولا يهدف من ورائها منصبا أو مصلحة خاصة بقدر ما يهمه انتشار القارئ من ضجيج المفسرين وتنوع مشاربهم وتفسيراتهم التي لا توضح الفكرة انما تعقدها وتسحب القارئ الى مجاهل غريبة بعيدا عن الفكرة الرئيسية..

يمتلك شجاعة في قول الحق ولا يهاب لومة لائم ولا يجانب مهما كانت الظروف المحيطة به.. يعتمد على الاستنتاج العقلي والمفهوم المتحضر بروح انسانية عالية.

يبحث عن الحقيقة لينير العقول التي باتت مشتتة بين هذا وذاك.. رجل ملتزم بقضيته متنور في زمن تتكالب فيه الناس على حطام الدنيا ويحافون الحقائق للمتاجرة بما يطرحونه من أفكار سطحية عقيمة لا تخدم مصلحة الناس بقدر ما تخدم مصالحهم الخاصة.. مسك معوله بثبات وعزم وأخذ يحطم أسوار جهلهم وخرافاتهم التي عشعشت في عقول الكثير من الناس حتى كأنها غدت من الأمور المسلم بها.

لقد أسس بجهود مضيئة مفاهيم جديدة راسخة لفهم الدين بصورته الجليلة الراقية كما أراد لها الله سبحانه وتعالى وبذلك دك معاقل التابوهات.. وسيكون لأطروحاته أثر كبير في تحويل اسلوب الدراسة الى المنهج الحديث بعيدا عن المواعظ

المكررة والساذجة التي أرادها الظلاميون ان تكون طريقهم لارتقاء سلم مجدهم المزيّف عن طريق الترهيب والترغيب والاسطورة والخرافة والتجهيل المتعمد.

وما أظن اني بحاجة لإيراد الأمثلة على ذلك انما أيسر الاطلاع على مؤلفاته توضح ما ذكرته جليا.

قرأ الغرباوي الدين الاسلامي قراءة منصفة مشذبة من العوالق التي الصقت به فقدمه للقارئ في كل كتاباته كونه دين التسامح والرحمة والمحبة واحترام الانسان وان يأخذ كل ذي حق حقه.

لقد قدم للمكتبة العراقية والعربية ثراء فكريا جديدا بمؤلفاته القيمة.. وسيهتم الدارسون بهذه الأفكار النيرة التي طرحها وهي جديرة ان تدرس دراسة مستفيضة لما تحمله من أفكار ناضجة وأودع فيها المؤلف زبدة حكمته وأراءه والتي عاجل من خلالها أسباب التخلف والجهل في مجتمعاتنا ...

يقول عبد الرحمن الكواكبي: لماذا يضعف المسلمون؟ يضعفون لأنهم أهملوا آداب الدين التي نهضوا بها في صدر الاسلام.. ثم يتساءل: ولماذا أهملوا آداب الدين..؟ لأنهم جهلوا لبابه وأخذوا منه بالقشور.. ولأنهم فقدوا الهمة وقنعوا بالضعة واستكانوا الى الخور والتسليم.

الأستاذ ماجد الغرباوي مُفكراً وصاحبَ منبرٍ تنويري كبير

بقلم: الأستاذ جمال مصطفى¹

للأستاذ المفكّر والباحث ماجد الغرباوي ألف تحية وتحية في سبعينياته الزاخرة بالعطاء الفكري والإعلامي.

قبلَ عقدٍ من السنوات اقترح عليّ صديقي الراحل الشاعر سامي العامري أن أنشر قصائدي في صحيفة المثقف، ومنذ ذلك الوقت وأنا اتابع يومياً صحيفة المثقف وأنشر فيها وأعلّق على ما ينشره فيها زملائي الشعراء والأدباء.

صحيفة المثقف تجسّد ثقافي لِراعيها ولولاه لَمَا كانت ولَمَا استمرّت وهذا كله سيرة ثقافية جامعة تجسّدت في رجل واحد هو الباحث والناشر والأديب والمفكر ماجد الغرباوي .

ما أصعب الموازنة في التأليف الفكري المضطلع باستقراء العقائد بين التجرد وبين حميمية الانتماء للعقائد ذاتها. وهذا ما نجح فيه الأستاذ ماجد كمفكّر فإنّ قدرته الفذة في المصالحة بين التجرد الفكري وبين حرارة الإيمان هي ما يميّزه عن غيره في كل ما كتب وألّف وحاوّر فقد قرأنا لباحث جمع بين أصالة الفكر وحدثة الطرح بمعاصرة وعقلانية وانفتاح دون أن يكون ذلك على حساب المنطلق الإيماني الفاعل كبوصلة ومنهج .

من جانب آخر فإنّ الأستاذ ماجد الغرباوي كناشر وصاحب منبر ثقافي لا يُقارن به إلّا نادرون في حياتنا الثقافية، من حيث سعة المنبر وشموليته وأعتداله

1 - شاعر ومترجم - الدنمارك

وموضوعيته واستمراره، وجمهرة الأقلام التي ساهمت في رفده ولا تزال فقد استطاع الأستاذ الغرباوي أن يجعل من المثقف صحيفة ثقافية جامعة استقطبت لفيماً متنوعاً وغنياً من مختلف الأجيال والتخصصات ومن جميع أقطار الوطن العربي ومن خارجه وهذا كله ما كان ليزدهر ويستمر لولا الأستاذ ماجد الغرباوي .

هذه شهادتي بتواضع كشاعر من شعراء صحيفة المثقف بحق هذا الرجل باحثاً ومفكراً وإنساناً .

العمر المديد للأستاذ ماجد الغرباوي .

تجربة التجديد لدى المفكر الغرباوي

بقلم: الأستاذ عقيل العبود¹

مما لا شك فيه أن تناول سيرة كاتب ومثقف تتطلب وقتاً طويلاً، خاصة عندما ترتبط بحقبة زمنية متكاملة ومتصلة من الجهد الفكري الهادف، وتلك حقيقة المنجز الكبير الذي اختطه بفكره، وصبره، وقلمه المجتهد العلامة الأستاذ الغرباوي، إذ استطاع أن يقدم للمكتبة العربية، والعالمية أطاريح لها أثر كبير في الثقافة العالمية، فهي تمثل سلسلة من التأملات التي ارتبطت بحياة مفكر تعلم لغة الحوزة العلمية. أتقن منهاجها الدراسية، وحضر دروس البحث الخارج، وهي مستوى عالي من دراسة العلوم الدينية وعلوم الشريعة، على يد كبار الفقهاء لسنوات طويلة. فقد فهمها جديداً للدين، فهما يتناسب مع متطلبات الحاضر ويواكب تطورات الواقع.

لقد استشعر الغرباوي حاجتنا ككتاب ومثقفين إلى منصة، تسمح بتبادل الآراء ونقد الأفكار بعيداً عن أية رقابة سياسية أو أيديولوجية، فبادر إلى تأسيس صحيفة المثقف ومن ثم مؤسسة المثقف، فكانت وما تزال مجالس علم يجلس على أرائكها المثقفون والمبدعون يتداولون الأحاديث الساخنة كل بطريقته الخاصة. وكانت لآرائه وطروحاته دور في سمو المثقف، فكتابات كانت تحاور الآخرين، ذات تتوالد معانٍ ومضامين تدعو للتجديد والتوير واحترام حقوق الإنسان.

ومن الجدير بالذكر أن هنالك اساتذة وقامات لها حضورها على مائدة المفكر الكبير الأستاذ الغرباوي، فالدكتور صالح الطائي كتب رؤية نقدية شاملة في مشروع ماجد الغرباوي فيما يتعلق بموضوع الإلهي والبشري في الدين التراثي، وأصدرها في كتاب بنفس العنوان. وأيضاً أصدر الأستاذ طارق الكناني كتابين ضمت حوارته مع

1 - أديب وكاتب، أميركا

الغرباوي، أحدها حول الأسطورة واللامعقول الديني في كتاب مدارات عقائدية ساخنة. كما أصدر د. صالح الرزوق كتابا عنه، وأيضاً أصدر الاستاذ الدكتور محمود محمد علي كتاب الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري. وكتاب حوار للدكتورة ماجد غضبان، وآخر للاستاذ سلام البهية السماوي.

لقد اسس الغرباوي لمراحل متقدمة في باب التجديد، وأضاف كثيراً من الأفكار التجديدية لم يتطرق لها المجددون السابقون.

هنا يطيب لي التركيز على فكرة المقدس في الدين، وهو أحد المواضيع المهمة التي تناولها الاستاذ الغرباوي بتفاصيل مختلفة، فأصدر كتاب: المقدس وهران الأخلاق. كذلك ركز على المقدس في كتاب مقتضيات الحكمة في التشريع. حيث كرر المؤلف مفاهيم ترتبط بالمقدس وعلاقاته المختلفة مع العقل والتراث. كـ "العقل التراثي"، القداسة، والتعال، والعدل، والتعقل¹. وطالما أكد على حاكمية العقل والأخلاق على التشريع الفقهي. يقول الغرباوي، "العقل كان وما يزال المرجع الوحيد للتشريع"². نعم باعتبار أن حجية العقل تقتزن بقدرة العقل على استنباط المعاني التأويلية للنص. وفي هذا الموضوع اشكال حصل بين المدرسة الاصولية التي أيدت حجية العقل، والمدرسة الاخبارية التي اكدت حجية الخبر على حساب حجية العقل.

هنا بناء على مضمون ما تقدم، كان الأستاذ الغرباوي قد أثار موضوع جدليا عميقا يلخص فكرة الصراع بين المعتزلة والاشاعرة، وهي موضوعات لها أهمية بالغة في الفكر الاسلامي، ما يراد به احياء فكر ابن رشد الذي احرقت كتبه.

هنا لا أريد أن أغور بعيدا فيما جاء به المجتهد المحقق والباحث الاستاذ الغرباوي باعتبار أنه استطاع أن يوظف جميع المعاني الخاصة لفهم المساحات المشتركة بين الشارع المقدس ورأي العامة.

1 - راجع متاهات الحقيقة (9) مقتضيات الحكمة في التشريع .. نحو منهج جديد لتشريع الاحكام.

2 - المصدر نفسه، ص 178.

ومن الجدير بالذكر أن جميع الموضوعات التي ناقشها الغرباوي بما في ذلك اشكاليات التجديد، يعد استئنافا لما تم مناقشته من قبل الفلاسفة الكبار والعلماء والمجددين، حيث استطاع أن يعيد إلى الفكر العربي أبجديات ما جاء به العلامة المطهري في باب المفاهيم الفلسفية المرتبطة بالعقائد وبعض ما جاء به المفكر الدكتور الفيلسوف حسين مروة.

مشروع الغرباوي الفكري

لمحة تعريفية

بقلم: الأستاذ شاكر عبد موسى¹

مقدمة: يشتمل التراث العربي الإسلامي على مجموعة علوم، منها: علم الكلام، علم الفقه، علوم القرآن، علم الحديث، الفلسفة، التاريخ، الأدب. وفي كل فرع من هذه الفروع ترك لنا السلف ثروة تراثية، يشيد بها الباحثون، فمثلا على صعيد الأدب والشعر، احتفظ لنا التراث بقصائد أشهر الشعراء والفحول العرب، التي مازالت خالدة، تتناقلها الألسن، يحفظونها ويستشهدون بها، منها المعلقة السبعة. وقد جسدت قصائد الشعراء الروح الابداعية للعرب، ونجحت في نقل مشاعرهم ومواقفهم وخصائصهم وما يتميزون به من عادات وتقاليد وأعراف، كما حكى لنا الشعراء عن حروب ومغامرات وغزوات العرب. وعلى صعيد الفلسفة والعلوم، فقد تفاعل العرب والمسلمون معهما، وأسهموا بشكل كبير في تطويرهما، وهناك علماء أفذاذ يشهد لهم التاريخ والتراث. وقد أضاف الفلاسفة العرب والمسلمين آراء فلسفية اتسمت بالدقة والعمق في بحوث الوجود والماهية والميتافيزيقا والأخلاق. فتركوا لنا تراثا قيما، لكبار الفلاسفة والعلماء، أمثال: الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن مسكويه، وابن الهيثم، وإخوان الصفا، والغزالي، في المشرق، وابن باجة، وابن طفيل، وابن رشد، وابن عربي، وابن خلدون في المغرب وأخرين. وقد تناولوا مختلف المواضيع الفلسفية من الوجود الى اللاهوت، مروراً بمفاهيم كثيرة. كما حظيت الفنون والعمارة خاصة الزخرفة الاسلامية بمكانة كبيرة، وتطورت بشكل ملحوظ في العصور الوسطى. لا يمكننا تجاهل الجمال والتفاصيل الدقيقة في العمارة الإسلامية التي غلفت مساجدها المذهلة وقصورها

الفخمة. وكل هذا مشهود له، ويبقى التراث العربي - الإسلامي في هذه المجالات موضع احترام وتقدير.

التراث الديني

يقصد بالتراث الديني كل ما تركه العلماء والفقهاء والمتكلمون من كتابات ومدونات تدور حول الدين أو ما يتفرع عليه، سواء الكتاب الكريم أو سيرة النبي محمد (ص). وهو تراث عزيز ومتنوع، يتعهدونه ويحافظون عليه، ويعودون له لفهم الاسلام وتشريعاته وكل ما يرتبط بحياتهم اليومية. ومحور هذا التراث على صعيد علم الكلام القديم، هو العقيدة الاسلامية، التوحيد ونفي الشرك بالله تعالى. أي الإيمان بوحداية الله تعالى لا شريك ولا ند له. وأنه الخالق والمدير للكون بأكمله، ثم الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، مع التركيز على الرسالة المحمدية باعتبارها الرسالة الخاتمة. ومحوره على صعيد الفقه، سلوك الانسان، وكيفية تطابقه مع الشريعة الاسلامية وأحكامها. فمهمة الفقه، استنباط الاحكام الشرعية في جميع المسائل التي يحتاجها الانسان في حياته، كالعبادات والمعاملات، كالصلاة والصوم والحج والزكاة، والعقود والبيع والشراء. وكل ما يتصل بها من تفصيلات وتعاليم، سواء كانت شرحا وتفسيرا ورواية ونقلًا للآراء، أو قضايا اجتهادية استنباطية. كما لا يمكن تجاهل اهتمام التراث بالأخلاق وإن كانت كتب الأخلاق قليلة في هذا المجال، إلا ان الاخلاق من الدين وقد أكد عليها الكتاب الكريم، فاهتم بها المسلمون، مادامت تلامس مشاعرهم وسلوكهم. وكان علم الكلام القديم قد تصدى لبعض جوانب الموضوعات الاخلاقية، كتعريف الحُسن والقُبْح، وهل هما عقليان أم شرعيان. وعليه يمثل التراث إرثًا عظيمًا، يعزز الانتماء والهوية، ويساهم في تشكيل وعينا واعتقاداتنا حول العالم ووجودنا كأفراد ومجتمعان. بالتالي، يجب علينا الاعتناء به، وتقديمه كتجارب مهمة يمكن الاستفادة منها.

لكن هل ثراء التراث وشموله يعني كماله، وأنه صالح لكل زمان ومكان أم أنه صالح لذلك الوقت؟ وما علاقتنا به حينئذٍ. هل علينا تقديس التراث وحرمة نقده ومراجعته؟ أم علينا اتخاذ موقف منه، وما هو؟ هذا هو مشروع ماجد الغرباوي.

مشروع الغرباوي الفكري

يرفض ماجد الغرباوي في مشروعه الفكري هيمنة التراث والعقل التراثي، ويطلب بمراجعته مراجعة نقدية، للحفاظ على عناصر القوة فيه والاستفادة منها، يقول: ينبغي (قراءة التراث ضمن سياقه التاريخي، فهناك منجزات علمية على صعيد الفلسفة وعلم الكلام والفقه وعلوم القرآن والحديث والدراية، تجاوز بعضه الزمن، وما زال بعضها الآخر يفرض حضوره العلمي والمعرفي. دراسته ضمن سياقه التاريخي تسمح بنقده وتعريته والكشف عن القيمة المعرفية لمبادئه ومقولاته الأولية، فمهما بالغوا بقدسية التراث يبقى منجزاً بشرياً في إطار ظرفه الزماني والمكاني، يحتفظ بتاريخيته، وعدم تعاليه على النقد. ويبقى مرتكناً في إطلاقه وتأثيره لمتانة مبانيه ومبادئه وأساسه، بما في ذلك الفقه الإسلامي الذي يشتغل على نصوص الكتاب والسنة)¹. فرؤيته واضحة تجاه التراث، وما هو الموقف الصحيح منه. فمشروعه تميز بقدرته على تقديم رؤية جديدة للتراث باستخدام مناهج نقدية حديثة، من أجل فهم أعمق لعلاقة الماضي بالحاضر والمستقبل، بعد تشخيص سلبيات التراث من جهة، وبيان ما تعانيه الحضارة الغربية المادية من جهة أخرى. فالغرباوي يسعى في مشروعه النقدي للتراث وخصوص الفقه، الى تقديم رؤية جديدة لهما، تبني على العقل والعقلانية في إطار القيم الأخلاقية، بشكل تتقدم فيه الأخلاق على كل شيء. ويسعى المشروع تجاوز أمراض التراث وأمراض الحضارة المادية. ويقدم صورة جديد لمجتمع يتبنى قيم الفضيلة، ويواكب قيم الحضارة الجديدة بعقلانية والاستفادة من تجارب الآخرين. لهذا يؤكد دائماً على النقد والمراجعة النقدية، من أجل فهم أعمق للدين، وتبني قيم الحرية

1 - الغرباوي، ماجد، مقتضيات الحكمة في التشريع.. نحنو منهج جديد لتشريع الأحكام، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، وأمل الجديدة، دمشق - سوريا، 2024م، ص 319.

والتسامح والعدالة وقيم المجتمع المبني، كي ترقى مجتمعاتنا الى مستوى المجتمعات الحديثة

بشكل عام جاء مشروع الأستاذ ماجد الغرباوي الفكري لتحرير العقل من خرافاته واساطيره، كي يمكنه مواكبة العصر. من خلال التركيز على العقل والعقلانية في فهم التراث والعقل التراثي. كما أن مشروعه يهدف إلى تجاوز الدوغمائية القاتلة، والتعصب العنصري، التي تعترض تفكير فقهاءنا التقليديين، وتدمر عقولنا.

أضف الى ذلك يسعى مشروع الغرباوي أيضاً إلى التخلص من الأمراض الطائفية والعنصرية والتعصب، وتحطيم المعتقدات الخرافية والأساطير التي تحاصر العقل والعقلانية منذ العصور الوسطى، ويدعو مشروعه إلى نقد النص الديني وتحديد فهمنا له في ضوء معايير القيم الانسانية والحضارية.

وهناك مشكلة جوهرية لم يتطرق لها او يفكر بها إلا القليل من المفكرين، ومن ضمن الذين تطرقوا لها هو الأستاذ الغرباوي. وهي مشكلة الهوية فالكثير من الدول الاسلامية تركز على هويتها القومية وليست الدينية او الطائفية مثل ايران وتركيا فهما يركزان على هويتهما القومية وليست هويتهما الدينية أو الطائفية، رغم تبجحهما في وسائل الاعلام باتهما دول اسلامية كبرى وريثة حكم المعصومين والتابعين الأوائل، والسلف الصالح.

يقول المفكر المصري الكبير: (حسن حنفي 1935-2021) "لن يتقدم المسلمون إذا كان القرآن سقف لأفكارهم". وهذا ما يؤكد الأستاذ ماجد الغرباوي، يؤكد على الانتفاح الحضاري، والاستفادة من تجارب الآخرين لتطوير أنفسنا والاستفادة من علومهم وانجازاتهم، دون المغامرة بأصالتنا. أتمنى للأستاذ ماجد الغرباوي طول العمر بخير وعافية.

الفكر الديني وتأثيره على الفرد والمجتمع

ماجد الغرباوي إنموذجا

بقلم: الأستاذة مريم لطفي¹

منذ ان بزغ النور في سماء الانسان وهو يبحث عن مرجع معتمد يجيب عن أسئلته حول الوجود والحياة والموت، وسبب وجوده، وما هو أصله، وكيف سيكون مصيره. فكان الدين دون مرجعية الانسان المؤمن لمعرفة تلك الحقائق، فراح يهتدي بهديه، ويتمسك بشرائعه، ويتحلى باخلاقه، وتطمئن به نفسه، ويتخذ من القرآن مصدرا لمعرفة كل القضايا التي تهمه، مادام الدين وحيا منزلا من عند الله تعالى. أنزله على صدر نبينا محمد (ص) لهدايتنا، فالدين مرجعية صائبة بالنسبة للمؤمنين، وهذا سبب تعلقهم بدينهم والافتخار بالانتماء له، والدفاع عنه. وقد دعا الله جل وعلا إلى تدبر آيات القرآن، في أكثر من آية، رغم أنه كتاب مقدس. فالتدبر يفتح للقارئ معاني جديدة لا تظهر بالقراءة العادية له. والاية تخاطب الانسان الذي جعله الله خليفة في ارضه، مهمته عمارة الارض، قد أكلها الله له، فعليه أن يكون كفؤا لهذه المهمة. وهي مهمة صعبة تحتاج للدراسة والتحليل والتطبيق والغوص في غمار التفاصيل التي تتناسب مع حياته في ظل التقدم الذي يُلقي بظلاله على كل امور الحياة. وقد وضع القرآن العقل معيارا لفهم تأويلات الكتاب، وهذا يؤكد أهمية العقل واحترام الاديان له: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)² والالباب هي العقول واللب هو جوهر العقل، وكون الانسان مخيرا وليس مسيرا فلا بد أن يتمتع بمساحة من الحرية لاختيار طريقة تفكيره على الأقل، لذا بات جليا أن تقاس جودة الاشياء بمدى

1 - أديبة وكاتبة - السويد

2 - سورة الرعد، الآية 19.

تطابقها مع الواقع الحيائي للانسان الذي يستوفي شروط ديمومته من القيم العليا المتمثلة بآيات الله جل وعلا. غير أن مجتمعاتنا هجرت العقول وتمسكت بالأساطير حتى سادت فيها ضروب الخرافة والتسلط وانعدام الحريات وانتهاك الحقوق، والتمسك بالطقوس والشعارات بدلا من التخلق باخلاق الدين وتمثل قيمه الانسانية. والسبب ليس المجتمع وحده بل الخطاب الديني الذي لم ينجح في مواكبة العصر، ولم يلب طموحات الانسان الروحية والحياتية، لذا لا بد ان من خطاب ديني جديد، وفهم ديني جديد يعيدان للناس ثقتهم بأنفسهم وعقولهم ودينهم. وقد تصدى عدد من العلماء والمفكرين للتجديد الديني من خلال تقديم آراء دينية تنسجم مع القيم الاخلاقية والحضارية الانسانية، وعدو للتسامح والمحبة واحترام الآخر، منهم: الباحث والمفكر الاستاذ ماجد الغرباوي.

ماجد الغرباوي

ماجد الغرباوي كاتب وباحث بالفكر الديني، واجه خلال حياته ظروفًا مختلفة، وهاجر الى أكثر من دولة، لكنه ظل وفيًا لمبادئه وقيمه التي آمن بها. وحمل على عاتقه مشروعًا دينيًا وإنسانيًا ينتمي للعقل والعقلانية، ويتخذ من الاخلاق ركيزة أساسية له. بعد أن مضى بدراسة وتدريس العلوم الدينية والعقلية المرتبطة به، سنين طويلة كما أشار الى ذلك في سيرته. إمتاز بدمائة الخلق وسرعة البديهة وقدرة على طرح الأفكار وشرحها وبيانها بكل سلاسة ووضوح ورحابة صدر منقطعة النظير. نشأ في أسرة متسامحة، ابتداء من رأس الهرم والده الذي أخذ منه كل القيم النبيلة ومبادئ الفضيلة، ووالدته التي كانت ينبوعًا أغدق عليه العاطفة والنبيل والتسامح وحب الآخر. وزرعت في نفسه احترام الآخرين بعيدا عن أي اعتبار، وهذا ما انعكس على شخصيته فيما بعد (فالجزور الطيبة ثمارها طيبة). محاور من الطراز الأول، ينطلق من ثقافة ومعرفة واسعة، أهلته ليكون قبسا يستضاء بعلمه وأدبه. يعتمد على الدليل والبرهان والعقل في آرائه فهو لا يطلقها جزافا او بدوافع عاطفية. هدؤه ينبع من منبته الطيب ودراسته العميقة وخبرته الحياتية وخلقه الكريم. يدعو في كتاباته الى التسامح واحترام الآخر. والدين برأيه معاملة حسنة، وأسلوب حياة، وليس طقسا يُردد دونما

أدنى وعي. والایمان ایمان عقلي نقی، ولیس أوهاما وخرافات. تعددت أعماله حتی بلغت أكثر من 30 عملا، تألیفا، وترجمة، وتحقیقا، وحوارا واعداد، وكتب حول منجزه كثیرون. كل هذا و غیره ذكره فی سیرته، المنشورة فی المثقف.

القارئ لمؤلفات الغرباوي یجد تأكیده الدائم على الانسان، باعتباره سید المخلوقات. یتناول فی بحوثه كلا بعديه المادي والروحي، دون تفريط. كما یدعو الى اصلاح الذات سییلا لاصلاح المجتمع، ودعا الى التسامح لتدارك اخلاق الكراهية والعدوان المستشري بسبب الحروب والصراعات السیاسية على السلطة. التسامح حاجة ملحة لمجتمعات تفتقر له اساسا، مجتمعات سادها العنف والتعصب الاعمی والعنصرية المقيتة. بسبب الاستبداد وروح العبودية، لذا تعني الحرية عنده، حرية الرأي والتفكير الحر، والاعتقاد السليم دون مغالاة. ويمكن أن اضرب مثلا بالعراق لحالة التشرذم والصراعات الطائفية والسیاسية وانعكاساتها على المجتمع. العراق بلد تتعدد فیهِ الاعراق والطوائف. وكان شعبه الى حد قریب یتمتع بالاخاء والمحبة والتسامح، ففي الحي الواحد تجدد المسلم والمسیحي والازیدی والصابی والعربي والكردي والترکمانی یتشاركون الشمس نفسها والنهر نفسه والارض ذاتها تحتضن خطواتهم وتبارکها بعيدا عن أي اعتبار، لكن هذا المفهوم تشرذم عندما تسیست أهدافه مما أدى إلى تنافر أقطابه وبالتالي حلت الكارثة!. لذا نجد الغرباوي يؤكد على التسامح وقد اتخذ من العراق بلده حیثما ألف كتابه التسامح ومنابع اللاتسامح: (ولعل مشاهد العنف فی العراق ستبقى ماثلة فی ذاكرة الاجيال. هذا البلد الذي عرف بتنوعه الديني والمذهبي والقومي منذ قديم الزمان، غیر انه تعرض لتحديات خطيرة فی مصداقية وحدته، وتحولت خطوط التماس الى خطوط نار محفوفة بدماء الابرياء من الاطفال والنساء والشيوخ، وظلت تراکمات الخراب المدني وكل ما هو جمیل فی الحياة شاهدة على عمق الازمة الثاوية فی لا وعي الشعب المتنوع، والتي انفجرت عندما استنشقت جرعة قوية من الحرية)¹.

1 - الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بین الاديان والثقافات، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للمطبوعات، بیروت - لبنان، 2008، ص 12.

من جانب آخر، أكد على الحرية كقيمة أساسية عنده، يرفض التفريط بها أو التنازل عنها، ويؤكد على حرية الفكر والرأي وحق التعبير، دون تعسف، مادم الانسان يلتزم بقوانين المنطق والعقل³. ويكون جداله بالتي هي أحسن ومن خلال الأدلة والبراهين. بينما القمع وتكميم الافواه سياسة سائدة في بلداننا، بحكم الاستبداديين الديني والسياسي. لهذا يقف الغرباوي بشدة بوطه الاستبداد، مهما كانت سلطته¹. فالانسان كائن محترم يجب ان يتمتع بحرية كافية حدودها حرية الآخرين، والأنظمة والقوانين التي تشرع للصالح العام. حتى التقليد الفقهي يرفضه الغرباوي ما لم يكن عن بينة، يستوفي شروطه الموضوعية. ويدعو الى منهج جديد لاستنباط الاحكام الشرعية، يحفظ كرامة الانسان وفق ضوابط علمية وعلى اساس القيمة الاخلاقية الاصيلية، كالعدل والمساواة.

وقد نظر الغرباوي للمرأة باعتبارها قيمة انسانية أولا وقبل كل شيء²، بل أنها أعلى قيمة يستمد منها المجتمع طاقته وديمومته، وهي ليست مجرد رقم أو حاجة بل إنها الانسان الذي خلقه الله بأجمل تقويم وعليه يُعَوَّل بناء الانسان والحياة والمجتمع والحضارة، فهي تهب الانسانية سبل ديمومتها وحضورها ومعنى وجودها. وعلى اختلاف العصور كان لها دور قيادي وريادي واضح في مجمل ميادين الحياة العامة والخاصة، فهي نصف المجتمع وتربي نصفه الاخر، وقد اثبتت حضورها كجوهر وغاية وليس مجرد وسيلة للتلاعب بمقدراتها، وقد استلهم الغرباوي آراءه وأحكامه

1 - أنظر موقف ماجد الغرباوي من الاستبداديين الديني والسياسي في كتاب اشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ص 209. وكتاب: الضد النوعي للاستبداد.. استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2010م.

2 - هناك كتابان يشتملان على رأي الغرباوي في المرأة وحقوقها. الأول حوار د. ماجد غضبان مع ماجد الغرباوي في كتاب المرأة والقرآن.. حوار في إشكاليات التشريع، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2015م. وكتاب: الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري، للدكتور محمود محمد علي، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، ودار الوفاء، الاسكندرية - مصر، 2021م.

بالنسبة للمرأة من بديع الايات القرآنية التي كَرَّمَت المرأة وأنصفتها ورفعت مكانتها ووهبتها الحقوق التي حُرِّمت منها في العصور الغابرة، ومع اختلاف الدور البايولوجي للمرأة لكنها أخذت مكانتها بموثق من الله وإن أغفله الفرد المتسلط أو البيئة المتعصبة (يأيها الناس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)¹.

في الختام، هذه شهادة عبرت فيها عن وجهة نظري الخاص، اسأل الله العلي القدير ان يبارك في مسيرة الاستاذ ماجد الغرباوي

مقالات المفكر والباحث ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة سراب سعدي¹

منذ سنوات وأنا أكتب في صحيفة المثقف، أتناول في مقالاتي مختلف القضايا.. وما يخطر في بالي من مواضيع سياسية وثقافية واجتماعية، دون قيود او تابوهات. أطلق لقلمي حرية الكتابة والتعبير. ولم أشعر وأنا أكتب بحاجة للحذر، فهناك حرية تسمح بالكتابة بجرأة عالية، ما لم يخرج الكاتب عن ضوابط سياسية الصحيفة. فأكثر ما يعجبني في هذه الصحيفة مساحة الحرية التي تمنح للكاتب كي يعبر عن آرائه وأفكاره بلا خوف أو تردد.

كنت لا أعرف من هو مؤسس هذه الصحيفة الجماهيرية الرائعة فقررت أن أبحث عن مؤسسها وعندما تعرفت إلى الأستاذ ماجد الغرباوي كنت سعيدة جداً، لأنني تعرفت على قامة علمية، وموسوعة فكرية مميزة. وقد تشرفت بالكتابة له أكثر من مرة، فكانت أجوبته وأسلوبه في التعامل مع الآخرين يدلان على نبل وخلق الأستاذ ماجد. فيجب أن أتحدث عنه في هذا المقال، بأمانة وموضوعية. وأنقل لكم جزءاً من سيرته العلمية، فهو مفكر وباحث يسعى إلى تحرير العقل من بنيته الأسطورية ومعتقداته البالية من خلال إعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة ومن خلال تحرير العقول التقليدية من سطوة التراث وتداعياته، يشغل الأستاذ ماجد الغرباوي في مشروعه على إنارة العقول من خلال قضايا: النهضة، نقد الفكر الديني، التسامح، الحركات الإسلامية، العنف وكذلك ما يخص المرأة والتنوير.. إلخ، فهو متخصص في علوم الشريعة والعلوم الإسلامية ومؤسس ورئيس

مؤسسة المثقف العربي في سديني، وللاستاذ ماجد مؤلفات كثيرة تصل إلى أكثر من 35 عملاً مطبوعاً تأليفاً وتحقيقاً وحواراً وترجمة.

لقد اطلعتُ على مقالات كثيرة للباحث والمفكر ماجد الغرباوي. فوجدتها كتابات مميزة، تجعل القارئ يعيد حساباته ألف مرة، كمقالاته (الأخلاق وتداعيات الاجتهاد) الذي تناول فيه موضوع تداعيات الاجتهاد على مر التاريخ باعتباره (فقه). وبيّن أن الأخلاق معيار للفضيلة والاستقامة والتدين . كذلك مقالته عن "الاجتهاد والأخلاق" التي تناول فيها موضوع الاجتهاد من حيث كونه نشاطاً عقلياً وفق قواعد ومبادئ ينتهي فيها المجتهد إلى رأي في المسألة. ولعل مقالته المنشورة أيضاً في مجلة نقد وتنوير حول "الموقف الاخلاقي من التراث" من المواضيع المهمة التي تناول فيها مسألة الأخلاقي من التراث. فكان ينطلق في معالجتها من قيم ومبادئ إنسانية كونية شاملة، محايدة، ترفض القيم الأخلاقية النسبية التي تملئها نصوص تراثية وفقاً لقبلياتها الطائفية، فتهدر بذلك كرامة الإنسان الذي هو قيمة عظمى وفقاً لمنظومة ذات القيم الاخلاقية الأصلية. وكتب الأستاذ الغرباوي أيضاً عن دور الأخلاق في التشريع. وأكد أن نقد التراث يتطلب عدة معرفية، وخبرة بمناهجه ومصادره وموضوعاته.

مقالات الأستاذ ماجد الغرباوي مثيرة للاهتمام. وما نقلته، سوى جزء بسيط. انصح بمطالعتها فإنها، تثري القارئ وتضيف له وعياً جديداً.

الكاتب الأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ أحمد مانع الركابي¹

كاتب ومفكر تخطى الأسىجة الدوغمائية ، فهو من الكتاب المجددين للفكر ؛ إذ طالما كانت كتاباته تحرّض القارئ على التحرر من قيود التراث، وفهم النص الديني بما ينسجم مع العقل، وحركة العصر، وما فيه من متغيرات حضارية.

الكاتب ماجد الغرباوي لم يكن كاتباً طارئاً، بل يمتلك مشروعاً ثقافياً تنويرياً، يهدف إلى توعية المجتمعات، وإخراجها من ظلمات التشدد والسطحية التي طالما كانت تعصف بها؛ لأنها منغلقة على مفاهيم الماضي، دون مواكبة الحاضر.

من يقرأ للغرباوي يدرك أن الرجل يقف على أرض صلبة؛ نتيجة اطلاعه على التاريخ الإنساني، وثقافات الشعوب، وعقائدها، وأساطيرها، وما مرّت به من تحولات تاريخية. هذا الاطلاع، والجدوة الفكرية؛ شكلا نقطة القوة في كتاباته التي تتميز بالرصانة، والمتانة، وجمال الفكرة، ومنهجية الاستقراء. إذ تشكل مؤلفاته إضافة حقيقية للمكتبة العربية والإنسانية، متمنيا له المزيد من العطاء ومواصلة هذا المشروع الثقافي الكبير.

1 - الشاعر والكاتب أحمد مانع الركابي

ماجد الغرباوي رائد التنوير الفكري

حمودي الكناني¹

ماجد الغرباوي رائد التنوير الفكري في زمن شاعت فيه الخرافات والاساطير والابخار التي ما انزل الله بها من سلطان ، ماجد الغرباوي رجل استخدم ويستخدم عقله بصورة ثابتة و متناهية للوصول الى الحقيقة التي لا تقبل الشك او الدحض ولربما تكون شهادتي فيه مجروحة لانني انحاز اليه بصورة كبيرة لما يمثلها من مقياس الانسان والمفكرالباحث عن الحق والحقيقة لا سواهما

قرأت له الكثير من النصوص الجميلة التي تمتاز بأسلوبها الرصين وصورها الجميلة وكلماتها المنتقاة والموصوفة بريقها وسلاستها ، أما اعماله البحثية الاخرى التي تعبر عن فلسفته في قراءة الموروث والقضايا الاجتماعية والسياسية والدين والمرأة وفرز السمين منها عن الغث فعديدة ، ماجد الغرباوي مفكر كبير له سلسلة كتابات فكرية غنية جدا ومقنعة بادلتها تغني الباحثين المختصين والمتابعين من مختلف الاتجاهات من القراء ، لربما لا تروق كتاباته لأولئك الذين يجترون الماضي ويغمضون اعينهم عن حركة التطور في كل مناحي الحياة فهو يفهم ان الوعي سيد الفهم للدين وكتابه اخفاقات الوعي الديني فيه الكثير مما يحتاجه الناس لكشف الغطاء عما يريده الدين من توجيه الانسان الى جادة الصواب بصورة واضحة من غير تعقيد او تشويش.

ماجد الغرباوي. مفكر تنويري

بقلم: د. شهرزاد حمدي¹

الأستاذ ماجد الغرباوي، مفكر تنويري يتميز بقدرته على النقد ومساءلة القضايا والإشكالات القليقة التي تُعدّ جوهرية تتطلب المباحثة في سياق البناء الحضاري للإنسان. لديه حسن فلسفي نقدي تحليلي، يبتغي دومًا استحضار الإنسان والتأكيد عليه، في تفكيراته وتأملاته واستنتاجاته المعرفية والمنهجية بعيدًا عن أشكال الاستبداد خاصة الديني، وعن الفكر المتزمت، تأسيسًا لخطاب ديني مُنفتح وسمته بأنه سمع مُثمر وعقل مُنتج في تكاملية حيّة وتوليفة حرارية بين النقل والعقل.

على مُستوى علاقتي به، فإنني أكنّ له كلّ المحبة والاحترام، إنسان عزيز، كريم الأصل ومُتواضع يسأل عن الحال ويتمنى أفضله. فتّح لي باب الكتابة والنشر في صحيفة المثقف القيمة التي تضمّ مختلف التخصصات في تنوع ماتع ونافع، كما يفتح المجال لجميع من يكتب بجديّة، ولا يقتصر الأمر على فئة مُعيّنة بدرجة علمية مُحدّدة. في الأخير، أتمنى له كلّ الخيرات والنجاحات، في انتظار مُستمر لكتاباته التي تستحقّ النقاش بالحُجّة، فمن بعث على ذلك كان حقًا رصين المبنى والمعنى.

1 - تخصص فلسفة عامة، جامعة محمد ملين دباغين سطيف2، الجزائر

ثقافة الجمال

بقلم: الأستاذة تماضر كريم¹

لفترة طويلة كنت أجد الصحف والمواقع الإلكترونية لا تلي طموح الكاتب الذي يرغب في نشر نتاجه الأدبي.

غالباً ألاحظ أنها مواقع خاوية، توزع شهادات تقديرية بائسة، ودكتوراه فخرية تم تصميمها في الحاسبة، مجرد كلمات لا تسمن ولا تغني من لهفة للنجاح، كادت تكون تلك القناعة راسخة، لكن ثمة استثناء دائماً، ضوء يلوح في نهاية درب معتم، نجمة تتلألأ في سماء كثيفة القتامة، تغريد مبهج وسط صخب الميديا، وفوضويتها.

إنه ببساطة موقع المثقف، بقيادة الكاتب المثقف ماجد الغرباوي، تلك الثقافة الرصينة التي لا تتعلق بالكتب التي قرأها فقط، أو الأفكار التنويرية التي ييشها بسخاء من أجل عالم عادل، ومنصف، إنما ثقافة التغيير، فالمثقف هو من تكون له القدرة على التأثير، وليس من يتحذلق ويحفظ المصطلحات.

ماجد الغرباوي أثبت من خلال موقعه الرصين أن الثقافة للجميع، متاحة وجاذبة، هكذا وجدته أنا، وعدد آخر من الأدباء أن نصوصنا لن تذهب هباء، وإنها فاعلة، وفي مكانها الصحيح الذي تفيد منه وتلهم و تؤثر وترسخ في الأذهان.

ما كان الموقع سينجح لولا تلك الإرادة الحرة والنية النبيلة لدى الأستاذ والأديب ماجد الغرباوي وهو ينأى بنفسه عن الغايات المادية، محتطاً لنفسه ولنا مكاناً خصباً، لكنه ليس بعيد عن الجميع فهو متاح للقراء، بعيدهم وقريبهم، شابهم وكهلهم،

محتضناً المواهب الغضة، والأخرى المخضومة، لا شيء يدفعه سوى التنوير
والتبشير بعالم منفتح الرؤى، فمباركة تلك المساعي، ومبارك ذلك الفكر النير، للأستاذ
ماجد الذي لم يدخر جهداً لترميم هذا الخراب من حولنا، ونشر الجمال.

تحايا من القلب لصحيفة المثقف وراعيها

ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة جواد غلوم¹

أحببت ان أدلي بدلوي بشأن منبع الانسان الرفيع الشأن مصلحنا الغالي الصديق العزيز والمفكر المصلح استاذنا ماجد الغرباوي أبي حيدر وأقول له مهنتا بعيدة السبعين ومتمنيا له مديد العمر ووفير العافية والمثابرة في جهده الاصلاحى الذي يشغل كل اهتماماته ومساعيه الحثيثة من اجل رقيّ وسطنا الاجتماعى المليء بالكثير من الغثاثة والسوءات الفكرية الضارة بقيمنا واخلاقنا وتعاملنا

كل ذلك من اجل ان ترتيب اوضاعنا الفكرية والسلوكية نحو الاحسن والافضل لنكون بمصاف المجتمعات الناهضة التي ترقى وتحافظ على قيمها النبيلة وخصائصها ونزع الملوّثات التي علقت بها ومتمنيا لصحيفة المثقف ورعاها وكتّابها وقراءها الثبات على مواقفها النبيلة التي عهدناها في مضامينها

لا اريد ان أطيل اكثر فما كتبته الزملاء والاصدقاء بشأن مفكرنا ماجد الغرباوي وخططه الاصلاحية المدروسة بعناية عقله الراجح وهدفه النبيل السامى يفى بالغرض، اقبل مني تلويحة محبة واعتزاز من بغدادك التي تحبها مع انى اعرف مدى حزنك على ما آلت اليه اوضاعنا المزرية يا ابا حيدر وعهدي بك ان مشروعك الاصلاحى سينهض حتما ولو طال الزمن يا صديقي الاحبّ

القسم الثاني

مقالات

نقد الفهم السكوني

قراءة في فكر ماجد الغرباوي

بقلم: ا.د. علي المرهج¹

التقيت بالدكتور عبد الجبار الرفاعي أواخر عام 2003 بعد سقوط نظام صدام، وغزو الأمريكان، قبل أن يحصل على الدكتوراه حينما عُرف بوصفه شيخ متفتح في الحوزة العلمية في قم، وكنت فرحاً في التعرف به، فقد كانت مجلته "قضايا إسلامية" التي أنشأها مع الشيخ "مهدي العطار" صداها بين أوساط الإسلاميين قبل هذا التاريخ، وبعدها كان لمجلة "قضايا إسلامية مُعاصرة" التي ترأس تحريرها وأشرف عليها حضورها الفاعل في الأوساط الثقافية والأكاديمية العراقية.

كان للرفاعي وما يزال نشاطه الملفت للإنتباه في النشر والكتابة وفي التعرف على شخصيات تمتلك رؤى نقدية وتجديدية لها تأثير وفاعلية في المشهد الفكري العام والمشهد الديني، بل وحتى الثقافي.

أصدر الرفاعي سلسلة كتاب "قضايا إسلامية مُعاصرة" وكان من ضمن كُتبه المختارة كتاب "إشكالية التجديد" لماجد الغرباوي عام 2000م، ولم أكن قد سمعت عن هذا الكاتب من قبل، لتعظيم النظام على أغلب نتاج المثقفين العراقيين المعارضين في الغربة، وبعد إطلاعي على كتابه هذا حاولت أن أعرف من هو هذا الكاتب، وبعد تقصّ ليس بالطويل عرفت أنه رئيس تحرير سلسلة رواد الإصلاح التي صدر منها كتابه رقم (4) الشيخ النائي مُنظّر الحركة الدستورية الصادرة عن مؤسسة الأعراف في عام 1999.

1 - كاتب وباحث، رئيس قسم الفلسفة في جامعة المستنصرية - بغداد

بعد تعرّفني على الرفاعي، سألته عن الغرباوي، فتبين لي أنه من أقرب أصدقائه، بل هو صديق العمر، وهو من أبناء مدينته "قلعة سكر"، وقد عاشوا أيام الأفراح والأتراح معاً، وربما يكونا هما تؤمان في الفكر.

مرت الأيام والسنون، وبعد تركي للنشر لأعوام في الصحف والمجلات الثقافية، نصحتني أحد الأصدقاء المقربين بضرورة نشر ما أكتب، وبعد تردد، لأنني لا أعتقد بجدوى الكتابة ولا أشعر بقيمة تأثيرها وفعاليتها بين وفي أوساط مجتمعاتنا، إلا أنني رضخت لمطلبه، فنصحتني بالنشر في صحيفة المثقف التي تصدر عن مؤسسة المثقف في أستراليا بسديني، فأرسلت بعض المقالات لهذه الصحيفة وبمساعدة صديقي هذا (د. رائد جبار) تم نشرها في هذه الصحيفة، ولم أكن أعرف من هو المشرف على مؤسسة المثقف ولا رئيس تحرير الصحيفة، وبعد مدة من المراسلة وفي حديث جانبي مع رئيس التحرير تبين لي أنه "ماجد الغرباوي" الذي أعرفه حق المعرفة ككاتب ومؤلف إسلامي له توجهاته النقدية التي أبان عنها في كتاباته الأولى، وهو صديق الرفاعي الذي أكن له كل الاحترام فكرياً ومعرفةً، هو رئيس تحرير هذه الصحيفة الغراء.

كنت قبل ذلك أتناول مع صديقي الأطيب "د. صائب عبد الحميد" المؤرخ المعروف عن كتابات وشخصية "ماجد الغرباوي"، فكان يُخبرني بحميمية العلاقة بينهما، وبمقدار ما يمتلكه الغرباوي من فائض الوعي النقدي، وهو ذات الأمر الذي أخبرني به الرفاعي.

وبرسائل عبر (الماسنجر) عرفته وعرفني وخبرته وخبرني، عرفت أنه مفكر لا يكل ولا يمل في البحث والتقصي عن الحقيقة وإن أخرجته عن بعض مُتبنياته العقائدية وفق ظن الساذجين ممن لم يعرفوه، وخبرته أنه ذو نفس زكية وروح صوفية ألقها من ألق العارفين الذين تتجلى لهم المعرفة وفق تجليات الروح وتظاهرات العقل وفق الرؤية الهيكلية، فلا توجد حدود فاصلة بين تدين عقلي وآخر عرفاني "روحي" إلا عبر تماهيتهما مع الواقع، أي جعل الواقع روحاً ناطقة بتجليات الروح.

حوارتنا لها معنى وتجلّ عبر توافق وتواصل يفصل الانطباع المسبق عن رفض وقبول. إنه حوار عن مُشترَكَات العقل الفلسفي بنزوعه المدني في قبول التعددية والإختلاف والتنوع الثقافي بوصفه من تظاهرات الوعي المختلف الراض لمنطق "المطابقة" و"التشابه" المعايير للتوتاليتارية الدينية "الشمولية" بوجهها الإقصائي للكشف عن نزوع لاهوتي مُزيف، ليكتب "مدارات عقائدية" ينقد بها كل هذا الزيف الموروث من الماضي أو الذي يكتنف حاضرنّا، في محاولة منه لتوصيف "تحديات العُنف" عبر إستنطاقه وتأويله للنصوص القرآنية، ومحاولة تفسيرها تفسيراً عصرياً ينقد الحركات الإسلامية "الراديكالية" ونقد فكري "الحاكمية" عند الأخوان المسلمين، و"ولاية الفقيه" عند أحزاب الإسلام الشيعي، وكلاهما وقعا ضحية رثاة التفكير الديني، وخطاب التكفير، وإساءة فهم مفهوم الشهادة، والتعبئة المستمرة ضد الغرب وعدم الفصل بين السياسة الغربية الأنكلوسكسونية وبين الحضارة الأنكلوسكسونية بكل ما فيها من قيمة أخلاقية وعلمية وتقنية. فضلاً عن الغباء المفرط والجهل والأمية، والخلط بين المقدس وغير المقدس، وكراهية الحياة، وهجاء الدنيا، وتمجيد الموت، ونسيانها وتغييبها عبر الطاعة لرجل الدين حتى وإن كان جهلاً لا يفقه من أمور الدين سوى التباكي وإتقان الإيقاع والنغم الحزين في البكاء على الحسين.

في حواراته فيما أسماه "مدارات عقائدية" إخرق الخطوط الحُمْر، لينقر على ناقوس التطرف الديني، يُهدي كتابه إلى كل من علمه "أن يكون مُحباً لكل الأديان والطوائف".

تجاوز الغرباوي في كتابه هذا كل "الخطوط الحُمْر" فعلاً لا تجوزاً، فقد تناول بالنقد مفهوم الإنتظار في الفكر الشيعي، ومفهوم الخلاص، والشفاعة، ونقد فكرة "ولاية الفقيه" والربط بين الولاية والإستبداد، ونقد فكرة الخلافة التكوينية في الفكر الشيعي الذي خلص إلى أن الكون كله وضع تحت تصرف النبي والأئمة، رغم أنهم بشر، والنبي ذاته يقول "ما أنا إلا بشر مثلكم"، والإمام في الفكر الشيعي يؤثر في الكون ويمكنه التصرف به بإعتباره أحد عله.

لذلك يذهب الغرباوي إلى القول: "لا يُمكننا التصديق بمفاد أي رواية تُخالف القرآن والعقل أو الصحيح من السيرة بدليل قطعي السند والدلالة. كما أن (الممتع عقلاً، لا يُحتمل وقوعه خارجاً، سواء كان الإمتناع ذاتياً، كشريك الباري، أو لعدم تحقق شروطه، كما اقترب النار من الورقة شرط لإحتراقها، أو لطبيعة الشيء وتكوينه، كامتناع صدور المعجزات والخوارق الكونية على يد الإنسان حسب طبيعة تكوينه، وما أكد القرآن وقوعه، يُقتصر فيه على مورد¹). فالإنسان بطبيعته لا يُمكنه التصرف بالكون خارج نظامه القانوني، وهي قوانين ذاتية، وليست خارجية، وتختلف ذاتها عن الإرادة البشرية. إرادة الإنسان ليست قانوناً كقانون العلية والسببية الذي هو ركيزة القوانين وترابطها الذاتي مثلاً.

هو ذا الغرباوي يستفز العقل السكوني والغبي "المستقيل" ليكشف عن عوراته وهناته الضامرة في طبيعة وجوده.

إنني فرح في التحاور والصدقة مع عقل "إشكالي" مثل عقل "ماجد الغرباوي"، وهو إضافة معرفية لي ولكل من يبتغي الخلاص من بديهيات العقل التقديسي والطقوسي.

في حواراته المنشورة في صحيفة "المثقف" تجاوز التابو، وإخترق "الخطوط الحمراء" و "الصفراء" فاخترق بقلمه إن لم يكن بروحه بياضاً ينثره على بقايا الألم في عراقنا الملهب بصرعات التمدب، ليخترق شفق الصراع المذهبي وغلونا الراكس في غياهب عقلنا السكوني "المستقيل"، سُنياً كان أم شيعياً، ليستنطق المسكوت عنه، كي يُخرجه أقحواناً في لوحة التشكيل الفسيفسائي العراقي، ليُعيد إنتاج الهوية الوطنية المفقودة في حواراتنا المتأزمة. وسأشير هنا إلى بعض جوانب فكره.

1 - أنظر كتاب: مدارات عقائدية ساخنة، ط2 2018م، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، وأمل الجديدة، دمشق - سوريا، ص 160.

نقد الفهم التراثي للتراث وإشكاليات التجديد

يُعد ماجد الغرباوي أحد الكتاب العراقيين المهتمين بتجديد الفكر الديني. إنشغل بقراءة التراث منذ دراسته للعلوم الإسلامية وانتمائه الأيديولوجي والعقائدي في الدفاع عن التجديد بوصفه إتجاهاً دافع عن قيمة الإجتهد بوصفه إنفتاحاً في الرؤية ويحمل بين طياته إيماناً بقدرة العقل الإنساني وفاعليته في مقابل النص لا سيما بعد توقف باب الاجتهاد في الفكر السني عند الفقهاء الأربعة، الذي إعترض على توقفه جمال الدين الأفغاني في المذاهب الأربعة بقولته الشهيرة: "من أوقف باب الإجتهد، فحن رجال وهم رجال"؟، يقصد بذلك الأفغاني الفقهاء الأربعة "ابن حنبل وأبو حنيفة والشافعي والمالكي"، فهم رجال إجتهدوا، وكل مجتهد نصيب، ونحن رجال يُمكن لنا أن نجتهد، ولنا نصيب في إجتهدنا، فحن أيضاً بشر مثلهم منحنا الله عقولاً، لها مقدرة التفقه بعلوم اللغة والفقه والفلسفة، بما يسمح لنا بالإجتهد، ومعرفة موجباته وشروطه مثلما فهمها الفقهاء الأربعة في ضوء فهمهم لعلوم اللغة والفقه وأسباب النزول ومعرفة المحكم والمتشابه من أي الذكر الحكيم. ولأن النص القرآني يُمكن أن يُصاب بأعراض كأي حقيقة من الحقائق - كما يقول مرتضى مطهري - وهو كالماء الذي ينبع من العين الصافية، يُد أنه يتلوث بمجرد جريانه في الأنهار، بحيث يجب تطهيره وتعقيمه من الملوّثات ". وتلك هي مهمة المجتهدين المجددين، مثلما هي مهمة الفلاسفة، لا سيما ابن رشد وهي تنقية فلسفة أرسطو مما علق بها من شوائب الشراح.

لذلك كان دعوى الغرباوي مبنية على ضرورة تنمية الوعي وعدم تهيب الممنوع، "وإنما يتوغل في الشك حتى يفهم الواقع". متبنياً الدعوة لتبني "الثقافة النقدية" وتجاوز الثقافة المغلقة التي لا تُفضي إلا لواقع سلبي يُغيب الوعي ويُعتم الرؤية.

تنمية الوعي النقدي عند الغرباوي يتم بطريقتين:

1- تنمية وعي رسالي مُتجدد، يستطيع تحدي الممنوع، عبر إعادة تشكيل للوعي داخل فضاء معرفي، بمرجعيات تُحدد فهمها للنص الديني من خلال إدراكها للمستجدات الحياتية والواقع المتغير بكل ديناميكيته وحيويته.

2- عدم التسليم بالفهم الساذج للخطاب الديني الذي يستغل عواطف الناس ويلعب على وتر الوجدان، لتغيب عقل الإنسان ووعيه.

يكن تحقيق هذين الهدفين بقراءة التراث عند الغرباوي قراءة تاريخانية بعبارة عبد الله العروي وتجاوز "الفهم التراثي للتراث" بعبارة محمد عابد الجابري والقطيعة مع هذا الفهم للتراث، لا لرفضه، بل لإعادة الوصل به عبر فهم وظيفته اليديولوجية تاريخياً، كي نُعيد وصله بحاضرنا بما يُمكننا من توظيفه لتطوير مستقبلنا.

فالأمة تحتاج لخطاب ثقافي منفتح لا يتكور فيها الإنسان حول فهمه التراثي المؤطر بمحمولة الماضي فقط بوصفه الخطاب الوحيد الناجع لحل مشكل "النهضة". لذلك ينبغي لنا الإنفتاح على كل الخطابات المغايرة، لأن خطاب الآخر المختلف، هو عين أخرى تُرينا عيوبنا التي ترفض أعيننا رؤياها، ومن عيوبنا توالد المقدس وتولده المستمر في منظومتنا الدينية والاجتماعية الذي عطل هو الآخر كثير ممارساتنا الثقافية والنقدية التي يتوقف عليها تطورنا الحضاري والفكري وحتى الديني، فـ "الذات عينها كآخر" بعبارة بول ريكور.

لذلك يحاول الغرباوي الخروج من التصنيف التقليدي للمفكرين العرب، المغتربين زمانياً والمتمزجين في غرف "التراث" أو الماضي، أو المغتربين مكانياً، من "المتفرنجين" بعبارة علي الوردي المقلدين لثقافة الغرب، يسировون معها تابعين، يحذون حذوها "حذو النعل بالنعل" بعبارة ابن سبعين في نقده لابن رشد في إتباعه لأرسطو.

النص وسؤال الحقيقة.. قراءة تحليلية

النص من نتاج مُبدعه، إن كان مُبدعه بشر مثلنا أو ما أوحى به المبدع الأول لرُسله وأنبيائه، وسؤال الحقيقة هو سؤال الفلسفة في سعيها للبحث عن الحقيقة الضامرة خلف الوجود، أو في ميتا النص القدسي، بل وحتى ميتا النص الابداعي للبشر.

في كتاب ماجد الغرباوي "النص وسؤال الحقيقة"¹ جرأة قلّ نظيرها في البحث عن (المسكوت عنه) في تراثنا الإسلامي وتماهينا مع تفسيراته (الدوغمائية) وكأنها سُبُل النجاة وسفينتها.

لا أدري لماذا يُحيلني الغرباوي في كتاباته ومنها كتابه هذا إلى تذكر كتابات (نصر حامد أبو زيد) لا سيما في كتابه (النص، السلطة، الحقيقة)، لربما لأنهما يشتركان في ذات الهم، ففي كتاب (أبو زيد) إشتغال على نقد القراءة الأيديولوجية (العقائدية) للتراث، وذات الهم في كتابات الغرباوي، وفي كتاب (أبو زيد) نزوع نحو تبني النزعة التاريخية، وكما عرفها أبو زيد أنها "تعني الحدوث في الزمن، حتى لو كان هذا الزمن هو لحظة إفتتاح الزمن وابتدائه، إنها لحظة الفصل والتمييز بين الوجود المطلق المتعالي - الوجود الإلهي - والوجود المشروط الزماني، وإذا كان الفعل الإلهي الأول - فعل إيجاد العالم - هو افتتاح الزمان فإن كل الأفعال التي تلت هذا الفعل الافتتاحي تظل أفعالاً تاريخية، بحكم أنها تحققت في الزمن والتاريخ، وكل ما هو ناتج عن هذه الأفعال الإلهية "محدث" بمعنى أنه حدث في لحظة من لحظات التاريخ"².

اشتغل الغرباوي على النص ومُشكلات السياق، وكذا الحال مع (أبو زيد)، فقد حاول الغرباوي الكشف عن الدال في النص الذي ظل يُستخدم في حقله الدلالي واللغوي الأصلي و"التاريخاني" بعبارة عبدالله العروي من دون المساس به، وكأنه نص لا يقبل التأويل، أو من غير المسموح لنا تأويله!

شارك الغرباوي علي حرب في تمييزه بين النص والخطاب، فالنص بحسب علي حرب "لا يحمل دلالاته في ذاته دلالة جاهزة ونهائية، بل هو فضاء دلالي، وإمكان تأويلي، ولذا، فهو لا ينفصل عن قارئه"³.

1 - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة.. نقد مرجعيات التفكير الديني، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا وأمل الجديدة، دمشق - سوريا، 2018م..

2 - نصر حامد أبو زيد: النص، السلطة، الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1995، ص71.

3 - حرب، علي، نقد الحقيقة، 1995م، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ص 9.

"النص - بعبارة علي حرب - ينص على المعنى الجوهرى الأصلى"¹، و"الخطاب حجاب"² لأن "الخطاب يُمارس بطبيعته حجباً للواقع"³.

كتب الغرباوى فى نقد مرجعيات الفكر الدينى فى مُحاولَة منه للعب على (المسكوت عنه) وكأنه لاعب سيرك يمشى على جبل شبيه بالأعراف، ألا وهو الخيط الرفيع الذى يمشى عليه بعض السالكين بين الجنة والنار، فم يُتقن منهم اللعب سيعبر ليكون من أهل الجنة.

مثل ماجد سينجو ونحن القراء الفقراء (المشاهدين) نلحظ مهارته وقلوبنا تدق وكل منا يُخاطب نفسه بالقول: إنه سيقع، وحينما ينتهى العرض نجد أن الغرباوى سار على الحبل ولم يقع.

ربما يُنتقد وتلك من ميزات الكتابة المميزة إن كان صاحبها مُتمكن من أدواته، ولا أظن أن هُناك من يختلف معي من الذين قرأوا كتابات الغرباوى فيقول غير ما أقول في أن الغرباوى ماهر فى نقده وغوصه فى مرجعيات الفكر الدينى التى هى فى الأصل مرجعياته.

يبحث الغرباوى فى مقاصد الدين وغاياته، وينتقد توظيفه الرجعى (الآثم) وما يعيشه دعاة هذا التوظيف من العيش فيما أسماه الغرباوى "أوهام الحقيقة".

رغم أن الغرباوى يعترف بـ "أن لكل نص سلطته" إلا أننا نجده مُتمرداً لا يرتكن لسلطة نصية بقدر ما يرتكن لسلطة العقل.

عودته للنص بوصفه نتاج معرفى يستمد منه رؤيته لفهم جديد يُقوض الفهم القديم أو السائد، لذا نجده لا يهمل النص حينما يؤسس الآخرون لهم سلطة يدعون أنها من أصل من أصول وجود النص.

1 - المصدر نفسه، ص 24.

2 - حرب، علي، نقد النص، 1995م، المركز الثقافى العربى، بيروت - لبنان، ص 8.

3 - المصدر نفسه، ص 13.

لم يكن الغرباوي سوى قارئ للنص أو مُتلق يعي ما يقرأ، فضلاً عن وعيه بحيثيات نشوء النص وشروحه وهوامشه، لذا نجده يكتب في نقد النص بوصفه مُتلق واع يعرف أن قيمة النص تزداد أو تنقص بمقدار ثقافة ووعي قارئه.

إن كل فهم إرتكاسي أو نكوصي للنص إنما هو نابع من ثقافة القارئ (المُتلقي) وبيئته، وكذا الحال مع القارئ المُتلقي (التقدمي) وهنا نقصد بهذا المفهوم هو مقدار ما يمتلك القارئ من شغف في القراءة وقبول التنوع والإختلاف الفكري والعقائدي بوصفه إضافة معرفية لما تحتزنه الأنا.

يُميز الغرباوي بين النص والخطاب، فالنص عنده "مُغلق على منطوقه مهما بلغ من ثراء في مداليه"¹.

"وأما الخطاب، فمُتحرر نسبياً بما تقتضيه تقنيته، لكنه مُغلق حول رسالته، لا يُمكنه التلاعب بها، بل تقتصر مهمته على إقناع المُتلقي وترسيخ إيمانه"².

وهنا نجد أن الغرباوي يرى أن مهمة الخطاب هي مهمة رسالية أو عقائدية، بل وحتى أيديولوجية، وينبغي لمن يؤمن رسالية الفكرة تصديرها والدفاع عنها لا نقدها وتحليلها.

أما النص فهو كما صرح بذلك من قبل أستاذنا حُسام الدين الألوسي أنه نص (استاتيكي) وكل ما فيه من حيوية و "ديناميكية" إنما تأتيه من القارئ أو المُتلقي، فإن كان ذلك القارئ ذا ميول "دوغمائي" ستجد أن النص مُقفّل لا مساحة فيه ولا قبول لكل مُحتف أو مُغاير، ولكن إن كان القارئ (المُتلقي) يعيش في مُجتمع مدني ويمتلك ثقافة فيها قبول للآخر فستجد يفك إنغلاقية النص ليجعله ناطقاً بالحبّة والموودة والدعوة للتسامح والتعارف.

1 - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة.. مصدر سابق، ص 24..

2 - المصدر نفسه.

لا يدعو الغرباوي لنقد النص لأنه يرى أن النص القدسي عصي على النقد، ولكنه يدعو للكشف عن ثراء المعنى الظاهر للنص أو الكامن فيه.

حاول الغرباوي في كتابه هذا الدفاع عن حرية المعتقد، ونقد الفهم الفقهي القاصر للنص.

يرى الغرباوي أن سبب ما نعيش فيه من بؤس وتحلف ثقافي وفكري إنما هو نابع من "إمعان المذاهب الإسلامية في تشويه معالم الدين".

إن الدين برأيه له حقيقة واحدة، ولكن سُبُل الوصول لها تتعدد بعدد أنفاس الخلائق كما يقول ابن عربي.

لا يختلف الخطاب الديني عن الخطاب الطائفي أو المذهبي، لأن في طبيعة التكوين فيهما نفي واقصاء للآخر، والخطاب الديني ليس الدين، بل هو فهم الدين كما يرى (عبدالكريم سرور).

في باب الكتاب الثاني (النص والحقيقة) أحالي الغرباوي لكتابات علي حرب "نقد النص" و "نقد الحقيقة" ولا أدعي تطابقهما بقدر ما أرى تناغمهما وإنسجامهما في تبني لازمة أثيرة في سمفونية النقد للنص والإنشغال في "سؤال الحقيقة".

فالغرباوي يرى في الخطاب نزوع نحو تبني موقف عقائدي أو أيديولوجي ما والدفاع عنه والترويج له، فالخطاب فيه استحضار وتغيب، والنص أداة بيد من يرم استحضار أو تغيب.

يبحث الغرباوي في نص القرآن عن آيات بينات تدعونا للتعقل وتبني الإيمان وفق منطق عقلي برهاني، والجميل البهي في كتابه هذا أنه لم ينشغل بأقوال الصوفية والعرفاء وصيغ كتاباتهم الإنشائية بقدر ما كان مُنشغلاً باثبات عقلانية النص الديني، أو ما قال عنه بأن "القرآن يطمح لإيمان برهاني"، ولا تقدير عندي لمقصده لأنني أعرف أن خطاب القرآن فيه مقبولية لمن آمن على الفطرة أو آمن وفق مُقتضيات الخطاب الجدلي، وهناك بعض من البشر خصهم القرآن بقولة "الراسخون في العلم" وربما يكون هؤلاء هم الفقهاء، أو ربما يكون الصوفية وبلحاظ الآية "وإدعو إلى سبيل

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" ومن يدعو لسبيل ربه بالحكمة هم الفلاسفة، وربما يكونوا هم من قصدهم النص.

"الناقد هو الوحيد القادر على تحدي النص في مراوغته"، والمراوغة يعني بها الغرباوي "مراوغات الخطاب الديني" و "تزوير الوعي"¹.

الإيمان خطاب عاطفي بحسب ما يرى الغرباوي، ومهمة "القراءة التأويلية" هي الحفر في "اللامؤفكر فيه" ونقد ما أسماه الغرباوي "قبليات الوعي التراثي" وتجاوز تداعيات "المهيمن الرمزي" الذي ظل عقلنا يستكين لمعطيائه، وأظن أن في رؤيته هذه توظيف لمفهوم (بورديو) (الرأس مال الرمزي)، أو الإفادة من توظيف أركون لمقولات (بورديو).

"إن أزمنا الحضارية أزمة عقل أولاً، فنحتاج لتفكيكه وإعادة تشكيكه وفق مبادئ ومناهج مُنتجة للمعرفة والقيم الحضارية".

كان جرأة الغرباوي في تفكيكه وتحليله وهو الخبير بمضمرات النص وتفسيراته الفقهية تتجاوز في جرائها بعض من أطروحات المناهضين لسلطة النص والقبول بنزعه التسليمية.

في كتاب الغرباوي هذا كشف وتعرية للخطاب بوصفه "وعي زائف" بعبارة الماركسيين، ليحفر في (المسكوت عنه) في النص بوصفه (بنية معرفية) همهما نقد الوعي السائد للانتصار للوعي العقلاني المضمر الذي لا تروم تفاسير المفسرين الكشف عنه، ولا فقهاء الأزمان المتعاقبة يرغبون بذلك.

من ميزات نتاج الغرباوي (العقلنة)، ونقصه بالعقلنة هنا هي محاولة الغرباوي مقارنة النص مع الواقع، أو (التفسير الواقعي للنص) للخلاص من يقينيات التفسير الفقهي للنص.

سؤال الحقيقة هو سؤال الفلسفة التاريخي، ولكن هل تمت الإجابة عنه؟، بالتأكيد ستكون إجابتنا (كلا)، لأن في حال وجود إجابة يقتنع بها البعض سيتحول سؤال الحقيقة من كونه سؤال معرفي ليصير جواب لتفسير نزوع أيديولوجي، وذلك ما يبغيه الغرباوي.

كان جُل هم الغرباوي في كتابه هذا هو مُلاحقة سؤال الحقيقة وتشريح استفهاماته، كي لا تضيع في راكد القول، بقدر ما يُصيره أسئلة أخرى تستفز العقل النقدي وتفضح مراوغات النص.

رغم أن الغرباوي يرتكن بكتابه هذا لدحض الحجة بالحجة العقلية، وهو كتب في في تعلم طرق (الحجاج)، إلا أنه يرغب بأن يكون قوله شبيه برمية هداف في مرمى الخصم.

الخصم عنده ليس هو الحكم، لأنه يُفكك مقولات الفكر الديني بوصفه حكماً لاخصماً، فهو من نمت معرفته داخل فضاء هذا الفكر، ولا زال يعشقه ويرغب بالانتماء له، وإن صنفه من لا يفقه بأنه خارج عن النسق الموروث في تبني المعتقد والدفاع عن مذهب.

ميزة الغرباوي أنه لا يخشى نقد ما سُمي بـ "الخطوط الحمراء"، فهو يشتغل في الكشف والتعرية لخطاباتها لا لأنه يروم الكشف عن زيفها الضامر في أقوال وكتابات أصحابها، بل لأنه مُحب للحكمة، لذلك نجده يهيم في نقد الوعي (اللاتاريخي) السائد في فهم المقدس سعيًا منه لتصحيح مسار (المعرفة الدينية) وتجاوز أسطرته في المخيال (الشعبي) والتغني بـ (اللامعقول الديني) لجعله مُناسباً ومُتسقاً مع الفهم (التاريخي) للنص في زمانيته ومكانيته.

لم يكن كما ظن بعض مُنتقدي الغرباوي أنه يبغي التقليل من قيمة المقدس والديني في الإسلام (السني أو الشيعي) اللذين نالا حظهما من نقد (الغلو) في دفاعهما الأعمى عن مُتبنيات يرتكنون إليه من دون دليل عقلي.

في كتابات الغرباوي جرأة المفكر والكاتب الحر الناقد للتمذهب بكل توجهاته
المؤسّطة والمؤطرة، إسلامية كانت أم دينية مُغايرة، لأنه يرى أن جُلّ من يدعون
التدين لا يهتمهم دين الله بقدر ما تهمهم مذاهبهم.

ما يخلص له الغرباوي في كتابه (النص وسؤال الحقيقة) هو أن كُلّ مُتبنيات
التفسير الفقهي للدين إنما هي من مُتبنيات الفُقهاء، فلم يكن مُحمداً سوى بشر (وما
أنا إلا بشر مثلكم)، فكفى بنا فقداً لأنستنا ورمي أنفسنا ببراثن الجهل والأسطرة،
ولنكف ولو قليلاً عن خُرافاتنا وإمعاننا في تجهيل من لا يعرف مضامين (النص).

لينتهي بنا أن سؤال الحقيقة محاولة للتنشيط الفكر لا الاتيان بأجوبة جاهزة
(مُعلبة)، وسيبقى سؤال الحقيقة من مرامي من ينحو نحو الفلسفة، ولكن هذا لا يعني
أن من ينحو نحو الإيمان أن يتخلى عن مساعي (النص) في التماهي مع العقل
وموافقته، وإن كان الإيمان أمراً شخصياً، فلا يعني ذلك تخلي العقل النقدي عن سعيه
في كشف وتعرية المقول التسليمي المؤسّط (الخارج نصي) كما يفهمه دُعاة العقيدة
من الذين لا يقبلون سوى بتقبل النقل كما يراه من وثقوا به من أصحاب الدراية
والرواية.

إنه استقالة العقل التي لا تنسجم وسؤال الحقيقة الذي يرنو للكشف عن زيف
الخطاب ومراوغته في تحميل القول لخداع الآخرين من الذين لا يفقهون البنية اللغوية
والحجاجية، بل وحتى البرهانية للنص.

من رسل الوعي الإنساني المفكر العراقي ماجد الغرباوي

بقلم: أ.د. عبد الباسط سلامه هيك¹

حاول المفكر العراقي ماجد الغرباوي، مدفوعاً من حبّه لوطنه العراق، الحفر في البنى الفكرية والمعرفية لعدوانية المرء تجاه الآخر، أياً كان الآخر داخلياً أم خارجياً، فشعور الكاتب بالمسؤولية تطلّب منه قدراً كبيراً من الصراحة والمكاشفة والتعريّة الحقيقية للقيم السائدة والمفاهيم الحاكمة، متجنباً الحلول التزيينية التي تعتمد على التستر والمدارة والخوف من المواجهة فلا تنتهي إلى نتيجة جذرية، فالعراق كدولة يحتاج للنهوض إلى نسق فكري يقبل حالة التعدد التي لا بد منها، إذ أنّ المجتمع العراقي متعدد الأديان والمذاهب والقوميات: فهناك المسيحي والصابئي واليزيدي، والشيعي والسني والعربي والكردي والتركمني بالإضافة إلى اختلاف الثقافات والأفكار والاتجاهات السياسية..

وسواء أكان الإنسان عدوانياً بطبعه كما يرى هوبز، أو مدنياً بطبعه كما يرى غيره، فلا يمكنه أن يعيش بعيداً عن تكوين اجتماعي يعترف أفرادُه بحقوق متبادلة، لا يمنّ فيها طرف على آخر، فلا يوجد استحقاقية لدى الأكثرية تتفوق بها على الأقليات في الحقوق الأساسية.. غير أن المجتمع يُدير حركته، ويُحدد اتجاهاته، نسقاً قيمي وأخلاقي يركز على مجموعة من القيم السلبية الموروثة من عصبية ورفض وإقصاء للآخر، وتُشرّع للعنف، ولا بديل لمواجهتها إلا بنسق قيمي وأخلاقي يركز على إحلال "التسامح" في ثقافة وعقل وسلوك المجتمع وتخفيف منابع اللا تسامح من التعصب والعنف والولاء المحدود للجماعة والقبيلة على حساب المجتمع والدولة، لا

¹ - باحث وأكاديمي مصري، متخصص في تحليل بنية الخطاب الديني، أستاذ علوم العربية والإسلامية جامعة الأزهر بالقاهرة

بديل عن اجتثاث القمع والتطرف من أجل بناء مجتمع يُمكنه استيعاب التناقضات والتقاطعات الحادة بين الأديان والمذاهب والقوميات..

وعندما نتحدث عن التسامح فنحن أمام مدلولين: مدلول لغوي اجتري عبر تاريخنا مشتق من السماح بمعنى الجود، وفي "الجود" يوجد طرفان: يدٌ عليا واهبة، ويدٌ سفلى متلقية، فالتسامح بالمدلول اللغوي يُشير إلى وجود فارق اجتماعي بين متسامح (بالكسر) ومتسامح معه (بالفتح)، فليس هناك مساواة بين الطرفين، فالتسامح لا ينفك عن المنة والكرم في المدلول اللغوي، ولم تُطوّر مفهوما ثانيا للتسامح؛ لأننا نستدعي تراثا تراكميا يُعبر عن فكر واحد نتوحد معه، ولا نتنقل بين أنماط متنوعة من التراث على نحو يُمكنه أن يُطوّر من أفكارنا..

في المقابل طوّر الدرس الفلسفي مدلولاً ثانياً للتسامح تقوم عليه المجتمعات المدنية المعاصرة، فلم يعد التسامح مقصوراً على مدلوله اللغوي في العربية أو الإنجليزية "Toleration"، فليس موقفاً فردياً اختيارياً يتنازل فيه شخص عن حقٍّ من حقوقه تكريماً ومنّة على الآخرين، وإنما أصبح واجباً تفرضه الحرية الشخصية التي يُراد لها أن تكون متساوية بين الجميع، فالتسامح الذي تُريد له أن يسود في مجتمعاتنا العربية هو موقف إيجابي متفهم لتعدد وتنوع الأفكار والعقائد والمذاهب والثقافات، فيسمح بالتعايش مع المختلف بعيداً عن العنف الإقصاء..

التسامح بهذا المفهوم أحد قيم المجتمع المدني، فلا يُمكننا أن نتصوّر مجتمعاً مدنياً دون تسامح، ولا تسامح دون مجتمع مدني كصيغة استيعابية للتنوع الديني والمذهبي والعِرقي للمجتمع في الدولة المعاصرة، وكصيغة يُمكنها تحقيق طموحات الجميع في حقوق متساوية، ونزع فتيل التوتر والصراع.

فدوماً مقابل "الذات" أو "الأنا" الدينية، أو العرقية أو العُرفية، أو الثقافية، يأتي الآخر، فإذا كانت "ذات الشيء" دلالة على نفسه وعلى عينه، والذاتيّ لكل شيء ما يخصّه، وما يُميّزه عن جميع ما عداه⁽¹⁾. ففي الجانب المقابل يُوجد دوماً "الآخر" بما

(1) التعريفات، ص ٥٧.

يحمله من غيرية مختلفة عمّا عليه الذات/الأنا، ولا يُمكننا تجلية الأنا/الذات، والتعرف عليها إلا بوجود آخر مختلف ومغاير لها؛ لذا قيل على لسان أحدهم: "حدد ذاتك يتحدد الآخر".

فالقِيم التي تحمي الآخر، وفي مقدمتها التسامح نحتاجها جميعاً بما أنّه كل منا هو الآخر لغيره، فكلّ منّا يُمثّل الأنا والآخر في الوقت نفسه، فهو بالنسبة لذاته "الأنا"، وبالنسبة لغيره "الآخر"، وبممكننا القول إنّ الآخر يتعدد، ويتنوع بتعدد، وتنوع دوائر مستويات الأنا والذات، فينجم عن ذلك وجود آخر ديني، ومذهبي، وقومي وعُرفي، وجغرافي، واجتماعي، وسياسي، فيختلف الآخر من دائرة إلى أخرى، فالموقع الذي يحدده الفرد أو المجتمع لنفسه هو بدوره الذي يحدد الآخر القريب أو البعيد،⁽¹⁾ فلا بدّيل عن قبول التعددية على مختلف المستويات..

وإذا كان لا يُمكن لنبات أن يعيش منفصلاً معلقاً في الهواء بلا جذور، فكذلك التسامح لا يُتصور أن يُوجد في ثقافتنا منفصلاً عن شجرة أخلاقية وقيمية، فالتسامح حتّى يعيش يحتاج إلى نسق أخلاقي وفكري واجتماعي، "فالتسامح ليس مجرد مفهوم يُراد استنباته ضمن النسق القيمي للمجتمع، وإنما هو نسق ثقافي وفكري وعقدي مغاير، له آليته في العمل وأسلوبه في التأثير، ومنهجه في التفكير، وطريقته في الاشتغال. فلا يمكن سيادة قيم التسامح ما لم تكتمل جميع مقدماته أي أن التسامح يقوم على سلسلة عمليات فكرية وثقافية يخضع لها الفرد والمجتمع كي يعمل بشكل صحيح ومؤثر".⁽²⁾

التسامح لا ينفصل عن نسق كلي من مفاهيم التعددية وحقوق الإنسان والمواطنة والحرية الدينية والفكرية.. والتسامح هنا ليس هو التسامح الديني فحسب رغم

(1) ينظر: محمد محفوظ، الآخر وحقوق المواطنة، الرياض، مركز الراهبة للتنمية الفكرية، يناير ٢٠٠٦م، ص ١٥.

(2) ماجد الغرابوي، التسامح ومنابع اللاتسامح، ص ١٦.

مركزيته، وإنما التسامح بمفهومه العام الذي يشمل التسامح السياسي والاجتماعي والديني.

ويؤكد الغرباوي أنه لا يتعارض النسق الأخلاقي القيمي الذي يضم التسامح مع الدين، وإنما يتعارض مع قراءات للدين، فالإشكالية ليست في المقدس لكن في فكر ديني ادّعى أنه المقدس، فعلى الرغم من أن التسامح مفهوم إسلامي غني في دلالاته غير أن القراءات المبتسرة للدين ونصوص الذكر الحكيم صوّرت التسامح مخلوقاً لا إسلامياً، أو مفهوماً مستورداً للإطاحة بقيم الدين الحنيف، وهي قراءات تشبث بها دعاة العنف والاحتزاب، ممن اختزلوا القرآن في بضع آيات نزلت في ظلّ ظرف خاص، بينما أهملوا مصفوفات قرآنية كثيرة تدعو إلى المحبة والوئام، ونبذ العنف والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة..

التسامح والتعددية ليست غريبة في روحها عن الدين، فالذي يحول دون التسامح ليس الدين وإنما قراءات أحادية تستدعي موروث ثقافي وتاريخي واجتهادات شخصية أدجت في بنية المقدس، فتوارث جيل بعد جيل تقاليد وأعراف لم ينجحوا في التخلص منها؛ لتسللها تحت جلد المقدس، ولسلطان التقليد المسيطر على العقل الجمعي الذي لا يُميز بين التقليد الديني والتقليد الدخيل على الدين، وهذا يتطلب منا أن نُعيد هذا الدخيل إلى سياقاته كنتاج إنساني حول النصوص المقدسة، من خلال عملية معرفية انتقالية نستفيد فيها من المناهج العلمية في الاجتماع واللغة والنفوس وسائر الدراسات الإنسانية، حينها سنجد أنفسنا أمام آفاق رحبة لتقبل القيم الإنسانية.

وفي محاولة منه لتفكيك النسق الفكري المسيطر على العقل العربي للكشف عن منابع العنف والتعصب في ثقافتنا التي تجعل التسامح غير فاعل ولا مؤثر في مجتمعاتنا العربية نُلخص أبرز العقبات والتحديات فيما يلي:

أولها: منطق الغلبة والاستحواذ التي عرفتها تجمعات الإنسان الأول، فحيث تندر الموارد يكثر السطو والنهب والسلب والغدر والاعتداء، فالارتداد للبدائية مرتّهن بالاحتكام إلى منطق العنف، وعلى النقيض يعكس التسامح تمدن وتحضر المجتمعات

القائم على الاحتكام للقانون.. فلا يُمكن أن يصير المجتمع متحضرا يحترم القانون ويعترف بالآخر بينما العنف متفشٍ فيه.

ثانيها: تجميل التاريخ، وتقديمه في صورة مثالية، والتوحد معه والاحتفاء به، وجعل العنف الذي انطوى عليه ليس مجالا للدراسة النقدية التي من شأنها أن تُساعدنا في اتخاذ مواقف أكثر نضجا في الحاضر..

ثالثها: الاستبداد السياسي، فكما تُعاني مجتمعاتنا من دعاة امتلاك الصوابية الدينية التي تكفر المخالف فإن مجتمعاتنا تُعاني كذلك من سياسة يدعون امتلاك الصوابية السياسية التي تُخون المعارض، فالاستبداد السياسي الرفض للآخر خصم حقيقي للتسامح، الذي يعتبر الاعتراف بحقوق الآخر جوهر التسامح الديني والسياسي والاجتماعي، وهذا التبدل للمغايير ليس قاصرا على الآخر السياسي، لكن له وجود داخل الأسرة والعائلة والحي، داخل قاعة الدرس، يظهر الرفض في احتكار المختلف وإرهابه وعزله وتهميشه انتهاء بقهره وسحقه.

رابعها: الاحتكار المزعوم للحقيقة وطرق الوصول إليها يُؤسس للمواقف العدائية والخصومات الطائفية.. فمن المقاربات التي تدفع نحو التسامح إعادة النظر في علاقتنا بالحقيقة، والأقرب للتجربة الإيمانية القائمة على اليقين ألا ننظر لها من زاوية تحويل المطلق إلى نسبي محتمل في جميع الأطراف، وإنما القول بأنّ الحقيقة المطلقة واحدة وتجارب الإنسان في السعي إليها متعددة، فتتعدد التجارب الدينية الساعية للوصول إلى الحقيقة المطلقة، "فالحق في ذاته واحد، ولكن القدرة البشرية على بلوغه متنوعة، وبالتالي مقارنة الحق متنوعة، مما يعني تعددية الرؤى والمذاهب ضمن الدين نفسه" فمثل هذا الطرح يسلب جميع الأطراف احتكارهم للحقيقة، الذي على أساسه تتشكل المواقف العدائية والخصومات الطائفية.

خامسها: الولاء للجماعة الدينية أو العرقية، وما يصحبها من حدة المشاعر، وتطرفها حبا وكرها، فبدافع من الانحياز عاطفي يُشيطن المخالف، ويُرفع المماثل إلى مستوى الملائكة، فيصعب من مجتمع يغلب عليه هذا النوع من المشاعر الحادة أن يكون مجتمعا متسامحا، يعترف بالخطأ، ويُعيد ترتيب أفكاره من جديد، يتقبل التنوع

والاختلاف بلا قلق ولا هجوم، فالعاطفة متوهجة من الحب أو الكراهية تحول دون العقلانية، فالتسامح ألا نقمع الآراء التي لا تُوافق عليها، ونحن في الوقت نفسه لا نُحب أو نُؤيد أو نُشجع هذا الآراء..

سادسها: منظومة القيم السائدة التي تتقاسمها العشيرة والدين والموروثات الشعبية، ولا يستند بعضها إلى مبدأ عقلي أو شرعي أو قانوني، فأكثر القيم الاجتماعية وليدة تراكمات اجتماعية واقتصادية وسياسية، تجذرت بسبب التخلف وبدائية الوعي، فالاجتماع صنع القيم السائدة ثم تناسى أنه من صنعها، فصير الإنسان أسيرا لها لا يستطيع التحرر منها.

فعندما تركز قيم المجتمع على العنف في تسوية الخلافات وانتزاع الحقوق، فإن الاحتكام إلى العقل والتسامح من قبل بعض الأفراد يصبح جبنا وعارا، وعندما يسود حالة من التمييز بين الرجل والمرأة يكون من المقبول اجتماعيا أن تسود نظرة دونية مثقلة بالشكوك وعدم الثقة تجاه المرأة؛ لذا يُفترض تفكيك أنساق المنظومة القيمية القديمة السائدة بشكل يجعلها تستجيب لنسق قيمي جديد يقوم على التسامح.

فليس العنف فعلا خارجيا فحسب، وإنما عقل وخطاب وثقافة، فالتحول إلى اللاعنّف يحتاج إلى تحول في مفاهيم القيم بحيث يركز الشعب على العقل والتفكير بدلا من اللجوء إلى العنف والقوة، فالتفكير في مقابل التكفير، والتسامح في مقابل التعصب، وقبول الآخر دون رفضه، وتحلّ التضحية بدلا من الأنانية، وهنا تترسخ ترسّخ قيمة الإنسان بوصفها أهم القيم الاجتماعية، فالفرد قيمته مستمدة من كونه إنسانا، وليس من انتمائه لقبيلة، أو جماعة، فمناط التّكريم أنّه إنسان قبل كل شيء "ولقد كرّمنا بني آدم"، وعلى حدّ تعبير كارل روجرز: "لا يُوجد وحش في الإنسان، الإنسان به إنسان" إطلاقه سيُقود بالضرورة إلى النسق التسامحي مستفيدا من تراكم خبرته بالصراعات والحروب وما تُخلّفه من ويلات.

سابعها: التعصب فهو تارة نتيجة عن العنف وتارة سبب في العنف إذ يُعْري الإنسان بممارسة العنف في فرض آرائه، وإذا كان التعصب حاضرا في تكويننا الاجتماعي لا محالة فنحن في حاجة إلى تفرّغه من الشحنات السلبية؛ ليُصبح حاملا

لقيم جديدة يتعصب فيها الفرد لصالح القانون واحترام النظام وتبني قيم التسامح والمحبة والوئام.

ثامنها: التطرف الديني "أحد أخطر منابع اللاتسامح، لتلبسه ببعد شرعي، وتوظيفه للنص الديني، وسرعة تصديقه من قبل الناس، وقدرته على التخفي والتستر تحت غطاء الشريعة والواجب والجهد والعمل الصالح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فالوعي الديني يُعاني من التباس الإلهي بالبشري عبر فتاوى وأحكام اجتهادية نسبية تسوّق على أنها تشريعات إلهية، تسلب الفرد حريته وإرادته عندما تفرض عليه قبليات المجتهد، سواء كانت عقدية أم أخلاقية، وتفرض عليه مواقف يلتزم بها بدوافع دينية، مهما تعارضت مع قيمه الإنسانية. ولعل الموقف من الآخر المختلف، بما فيه المختلف الداخلي أوضح المصاديق. يعيش معها الفرد حالة اغتراب عن طبيعته الإنسانية، فيحسب تصرفه تكليفا شرعيا قرّبه لله لتفادي تأنيب الضمير وقمع شكوك الحقيقة، وهي تُدوي في أرجائه. فنقد آليات وأدوات ومرجعيات ومباني الفقيه، مهمة أخلاقية لاستعادة الوعي، كخطوة أولى للنهوض الحضاري. والاجتهاد أحد المصطلحات الفقهية الخطيرة ارتفع به الخطاب الديني حد الاصطفاء الإلهي بعيدا عن حقيقته وأساليبه في تزوير الوعي بل وتشويه القيم الدينية الأصيلة عندما يُقحم الناس في صراعات عقدية وسياسية تحت عناوين طائفية وأيديولوجية، ويعتبر فتاواه وأحكامه ملزمة لأتباعه، ومبرئة للذمة".⁽¹⁾

أخيرا، إذا لم تُسَدِّد قيم التسامح وتُصبح فاعلة على المستوى الفردي والاجتماعي، ستبقى أسباب الانفجار كامنة، تتحين الفرص لتطفو على شكل موجات عنف متلاحقة تُطيح بكل ما هو جميل في الحياة، وليس الحلّ في المواجهات الأمنية فحسب التي ينتج عنها اختفاء العنف كفعل خارجي لكنه يبقى يُمارس سُلطته على الصعيدين الفكري والثقافي ويتجلى سلوكا وأخلاقا ومنهجيا، وهو أشد خطورة رغم تسوّره.. الحلّ في ثقافة نقدية قادرة على النفوذ إلى أعماق اللاوعي لتفكيك البنى

(1) ماجد الغرابوي، التسامح ومنابع اللاتسامح، ص ٧٦.

المعرفية القديمة وتأهيلها لاستقبال نمط فكري وثقافي جديد يعمل في إطار قيم التسامح.. كي تُواجه خطابا متطرفا منحازا لذاته، لا يرى إلا نفسه، يتعين علينا أن نُعزّز من سُبُل التعريف بالآخر في برامجنا التعليمية والثقافية، فمن المؤسف أن الثقافة الإسلامية المعاصرة تعرّضت لاختطاف من جماعات التمايز بالإسلام عن المسلمين، فأُمسينا في حاجة إلى التأكيد على المسلمات، وترديدها؛ حتّى يتمّ إدماجها في الوعي الجمعي مرة أخرى، ومنها: مقومات التسامح من حقوق المواطنة وسيادة القانون وإطلاق الحريات العامة وحمايتها أهمية التعرّف على الآخر، وقبوله، والاعتراف به.. فلسنا أمام اختيار، بل ضرورة لا غنى عنها لمنع التباعد، والاحترا ب، وتحقيق التنمية المستدامة التي يحلم بها الجميع، وهذا يتطلب تذليل العقبات التي تعترض طريق التعايش، واستمزا ج الآراء؛ لتكوين تصوّر عام يساعد على التقارب وتفسير الفجوة بين أصحاب.

ماجد الغرباوي

نقد وتجديد التفكير الديني في كتاب النص وسؤال الحقيقة

بقلم: أ.د. رائد جبار كاظم¹

تعيش المجتمعات العربية والاسلامية المعاصرة حالة من الجمود والتخلف والركود الفكري والعلمي والمعرفي، الا ما ندر من صيحات تجديدية تنويرية بسيطة هنا وهناك. واذا وجدنا بعضاً من مجتمعاتنا تمارس التحديث في مجالات الحياة اليومية والبيت والمؤسسة فان ذلك لا يتعدى تلك الحدود ولا يمس العقل والتفكير بشيء، فتفكيرنا تقليدي بامتياز وعقولنا لا تتجرأ على طرح الأسئلة والنقد والتفكير، لوجود موانع وتابوات تعيق التفكير وتحرمه، فأغلبنا يغادر التفكير الفاعل ويعيش التفكير المنفعل، ونسلك طرق بيباغوية في طريقة تفكيرنا ونقلد الآباء والأجداد في ذلك المسار.

لقد استطاعت المجتمعات المتقدمة الخروج من نفق الظلام والجمود والركود، من خلال تغيير نمط التفكير السائد في مجتمعاتها، مما ساعدها على دخول عالم الحداثة والتجديد بشكل منتظم وسليم، أي ممارسة الحداثة والتحديث في نفس الوقت، على مستوى الفرد والمجتمع، مما جعل عملية الاصلاح والتغيير تُمارس يومياً كسلوك فردي وجماعي يضمن النجاح للجميع، سواء في المؤسسة السياسية أو الاجتماعية أو التربوية والتعليمية أو الدينية، وهذا ما جعل لحظة الحداثة الغربية لحظة واقعية معاشة لا مجرد صيحات وشعارات فارغة يرفعها دعايتها بصورة فردية هنا وهناك. ولذلك كانت ثورة الاصلاح والتغيير في الغرب منذ قرون ثورة اصلاحية عامة شملت جميع

1 - أستاذ الفلسفة والفكر العربي والاسلامي المعاصر في الجامعة المستنصرية. كلية الآداب. العراق.

المجالات الفكرية والحياتية والمؤسسية والدينية والمعرفية، ثورة أقرنت بالنقد والتقويم والتفكيك، وهذا ما أدى الى نجاح تلك المجتمعات عملياً ورفيها وتقدمها في مجالات عدة بخلاف مجتمعاتنا العربية والاسلامية التي ترزح تحت أقدام الظلم والتعصب والكرامية والتخلف والجهل، مجتمعات لا تريد مغادرة تلك الأزمنة البائدة، وما يشجع على ذلك هو هيمنة السلطة السياسية من جانب والسلطة الدينية من جانب آخر، وبتزاورهما وسطوتهما معاً على الفرد والمجتمع يحصل ما لا يحمد عقباه على أرض الواقع، وهذا ما لاحظناه على مرّ التاريخ البشري لكثير من المجتمعات، في حين أن العالم الغربي اليوم يسير بمنأى عن ذلك التفكير وتلك الهيمنة بنسبة ما تختلف عن طبيعة مجتمعاتنا المتشنجة، وهذا ما تكفله الحرية والتعبير عن الأفكار والآراء بصورة نقدية حرة لا تخضع لسلطة القمع والاستبداد والقتل والتعذيب.

ومن خلال تلك الأجواء وذلك الفضاء الحرّ نجد دعوات فكرية نقدية واصلاحية تغييرية وتجديدية حرة ومتحررة تصدر من عقول مفكرين ومثقفين وكتّاب عرب ومسلمين تنفسوا وعاشوا الحداثة بشكل يومي في الغرب، على مستوى البيت والمجتمع والمؤسسة والحياة والتفكير، وعلى أساس ذلك حاولوا نقل تلك الأجواء والأصداة الحرة الى مجتمعاتنا العربية والاسلامية، من خلال طرح مشاريع فكرية وثقافية تجديدية تحاكي الغرب وطريقته في التفكير والسلوك والنقد والثورة، ومن هذه الشخصيات والاسماء الفكرية المجددة يبرز المفكر والمثقف العربي العراقي ماجد الغرباوي، رئيس مؤسسة المثقف العربي في أستراليا، وهو مفكر اسلامي تجديدي اصلاحي برز على الساحة الثقافية العربية والاسلامية اليوم، وذلك من خلال مشاريعه الفكرية الجديدة وطروحاته الفكرية المتنورة وكتاباتة النقدية الجريئة، التي تحاول تفكيك التراث ونقده بآليات عقلية وفكرية حداثوية أقتبسها من محيطه وبيئته التي يعيشها في الغرب اليوم، وما كان للغرباوي أن يمارس النقد والتفكيك والتحليل والدعوة لإصلاح التفكير الديني والتغيير لولا أجواء الحرية والحداثة والتنوير التي يتنفسها يومياً وهو في أرض الغربة، غربة عن وطنه وأرضه وأهله ومحبيه، ولكنه أستطاع بفكره ونقده وصبره تحويل تلك الغربة الى وطن، وتحويل هذا الوطن الى مؤسسة حرة وحيوية فاعلة يستظل فيها جمع من الكتّاب والمثقفين والمفكرين

التنويريين الذين يؤمنون بقيمة النقد ونقد النقد، والايمان بالآخر كقيمة الايمان بالانا، وهذا ما أستطاع الغرباوي العمل عليه وتكريسه في مشروعه الفكري النقدي، من خلال مؤسسة المثقف العربي الرائدة، التي استطاع من خلالها الغرباوي نشر طروحاته الفكرية الجديدة من جانب، وتسويق فكره وكتابات من جانب، وتأثيره على الكتاب والمثقفين من جانب آخر، وهذا ما يحسب له بصورة واضحة جداً، اذ كان بحق مؤسسة في رجل، واستطاع تجسيد تلك المؤسسة والافكار والنشاطات في سلوكه اليومي والثقافي ويشهد على ذلك الكثير، هذا من جانب غربة الوطن والمكان الذي أستطاع كسره وتجاوزه وتشبيده لوطن يليق به ويعشقه، أما من حيث غربة الزمان والتاريخ، فأن الغرباوي لم يحاول الهروب من تاريخه وتراثه العربي والاسلامي والتمسك بتاريخ غربي جديد يريد تقليده وتمجيده، ولكن تاريخه ظل يرافقه طوال حياته منذ اللحظة الأولى لتشكّل وعيه وثقافته الى يومه هذا، ولكنه والحق يقال والذي يتضح من خلال سلسلة طروحاته وكتابات الفكرية أنه نظر لذلك التاريخ والتراث بعين ثانية غير التي كان ينظر بها اليه وهو يعيش في البلاد العربية والاسلامية، فالفرد منا حين يفكر ويكتب يكون أسير المكان والزمان الذي يعيش فيه ولا يستطيع تجاوزه والقفز عليه بجرأة وجدية.

لقد استفاد الغرباوي من الأجواء الفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي عاشها في مجتمعه الغربي، وحاول الاستفادة من تلك الأجواء للتفكير بهدوء في نقد المنظومة الفكرية والدينية الاسلامية، ومحاولة تهذيب وتشذيب الكثير من الافكار والآراء التي علقّت في فهمه وفكره التقليدي السابق، ونزع القداسة مما لا يستحق التقديس، وكشف الأقنعة والزيف المحيطة بكثير من النصوص والمعتقدات، وتعربة الخطاب الديني والسياسي، وبيان مدى التشابك الحاصل بينها مما حقق نمط من الهيمنة والتسلط، وجني عوائد وأرباح طائلة من تصالح السلطتين معاً، وهذا ما أدى الى وجود دكتاتوريات فكرية وثقافية ودينية لا تقل عن الدكتاتوريات السياسية الحاكمة، بل إن للأولى قصب السبق في تأييد ودعم دكتاتورية الحكام والحزب والسلطات الحاكمة، من خلال تقديم سند ديني وشرعي لإستبداد الحاكم والسلطة

السياسية المهيمنة، وقد لعب وعاظ السلاطين دورهم الكبير على مرّ التاريخ لتحقيق ذلك الهدف المقيت.

لقد عمل الغرباوي في العقود الأخيرة من فكره وحياته على زيادة مستوى النقد والتجديد والثورة على الخطابين الديني والسياسي المهيمنين على الساحة العربية والاسلامية، وذلك من خلال مؤلفاته الكثيرة في هذا المجال، ونذكر منها على سبيل المثال : (اخفاقات الوعي الديني) و (الضد النوعي للاستبداد) و (جدلية السياسة والوعي) و (مدارات عقائدية ساخنة) و (مواربات النص) و (الفقيه والعقل التراثي) و (مضمرات العقل الفقهي) و (تحرير الوعي الديني) و (تراجيديا العقل التراثي) و (المرأة وأفاق النسوية) و (المقدس ورهان الأخلاق)، هذا بالإضافة الى الكثير من الكتب والبحوث والدراسات والمقالات التي كتبها وناقشها في مجال الفكر الديني الاسلامي وتركت بصمتها وحضورها الفعلي بين المثقفين والباحثين، الذين وعى الكثير منهم طروحات الغرباوي التجديدية، وأيقظتهم أسئلته واشكالاته الفكرية والمعرفية التي تستفز العقول وتفجر فيهم علامات الاستفهام والاسئلة، التي لم ندرب عقولنا على استعمال تلك الادوات المعرفية الجديدة والاسئلة العميقة في الفقه والثقافة والفكر، ومحاولة تعرية المقدس الزائف الذي رافقنا طوال حياتنا في التاريخ والسياسة والثقافة والفكر والدين والمجتمع، عبر تقنية جديدة وهندسة معرفية، تفكيكية، تحليلية، نقدية، سار عليها الغرباوي في مشروعه الفكري الجديد ومنهجه النقدي التجديدي الذي يدعو له.

وفي كتابه (النص وسؤال الحقيقة، نقد مرجعيات التفكير الديني الصادر عام 2018م)، وغيرها من الكتابات، وفي هذه الكتب والحوارات نجد الحضور الكبير للفكر النقدي للغرباوي، والذي يفكك فيه الكثير من قضايا التاريخ والتراث والدين والسياسة والأيدولوجيا والمعرفة، ويكشف عن مستوى التحريف والتزييف في مستوى الوعي الديني للجماهير، من خلال سلطة الفقهاء وزيف التراث، والمنهج اللاعلمي السائد في سرد الروايات والنصوص وفي معالجة الافكار. وهناك وعي جديد ومتقدم في كتابات الغرباوي الأخيرة تختلف عن وعيه السابق في كتاباته الأولى، وهذا ما يلاحظ على فكره وكتاباته المتأخرة.

وفي كتاب (النص وسؤال الحقيقة) لا يختلف الغرباوي عن سابق مؤلفاته ومنهجه وطروحاته الاخيرة، بل جاء الكتاب ليكمل مسيرته ومساره في عملية النقد والتفكيك الجريء الذي مارسه على نصوص وقضايا تراثنا الديني الاسلامي، ويعمل الغرباوي على معاملة التراث الاسلامي عامة (بشقيه السني والشيوعي) معاملة واحدة، بل تجده يُشرِّح الفكر الشيوعي قبل تشريحه للفكر السني، كي لا تؤخذ عليه أي نظرة للتعصب أو للنيل من تاريخ وتراث غيره، بل ويعمل على كشف عورات التراث الشيوعي بقوة، ويعري الخرافات والأسطورة الموجودة في تراثه وتاريخه المشحون بالكثير من العثرات والمثالب.

يهدف الغرباوي في كتابه هذا الى وضع خط فاصل بين ما لله من (دين) وما للبشر من (فكر ديني)، وتحقيق الفصل بين الأثنين، ولا يجوز الخلط بينهما وتشويه الأثنين معاً، في اعطائنا ما لله للبشر، وما للبشر لله، وهذا ما أدى الى تشويه النصوص والافكار والتاريخ والتراث، وتم منح القدسية للكثير من الأفكار ورجال الدين والسياسة، وهذا ما أدى الى الغلو في الكثير من الأفكار والمعتقدات، والخروج عن الحد، كما في قضية الولاية التكوينية التي تطرّف فيها الفكر الشيوعي بشكل كبير، ليتم منح الائمة صلاحيات مطلقة يشاركون الله في صفاته وأعماله، أو في تطرّف الفكر السني في تقديس الصحابة، أو الهبوط بصورة الله الى مستوى الانسان، ففي الفكر الشيوعي هناك تطرف، من قبل البعض، في مسألة أعلاء مرتبة الائمة الى مستوى الإله، وفي الفكر السني هنالك تطرف أيضاً، من قبل البعض، في مسألة هبوط الإله الى مستوى الانسان، وهذا ما أدى الى تشويه الكثير من الافكار من خلال التلاعب بالنصوص وتفسيرها وتأويلها حسب متبنيات ومرجعيات الفقيه وأيديولوجيته، يقول الغرباوي: (المشكلة ليست في الدين كوحىٍ إلهي، وإيمان يثري التجارب الروحية، بل في تحري مقاصده وغاياته وتوظيفه، وفهم دور الانسان في الحياة، وقيمة العقل في تطوره حضارياً. فثمة فهم أفقد الدين بعده الايجابي، وقدرته على تهذيب النفس وتنمية روح التقوى وكبح دوافع الشر. سببه فهم مبتسر لا يميز

بين القضايا المطلقة والقضايا النسبية في النصوص المقدسة. ولا يميز بين الدين والفكر الديني، ويصر على تجريد التراث من تاريخيته والاذعان لسلطته وأحكامه¹.

ويعمل الغرباوي كما قلنا الى بيان قيمة النقد في كشف الحقيقة وتعدددها، والعمل على ملاحقة المرجعيات والمصادر المعرفية والأيدولوجية لقارئ النص، فلا يوجد نص بريء — بعبارة التوسير — فكل نص وقراءة وفهم وتأويل ذلك النص له أيدولوجية متبناة من قبل صاحبه، ولذلك يقول الغرباوي: (ان نقد النص هو تعبير آخر عن سؤال الحقيقة، وهذه هي احدى مهام الكتاب وهو يلاحق مرجعيات التفكير الديني بحثاً عن مضمراتها، لفرز ما هو نسبي، وفصح مراوغات النص وتقنياته في وجود الحقيقة، لاستعادة الوعي واعادة تشكيل العقل وفق نظام معرفي يركز للدليل والبرهان في معارفه وعلومه، من أجل نهضة حضارية نستعيد بها انسانيتنا، ونستنشق رحيق الحرية، بعيداً عن سطوة التراث، وأسطرة الرموز الدينية)².

ان محاكمة النصوص والتراث الديني بعقل نقدي حُرّ قد يعجب جماعة ويرحبون به، ولكنه قد يزعج آخرين ويقلقهم، وبالتأكيد المجدد يرحب بالتجديد، والتقليدي والمحافظ يرفض ذلك تماماً، مدّعيّاً أن كل منهج تجديدي لا ينسجم ونقد الدين ومرجعياته، وكيف يتم نقد اللاعقلي بمنهج عقلي، واعتقاده إن أدوات المنهج التجديدي علمانية لا تتفق ومنهج الدين وافكاره ورجاله، هكذا يتم معاداة كل منهج أو مشروع نقدي تجديدي يريد تغيير ادوات المنهج وتوعية الناس بكل ما هو جديد من العلوم والمعارف، وهكذا يكثر الظن السيء بين اتباع المنهج والفكر التقليدي تجاه أي تحديث يمس الحياة والدين والواقع. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن رجال الدين والناس يتعاطفون مع الكثير من الافكار التي ينتسبون وينتمون لها، ومن الصعوبة اقناعهم بخطأ البعض من هذه الافكار، لأنها في عرفهم وعقولهم مُسلّمات و يقينيات مطلقة لا يمكن التشكيك بها، وقد أيد مقولاتهم تلك روايات

1 - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة.. نقد مرجعيات التفكير الديني، مؤسسة المثقف، سيدني

— أستراليا، وأمل الجديدة، دمشق — سوريا، 2018م، ص 7.

2 - المصدر نفسه، ص 9.

تاريخية مهمة صدرت عن أئمتهم ورجال دينهم ومذهبهم، وهي مطلقة لكل زمان ومكان، فكيف تكون على خطأ وتتعرض للنقد والتضعيف؟! متناسين أو رافضين تماماً لمسألة مهمة ألا وهي تاريخية النص وزمكانيته، من خلال إيمانهم بمطلقية الاحكام وعالميتها. والنص كما يرى الغرباوي يمثل سلطة ويمارس هيمنته على القارئ والمتلقي، فـ (سلطة النص: تعني هيمنته المعرفية، وفرض إرادته، ومحدداته، حينما يحتكر الحقيقة أو جزأها، ضمن آلية التفكير وانتاج المعرفة سواء كان مضمون النص مطابقاً للواقع ونفس الأمر أم لا . المهم قيمة النص لدى المتلقي، وقوة حضوره وتأثيره معرفياً. فكثير من الأوهام يتعامل معها الناس كحقائق مطلقة، تمارس سلطتها أسوة بغيرها من الحقائق، ويحتكم لها العقل. لذا فالقراءة هي التي تستفز النص وتراكم مدلولاته لأن لكل نص سلطته، مهما كان مستواها ، وقدرتها على التأثير، فثمة نصوص تندحر أمام القراءات النقدية، وأخرى تصمد، وتثري بمقاومتها فعل القراءة، وفقاً لشروطها وفعالية العوامل المؤثرة فيها)¹.

ومما يسجله الغرباوي أيضاً على قارئ النص، أيّاً كان نوع هذا النص وهذا القارئ، هو تلاحمه الوثيق مع النص، والخروج بفهم وقراءة متلازمة تماماً وتوجهات وقبليات ومرجعيات قارئ النص، فإنه (لا توجد سلطة للنص ومصدره خارج فعل القراءة، والمتلقي هو الذي يخرجها من القوة إلى الفعل من خلال منظومته المعرفية القابعة خلف قبلياته ويقينياته. لذا يختلف فهم النص من شخص إلى آخر، حسب ثقافته ووعيه وإدراكه وقدرته على النقد والتحليل والمحددات الفكرية والعقيدية، فقداسة القرآن مثلاً تستولي على المؤمن بما يملك من تصورات ويقينيات حول الخالق وقدراته اللامتناهية، فيقع تحت سلطة القداسة وهو يتدبر آياته، ويركز جهده على فهم النص دون نقده أو محاكمة مصدره، بينما يختلف الأمر بالنسبة لغير المؤمن، فينقد النص المقدس أسوة بأي نص غيره، بل ويتوغل فيه، لا لفهمه فقط بل للتعرف على مصدر سلطته وتعريه تقنياته، للكشف عن ملابساته، ومراوغاته، فيصف إله المسلمين بالجبار المتسلط العنيف، بينما يصف إله عيسى بالمودة والرحمة، رغم وحدة

1 - المصدر نفسه، ص 14.

المصدر حسب الفرض، ويقول عن إله موسى قنوط، غاضب والسبب أنه حُرّ في تغيير زاوية النظر بما يلائم هدفه من القراءة)¹. ومن الجدير الإشارة الى هذا التداخل بين قارئ النص وتوجهاته ومرجعياته وأيديولوجيته المحركة لفكره وفهمه، وهذا ينطبق على جميع النصوص، دينية سماوية كانت أم وضعية أرضية، فحتى تفسير النصوص الدينية كالقرآن مثلاً، من قبل المفسرين يخضع لتلك الاسباب والدوافع الموجهة للقارئ، ويخرج بفهم وصورة للحقيقة تنسجم ومرجعياته الدينية وتوجهاته الاعتقادية، (فلا دلالة للنص وسلطته خارج الفضاء المفاهيمي للمتلقي. فترى العقل التراثي مثلاً يخشع أمام النصوص الغيبية، والروايات التي تتحدث عن معاجز وكرامات الصالحين، وقد يعيد العقل تشكيّلها ومنحها أبعاداً أسطورية انسجماً مع توجهاته وثقافته، بينما يتوقف العقل البرهاني في قبولها، ما لم يرتكز يقينه لمبادئ عقلية، منطقية أو فلسفية.)².

وبالتالي فالغرباوي يرى أن هنالك محددات ومحركات ودوافع تكمن وراء قارئ النص وتوجهاته، من تاريخ وجغرافية ومجتمع ومعتقد وثقافة، توجهه الوجهة التي تجعله لا ينسلخ عن زمكانيته وتاريخانيته، وبالتالي لا وجود لحقيقة مطلقة يمكن أن تكون مرجعاً شاملاً ونهائياً للجميع، وعندئذٍ نعلم علم اليقين بأن الحقيقة حييسة ظروفها ورهينة قارئها، الذي قد يصيب وقد يُخطئ، وهذا التعدد والاختلاف في الفهم هو الذي شطّى الفرق والعقائد الاسلامية وجعلها مختلفة الفهم والقراءات، رغم تشابه مرجعياتها الفكرية والدينية والثقافية، وبالتالي نحن نحتاج الى التسامح والاعتراف بالآخر وأن لا نتزمت في فرض هيمنة ما على الآخر، لأنه لكل جماعة مفاهيمها ومرجعياتها وطريقة فهمها الخاصة بها التي تميزها عن الآخرين.

ومما يدعو له الغرباوي أيضاً هو ممارسة النقد واعتماد آلية معرفية منظمة لا تهمش الآخر ولا تلغي كينونته وهويته، فيقول: (فينبغي للنقد، كي يكون نقداً معرفياً منتجاً، أن لا يكتفي بتفكيك النص، وتحليل ثوابته، ومقوماته، ومعرفة طبيعته علاقته

1 - المصدر نفسه، ص 19.

2 - المصدر نفسه، ص 20.

بالمتلقي، بل يجب عليه التوغل أيضاً في أعماق المتلقي، وتقصّي مداراته المعرفية، وكشف تقنياته وأدواته في وعي النص، والأسباب المؤثرة فيه. فخلفية المتلقي لا تنفك عن النص وتقنياته في وعي حقيقته وسلطته. ولعلّ أوضح مثال تفاوت الخطاب العاطفي في تأثيره على المتلقي، كل حسب استعداده وأرضيته الثقافية والعاطفية، وشدة مأساوية المشهد، صحيح أن هذا الأمر يرتبط بمشاعر فطرية، إلا أن سبب التفاوت هو ثقافة الفرد الراسية في أعماقه والتي تتحكم بوعي الحدث التراجيدي، وفهم خطابه، فهي سر تفاوت تفاعل الناس معه، وبالتالي فهناك ثقافة مسؤولة عن فهم النص ومحدداتها وراء ما يطرحه من حقائق فالحقيقة لا تكون حقيقة إلا في ذهن المتلقي، حينما تغدو سلطة مؤثرة¹.

ويرى الغرباوي أن تلك الحقائق أو الحقيقة التي يتوصل إليها قارئ النص - باختلاف ثقافته ومرجعياته وأيديولوجيته وأختلاف وصفه وهويته - يخرج بفهم وقراءة من افرازات تلك الثقافة والوعي الذي يمارسه والمصلحة التي تحركه، فلا معنى لقراءة بريئة تماماً، حيث يقول: (ومعنى أن تكون الحقيقة سلطة مؤثرة، أي تصبح مرجعية تفرض محدداتها على تفكير الفرد، في قراءته لنصوص ترتبط بعلاقة ما بتلك الحقيقة. فمثلاً، يُعتبر المعاد حقيقة مطلقة بالنسبة للمؤمن رغم ميتافيزيقيته، فتنتابه رهبة عندما يقرأ مشاهد يوم القيامة عبر آيات الكتاب الكريم والروايات التي تتحدث عنه، فأصبح الغيب حقيقة بفعل ثقافة تكونت عبر تراكمات تاريخية، شاركت في تكوينها عوامل شتى، كالبينة والتعليم والعادات والتقاليد والشعائر والطقوس والخطاب الديني والتراثي والظروف النفسية والاجتماعية والتربوية المحيطة بالمتلقي، إضافة إلى وعيه واستعداده ومدى إدراكه ويقظته. بل والثقافة هي المسؤولة عن التحيز في قراءة النص وفهم دلالاته، وما من قراءة إلا وخلفها ثقافة تفرض محدداتها عليها، لذا فالقراءة البريئة مطلقاً للنص ضرب من الخيال. والتحيز قدر القارئ، مهما بالغ في موضوعيته واستقلاليته، لأنها حتمية النظام المعرفي التي يتوقف عليها فعل القراءة)².

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه.

يذكرنا الغرباوي هنا بمجموعة كبيرة من المفكرين وعلماء النفس والاجتماع والفلاسفة الذين يؤكدون على العلاقة المتبادلة بين الذات والموضوع، ومدى الدور الكبير الذي تمارسه الذات في خلق مجال الموضوع، سعته أو ضيقه، فكل شيء مرهون بالذات والأطر الفكرية (نفسية، اجتماعية، حضارية) التي توجه الانسان شعورياً أو لا شعورياً نحو الاشياء، وهذا ما ذكره علي الوردي مراراً وتكراراً في كتاباته، حيث يقول: (ان ما وصف به القرآن عقول الناس يشبه الى حد بعيد ما أكتشفه العلم الحديث من طبيعة العقل البشري، فالعقل البشري مغلف بغلاف سميك لا تنفذ اليه الأدلة والبراهين الا من خلا نطاق محدود جداً، وهذا النطاق الذي تنفذ من خلاله الأدلة العقلية مؤلف من تقاليد البيئة التي نشأ فيها الانسان في الغالب، وهذا هو ما أسميته في أحد كتبي السابقة بالاطار الفكري)¹.

فالعلاقة بين الذات والموضوع علاقة جدلية لا تنفك أبداً، وهي لا تتجرد من أطرها أبداً، وانما تقلّ درجة قوة تلك الأطر أو ضعفها، حسب ثقافة الشخص ودرجة وعيه ونضجه.

يبين جابر عصفور تلك العلاقة الجدلية بين ذات القارئ والموضوع المقروء، بقوله: (الذات القارئة لا تقيم علاقتها مع موضوعها في فراغ مطلق، أو هي صفحة بيضاء تماماً، وإنما تُقبل عليه، وهي تحمل سلفاً أهواء ذاتية، وميولاً سياسية أو اجتماعية مسبقة، بل توقعات قَبْلِيّة تظهر آثارها على نحو مباشر أو غير مباشر. في ناتج عملية القراءة تفسيراً أو تأويلاً للنص المقروء. ولذلك تعلمنا أنه لا توجد قراءة بريئة، وأن كل قراءة هي فعل تفسيري أو تأويلي من القارئ للنص المقروء. ويعني

1 علي الوردي. مهزلة العقل البشري. ط2. دار ومكتبة دجلة والفرات. بيروت — لبنان. 2010. ص 55. وينظر أيضاً علي الوردي. خوارق اللاشعور. ط2. دار ومكتبة دجلة والفرات. بيروت — لبنان. 2010. ص 58.

ذلك أن تفسير النص أو تأويله هو النص نفسه، لكن مضاف إلى هموم وتوقعات ومُسلّمات مسبقة للقارئ الذى يقوم بتفسير النص أو تأويله.¹

وهذا ما يؤكد عليه الغرباوي مراراً وتكراراً في ثنايا الكتاب، حيث يقول: (فالجميع محكوم لقبلياته وثقافته وأحكامه والكل يرسف في أغلاله، تطوقه أوهام الحقيقة، ومغالطات التفوق ونرجسية الأنا، ولا خلاص للفرد من سجنه إلا بمواصلة النقد والتفكيك، وتجاوز رهاب الحقيقة... وبالتالي فقراءة النص، وطبيعة ثقافة الفرد، وما يؤمن به من حقائق ويقينيات تلعب دوراً كبيراً في فرض سلطة النص، وهذا سر المواقف المتباينة من ذات النص. فمن يؤمن بقدسية النص ينتهي إلى نتائج تختلف عن يرفضه).²

وخلاصة القول نجد إن الغرباوي أراد من كتابه (النص وسؤال الحقيقة) تحقيق الأهداف الآتية :

- 1- محاولة النقد واصلاح منظومة الفكر والمعرفة والتراث الاسلامي والكشف عن النزعة الأيديولوجية السائدة في خطاب الفكر الديني الاسلامي.
- 2- محاولة تشكيل العقل الاسلامي وفق نظام معرفي يخضع لسلطة العقل النقدي والبرهان العلمي، بعيداً عن نزعة الأسطورة والتخريف الديني والفكري المزمّن.
- 3- ملاحقة مرجعيات التفكير الديني، بحثاً عن المضمّر والخفي وراء تلك المرجعيات والنصوص، وبيان ما هو نسبي في معرفة وقراءة النص والحقيقة مما هو مطلق، و(فضح مراوغات النص وتقنياته).
- 4- فهم متجدد للدين، من خلال الغوص في أعماق الظواهر الاجتماعية والدينية، والبنية الثقافية والمعرفية، بعقل نقدي وموضوعي متحرر من نزعة القداسة

1 - جابر عصفور. الهرميوطيقا ومشكلات التفسير والتأويل. مقال في صحيفة الاهرام المصرية. 28 ديسمبر 2018. السنة 143. العدد 48234.

2 - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة.. نقد مرجعيات التفكير الديني، مصدر سابق، ص 21.

وسلطة اللامعقول، لبيان الوجه المشرق من الدين، وبناء مجموعة من القيم الانسانية المحترمة بين الشعوب والأمم.

5- زعزعة اليقينيّات والمسلّمات الدوغمائية التي يتمسك بها الفقيه ورجل الدين لدعم فكره ومعارفه، وإعطاء الاهمية للفرد وعقله في محاكمة الكثير من الافكار من دون خضوعه لهيمنة الروايات والتاريخ والمؤسسة الدينية المؤدجلة.

6- رسم صورة واضحة لدور النص وخطورته على وعي الفرد والمجتمع، كمرجعية معرفية وثقافية للعقل الديني، وضرورة عدم التحيز في الاحكام واللجوء الى العقل النقدي السليم.

هذا ما سعى اليه الغرابوي في كتابه ذي الصفحات (304) وفصوله الستة عشر، وفق منهج نقدي تجديدي يحاكم النصوص والافكار ويكشف عن ما وراء النص وما قبله وما هو مضمّر من أيديولوجيا وسلطة في بنية المنظومة الفكرية والمعرفية والدينية الاسلامية.

ومما يؤسف له إن رواد التجديد — ومنهم الغرابوي — أنهم يحرثون بأرض بكر في مجتمعاتنا المنفعلة من خلال مناهج معرفية وفلسفية عقلية متقدمة، لا تنسجم وعقول ونفوس الكثيرين من المتلقين والمخاطبين، أي عدم وجود الأهلية المناسبة لتقبل هذه الرؤى والافكار المتقدمة، فالعامة يحركهم من يستغل عواطفهم ومشاعرهم الطيبة البسيطة من المنتفعين من جهلهم وبساطتهم، ويحذروهم من مخاطر التجديد والتنوير، ويؤلبون البسطاء والعامة على الافكار الجديدة، ومواجهة تلك الآراء بالعنف والتطرف والارهاب.

لقد أراد الكثير من رواد التجديد العربي والاسلامي نقل مجتمعاتنا الى مصاف المجتمعات المتقدمة في الوعي والفكر، ولكن نسي هؤلاء أن طبيعة مجتمعاتنا تختلف تماماً عن المجتمعات الغربية في عاداتها وتقاليدها وثقافتها، هذا من جانب، ومن جانب آخر الاصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي والمعاشي قد طال الغرب وواقعه ومؤسساته منذ عصر النهضة الأوربي، أما نحن فنعيش حالة من التخلف والانحطاط والفقر والمرض على كافة المستويات، فالفكر مرهون بواقعه ومجتمعه،

فكيف نتقدم ونزدهر ونتحضر من دون وجود أرضية مادية مناسبة تؤهلنا لذلك الرقي والصعود بين المجتمعات والأمم المتقدمة.

وما يخشاه البعض، من مشاريع التجديد وعليها، هو التذرع بحجة الخوف من محاولة فرض المفكر المجدد لأيديولوجيته على عقول الناس، وفرض وصاياته وهيمنته عليهم، والوقوع في فخ الأيديولوجيا بدلاً من الخروج منها، تحت ذريعة وصاية المثقف، وسلطة النص، وممارسة الحداثة والتنوير، وتخليص الناس من الأوهام والاصنام. وهذا ما يعمل على مواجهته والاذاعة له خصوم التجديد في مجتمعاتنا اليوم، وتحت ذرائع شتى، ومنها التذرع بالدفاع عن المقدس والحفاظ عليه، وبيان تهاافت الخطاب الفكري التجديدي تجاه الفكر والدين والمجتمع، الذي يبعد الناس عن حقائق الأمور، دون اعتماد منطق الحوار والنقاش الحر الهادئ، وذلك ما نخشاه نحن من خصوم التجديد ودعواتهم وحججهم الباهتة، ومما يؤسف له أيضاً هو عدم وجود مناطق محايدة ومتعددة لممارسة النقد ونقد النقد والوعي الحقيقي للتجديد، ولا توجد مناطق ثالثة ورابعة خارج المنهج الاحادي، ومنطق احتكار الحقيقة والنجاة، الذي يهيمن علينا، وعدم اعتماد منطق العلم في تحليل ومناقشة الافكار، وهذا ما يعمل عليه الغرباوي في كتابه، من خلال بيانه للأوجه المتعددة للحقيقة، وليس وجه واحد منفرد، ومواجهة (اليقين السلبي) كما يسميه، بمنطق متعدد الحقيقة والقيم. وهي دعوة تستحق الشاء والتثقيف لها والاطلاع عليها، لما تحمل من آفاق وأبعاد متعددة في فهم الذات وفهم الآخر، ومحاولة لقراءة الأفكار المختلفة والأطلاح على مختلف أوجه الحقيقة التي أنكفأنا عن الدخول فيها أو معرفتها وتقوقعنا داخل أطرنا المعرفية والفكرية والثقافية، دون ولوج عوالم جديدة تواكب الحاضر وتراجع وتختبر ما تقدم من أفكار وطروحات ونظريات وآليات قديمة علقت فينا وتعمقت حتى أصبحت مسلّمات و يقينات مطلقة لكل زمان ومكان، وهذا ما يعمق المشكلة البنيوية في ثقافتنا المعاصرة التي تخشى من كل ما هو جديد، وتحارب المناهج الفكرية والمعرفية المعاصرة التي تعتمد على علوم النفس والاجتماع والانسان ومنطق الكشف العلمي، اننا اليوم بأمس الحاجة لمعرفة وإعطاء ما لله لله، وما للانسان للانسان، دون أي خلط بين الاثنين، وبيان الصورة الحقيقية للحقيقة وعدم الخلط بين جميع أوجه

الحقيقة في حقيقة واحدة، فللحقيقة وجوه متعددة لا تنحصر بفكرة أو أيديولوجيا أو قائد أو فلسفة أو حارس للدين أو العقيدة، وهذا ما يحرص الغربي على تقديمه في كتابه هذا ونقده للمرجعيات المؤسسة للتفكير الديني. وهو كتاب جدير بالقراءة والبحث والتدريس، لما يحمل من آراء وموضوعات وطريقة جديدة في التحليل والتفكير، لم نألفها بعد في الأوساط الثقافية والفكرية التقليدية، الغارقة في التراث وآلياته وموضوعاته العقيمة.

في المعرفة والتجديد

قراءة اسلوبية في الخطاب الفكري

لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ محمد يونس محمد¹

تشكل تجربة الخطاب الديني احد الوجوه الاشكالية، ويصعب تفسير المواقف والامور بدقة مضمونة، حيث موضوعة الدين اصبحت نتيجة للتفسيرات التاريخية متعددة الوجوه، ودخلت في أفق دائري، منع عنها أن تقرأ بيسر واستدلال مباشر، وصعوبة وانعدام القراءة الموازية. نشير هنا إلى احد الاسباب الاشكالية في فرض القراءة من الداخل، والتي نسميها بقراءة الانتماء، فتلك القراءة تمتلك الاعتقاد الجازم، والتي تتعارض مع اغلب من ما ينجم من قراءة خارجية، وتعتقد تلك القراءة أنها المسؤولة الاساس عن قضية الدين ومحتواه، ومن تلك القراءة تولدت قراءات أخرى تختلف وتتفق فيما بينها. والاختلاف له وجوه مثلما الاتفاق له وجوه. وذلك وجه موقف ايديولوجي كما نرى في تحليلنا للخطاب. وتطورت تلك المسؤولية وتعددت إلى حد قد اصبحت ظاهرة اشكالية، وعلى وجه الخصوص مع العقل المثالي والحر، ومن الطبيعي القراءة الفكرية السليمة ستبتعد كثيرا عن الافق العام للمجتمع، والذي تتسيد فيها تلك القراءة الداخلية ذات الانتماء الجازم، والتي لم تفرض ذلك الموقف المطلق فقط، بل منعت أي تعرض لذلك الموقف، وبطريقة غير مباشرة اقتربت من الافق العام للمجتمع، وجبهة الفطرة والسذاجة والجهل، وتمكنت من صنع جبهة انتماء عاطفية تحتمي خلفها، لكن ذلك لم يمنع من وجود خطاب يمتلك التدبير اللازم والمنحى الفكري البليغ، وهو ينتمي روحيا للموضوعة الدينية، وذلك الانتماء

1 - ناقد وباحث فلسفي - بريطانيا

الروحي اهم من تلك العاطفة الزائفة، وقدم لنا المفكر ماجد الغرباوي احد الامثلة النوعية المهمة .

تشغل الطروحات الفكرية عند ماجد الغرباوي على تحليل بنية النص الديني من خلال المناطق التي تخص من جهة المنطق الجوهرى للدين، والذي يرتبط مباشرة بالعامل الإنساني مباشرة، ومن الجهة الثانية يرتبط بالفكر العالى، وليس بالفكر الادنى، حيث الادنى يكون واجهة للموقف الايديولوجي. أما العالى فيوازي العرفان، بالرغم من عدم تداخله. والخطاب والنتاج عند ماجد الغرباوي يتجاوز الايديولوجيا الدينية المغلقة، ويرى الغرباوي للنص الديني هناك هيمنة معرفية¹. وتلك المعرفة تجعل حقيقة النص متحركة وليس ثابتة، وهذا ما يعني بتخفيف البعد الايديولوجي للنص الادنى وليس الاعلى، فإن النص الاعلى خالي تماما من البعد الايديولوجي، وأما النص الادنى الذي دخل في القداسة، فهو يعتبر مغلقا على نفسه تماما. وتقابل ذلك النص المغلق واجهة العاطفة، ورغم ذلك اتجه ماجد الغرباوي إلى تفسير موضوعي لفكرة الغلق، وكذلك التعامل مع الفكرة بالتحريم لها وليس بالتعامل مع القداسة، والتي هي صناعة بلا مهارة جاءت من انتاج تلك الواجهة للعاطفة، وهناك من يشترك من جهة القداسة أيضا، من خلال ما يسمى اوهام النخبة. وتلك النخبة هي عضوية وداخل الزمن البشري، لكن التفكير لديها يكون عاموديا، وقد يوازي النص الاعلى، باعتباره نتاجا النص الاعلى. أو الترجمة من خلال النخب على مستوى البساطة، لكن تجد هناك تعقيدات كثيرة، ويرى الغرباوي بأن ذلك النص - يفرض أرائته ومحدداته²، لتعارض الطبيعة المثالية للعقل وتتجاوز لها .

تشكل مناحي التفكير المعرفة ليس نمط قراءة وتفسير وتحليل بتحديد المنهج الاحادي، وذلك من الممكن في دور الحداثة، وفي ما بعد الحداثة تغيرت المناحي بالتطور، لكن لا تلغي المنهج، بل تطور المنهج في القراءة ليكون بتعدد، وهذا ما

1 - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة، نقد مرجعيات التفكير الديني، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا وأمل الجديدة، دمشق - سوريا. 2018م. ص 14.
2 - المصدر نفسه.

اهتم به دور ماجد الغرباوي، وجعل القراءة في مثلث يبدأ من المنهج بالتفسير، ومن ثم يتجه نحو التحليل المعرفي، وبعد ذلك يكون ليس فقط امام النتائج، بل يجد امامه افكارا جديدة، وهذا ما يقارب منهج دريدا في تحليل النص. وفعلا المعنى للنص لا يستعاد، بل ينتج من جديد، حيث يرى ماجد الغرباوي النص الادبي قد استهلكت المعنى من أجل تثبيت القداسة، وتثبيت وحدة الزمن، ويعتقد أنه يجب (نقد مصادر المعرفة، وتحديد قيمتها المعرفية، والارتكاز للعقل في تفكيكها)¹. والتحليل الموضوعي يتفق مع فكرة الاهتمام بالمعرفة المتعددة التوجهات، حيث الاتجاه الاحادي يوازي مسؤولية النص الادبي، ويتوافق مع التفسير المباشر أيضا، ونظرية القراءة تحتاج إلى تطوير ألقها للتععدد ولكي نواجه النص بشكل متعدد وليس من جهة واحدة، فقد تجاوزنا القراءة الالفية التي فقط تهتم بسياق النتائج. ويعتمد الغرباوي القراءة المتعددة الافاق، كي نواجه عدة ابعاد للنص. والنص الاعلى يستقبل تلك القراءة النشطة في المنظور الديالكتي، وفي ذلك يكون النص دائرة معرفية أمام القراءة المتعددة، وهي قراءة معرفة وفهم وذوق ايضا.

يرى ماجد الغرباوي على العقل أن يتميز معرفيا بالتعدد امام النص، وكذلك عليه فعلا أن يميز حتى في التخصيص اللساني، وليس فقط في القبول والمعارضة، ومهمة العقل الحضاري ليست تتجه نحو النتيجة، بل تهتم بالتطور المعرفي للوصول إلى اعمق نقطة للنص التي تجاوزت القراءة الالفية لها، ويهتم العقل عند ماجد الغرباوي في معارضة تحديد حقيقة النص بشكل احادي، حيث يعارض العقل الموضوعي الخطاب الذي (يتصور أن ما يؤمن به يعكس تمام الحقيقة)². فالحقيقة في القراءة ليست أفقا واحدا في ذاته. القراءة دائما أمام وجهات نظر متعددة، وهنا يكمن الاشكال، فهناك وجهات نظر احادية، وعلى وجه التحديد في السياقات المذهبية، والتي تعتقد بأن نظرية الدين تنطلق من ذلك البعد الذي بناه الخطاب، وتلك

1 - الغرباوي، ماجد، موارد النص، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا وأمل الجديدة، دمشق - سوريا، 2020م، ص 20.
2 - المصدر نفسه، ص 99.

اشكالية تاريخية كما يرى الغرباوي. وليست فقط معاصرة. فصيورة الدين توالى عليها الصدمات، حتى انخرفت السيورة تماما عن السبيل الاساس لها، وأصبحت تحتل مسارات جيدة بديلة لذلك السبيل. والسبيل هو سبيل الحكمة، فيما المسارات هي نتاج العقل البشري الاحادي، والذي يهتم بالتفسير الذي ينتجه خطابه فقط، ويعارض اي خطاب آخر، بل يمتلك استعدادا لهدم أي خطاب آخر يواجهه. وفعلا العقل الموضوعي في تلك المعرفة الديناميكية أصبح أمام جبهه عاطفة وليس أمام الخطاب الاحادي الدور والموقف.

يهتم خطاب ماجد الغرباوي بالجانب الاساس على مستويات المعرفة والفكر طاقة العقل في التحليل الموضوعي، ويتجنب التفسيرات العامة، بل يمتلك الخطاب لقراءة ثانية ما بعد القراءة الأولى، والتي لا تكون معالجة بل تحليلا لاكثر من جانب احادي. وصراحة يدرك ماجد الغرباوي أهمية التاريخ، بالرغم من وجود اشكالات إزاء الاضافات البشرية، والتي تتنافس بالسيورة من خلال عاطفة القداسة الواهمة، والتي تتبع بشراكليا وتؤمن بالله. والخطاب تعامل مع تلك الاشكالية اكثر من موقف للخطاب. ويؤمن الغرباوي بأن النص يؤمن حقيقته بنفسه، وأما ما يضاف يسعى لكسب الموقف لنفسه، وتلك الاشكاليات المعقدة وقف امامها الخطاب الفكري بطروحات معرفية موضوعية، ولا يميل الخطاب نحو جبهة معينة، بل يضع الخطاب الجبهات والتاريخ امامه، ويتعامل مع التاريخ كما يتعامل مع خطابات الجبهات الدينية. ويؤمن خطاب الغرباوي بأن الحقيقة المفردة في النص العلوي، فيما النصوص الادنى تحتاج إلى قراءة مضافة، وهي ايضا تحتل حتى التأويل المضاد، بالرغم من ان خطاب ماجد الغرباوي لا يهتم بالتأويل المضاد، فهو معادل للنص البشري من الجهة المقابلة. أما المعرفة في الدايلكتيك هي انتاج ما بعد القراءة الافقية للنص. والمعرفة تعيد قراءة النص العلوي من اجل الفائدة، وما يستجد من أفكار معاصرة جيدة لم تستغل وتكرس من خلال النص الادنى، ولم تصل لها عاطفة التقديس، لذلك يمكن للخطاب أن يستمد تلك الافكاروينظم لها ويعيد انتاجها .

تقدم المعرفة في السعة الفكرية من الافكار عادة غير مكرسة، ولا بد من العقل ما فوق البشري، وليس العقل العلمي أو العقل الديني، ولا العقل السياسي، بل

العقل الحر في التفكير، والذي يملك حرية الموقف، وقد اتجه ما جد الغرباوي نحو تلك الحرية التي هي انتاج وليس كسب من المجتمع السياسي أو الديني، وقد طرح لنا في خطابه بكتاب - اشكاليات التجديد - ذلك الموقف، وقد اكتسب الخطاب قيمة انتاج الحرية، فهناك فارق كبير ما بين العقل الحر والعقل المقيد، لذا يسعى خطاب ماجد الغرباوي إلى كشف تعالج الاشكالات تعيد تفسير الافكار التي قيدت من خلال السلطة الدينية، والكشف أيضا يظهر دور السلطة السياسية، والتي هي تختمي في ظروف داخل السلطة الدينية وتختمي بها، وفي ظروف معاكسة تجعل السلطة الدينية خلفها، وخصوصا في المكاسب المادية، لذلك يجد ماجد الغرباوي من المهم أن (ينعم الفرد بحريات تتيح له المشاركة والمراقبة والمطالبة بحقوقه)، وكما جاء في الصفحة 12 من كتاب أشكاليات التجديد¹ كدليل معرفي على أهمية حرية الانتاج، ويعتقد ماجد الغرباوي الحرية الاجتماعية في محنة. فالمقدس يمتلك قيود، والسياسي أيضا يمتلك تلك القيود، والقبيلة والاسرة كذلك تمتلك قيود، وتلك القيود قد وقف ازاءها ماجد الغرباوي في كتاب - أشكاليات التجديد - على وجه الخصوص، وفي نفسه أيضا يقر بأن الحرية في محنة، وذلك منذ أن ذبح سيد الحرية من أجل السلطة السياسية .

إذا كانت الحقيقة الفكرية لا تحتاج إلى أقنعة أو تحسين كما يرى ماجد الغرباوي، فلماذا كل تلك الأقنعة التاريخية، والتحسين المرتجى الذي قلبه الصولجان الدين على قفاه، وتلك التحسينات التي ذهبت لصالح السلطة الدينية أو الدنيوية السياسية أو مركز القداسة، قد فصلت النظرية عن الواقع البشري لها، وكما استبدلت قيم الصلاح الإنساني إلى التزامات بالعبادات، على اعتبار عالم العبادة هو عالم الزهد، والعالم العملي للدين عالم الانجذاب للعالم، وهذا ما أنتج مجتمعات للدين في خمول تام، فالواقع العملي للدين هو الرهان، لكن عالم قداسة الفقهاء وعسس الدين حولوا المسار، ونستذكر هنا عندما بنى إبراهيم بيوتا لله، سأله الرب كم من الجياع أشبعت،

1 - الغرباوي، ماجد، اشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا والعارف للمطبوعات، 2017م.

وهذا ما يعني دور العبادة للخموم الدينى وللزهاد، فىما الواقع العملى لخلق قوانين صارمة للتعامل البشرى، وصراحة السلطة الدينية هنا قد تجاوزت عقبة عصبية، فلن يكون هناك إلا ذلك الالتزام العبادى، والذي قد أنتج له ذلك الكم من الأحاديث والروايات، والصلاة فى الجامع أصبحت البديلة لصكوك الغفران، وأصبحت النص الدينى الذى تستقبله السماء مباشرة، وتلك الشكليات استهلكت أوقات الأفراد، وتقريباً فأنعدم الاستعداد إلى الواقع العملى، وانعدمت الإرادة والحرية نتيجة لوجود آلية حكمت الحياة البشرية، ويرى المجلس من الواجب أن يكون النظر للعالم ليس ككيان من أشياء جاهزة، بل ككيان من عمليات، وهذا الرأي اعتقد يضعنا فى مواجهة حتمية مع الدين الجاهز الذى انتقده موضوعياً ماجد الغرباوى، الذى هو وثيقة وليس بنص، وتطرفها هذا استوجب الرفض والاعتراض والاحتجاج والنهضة، والعقل ليس تلك الخطابات الجاهزة، بل العقل الحقيقى هو ذلك الضمير الحيوى والفاعل كما عند خطاب ماجد الغرباوى، والخطابات نتاج وعى ونفس بشرية، وتختلف فيها وجهات النظر، وهذا هو جانب الاصاله الموضوعية.

يشكل الخطاب الفكرى عند ماجد الغرباوى ليس فى توجه مسار احادى، وأستبدل كلمة - مسار - فهي لا تتوافق مع بنية الخطاب، وكما أعتقد بأن كلمة - سبيل - أكثر ملائمة مع بنية الخطاب فى الجانب الموضوعى، والذي يعتمد عليه الخطاب بشكل اساس، فالخطاب يسعى إلى موازنة مفهوم كلمة سبيل، أى اتخاذ المعرفة الخالصة ذلك المبدأ لتفسير القضايا والافكار والمواقف، فالمعرفة فى السبيل يعنى الحكمة وليس المسار، فالمسار يأخذ ويلتزم بعد الايديولوجيا مباشرة، وتلك المباشرة بدورها ستخلق ذلك الرد فعل المعاكس، فيما الحكمة تختلف فتجعل رد الفعل يتخلى وينتمى لها. وصراحة لقد التزم ماجد الغرباوى فى خطابه بالحكمة كمنطق جوهرى، والتي هي مدعومة بالمعرفة الحققة، وكما مثل الخطاب الفكرى حالة وسطية ما بين التشدد والتراخى، وبالرغم من وجود فطرة للدين فى نفس ماجد الغرباوى، لكن تلك الفطرة الاصلية بحالة امتياز من النقاء النفسى، وكما إن الجدارة الموضوعية لم تكن قد تخلت عن قيمة واصالة سبيل الحكمة، بل كانت فى التحليل الفلسفى للخطاب قد لامست اعماق مناطق التفكير بتجرد تام، فالفطرة هنا هي اطار

شخصي يقف بنقاء خلف حرية الخطاب ويتوازى مع تلك الحرية والخطاب أيضا، ووحدة العامل الموضوعي كانت هي النفس الاساس للخطاب عند ماجد الغرباوي، ونحن هنا لسنا ازاء تضامن شخصي، بل نحن ازاء فهم موضوعي وفلسفة حرية نقرأ ميزات ذلك الخطاب من جميع الوجوه، ولم نغفل الجانب اللساني، فوحدات الخطاب الاساس هي الجمل، وتلك الجمل تحتاج إلى تصنيف لساني، ونحن مع فصل الفكر عن اللغة، والنظر للغة هل هي مشبعة بحس شخصي أم حس موضوعي، وقد لمسنا في التصنيف اللساني اللغة متخلية تماما عن الحس الشخصي، والعمق الموضوعي لم يقف عند حد كما فسر لنا المستوى الفكري، وركن المعرفة يتجاوز ما قد بلغ تحليله إلى ما يحتاج إلى تحليل له من المناطق المجهولة، والغة أكدت هيب في سياق الفكر والتجربة والوعي المنصف .

من الطبيعي هناك فارق ما بين الاسلوب الفكري المعرفي وما بين الاسلوب المنهجي المحدد، فالمنهج يعتمد على المسلمات، ويجد تلك المسلمات حقيقة راسخة، ومن هنا قد يدخل المنهج في باب التقديس بالرغم من المعيار العلمي، وهذا ما يخالف التفكير المعرفي، والذي يجد تلك الحقائق ليست مطلقة، والمعرفة هنا تشير مباشرة إلى الخطاب البشري وليس إلى النص العلوي، فالخطاب البشري ليس بحقيقة تلزم الجميع كما يرى ماجد الغرباوي، وقد تطرق في كتابه - النص وسؤال الحقيقة - والتي نجد تلك الاشارة التي تبدأ من العنونة هي واضحة وصريحة ومباشرة، فمجاد الغرباوي يرى كل خطاب هو وجهة نظر لايمكن لنا بالتسليم المطلق تماما، فنحن حيال فكرة مهمة يتبناها ماجد الغرباوي في خطابه، ووليم جيمس يرى بأن الحقيقة لا تستخرج من الواقع، بل هي امر يجب التعرف عليه، وأما مارتين هيدغر يرى تلك الكلمة النبيلة لقد استهلكت تماما حتى افرغت من أي معنى لها، وفعلا التصريح بالحقيقة الجازمة الذي يعارضه خطاب ماجد الغرباوي هو اعتقاد للحقيقة وليس الحقيقة نفسها، ومن الطبيعي الاعتقاد بفكرة من الطبيعي لا يعني الحقيقة نفسها، والاعتقاد هو تصور عن الحقيقة، لكن هو يزعم أنه مصداق للحقيقة، فيرى الغرباوي بأن القراءة المتحيزة فهي ستهمل الاسباب الموضوعية. وستفرض تلك القراءة ما تتبنى على المتن النصي، وتلك اشكالية تاريخية كما يرى ماجد الغرباوي، حيث ستقوم

بتشويه النص وتحتل مضمونه، وتلك القراءة لقد حكمت المضمون الديني بقيود العصبية والتطرف، وهنا لا تتجلى حقيقة النص، بل تصور تلك القراءة، والتي بنت على فهمها فقط .

قراءة ومراجعة في كتاب

مقتضيات الحكمة في التشريع

نحو منهم جديد في تشريع الأحكام

ماجد الغرباوي

بقلم: ا.م.د أسعد عبد الرزاق الاسدي¹

مدخل: يعد مجال علم الفقه والتشريع من المجالات التي شهدت تطورا في البنية والمنهج في المرحلة الاسلامية، فلم يتطور علم من العلوم الدينية وينضج كما في علم الفقه وأصوله، فضلا عن كونه المؤثر الأكبر في المجتمع والتاريخ من بين العلوم الدينية الأخرى، وهو بهذه المكانة أصبح يُنظر إليه من ناحيتين، فمن ناحية التفكير المنهجي المنضبط وما أسهم فيه من تهيئة منظومة من الأحكام التي تلي متطلبات الايمان الديني وتشكيل الهوية الدينية، كان دوره فاعلا على مدى التاريخ الاسلامي.

ومن ناحية توظيفه في تكريس بعض الميول والاتجاهات العقدية التي أدت بنحو وبآخر إلى خلق بعض الأزمات، كان ذلك من نتائجها السلبية، وهي بحدود تنبني تعود إلى مناهج الفهم البشري وكيفية التعامل مع النصوص التشريعية من قبل بعض البيئات والتوجهات الفكرية.

دأب الفقهاء المسلمون على قراءة النص التشريعي واستقاء الاحكام الشرعية لتوجيه الجانب العملي من الدين، عبر علوم الشريعة والاستنباط وبالأخص علم أصول الفقه الذي يعد من أفضل ما انتجته المعرفة الدينية الاسلامية بنحو عام، بما

أسهم فيه ذلك العلم من ارساء لقواعد منهجية منضبطة في تحليل النص التشريعي، بحيث نجح علم أصول الفقه في توظيف العلوم الآلية الأخرى (المنطق والنحو وعلوم اللغة..). في خدمة النص الديني، وهو مما لا يمكن تغافله برغم بعض الإخفاقات التي شابت بعض التوجهات في مناحي الاستدلال الفقهي في مختلف المذاهب الإسلامية.

لذا كانت دراسات الفقه وتشريع الأحكام موضعاً لإثارة الجدل والاختلاف بسبب تداخل العلوم والمناهج في عملية استنباط الأحكام، التي تعد من أعقد وظائف علماء الدين، لأن هذا المجال على صلة وثيقة بواقع السلوك والعمل للفرد والمجتمع وبناء النظم ومسارات العيش.

إن قراءة ومراجعة كتاب (مقتضيات الحكمة في التشريع، نحو منهج جديد في تشريع الأحكام- لمؤلفه المفكر العراقي القدير ماجد الغرباوي) تأتي في سياق متابعة المنجز المعرفي في عموم المعرفة الدينية الراهنة التي تتابع أثر الدين في الحياة، ومن هنا تبرز أهمية الكتاب ومراجعته على حد سواء.

وعبر اعتماد منهج تحليلي لا يخلو من النقد التزاماً بالحياد والموضوعية برغم العلاقة الطيبة التي تجمعني بالمؤلف، وبرغم التوافق الفكري والمعرفي الذي يجمعني به، لكن ذلك لم يؤثر إلى حد ما على طبيعة القراءة والمراجعة الدقيقة للمنجز المميز الذي قدمه الغرباوي في هذا الكتاب.

المطلب الأول: قراءة في التساؤلات والفرضيات التي بني عليها الكتاب:

بعد تتبع مقدمة الكتاب يمكن تحديد جملة من المنطلقات التي شرع منها المؤلف في كتابة مشروعه:

- يمكن ملاحظة أن الكاتب مدرك جيد لرهانات التجديد وضرورته في مجال الفقه تشريع الأحكام، بعد أن ألمح إلى حجم التطورات التي سادت المشهد الحياتي في العصر الراهن، ومدرك أيضاً لحجم الفجوات وخطورتها في البناء المعرفي لعلم الفقه وما تؤول إليه من نتائج على مستوى الأحكام المستنبطة

والتي وصلت حد الفتاوى التي من شأنها أن تؤثر في الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي.¹

- لاحظ الكاتب بدقة بدايات التكوين لعلوم الفقه والاستنباط من خلال ما عرض له في مدونة الشافعي التي تعد مساحة تأسيسية أولى على المستوى الاسلامي، وما تمخضت عنها من قواعد وأسس آلت بالنتيجة إلى ما هو عليه الفقه الاسلامي اليوم من نسق معرفي².
- يقع الكتاب ضمن سلسلة متاهات الحقيقة وهو ما يشير إلى هم كلي حول منظومة الفكر الديني، عبر الاهتمام بمسائل الفكر الديني بنحو عام من قبيل القيم والاخلاق وأثر العقائد في بناء الوعي الديني وما تتضمنه تلك المجالات من مشكلات حقيقية تمثل هم المثقف الديني في المشهد الراهن، لذا اكتسب مشروع الكتاب طابعا نقديا حادا إلى حد ما.
- يفترض الكتاب بنحو أساس وقوع التعارض بين الشريعة والأخلاق وأن هذا التعارض يهدر القيمة الأخلاقية، ويفرع على هذا الافتراض تساؤلات جدلية أبرزها: ماهو التعارض؟ وما هو سببه؟ وهل يمكن تسويته؟ أم أنه تعارض مستقر؟ وهل يمكن رفعه؟

ويمكن الملاحظة على الافتراض الاساس من عدة وجوه:

1 - ان افتراض وقوع التعارض بين الشريعة والاخلاق يبتني على مقولة التعارض التي تعد مسألة جزئية لها قواعدها في الأحكام الجزئية المتعارضة، بينما نحن بصدد التفكير في التنافي بين الشريعة والأخلاق بنحو كلي ولو بملاحظة بعض الجزئيات لكن التعارض كمصطلح (أصولي/ في أصول الفقه والاستنباط) أخذ فيه تعارض الاحكام بين حكم واجب وآخر مباح أو محرم، مع تساوي الموضوع ودليل الحكم،

1- ظ: مقتضيات الحكمة في التشريع، نحو منهج جديد في تشريع الأحكام- ماجد الغرباوي، ص:

6-5

2- المصدر نفسه، ص: 8-7

بينما التنافي بين الشريعة والأخلاق يعد تنافي من حيث روح الحكم لا من حيث تساويهما في قوة الدليل واختلاف سنخ الحكم من جواز أو منع.

2- ان اطلاق (المستقر) على التعارض وافترضه، لم يدعيه أحد، والكتاب في أطروحاته مع كونه ينقد التنافي بين بعض أحكام الشريعة ومبادئ الأخلاق فهو لم ولن يسلم بالتعارض المستقر لأنه اقترح منهجا بديلا من شأنه أن يحل مشكلة التنافي بين بعض أحكام الشريعة من جهة، ومبادئ الأخلاق من جهة أخرى.

3- إن طرح الاشكالية بمصطلحات من داخل علوم التشريع (الفقه وأصوله) يمنح المشروع رصانة علمية من جهة، ويقوي منطلق البعد النقدي في المشروع، إذ يمثل النقد من داخل منظومة التفكير المنهجي الفقهي حالة جديرة بالاهتمام من قبل المختصين الذين تقع على عاتقهم مسؤولية المراجعة والتصحيح فيما بعد إنضاج مشروع الكتاب.

والتركيز أيضا على الحلول بمصطلحات من داخل المنضومة كـ(اسباب التعارض ورفعها) تعد محاولة ناجحة في إكساب المشروع قابلية لإقناع المشتغلين في علوم الشريعة (الفقه وأصوله)، برغم ملاحظتنا على استعمال مصطلح (التعارض) في أصل الفرضية والاشكاليات.

إذن ركز الكتاب في فصله الأول على اشكالية التعارض بين الشريعة والأخلاق، وهذا التساؤل المفصلي أصبح الموجه الأول في مشروع الكتاب، من خلال ما يعرض إليه من مشكلات سادت المنجز المعرفي الفقهي في تعامله مع مشكلات الواقع، ومدى مراعاة الجانب الأخلاقي والقيمي الذي أصبح هاجز الثقافات المعاصرة اليوم.

المطلب الثاني: فرضية الكتاب وإشكالاته:

الارضية التي ينطلق منها الكاتب ليؤسس مشروعه تتضمن فرضية ومجموعة من المشكلات التي تمت ملاحظتها من قبله، وأولى تلك المشكلات هي التعارض بين الشريعة والأخلاق، وفي ظني أن المحور الأساس في اشكالات الكتاب هو ثنائية الفقه

والأخلاق، ومدى الانسجام المنهجي، لأن الانسجام البنوي بينهما يكاد يكون محسوماً، وهو ما أكدته الكاتب من كون التعارض ليس مستقراً وليس في عالم الثبوت، بل في عالم الإثبات والاستدلال، وهو بهذا المعنى يكون منهجياً بالمعنى الأعم لمفردة المنهج..

أولاً: اشكالية التعارض بين الشريعة والأخلاق

(النقد من داخل المجال المعرفي):

ان تناول هذه الاشكالية من الأهمية بمكان، إذا ما لوحظت بمستواها الكلي والجزئي، ونحن نسلم مع الكاتب أن تناول الكليات ومناقشة الأصول التي يبنى عليها التشريع مما يكتسب أهمية نظرية بالغة الضرورة، وثمة اهتمام ولو نسبي من قبل علماء المسلمين حول هذه المسألة، كما في تناولهم مقاصد الشرع وملازمة الشرع للعقل في بناء الأحكام وتشريعها، وهو ما لا يمكن إغفاله بأي حال، لكن الحديث في المآلات والجزئيات يكتسب قيمة وأهمية أكثر من الجانب الكلي.

فعند متابعة أولويات الاهتمام الفقهي على مستوى مراعاة القيم والمبادئ الكلية سوف نجد تفاوت بسيط، بخلاف واقع التطبيق الجزئي لتلك المبادئ ومصاديقها على الواقع، رغم أنه أكد عدم تبنيه للتعارض المستقر بين الشريعة والأخلاق¹، وهو ما يدعو إلى صياغة عنوان الاشكالية بنحو أدق ليصبح التنافي والمفارقة بين الفقه كمنجز بشري والأخلاق على اعتبار أن الشريعة هي ما انبثق عن عالم الثبوت والواقع من قبل الوحي.

وقد ركز الكتاب في مشروع الكتاب على أهمية مراعاة تلك المبادئ (العدل، الحرية، المساواة، الأخلاق..) وحاول تحديد مواضع الخلل في بعض المسائل كما في

1- المصدر نفسه، ص 22.

مسألة قتل المرتد¹، وهي المسألة التي تعبر عن الجانب الجزئي من الاشكالية، ولا تقل أهمية عن بقية المسائل التي أشار إليها الكاتب.

ومع متابعة منطلقات البحث عند الكاتب، نلاحظ ان النقد يقوم من داخل المجال المعرفي للفقهاء، ففي البدء ينفي التعارض الجوهرى بين الدين والأخلاق على مستوى الواقع التشريعي (عالم الثبوت)، ويقصر الأمر على مستوى فهم الخطاب التشريعي، مع ملاحظة بشرية ذلك الفهم وعدم معصوميته من الخطأ، كما أنه يقف موقفاً تجاه تخصيص السنة للكتاب، فيذهب إلى عدم إمكان تخصيص العام القرآني بخبر الواحد الظني، كما ينقل هذا الرأي عن بعض الحنفية²، لكنه يشير إلى إمكانية ذلك إذا كان على نحو التفصيل والبيان³، ومشهور فقهاء الإمامية مع جواز التخصيص، وهنا تكمن الجراءة في مخالفة المشهور، على أن أكثر من العلماء الإمامية يرجحون أن تخصيص خبر الواحد للعام القرآني يأتي في سياق التبيين والتفصيل، ويفترضون أن العام ظني الدلالة، ويقدم الخبر إذا كان قطعي الدلالة، مع التحقيق في مسألة صدور الخبر⁴.

كما يؤكد على الاهتمام في فلسفة الأحكام الشرعية وتتبع غايات الأحكام وما تحققه من مصالح وما تدرئه من مفاسد، ويكرس على متابعة ما ينتجه العقل العملي من قيم أخلاقية أصيلة، تكون جديرة بالوعي لها ومراعاتها في ضمن عملية فهم النصوص الشرعية.

1- المصدر نفسه، ص: 25

2- ظ: نهاية السؤل للإسنوي (2/ 459)

3- ظ: مقتضيات الحكمة في التشريع، مصدر سابق، ص: 17

4- ظ: محمد جواد مغنية، علم أصول الفقه في ثوبه الجديد: 190

ثانيا: فرضية مقتضيات الحكمة في التشريع

(التأسيس من داخل المجال المعرفي):

ينطلق الكاتب من ملاحظة مرحلة الجعل، وهو ما يشير إلى محاولة التأسيس من داخل المجال المعرفي لعلم الفقه وأصوله، فيطرح مصطلح (مقاصد الجعل) ويشير إلى أنها غير (مقاصد الشرع)¹، والمراد من مقاصد الجعل عنده هو ما تقتضيه حكمة وفلسفة التشريع في ضوء مجموعة من آيات القرآن الكريم، انطلاقا من عقلنة التشريع التي تتضمن الكشف عن آليات عملية التشريع بعد تحديد مبادئها في ضوء مقتضيات الحكمة والقيم الأخلاقية، منطلقا من قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)²، مستفيدا إمكانية إيتاء الحكمة لأي شخص يسعى إلى بلوغها، من أولي الألباب والعقل، وأهم ما يلفت النظر في أطروحة الكاتب هو (ليست الأحكام في الشرائع السماوية معطى نهائيا، بل أن تشريعها يجري وفقا لمقتضيات الحكمة ومبادئ التشريع في أفق الواقع وتطورتها)³، وخلاصتها أن التشريع يستند إلى قيم أخلاقية يمكن للعقل أن يدركها، ويوظفها ملئ الفراغ التشريعي، وهنا لنا وقفة مع هذا الطرح من عدة وجوه:

1- على النحو الكلي لا يوجد خلاف على أصل استناد التشريع على القيم الأخلاقية.

2- جريان التشريع وفق مقتضيات الحكمة ومبادئ التشريع على النحو الكلي واضح، لكن على النحو التفصيلي يحتاج إلى بناء قواعد تفصيلية جديدة.

3- ان العقل يمكنه إدراك بعض الكليات من القيم والمبادئ الأخلاقية، لكن تحديد المصاديق موضع خلاف بين البشر في أغلب الموارد والحالات.

1- مقتضيات الحكمة في التشريع، مصدر سابق، ص: 31.

2- البقرة: 269

3- مقتضيات الحكمة في التشريع، مصدر سابق، ص: 33.

4- إن الإشارة إلى منطقة الفراغ وتوظيف مقتضيات الحكمة ملئها سوف يحدد من فرضية الكاتب في مشروعه، إذ أن التنافي أو التعارض بين بعض الأحكام والقيم الأخلاقية لم يكن في مجال الفراغ التشريعي فحسب بل هناك أحكام دلت عليها أدلة معتبرة (مملوءة شرعا) وتعاني من إشكالية التنافي مع القيم الأخلاقية بحسب فرضية الكتاب.

نقطة القوة في التأسيس:

من الملفت للنظر وما يمثل نقطة القوة في طرح (المنهج الجديد)، هو ما تناوله الكاتب حول توقف فعلية الاحكام على فعلية موضوعاتها، فالاستطاعة مثلا شرط في وجوب الحج، وحكم الحج (الوجوب) متوقف على فعلية موضوعه (فعل الحج) والذي بدوره متوقف على شرط الموضوع (الاستطاعة)، من هذه الصورة التحليلية للحكم الشرعي التي قدمتها المدونة الفقهية والأصولية، انطلق الكاتب في صياغة منهج مقتضيات الحكمة في التشريع، ليجعلها على الأقل أحد أركان تحقق موضوع الحكم، مع تبنيه عدم كفاية تحقق موضوع الحكم من ناحية الفعل وبعض شروطه كما في الاستطاعة، بل يدعو وبنحو واضح إلى فحص موضوعات الأحكام (كأفعال للمكلف) من حيث مدى انسجامها مع الحكمة في التشريع والقيم الأخلاقية، وهو ما يدعو بنحو حثيث إلى الاهتمام بحكمة التشريع في أثناء فهم الدليل واستنباط الحكم واصدار الفتوى، فلا بد أن يكون الحكم ناظر للواقع ومحكوما بالمبادئ التي تحفظ مصالح الإنسان، وليس الحكم مجرد التزام بمقتضى العبودية ومنطق التبعيد فحسب، بل هو التزام بمنطق القيم الأخلاقية التي تحفظ وجود الإنسان، ومقاصد الشرع بنحو عام.

ولم يغفل الكاتب أيضا، ما لهذه العملية من جانب معقد كما أشار إلى ذلك¹، وإن قراءة النصوص الشرعية في مقام الاستنباط لن تكفي في ادراك الملاك والمصلحة

1- المصدر نفسه، ص: 35.

مطلقا، ما لم تتم الإحاطة ولونسبها بما يصرح به القرآن الكريم من مبادئ وقيم وقواعد عليها، تحكم الفهم الفقهي للنصوص الشرعية وتوجه عملية الاستنباط بما يوافق مقتضيات الحكمة في التشريع.

كذلك أسس إلى معالم جديدة حول مفهوم التشريع والقرآن الكريم، عبر التأكيد على وحيانية النص القرآني، من جهة، وفهم مغاير لقداسة النص القرآني من جهة أخرى، إذ تعتمد رؤيته حول القداسة على ملاحظة خصوبة النص وثرائه وعمقه وإمكانية كبيرة لتأويله والبحث في أعماقه، بخلاف التعبد المحض الذي يلغي الإرادة والواعية للإنسان المتدبر¹.

وللواقع أهمية بالغة في رؤيته حول النص التشريعي في القرآن، ولما كان القرآن الكريم يشير بنحو واضح إلى واقعية الأحكام كما في قوله تعالى: (ويسألونك.. ويستفتونك)، فإن هذا الشاهد يؤكد على أن القرآن الكريم في بعض مسأله جاء استجابة إلى واقع محدد، ومنه يمكن إدراك أن الأحكام الشرعية منها ما هو زمني محدود، ومنها ما هو مطلق لكل زمان ومكان.

ومن المسائل التي أسس إلى نقدها وإعادة قراءتها هو ما اشتهر عند الأصوليين: (المورد لا يخصص الوارد)، لكن الكاتب يشير إلى أن فعليه الحكم ترهّن لفعليه موضوعه، والمورد أحد طرق تشخيص شروط فعليه الموضوع وهي نتيجة هامة بنظره، وتوافقا مع ما يؤكد عليه السيد محمد باقر الصدر من ارتكان فعليه وعدم فعليه الحكم لفعليه وعدم فعليه الموضوع².

ويرتبط هذا الجانب بمبحث هام يتعلق بالقضايا الحقيقية والخارجية والتميز بينها في موضوعات الأحكام، ويعد هذا المطلب من المطالب الأصولية المتداخلة مع الفلسفة كما بحثها مفصلا السيد الطباطبائي في كتابه الفلسفة والمنهج الواقعي، والتميز بين نوعي تلك القضايا يساعد كثيرا على إعادة النظر في موضوعات

1- المصدر نفسه، ص: 52.

2- الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأصول: 126

الأحكام التي يتم عبر تنقيحها التمييز بين الأحكام المطلقة والأحكام المحدودة بزمان دون زمان.

ربط التشريع بالأصول والمبادئ:

لم يعهد الواقع الاستنباطي أن يتم الربط بين المبادئ من جهة، وإجراءات الاستدلال من جهة أخرى، بحيث يتم استحضار المبدأ الكلي في أثناء عملية استخراج المعنى الجزئي من النص، وربما تضمن هذه العملية في سياق قبلات الفقيه والمؤثرات التي تحكم فهمه، فيكون تحصيل حاصل، لكن ليس بالنحو الذي يدعو إليه الكاتب، إذ استدعى مقاصد الجعل كحلقة بديلة عن عدم إمكان إدراك الملاك والمصلحة، كما يذكره مفصلاً في كتاب آخر¹، يفترض وجود مبادئ وقيم تحدد تلك الملاكات التي تعد متعسرة الإدراك على العقل الفقهي، وتلك المبادئ والقيم تمثل مرجعيات كلية تدخل شرطاً أساساً في تشكل لائحة الاستدلال على الحكم الجزئي، وتتصل تلك الأصول والمبادئ بالمجال العقدي والرؤية الكونية، بحيث نزول الفجوات بين الفقه من جهة، وعلم العقيدة من جهة أخرى، عبر علاقة تتضمن رؤية فلسفية وكونية عن الإنسان ووضعه تحت نظر التشريع كمنظومة كلية شاملة.

ويوضح الكاتب أن تلك المقدمات والمبادئ يتم إدراكها بالتأمل الطويل ومن قبل نخبة مستوعبة للتشريع بنحو كلي وعلى قدر عال من الوعي بمتطلبات الواقع الانساني.

والملاحظ أن الكاتب في الغالب يحيل إلى كتابه (الفقيه والعقل التراثي) الذي يتضمن تفاصيل معقدة عن ضرورة اتصال الفقه بفلسفة القيم والأخلاق من جهة، وبفلسفة الإنسان وواقعه من جهة أخرى، محاولاً الخروج من النسق التقليدي الذي يكتفي بالقواعد المحددة والتي تكون صارمة منهجياً، إلى مساحة أوسع تتضمن وعي

1- مقتضيات الحكمة في التشريع، مصدر سابق، ص: 120.

القيم، ووعي الإنسان، ووعي الواقع، بمنهج عقلي/عقلاني، يتوخى استحضار الكلي في مقام استنباط الجزئي.

وتحت عنوان (مبادئ التشريع) تناول الكاتب فرضية مقتضيات الحكمة وما تقتضيه من أن الأحكام تشرع وفقاً لمقتضيات الحكمة ومبادئ التشريع على وفق الواقع و ضروراته، ويقصد بمبادئ التشريع تلك القيم والتصورات الكلية التي بموجبها يحدد مستوى الالتزام بالحكم الشرعي¹ ويتساءل حول ما إذا كانت مبادئ التشريع مبادئ إنسانية أخلاقية كونية ثابتة في عرف العقلاء حتى تكون صالحة كمرجعية معرفية للملئ الفراغ، وفي النهاية يجيب عن ذلك بالإيجاب ويستحضر الأدلة التي تدعم هذه الفرضية، من خلال مبادئ عدة تمثل مرجعيات جزئية، والجديد هنا أنه يؤسس إلى الإطار المرجعي الموحد بين مختلف المجالات المعرفية، مؤكداً أن المرجعية للفقهاء لا للفقهاء، ملتفتاً إلى قيمة التراكم المعرفي في المجال الفقهي الذي يسوغ الرجوع إليه من باب العرف التشريعي، كما يشير إليه الكاتب صراحة.²

ويتناول في المبدأ الأول مركزية العدل وعدم الظلم ويعتمد نصوص القرآن الكريم مثل قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان..) فإذا كان العدل قد أمر به القرآن الكريم مراراً فمن الأولى الالتزام به شرعياً، ومن ثم يحلل مفهوم العدل والعدالة في ضوء النص القرآني وينطلق إلى المبدأ الثاني السعة والرحمة، وهو مبدأ أساس في تشريع الأحكام قرآنية وتؤكد بعض النصوص القرآنية مثل قوله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم..) والآية في نظر الكاتب تصرح بقصدية الانتقال من العسر إلى اليسر وتحرير الناس من معاناة التشريعات السابقة وهنا ينتقل إلى فكرة ضرورة أن تراعي الشرائع الواقع وضروراته، والإسلام يختم تلك الشرائع بتخفيف ما كان يعاناه الناس من الشرائع السابقة وهو ما يؤكد قوله تعالى: (يريد الله أن يخفف

1-المصدر نفسه، ص: 85

2- المصدر نفسه، ص: 106

عنكم..)، والمبدأ الثالث المساواة، والمساواة عند الكاتب هي شرط صدقية عدالة الأحكام، وإنما تسري على الجميع، والمبدأ الرابع هومراعاة الواقع، وهو ما يجب مراعاته لتوقف فعلية موضوع الحكم على فعلية جميع ما يرتبط به، فالواقع هو موضوع الحكم، ويشير الكاتب إلى التحولات التي تلاحق الواقع وهي ملاحظة بالوجدان كما يشير الكاتب أيضا إلى فكرة جوهرية في طرحه تتمثل بوحده المبادئ التشريعية إذ يذكر مجموعة أدلة وشواهد تؤكد وحدة مبادئ التشريع بين الأحكام السماوية والوضعية بما يتيح ملء منطقة الفراغ بعيداً عن وصاية الفقيه سوى خبرة الفقيه الفقهية والقانونية، ووحدة المبادئ هذه تركز حالة العقلانية في الفقه الإسلامي وتؤكد ضرورة الاحتكام إلى الخبرة المتراكمة والمعارف البشرية في إطار وفي مجال القوانين والأحكام والتشريعات.

ويخلص في آخر بحثه إلى ضرورة تفعيل ولاية الشريعة بدل ولاية الفقيه ويعني بولاية الشريعة وهي أن تحكم الشريعة بالأدوات المجملية واستحضار العرف التشريعي والسيرة العقلية، كل ذلك يقدم معرفة إجمالية من شأنها أن تقدم مساحة خاصة من المعارف التي تعين على استنباط الأحكام الشرعية وفق متطلبات الواقع.

أن هذا الطرح يساوي ما تطلق إليه بعض الفقهاء والباحثين من مصطلح روح الشريعة ومذاق الشرع ويمكن أن نفيد من طرح الكاتب أن المسألة في جلها تتعلق باستلهم القواعد والأحكام من خلال المعاني الإجمالية والكلية في التشريع التي يستفاد منها الفقيه في عملية قراءة واستنباط الأحكام الشرعية.

خلاصة

جاءت هذه القراءة بنحو موجز ومختصر، بعد متابعة الفصلين الأولين، اللذين تضمننا نسبة من التأسيس، وبقية الفصول كانت على موضوعات لا تقل أهمية عن الأول والثاني، فالفصل الثالث تناول مسألة الفراغ التشريعي بدءاً من تكونها لدى الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وانتهاء بما يعرض إليه الكتاب من منهج جديد،

تكمّل ملامحه من خلال بقية الفصول، إذ يعرض الفصل الرابع إلى الأسس الأخلاقية للتشريع، وعلى غرار بقية الفصول البالغة اثني عشر فصل.

ومن الجدير بالملاحظة أن المشروع قائم على ملاحظة ونقد الفقه بنحو عام، وبمختلف اتجاهاته ومذاهبه، ولم يقتصر على الفقه الامامي، لأن كثيرا من التطبيقات التي ساقها الكاتب كانت نماذج لطروحات سلفية متشددة لا تمثل الرؤية الفقهية الإسلامية العامة، بسبب انفرادها بمنهج خاص في قراءة النصوص التشريعية، وهو ما يدل على سعة اهتمام وأفق الكاتب.

إن المشروع في هذا الكتاب لا يمكن استيعابه من دون الاطلاع على بقية المنجز المعرفي للمفكر الاستاذ ماجد الغرباوي، فضلا عن كونه سلسلة مترابطة من البحوث التي تبعت كتب ومؤلفات أخرى في سياق تحديد المعرفة الفقهية.

إن ما يميز المساحة الفكرية التي يتحرك فيها المفكر ماجد الغرباوي، هي المجال العملي الواقعي الذي يوفره علم الفقه وما يختص به من قرب وصلة بالواقع، وهو ما يفتقد إليه عقل النخبة، إذ يغلب التعمق في المفاهيم والتنظير من دون الإحاطة بتفاصيل الواقع التي يتناولها مجال الفقه والأحكام بنحو تفصيلي، وهو ما تمكن منه الغرباوي بنحو دقيق أضفى طابعا شموليا على طروحاته، وبالأخص الكتاب الذي بين ايدينا، وسوف تكون هناك تنمة لهذه القراءة الموجزة للكتاب لتنتهي منها لاحقا بنحو مفصل بعون الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

المسكوت عنه

بين فلسفة الحوار وحوار الفلسفة

في فكر ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة خيرة مباركي¹

كتابات ماجد الغرباوي حلقة جديدة من حلقات التفكير الحرّ، يمكن اعتبارها مرحلة جديدة من مشروع نهضوي عام يندرج ضمن حركة إصلاحية واعية ببرنامجه ومراميها الفكرية، لما قدّمته من أفكار ورؤى استطاع عبرها أن يخطّ أهدافه التنويرية، منطلقاً من جملة من التحدّيات التي واجهها الفكر العربي قديمه وحديثه في رواسب المعتقدات والعقليات التي طغت في المجتمعات العربية، ممّا هيأ لخطاب نهضويّ، جادّ واعٍ بخصوصيّة الوضع الرّاهن وما يحمله من توجّس ممّا عسى أن يتسرّب من أفكار ومعتقدات يمكن أن تعصف بالمجتمع وتلقي به في هاوية التخلّف والرجعية، وهذه الراهنية تتجاوز الزمن والفضاء الذي تولد فيه فكرة النهضة إلى تعميمها في كلّ زمان ومكان لأنّ ما تقوم عليه من مبادئ قادر على مواجهة كل خطر خارجيّ أو داخليّ على السواء، وهذا ما جعلها متجدّدة بتجدّد طرحها ومجادلتها. على هذا الأساس يمكن اعتبار فكر ماجد الغرباوي، من خلال ما قدمه من كتابات، مواصلة لمشروع تحديثيّ استوجب الوقوف عند محطات عديدة وفي مجالات مختلفة، ولئن مثّل الخطاب الدينيّ الأسّ الذي شيّد عليه الباحث بنيانه، فإنّ العقل وسيلته في الاحاطة بمشروعه الفكريّ وذلك بالنظر والمجادلة بالحجّة العقلية حرساً على الإقناع والتغيير. فما يبدو لمتلقّي هذه الآثار الفكرية خطاباً إنسانياً وعقلياً يعزّز الشعور بالانتماء ويُنبيّ بجوانب

1 - طالبة دكتوراه، باحثة وناقدة - تونس

من الواقع (الديني، الاجتماعي، السياسي...) فإنّ التوجّل في أعماق هذا الخطاب يكشف حقيقته الإبداعية والتجديدية، بما هو إعلان عن ولادة نزعة عقلية تتركز على فكر موضوعي لا ينظر إلى الأشياء في تكوّنها بل في ما يمكن أن تفرزه من مؤثرات، تشكّل قاعدة ثابتة يمكن، من خلالها إعادة النظر في المسلّمات ونقدها، وصولاً إلى أهداف تنويرية هي مقصد فكره الليبرالي، يعرضها بوعي عميق واستراتيجية ذكية تعود إلى التراث لتبني المعاصر. وهذا من شأنه أن يدعم علاقة الفكري بالتاريخي. حيث يمثل الأول منطلقاً لتكوين العقل التاريخي، وذلك من خلال "فهم دوافع الفكر التاريخي ونمط تكوّنه وسيورته، ومن معاينة ما ظهر، وملاحظة ما بان من عوائق تطوّره وتطوّر الوعي التاريخي معه"¹. والدين جزء من هذا التاريخ، يمكن أن يمثل ركيزة الفكر الاجتماعي في أي لحظة تاريخية كانت، تركزت حوله فلسفة الغرباوي في مؤلفاته وحواراته ومن ثمّ مشروعه الفكريّ التنويري.

قد تكون تلك رؤية الغرباوي وقد يكون توجّهه الفكري في الكشف عن حقيقة التاريخ الديني وعن حقيقة فهم النصّ الديني. لكن هل أنّ هذا التوجّه هو أقصى غايات ماجد الغرباوي المفكرّ التنويري، ونحن نراه يعرض مسائل على قدر من الأهمية والخطورة، فهو يعمّق النظر في مسألة التوحيد ويدرس السيرة بكلّ مراحلها ويتقصّى خفاياها. ويتناول مسائل التسامح والاختلاف وغيرها من المسائل الجادة والفارقة في الفهم الديني والسلوكي الحضاريّ؟ هل يمكن أن نكتفي بظاهر ما قدّمه الباحث من أفكار وحقائق، ومن عمل فكريّ وعقليّ في تناول كلّ ذلك؟ ما الذي يجعل مفكرّ مثل ماجد الغرباوي يعيش الغربة لأجل الكتابة وهو ما أقرّه في بعض حواراته مع بشرى البستاني؟ هو مفكرّ عقلانيّ ذو توجّه ليبراليّ وهو ما تنبئ به كتاباته وتوجّهاته الفكرية. لذلك لا يمكن أن نتناول مثل هذه المؤلفات بسطحية ونكتفي بما ظهر وبان فيها. فما قدمته العديد من الدراسات حول هذا المفكرّ التنويري منطلق لدراسات أخرى تبحث في المضمّن من هذا الخطاب والمسكوت عنه فيه. فعندما

1 - فتحي التريكي، العقل والنقد في فلسفة التاريخ عند العرب، مجلّة الفكر العربي المعاصر، العددان 88-89، ماي/ جوان 1991، ص 27.

تعمّق في فكر ماجد الغرباوي تنبثق أماننا جملة من الإشكاليات التي تقدح في الذّهن وتدفع إلى التساؤل والحيرة، ويمكن أن نستشّقها في خطابه، وليس صعباً أن نتلقّى جملة من الإشارات المتفجرة ممّا يعرضه من أفكار. بمعنى أنّ اهتمامه بتاريخ الإسلام وما انطوى عليه من أحكام شرعيّة إنّما هو ضرب من الإشهاد على الحكم الشرعيّ، ومنه يكون الدرس والعبرة. فهو، ولئن ركز على الفكر الديني لما له من أهميّة بالغة فإنّه يطرح بطريقة غير مباشرة رؤيته الليبراليّة ودوافعه التنويريّة التي يسعى من خلالها إلى النهوض بالوطن وما علق به من مؤثرات الجدل العقائديّ، عمّق الصراع بين المذاهب وشتّت أواصر المجتمع فيه، لأنّ المسألة ليست مجرد درس للتراث الديني بقدر ما هي فكر وتصوّر وعقيدة ترتسم من خلاله صورة مجتمع كامل بعقائده ومعتقداته وتصوّراته، وكذلك بمستوى تطوّره. وهنا ينتظم حديثنا عن أعمال ماجد الغرباوي داخل إشكاليّة ما يطرحه من قضايا انطلاقاً من محاولة تشخيص الأعراض التي يعاني منها العالم العربي الإسلامي عامة والواقع العراقي على وجه الخصوص. ثمّ محاولة استنباط حلول وسبل الخلاص منها. وصولاً إلى النتائج التي ترتبت عن ذلك.

قد يكون هذا التّهجّج الفكري مضمّناً في خطاب الغرباوي الديني لكنّه يحتاج إلى رؤية ثابتة ودرس عميق يمكّن من الوقوف، لا على حقيقة هذا الخطاب في ظاهره، بل ما يستبطنه من دلالات وما يكشف عنه من فلسفة تنويريّة، لأنّ ما يكتبه ليس من فراغ وإنّما هو نتاج وعي عميق بخصوصيّة المرحلة وخطورتها على الوضع الحضاري والاجتماعي، وكذلك التاريخي. فالفكر العربيّ المعاصر كما يقول كمال عبد اللطيف "يشكّل الأفق الأيديولوجيّ المعبرّ عن بنيات التاريخ العربيّ المعاصر، إنّّه يعكس كلّ أشكال الصراع التي عرفها هذا الواقع، كما يعكس مختلف التحدّيات والضغوط التي تمتلئ بها الحياة العربيّة". وهذا ما يجعلنا نقرّ جازمين بعدم انفصال البنيات الأيديولوجيّة عن فضائها التاريخيّ. لهذا لا يمكننا أن نفصل بين ما كتّب وما قيل من رؤى فكريّة ليبراليّة في أبعادها ومقوماتها النظرية، وبين ما أشير إليها باعتبارها شكلاً من أشكال المسكوت عنه الذي يلمّح ولا يصرّح. ولا سبيل إلى فهم ما يحمله هذا الفكر من دلالات تاريخيّة وحضاريّة إلّا بما يفصح عنه الخطاب في ارتباطه بالواقع التاريخيّ والحضاريّ. ويحلّل أبعاده الاجتماعيّة والثقافيّة وكذلك النفسيّة، ونعني بهذا

طبيعة الواقع الذي أثمر مثل هذه القراءة، من جهة، ورؤيته للدين باعتباره المحدد لطبيعة التعامل مع الواقع. على هذا الأساس نضمن مشروعية التعامل مع تجليات الفكر الليبرالي ومقوماته في مشروع مآجد الغرباوي الديني، إيماناً منا وعلى حدّ تعبير غراميشي "أنّ الممارسة النظرية لا تكون مجانيّة ومحايّدة وفوقية بقدر ما هي ممارسة تضرب بجذورها في التاريخ".

لقد حاول الغرباوي أن يؤصّل رؤية جديدة للواقع من خلال العودة إلى منابع الفكر العربي بما في ذلك الدين والمخيال الجمعي والفلسفة، لبحث في حقيقة ذلك التفكير. فأمكن له الحفر بوسائل معرفية متنوّعة تجمع التاريخي بالأنثروبولوجي والديني بالإنساني والاجتماعي بالذاتي والنفسي، في حقيقة الواقع وما يحيط به من توجهات فكرية وإيديولوجية حكمت اللحظة التاريخية الراهنة. المنطلق تاريخي كما هو بيّن ولن ننكر الأبعاد التاريخية في بعض السياقات، فما عرضه من حديث عن الفتوحات وجوانب من سيرة الرسول، وأخبار غزواته في بعض المؤلّفات إنّما هو من قبيل الشاهد والمبرّر لما يوحى به في خطابه. بذلك فللعرض التاريخي "دور فعّال في نشر وتثبيت العقيدة (الأيدولوجيا) التي ستسمّى بحق عقيدة أهل السنة والجماعة"¹. بهذا فهدف الغرباوي واضح للعيان. وهو مع ذلك يحافظ على البعد الإيماني، خوفاً على خصوصية الإسلام من ذوبانه في العقائد السائدة، وكذلك خوفاً على نفسه من اتّهامه بعكس ما يرمي إليه وتكفيره، وهذا البعد الإيمانيّ باعتباره مؤشّراً على حفاظ الدرس الليبراليّ التّنويري على خصوصية التناول المعرفي واحترام مبادئ الإسلام والعقيدة. ونستجلي هنا رؤية الباحث في مشروعه بما هو بديل عن رصيد معرفي لا يمكن إنكاره، ولكن في ذات الوقت لا يمكن التقيّد به لما لحقه من شوائب، قد تخلّ بحقيقة المقاصد الأخلاقية والتشريعية، وكذلك الإنسانية في مجمل أعماله. وكأنّنا بالغرباوي ينشئ مشروعه على المعطى الموروث مسبقاً ليعيد تنظيمه وفق رؤية مختلفة ومميّزة تحفظ توازنه الداخلي وتقوّيه، فهذه الرؤية، ولئن تجاوزت فضاءات التقديس

1- عبد الله العروي، العرب والفكر والتاريخ، ط2، المغرب، د.ت، ص82.

والتبجيل وقطعت مع الفكر النقلي التسليمي، فإنّها بقيت متمسكة بمنابعها الأولى منطلقاً للتقدّم والارتقاء.

وقد تناول العديد من المسائل الدينيّة ومنها مسألة التطرّف الدينيّ، تناولوا مستفيضاً. ممّا يؤكّد صحّة ما ذهبنا إليه وهو أن له مشروعاً تنويرياً، يجعل مثل هذه القضايا التي يثيرها بمثابة الحجج التي يدعم بها صحّة ما يرسمه في كتاباته من خطط، يبدو وعيه بها قائماً مسبقاً. فمعضلة التطرّف سببها الأساسيّ الغلوّ العقائدي والفكري والتعصّب لأفكار مبنية على أسس واهية، من تفسيرات محتكمة إلى الهوى والمصالح الذاتية الضيقة، وكذلك الولاءات العقديّة المغرضة في التعامل مع النصّ الدينيّ. على هذا الأساس يمكن أن نتمثّل فاعليّة هذا التوجّه المنهجي في مشروع ماجد الغرباوي. فمثل هذه القراءات الخاطئة يمكن أن تنتج فكراً خاطئاً. وهذا بدوره قد يزيد من أزمة المجتمع وبعثق الصراع الداخليّ فيه. ولن يتقدّم مجتمع والطائفيّة تنخر كيانه. على هذا الأساس بدا الغرباوي رافضاً لمثل هذه القراءات، بل وحذّر من خطورتها، لأن غاية توجّهاته توعية المجتمع والنهوض به. ولكن قوى الرجعيّة تغلّغت في أعماقه. وقد أشار إلى ذلك صراحة، في قوله: "نحن شعب نكره الجدّ والمثابرة، ونتمنّى الأشياء بلا تعب وبلا معاناة، خلافاً لسنن الحياة. وننتظر حلول وتسويات الغيب لمشاكلنا بالدعاء، فانتهى بنا الأمر مستعمرين لدول الغرب اقتصادياً وصناعياً وتكنولوجياً. الغرب يتقدّم على مختلف أصعدة الحياة ويقيم أفضل الأنظمة السياسيّة في ظلّ مجتمعات مدنيّة، ونحن ننتظر المهدي وتحقّق دولة العدل الإلهيّ الموعودة"¹.

بهذا يمكن أن ندرك حقيقة خطاب ماجد الغرباوي، فهو يحمل استراتيجيّة فكريّة تقطع مع الفكر الدغمائيّ وتلغي التصورات الرجعيّة ليعوّل على أسس التفكير العقلي للنصّ الدينيّ باعتباره المرجع الأساسيّ في تشكيل العقل العربيّ من جهة، واعتبار أنّ طرق فهمه واختلافها هو أساس الخلاف وسبب التناحر والصراع. في هذا الإطار يمكن أن نكتنه فكر الرجل، فهو يحاول أن يقف، ولو ضمناً، على الأسباب

1 - ماجد الغرباوي، مدارات عقائديّة ساخنة، حوار طارق الكناني مع ماجد الغرباوي، مؤسّسة المثقف، سيدي، أستراليا وأمل الجديدة، دمشق، سوريا، 2024، ص 29.

الحقيقيّة التي ساهمت في تراجع المجتمع العربي عامّة والعراقي بصفة خاصّة. وكأنّه يعلن من وراء هذا الصوت الديني تمثله لخارطة ترتسم عبرها صورة جديدة للمجتمع العربي. وهو في ذلك ينزع نزعة عقليّة صارمة في عرض أفكاره عن حقيقة الواقع الذي احتضن مثل هذا الفكر وهيّا لنشوئه، فأبرز ما تميّز به قيامه على الصّراع الإيديولوجي والمذهبيّ، وهذا من شأنه أن يعيد المجتمع إلى عصور الظّلام الأولى، حيث التّطّرف والجهل والتمسّك بفكر تسليميّ وثوقي، يتراجع فيه صوت العقل والمنطق. ولعلّنا أمام رؤية ليبراليّة لا تحتمّ بالأبعاد النظريّة قدر اهتمامها بالرؤية الفاعلة المنجزة لتلك الأسس (النّظريّة)، لتتفتح على فكر حرّ يتيح لصاحبه الوقوف على حقيقة الواقع والتعامل معه دون قيد أو شرط. ممّا ينمّي في داخله الرغبة في التغير والنهوض به، ليكون قادراً على تجاوز العراقيل والصّعوبات. وماجد الغرباوي شأنه شأن بقية الليبراليّين لم يتجاوز الجماعة المتمثلة في المجتمع العربي عامّة والعراقي على وجه الخصوص، وما يشهده من تشظّي وانقسام بسبب الصراعات المذهبيّة، لأنّ الشعب قيمة عليا تُستمدّ من علاقته بالفرد أو علاقة الفرد به، فلا مناص من كسب ودّه بالعقل والتفكير. وهو أساس مشروع الغرباوي، إذ ينطلق خطابه الليبراليّ من حاجيات المجتمع لبناء نهضته، ممّا يستوجب تطويراً في بنيته الفكرية ومراتب الوعي لديه، ليستوي هذا البنيان. وهو ما يميّزه ويبيّده عن أن يكون مجرد نسخة لمجتمع آخر ومما يراً لفكر آخر، في هذا المستوى النقدي يدرك الباحث أنّ هنة الفكر العربيّ أنّه "فكر اتباع ومحايثة لأطراف أخرى تحدّده وتجعله مجال قيد واحتذاء". وهذا لا يمكن أن يترتّب عنه الإبداع والحرية بل يجعله تحت جناحه لا يكاد يفصل عنه أو يتحرّر من سلطته. هو إذن فكر قاصر لأنّه خطاب مشروط بغيره يتلمّس تلايبيه، كيف والأمر متعلّق بالدين؟ فالعربي يخشى أن يبحر في هذا المجال حتّى لا ينعت بالزندقة والكفر، لذلك تجده يردّد أقوال السلف فلا نكاد نقف إزاء فرق بين مصنّف وآخر.

وما يثيرنا في تناول الغرباوي لمسألة الدين وما تعلّق بها من مسائل فرعيّة، سؤال حضرنّي وأنا أقرأ محاورته مع بشرى البستاني: هل سيكتب الغرباوي بمثل هذا التحرّر والانفتاح في ظلّ واقع سيطرت عليه الطائفية وما مرّ به من فواجع وانكسارات؟ إنّه يواجه التعصّب بالسفر. وهو ليس هروبا بقدر ما هو اختيار وقرار لتطوير الذات

والمجتمع من موقع يمكن أن يمرّ عبره أفكاره وتوجّهاته الإصلاحية دون عقبات ومواجهة، يمكن أن تعيق مشروعه النقدي. لذلك فالسفر فرصة لتطوير الذات والكتابة معاً بعيدة عن قهر المجتمع ومنايات الرجعية والتهافت الطائفي. فليس من سلطة غير سلطة القلم وموجّهات العقل. لذلك تبدو علاقة العقل بالدين في فكر الغرباوي علاقة انسجام وتكامل، ذلك أنّ أحدهما يتحصّن بالآخر من مغبة السقوط في ما يعيق الفكر والانزلاق في متاهات عميقة، تمنع تحقّق المقصد من وراء تناول المسألة الدينية. وهو أساساً النهوض بالمجتمع وتطويره بما يختزنه التراث الديني من أفكار وعقائد هي منبع الوعي والتطوّر العقلي. يقول الغرباوي: "نحن بحاجة إلى وعي يمزّق جدار الصمت، يفضح الكذب والتزوير، ويقول الحقيقة بصوت مرتفع".

بهذا فمحاولة تناول الفكر الدينيّ تناولاً عقلياً مزيجاً من أولاهما النأي عن سلطة النقل والدغمائية العميقة للتفكير التقليديّ في ما اعتمده من مناهج ورؤى ضيقة. ومعضلة الفكر العربيّ تكمن أساساً في اجترار المصنّفات القديمة. لم يبخس الغرباوي قيمة هذه المصنّفات. ولكنّه يدعو ضمناً إلى ضرورة مضاعفة اهتمام المفكرين والدارسين بالفكر الحديث والأكثر معاصرة من حيث التوجّه العقلائيّ الحرّ والتخلّص من التبعية لتطوير العقل العربيّ ومحاولة إخراجه من بوتقة الموروث الجديد والقوالب المعلّبة بسلطة السلف يناقش الغرباوي ضمناً صورة الفكر الديني في علاقته بالقيم العقائدية عند الشيعة والسنة على السواء. يفصل في ذلك بين المستوى الذاتي الضيق والمستوى الفكري المجرد في صورته الكلية البعيدة عن كلّ تعقيد وذاتية. ويعتبر ذلك من ضروب التخلف والتراجع العقلي في مستوى التعامل مع الظواهر. فالدين فكر وتصوّر وعقيدة قبل أن يكون مجرد طقوس بعيدة عن النظر العقلي. وهذا يعتبر من أبرز مزايا فكر ماجد الغرباوي. فهو (الدين) قائم على العمل أساساً. وما يحصل في التناول العربي لهذه المسألة هو التعويل على النقل والتفوق في مجال عقائدي ضيق اعتبره مدار الاختلاف بين الفكر الغربي والفكر العربي، ويؤكد على ذلك بقوله: "إنّ الغرب يختلف عنّا في علاقته بالدين وبالغيب، فمنذ إقصاء الكنيسة عن الحياة عامّة والسياسة خاصّة، انطلقت الشعوب الأوروبية نحو العلم والمعرفة وتطوّر الحياة، فأخضعت كلّ شيء للتجربة والعقل وراحت تبحث عن الأسباب الكامنة في الكون

بعيداً عن التفسيرات الغيبية، فأصبحت الهدف وحقت نتائج مبهرة في الحياة، بعدما اكتشفت القوانين المنظمة للكون، وكيفية ترابطها، وصار العالم برمته مديناً لاكتشافاتهم¹. ويؤكد في هذا السياق على أهمية النظر العقلي والوعي بفاعلية العلم والتجربة في تطوّر الشعوب. فالطفرة التي شهدتها الغرب أساسها تجاوز القصور المعرفي الناتج عن التفسيرات الغيبية والركون إلى الميتافيزيقا نحو النظر العقلي والانطلاق صوب العلم والمعرفة لتحلّ التجربة محلّ الحدس وتنطلق نحو البحث عن الأسباب الكامنة في الكون بعيداً عن الدغمائية والتعصب النقلي. وفي نقد الباحث للوضع العقائدي بيدي رفضاً وتبرّماً من الواقع الفكري والحضاري للمجتمع العراقي ومن ورائه المجتمع العربي، مشيراً إلى خطورة الوضع الإنساني. مثال من بين أمثلة كثيرة قدّمها الكاتب وأبدى عبرها حساسية فائقة لحقيقة ما يترتب عنها من خطورة قادرة على هدم بنيان المجتمع. حين يتأثر أفرادها بما يعرضه الفكر الظلامي من أفكار تعصف بأمن المجتمع وتقدمه لأنّ "الإيمان يتأثر بمناشئه وصدقته العقيدة ترهن لأدلتها وبراهينها، وبينهما بون كبير، فربما مناشئه مجرد أوهام الحقيقة أو مصفوفة خرافات لا دليل عليها سوى الوهم بتأثيره النفسي، وهذا مبرر موضوعي يسمح بنقلها ومراجعتها للكشف عن تاريخيتها وزيفها وحجم الوهم والمؤثرات الأيديولوجية والطائفية في صياغتها، فيخطئ من يؤمن بثبات العقيدة، أو ينفي تطورها وتاريخيتها"². في هذا الإطار تبرز مراجعات الباحث النقدية للتراث، ويتّصل ذلك بسؤال الحقيقة بعيداً عن سطوة الخرافة واللامعقول وهو ما يحقق مزية فهم النص من أجل فهم متجدّد للدين شرطاً أساسياً للنهوض الحضاري. وقد ربط ذلك في سياقات عديدة بالبعد السياسي، وذلك من خلال ما تناوله في نصوصه من تبرير للسلوك السياسي عبر احقاب إنّما هو الحقيقة التي ظلّت غائمة، وظلّ الفكر العربي بكلّ مراحلها يوازي سوءاته بقراءات أقرب إلى التبعية في كلّ مظاهرها وحالاتها وكذلك توجّهاً.

1 - المصدر نفسه، ص 28.

2 - المصدر نفسه، ص 309.

وقد ساعد على استجلاء المسكوت عنه في الخطاب فكر عميق تناول المسائل بالتحليل والتقييم، من خلال طرح نقديّ يقوم على تتبّع الأسباب للوصول إلى النتائج، وكذلك في ما انتهجه من نهج معرفيّ راعى فيه التوجّه المنطقي والصبغة الحجاجيّة. يعوّل على طرح الأسئلة، وهي شهادة في حقّه، فما التزم به الغرباوي من مبادئ عقلانيّة تصطفيه باحثاً جاداً لم يقل المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون (Maxime Rodinson): "من النادر أن ترى عالماً يهتم فقط بجمع مواد بحثه، بل يطرح الأسئلة على نفسه، ويجب عليها بصورة علميّة، يضاف إلى ذلك أمانة علميّة شديدة تصدر عن فكر لا حيلة له أمام الحقيقة". هذه المهارة وهذا البحث عمّا هو أصيل ميّز كتاباته وارتقى بها إلى مصاف الكتابة الرّصينة. وهو ما يشدّدنا دائماً في كتابات ماجد الغرباوي، حيث النزوع العقلي في توخّي الموضوعيّة فيؤصّل القول في إطار علميّ ينهج نهجاً واضحاً، إذ ليس للذات الباحثة حيثيّات ولا أغراض ذاتيّة ولا رؤى مشدودة إلى أيّ طرف أيديولوجي إلّا ما يقدح الفكرة في ذهن المتلقّي، ويدرك ما وراء النص النقدي. وقد أشار إلى المنهج في مناسبات عديدة وهو التعامل مع الواقع تعاملًا نقدياً والنظر إلى مشاكله برؤية ناقدة ومتفحّصة للوقوف على معضلات المجتمع والعصر والسعي نحو بناء يعيد للوطن هيبته، ويسهم في اعمارهِ والتصدّي للعدوان الخارجي. وهذا ما جعل كتاباته ترتقي إلى مستوى التناول الموضوعي والنموذج الذي يُحتذى به في دراسات الفكرية والحضاريّة بما فيها من إنسانيات وتشريعات وغيرها. هذا فضلاً عن استعماله لغة سلسلة بسيطة خالية من كلّ تعقيد، وأفكار بعيدة عن دغمائيّة الفكر العربي في توجّهاته الضيقة كل ذلك يجعله مثلاً لفكر إصلاحٍ ونهضٍ ينهض بفكر عربيّ ظلّ قرين نموذج رجعيّ في أغلب مراحل تشكّله، أو فكر غربيّ يسير على نهجه سيراً أعمى غير مدرك لخصوصيّة التربة التي ينشئه فيها. وكلاهما سبب لتأخّر النهضة العربيّة، ويقدم أمثلة دقيقة تبدو في الظاهر قضيّة من القضايا التي يثيرها وتؤرق ذهنه، ولكنّها في الحقيقة عماد من أعمدة مشروعه التنويريّ في كل مجالات الحياة (الاجتماعيّة والسياسيّة والفكرية والعقائديّة...). وهذا ما يجعل فكر الرجل مكسباً حضارياً وإنسانياً يبيّن

المجتمع الإنساني الحديث بما يمتلكه من موضوعية وحياد وبعد عن التطرف بشقيّه. فهو فكر معتدل يراعي أصول الدين ويدافع عن الحقيقة في إطار أخلاقي قيمى.

والكتابة النسوية ليست بعيدة عن هذا التوجّه في الأعمار والبناء. فهو جزء مهم في مشروعه الحديث، عبّر عن رؤية المرأة وحلمها في كتابة متحرّرة من سلطة الفحولة والذكورية من جهة. ومن جهة أخرى يفتح باب حرية التعبير واحترام خبراتها في صنع القرار باعتبارها نصف المجتمع وجزءاً من كيانه وهو ما يهيّء لمجتمع مشرق قادر على مواجهة عقوق الفكر الظلامى. هذا التناول لقضايا الفلسفة والفكر والعقيدة في مشروع ماجد الغرباوى الفكرى، تعبّر عن مشاغله ورؤيته الفكرية للمستقبل الحضارى، وأول خطوة في مخطّطه، تحرير العقل ممّا علق به من تداعيات الخرافة والأسطورة ومؤثرات العقل التقليدى، ومنه إعادة فهم الدين على أسس منطقية وعقلانية تبني على متانة العلاقة بين الإنسان والوجود ومركزيته فيه. وتحرير العقل يرتبط أساساً بضرورة ترشيد الوعي والارتقاء بالخطاب الدينى إلى مجال النظر العقليّ الذي يرتكز إلى نظام معرفى صارم يبحث في مضمرات النصّ ومراوغاته التركيبية والبلاغية والدلالية. كلّ ذلك وفق نزعة عقلية معرفية تتركز على الدليل والبرهان. وهي أسس لتجاوز الفكر التقليدى والسعي نحو تأصيل نهضة فكرية من شأنها أن تحقّق نهضة حضارية قادرة على الارتقاء بالإنسان إلى مصاف التفكير الرصين والجادّ، "يستشق عبرها رحيق الحرية بعيداً عن سطوة التراث وأسطرة الرموز الدينية"¹. لهذا فكلّ نقد لا يستند إلى أسس منطقية وعلمية في التناول، يبقى مجرد قراءة لا يمكن أن تحمل في أعطافها بؤادر الإصلاح والنهوض بالواقع. قد يكون عملنا شهادة على فكر المفكر والباحث ماجد الغرباوى، ولكن الأهم من ذلك أنه مجال لطرح أسئلة جديدة، وفقنا في الإجابة على بعضها ولكن أغلبها مدار جدل وتفكير، وهذا بعد غايتنا. فلئن انتهى هذا العمل درساً فإنّه لم ينته مشغلاً. وأعمال الرجل المتزامية بين حوارات ودراسات نقدية وأعمال إبداعية أكبر من أن نحيط بها وتندبّر مفاتيح الولوج إلى ما تحتزنه من فكر ومنهج وأسلوب.

1 - المصدر نفسه، ص 9.

قراءة الغرباوي لقضية المهدي المنتظر

بقلم: ا.د. عصمت نصار¹

في سياق حديثنا المركز والمطول أيضاً عن نقد عقيدة المهدي المنتظر، يمكن القول: إذا كان "محمد عبده" ومعه أشهر رواد مدرسته، قد وقفوا موقف الناقد في الإصلاح - الجامع بين صحيح المنقول وصريح المعقول - والمتنصر للمقصد الإلهي من جهة، والراغب في تخلص كُتُب جُماع الحديث الشريف من الدسّ والانتحال والكذب على رسول الله من جهة أخرى، فمن الطبيعي أن نجدهم على رأس المعارضين الناقدين لهذه العقيدة الشيعية كما أشرنا فيما تقدّم، أملاً في الوصول إلى موقعها من الفكر الإسلامي، فانتَهت معظم دراستهم إلى ثلاث نتائج:

أولها: أنّ كتابات الشيعة الإثني عشرية المروّجة لهذه العقيدة لا يُمكن درجها ضمن أصول العقيدة، ولا الواجب من العبادات، ولا الأصيل من المعتقدات، وذلك لافتقارها إلى ما يؤيّدُها من صحيح الدين والمتفق عليه من الواجب تصديقه والعمل به من الأخبار.

وثانيها: أنّها تحوي العديد من الأفكار والتصورات التي تتناقض مع المسلم بصحته من صُلب العقيدة الإسلامية، وعلى رأسها إلصاق صفة العصمة بأشخاص غير الأنبياء، وادعاء أن (المهديّ المنتظر) مُنصب من قبل الباري، ومن ثمّ لا مجال

1 - أستاذ الفلسفة - مصر.

للحديث عن شخصه أو سلوكه أو أوامره القدريّة سوى السمع والطاعة، أي أنه حاكم (ثيوقراطي).

أما النتيجة الثالثة: قد أجتهد العلامة "الطاهر بن عاشور" في شرحها والتأكيد على مضمونها ألا وهي مخالفة هذه العقيدة للمقصد الإلهي، أو إن شئت قلت: إنها من آليات الإضلال والتشويش التي تدفع العقل إلى إنكار النسقيّة التي تمتاز بها الخطابات الإلهيّة إلى البشر، كما أنها تجعل المشهد الأخير من حياة الإنسان على الأرض مشهداً درامياً مأساوياً (إمام محتجب شريف النسب، مؤيداً بسلطة إلهيّة، عاد من غييبته ليُسفك الدماء، ويُكل بخصومه، حامل سيّف العدالة الجائر، فظّ غليظ القلب، مُسيطر لا يعرف الرحمة وغيائته توحيد الجنس البشريّ على عبادة قد نهى الخالق عن الإكراه فيها).

لذا سوف نناقش في السطور التالية، أهم مُبررات الشيعة الإثني عشرية لهذه العقيدة وكذا الدوافع التي أحتج بها بعض مُفكري أهل السنة، والأسباب التي دفعتهم لقبولها رغم درايتهم بمشاشة أصولها وانعدام نفعها.

فإذا تناولنا الاتجاه الثاني الذي يُمثل التيار المحافظ الرجعي من الكتاب المعاصرين، سوف نجد في مُقدمته: أعلام الفكر الديني لفرقة الإثني عشرية، وهم ينقسمون إلى ثلاثة دروب:

الأول: يُعَلِّب مصلحة الكيان المحلي والوجود السياسي على غيره من الرؤى النقدية أو التناول العقلاني لتلك العقيدة الموروثة، ويُعد الحرس الثوريّ الإيراني وقاداته والمُنظرين لسياسته والتابعين من العوام وسدّة التراث من الشيوخ في العراق وسوريا ولبنان يُمثّلون الجانب الأعظم من هذا الاتجاه. أمّا المُتفلسفين من الكتاب الرافضين للتقليد والراغبين في تحرير العقول من سجون الخرافة وقيود الجهالة وديكتاتورية التعصّب فيمثّلون الدرب الثاني، وقد رغبوا عن التصريح ولجأوا إلى الرمز والتلميح، مخافة سطوة الرأي العام القائد والمُتمثل في الحرس الثوري والمليشيات المسلحة في

العراق وسوريا ولبنان، والجمهور المتعصب الذي لا يتردد في اللجوء للعنف للإطاحة بمعارضيه.

وأخيراً: عُصبة المفكرين الأحرار - الذين يُمثلون الدرب الثالث - فرغم انتمائهم للفكر الشيعي الإثني عشري إلا إننا نجدهم يرفضون عقيدة ذلك (المهدي المنتظر) الذي سوف يعود من غربته لإنقاذ الأمة، قانعين بأن ذلك الموعود لن يأت إلا عقب حركة إصلاح شاملة تبدأ بالتربية والتعليم وتوعيّة المجتمع وإصلاح المؤسسات السياسيّة والاقتصادية والعسكريّة، ومن بين القائمين على هذه النهضة الشاملة سوف يظهر المُنقذ المجدد لقيادة خير أمة أُخرجت للناس، وسوف نتناول في السطور التالية واحداً من أهم أعلام الدروب الثلاث.

وحسبي أن أشير في هذا السياق إلى مُجدد مُعاصر يُمثل الدرب الثالث من هذا الاتجاه الشيعي، أحسبه من الثائرين المستنيرين العقلين الذين عزفوا عن الانتماء المِلِّي والعِرقي وارتضوا الانضواء تحت راية العقل والتجديد والإصلاح دون تجديف أو جحود أو تشكيك في بنيّة العقيدة الإسلاميّة وثوابتها الشرعيّة ومقاصدها المجمع على صحتها، وهو الناقد المفكر العراقي "ماجد الغرباوي" الذي اجتهد في غربلة الفكر الشيعي الأمامي الذي اختلطت بنيّته بمؤثرات شتى، أبرزها التعصّب العرقي والاعتقادي والسياسي والاجتماعي، مُبيناً تهاافت أصول العقيدة الشيعيّة الإماميّة واجترأ أئمتها على انتحال العديد من التصورات الميثولوجيّة والمذاهب الفكرية المغلقة والآراء السياسيّة الراديكاليّة التي لا تستقيم مع الادعاءات التي يروج لها فقائهم ومُتفلسفيهم (حيث الوعي والاستنارة والعقلانيّة والتأليف بين المذاهب الإسلاميّة).

ولا يسع المقام سوى الحديث عن موقف "الغرباوي" من عقيدة (المهدي المنتظر) التي لم يقوى دونه من أمراء المنابر (المتنمين لفرقة الإثني عشريّة) على فضح هشاشة ركامها المنتحل، فقد أكد في غير موضع من كتاباته أن جرائم الكذب ساكنة في جذورها النصيّة، بداية من التأويلات الشاطحة والأخبار الملفقة ومروراً بالآراء الزائفة

المُتَلَاعبة بالعقول المغيَّبة والمتعلقة بالأوهام الخرافية المصنوعة، وانتهاءً بالأساطير المحرفة التي أخرجها كهنة المعابد من جيِّف الديانات المجوسية واليهودية وألصقوها بالإسلام و"بالإمام عليّ وبنيه"، بداية من حكاية ميلاد (المهديّ) المزعوم واحتجابه وغيبته الأولى والثانية وسفرائه ورسائله ووصاياه التي تنضح إفكاً ومُهْتاناً، وانتهاءً بقصة عودته والانقلاب المأسويّ الذي يسبقها والأحداث المشينة التي يتمنى المخرفون وقوعها قبل قيام الساعة دون أن يَحْطُر في بال أحد عقلائهم موت الإمام المزعوم أو زيف البدعة برمتها.

ومن أقواله في ذلك: (لذلك كله شكّل طول غيِّبته تهديداً خطيراً للعقيدة الشيعية، فراح مُتكلّموهم يربطون ظهوره بمشيئة الله، وأن المسألة غيبية يتعذر على الإنسان معرفة أسبابها، فكان الغيب وما يزال علة سحرية؛ لتبرير ما يعجز العقل على تبريره، خاصة مع وجود روايات تؤيِّده، إنه أسلوب مراوغ لكنه ناجح جداً مع سداجة الوعي وغياب العقل ... إنّ المهديّ قضية وهمية، فرضتها ظروف الطائفة الشيعية وعقيدتها بعدد الأئمة، فهي سالبة بانتفاء الموضوع كما يُعبر المنطقيون، فعدم إمكان رؤيته تحصيل حاصل وكان التوقيع صادقاً جداً ولازمه كذب من يدعي رؤية المهدي أو يدعي السفارة عنه، فالسفارة وفقاً لهذا الاحتمال كانت خطوة لتدارك انخيار الوضع الشيعي، ومرحلة انتقالية بين الحضور والغياب المطلق لامتنعاص صدمة الفراغ القيادي لعدم وجود من يتولى الإمامة من أبناء "الحسن العسكري" وقد اقتصر دور السفراء على قضايا إدارية وتنظيمية ترتبط بالحقوق الشرعية وأحالوا الشيعة على الفقهاء لمعرفة الأحكام الشرعية فأنتفت الحاجة الفعلية؛ ليكون الإمام ظاهراً وتكفي غيِّبته المبررة سياسياً وأمنياً لطمأننة نفوسهم وترسيخ إيمانهم بالإمامة، فاكتمل عدد الأئمة بإمام غائب، وهذا مطلب أساس وفقاً للمنظومة العقائدية الشيعية).

وأعتقد أن الحوار الذي أجراه "ماجد الغرباوي" مع "طارق الكناني" المتضمن في كتابه (مدرات عقائدية ساخنة ٢٠١٧م) كان يُوحى بتصرّجات أخطر يُمكن استنباطها من الإشارات الإحالية والتوجيهات المرجعية والإيماءات الرمزية التي ولج

أبوابها المتناظران، منها أن أصابع الساسة هي التي ما برحت تضغط على جهاز الكذب الاصطناعي؛ لإنتاج الحُجج الوهميّة والأحداث العدوانيّة التخديريّة التي تبتدعها العصابات الصهيونيّة.

وليس أدل على ما ندعيه من أهميّة قراءة موقف "الغرابوي" من عقيدة (المهديّ المنتظر) - مُفكّكين بنائها ومُحلّلين بنيّتها ومُراجعين سيّاقاتها والأطوار التي تراءت عليها في مُختلف المجالات - تكشف المخبيئ وتُزيل الستائر عن الغوامض من الأفكار الثوريّة التي تحملها، ويترأى لي أن هذا المنطلق يُمثّل بؤرة تفلسُفه وأكبر عُمد تجديده، فمقصود مُفكرنا المضمّر والمستتر وراء كلماته، هو ضرورة الانتقال من عبث الإصلاح السياسي إلى غربلة الموروث الديني الشيعي؛ وذلك إذا ما أراد كُتاب هذا الاتجاه الانتقال من طَوّر العبث واللعب على المسرح السياسي إلى اعتلاء منابر الإصلاح وتحديد الفكر الديني.

ماجد الغرباوي

المفكر المسكون باكتشاف المجهول¹

والمسكوت عنه في تراثنا الديني

بقلم: ا.م.د حيدر شوكان سعيد¹

يشخص مؤثر الدراسات العلمية جملة من الظواهر في تحليل ثقافتنا وتراثنا، وقد كتبت دراسات عن عناصر الضعف في أدوات التفكير ومنهجيته، ولعل أبرزها الضعف المنهجي في التحليل لدى شريحة كبيرة من المثقفين المسلمين، أو عدم تقديمهم بالصرامة العلمية، وانغلاقهم العقلي مع إفراطهم في النزعة الذاتية واللغة التبجيلية والتشريفية، وعدم اتخاذهم لمسافة معتبرة بين الذاتي (بكل تعبئته) وبين دراستهم لموضوعات التراث الديني، أو تمظهرات الظاهرة الدينية المعاصرة. وقد وفر بعضهم ضفيرة من الأعذار لهذا الضعف المنهجي تارة بالضغط الذي تشكله مجتمعاتهم المضطربة والخائفة والمطحونة بالحروب والمجاعات وو، وانعكاس ذلك عليهم، وتارة أخرى بخشيتهم من الوقوع ضحايا الأيديولوجيات وثقافتها التلقينية والتمثيلية التي لا تتورع عن البطش، فيبقى المثقف خائفاً على نفسه، ومصدر رزقه، ومنصبه ومكانته من التشويه. فمن اليسير - بهذه الظروف - اتهام المثقف والمفكر المسلم بأنه: "مثقّف أيديولوجي لا يحترم حقوق المعرفة".

تقف في قبال كل هذه المؤشرات دراسات علمية جادة وصارمة لم تغادر التراث بالتمام وإنما نقدته وفككت طبقاته الداخلية، وأنساقه المضمرة، وفتشت في دهايزه ومناطقه المهجورة.

1 - رئيس قسم الفقه وأصوله/ كلية العلوم الإسلامية - جامعة بابل.

وقد كانت بدايات تلك الدراسات في نهاية القرن التاسع عشر، ولا تزال مستمرة مع كل ما تعرضت له من إخفاق (بسبب أدائها التي لم تكتمل أو بعنف الخارج) إلا أنها في النهاية خرجت على التاريخ وزحزحته، وهزت التوازن النفسي "لمديري شؤون التقديس"، فخرجت على المعابد وطقوسها وتوثيقها، بل انبثقت من موت التراث وأسمائه وقوانينه ومحدداته، ففجرت من الداخل بحدوسات معرفية ساطعة، لم تحن أمام الإغراءات أو الجري وراء الأضواء.

فقدمت الساحة الدينية رموزًا للتنوير، استحال ترويضها، وكان من نصيب العراق جملة من العلماء المغامرين (ممن امتلك تكوينًا حديثًا وجادًا وخصبًا) انخرطوا في تقويض القراءة المتشنجة والمتكلسة للنصوص الدينية، وما تفضي إليه من أوهام وتشوهات في رؤية الحياة، وكان على رأسهم الدكتور علي الوردي بوصفه أول مثقف ديني نقدي حلل الحياة الاجتماعية وآثار الدين ومنابعه فيها، إلا أنه وبعد هيمنة حزب البعث على السلطة وبطشه وإفقاره للحياة بكل وجودها، اضطرت نخبة من أبناء البلد للخروج في المنفى والغياب لسنوات غير قليلة، فأتاح لهم المهجر (بما قدمه من ضمان في التعليم والحريات والتعبير والكتابة) الاطلاع على آخر المنجزات العلمية ومناهج المعرفة، فأنجزوا دراسات عميقة فتحت ملفات وأضابير مغلقة من دون التخلي عن الذاكرة الملهمة والنافعة من تراثها الديني، ولعل أبرزهم في المعرفة الدينية: طه جابر العلواني، وهادي العلوي، ويحيى محمد، وعبد الجبار الرفاعي، وفالح عبد الجبار، ورشيد خيون، وصائب عبد الحميد، وغالب الشابندر، وغيرهم الكثير، ومنهم المفكر العراقي المرموق ماجد الغرباوي.

وقد كان بودي منذ أكثر من سنتين أن أقف بدراسة مستقلة على اشتغالاته وأدواته في الحفر والتنقيب والتحقيق للتراث الديني، وتأملاته ونقده وتحديدده، فهو جدير بالاستقصاء وجدير بالتأمل وجدير بالنقد أيضًا إلا أن بعض الظروف حالات دون ذلك.

في هذه المقالة - بوصفها ومضات - أحاول تلمس بعض اشتغالاته، وهي جملة من التساؤلات الحرجة والمزحزحة لعقل لا يقبل الانفصال عما تلقاه من مدارس

ومذاهب وقراءات لبت طموحات عصرها، وأضحت تصطدم مع الواقع اضطرادًا لعجزها عن استيعاب مفارقات اليوم، مع ادعائها النرجسي في القدرة على المجازاة من دون برهان.

ولو أردنا تلمس مشروع المفكر ماجد الغرباوي المعرفي وإسهاماته، ووصف أعماله وتقييمها وموقعها من تضاريس التجديد الديني لا بد لنا من تحديد مجاله الخاص وقدرته العقلية على الاكتشاف ومحدداتها. ولا بأس من الاستعانة بمستويات التفكير والتأصيل في عملية الإنتاج العلمي، التي أشار إليها محمد أركون، وهذه المستويات مرتبطة بالوضع اللغوي والمدني والاجتماعي الذي ينشأ فيه الإنسان ويتقيد به العقل في جميع نشاطاته وممارساته، وهذه المستويات هي¹:

المستوى الأول: مستوى ما يمكن التفكير فيه:

وهو مستوى متعلق بتمكّن المفكر الديني من اللغة التي يستعملها، وبالإمكانات الخاصة بكل لغة من اللغات البشرية التي اختارها المفكر. كما أنه متعلق أيضًا بما يسمح به الفكر والتصورات والعقائد والنظم الخاصة بالجماعة التي ينتمي إليها أو يخاطبها، وبالفترة التاريخية من فترات تطور تلك الجماعة. ثم إنه يتعلق كذلك بما تسمح به السلطة القائمة في المجتمع أو الأمة اللذين يتضامن معهما المفكر.

وهذا المستوى متاح للجميع تقريبًا من دون محذور أو تكلفة قد يدفعها نتيجة الخروج عليه.

المستوى الثاني: ما لا يمكن التفكير فيه:

بسبب مانع يعود إلى محدودية العقل ذاته أو انغلاقه في طور معين من أطوار المعرفة. ومثال ذلك، هو عدم إمكانية أي فيلسوف أو فقيه أو مفسر طيلة العصور

1 - ينظر: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة: هاشم صالح، الناشر: دار الساقى، بيروت، الطبعة الأولى - 1999م، 9 - 10.

الوسطى وحتى فجر الحداثة أن يفكر في المواطنة بالمعنى الذي نعرفه حالياً كفضاء يتساوى فيه جميع المواطنين بغض النظر عن قناعاتهم ومللهم.

وهذا المستوى يعود أيضاً إلى ما تمنعه السلطة الدينيّة أو السياسية أو الرأي العام، إذا ما أجمع على عقائد وقيم قدّسها وجعلها أساساً مؤسّساً لكيونته ومصيره وأصالته.

المستوى الثالث: المستحيل التفكير فيه:

إذا استمر الفكر زمناً طويلاً وهو يكتفي بتريد ما تسمح اللغة والنصوص العقائدية والرمازات الثقافية وإجماع الأمة ومصالح الدولة بالتفكير فيه، فإنه يتضخم ويثقل ويتراكم.

"وكثيرة هي الأفكار التي أنتجتها عقول بشرية، ولكنها تحولت بفضل التكرار والترديد، الذي من شأنه أن يخفي غيرها من الأفكار، ولو بالتشويه، إلى "عقائد" لا يمكن المساس به"¹.

هنا يرد التساؤل إلى أي مستوى ينتمي ماجد الغرباوي في تحليله الاكتشافي وحفره المستنطق لتجربة الإسلام الدينية وتاريخها ومقولاتها وإلهاماتها وحتى إكراهاتها وصراعاتها؟

بكل وضوح ستجد الغرباوي مفكراً تتسع رؤيته لعبور التراث، وإعادة قراءة مضامين الأدلة فيه من دون توقف أمام ركام القراءات والتفاسير وهيبته وأسمائها، مع إيمانه بضرورة الحفاظ على الشحنات الإيمانية للإنسان ودراستها والعناية بها بوصفها مخيلاً له أدواره الحاسمة، وحتى لاهوت المحبة أو الشفقة، وقيمه الجمالية يحظى بالدعوة لاستعادته، لأنه البديل الملهم والمغذي للتنوع في قبال ضيق المجتمعات بعقائدها وطقوسها.

1 - - نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، الناشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، الطبعة الأولى - 2017م، 19.

يدور مشروع ماجد الغرباوي حول النص، محاولاً وضعه في سياقه الأصلي من جديد، مبتعداً كل البعد عن الدغمائية أو الازدراء، فيستخدم ما تيسر له من الأدوات الانثربولوجيا والتاريخية والاجتماعية وحتى الألسنية. مع ولعه في الاشتغال على التأليف والكتابة في الشحيح والنادر والمسكوت عنه من المعارف والفنون في التراث الديني، وهذا ما تلمح إليه كتاباته، التي يتصدرها عنوان موسوعته "متاهات الحقيقة" وهي عبارة تكشف لك عن مسار التفكير وعمقه وكثافته ومحاذيره.

وللباحث أن يلاحظ ذلك بدراسة الغرباوي المتقدمة في آخر كتاباته "مقتضيات الحكمة في التشريع، نحو منهج جديد لتشريع الأحكام"، الصادر في هذا العام (2024م)، إذ يهدف فيه في الأصل إلى إعادة تصميم الهندسة الفقهية من جديد، من خلال رفضه للرقابة والوصاية غير المبرهن عليها، سواء كانت وصاية النص، أو التراث، أو بدايات العقل التعبدية. كاشفاً لثغرات وعيوب ليست بالقليلة في عملية الاستنباط، ولعل أهمها تجاهل النظام التشريعي الذي تمت صياغته بأيدي السلف، وتحييد القيم الأخلاقية والإنسانية، إذ تمت بلورة العديد من الأحكام الشرعية من قبل الفقهاء، وهي تصطدم مع الأخلاق وتفرط في رمزيها وحضورها، والأغرب في نظر الغرباوي أن الفقهاء رسموا الحياة من خلال مدوناتهم التي تجاهلت مرجعيات أخرى لفهم الدين التي يمكن الاستفادة منها، وهي دعوة تفتح النص على مفاهيم أوسع وأعمق مما تصوره علماء السلف، ليشمل مجالات الحياة كافة بتجاربها ومضامينها. ليقترّب بذلك من دعوة حسن حنفي في الانتقال من (السماء إلى الأرض، أو من الله إلى الإنسان، ومن الآخرة إلى الدنيا) مع ابتعاده عن أدلة الدين التي تختزله في تفسير ضيق. ليعتمد الغرباوي هنا على معنى جديد لمفهوم قداسة النص بمجالات تُعيد رسم خارطة تأثيره في الحياة الأخلاقية والجمالية والروحية للإنسان، ويتطلب هذا العدول بهيكل التشريع من "الفقه إلى الأخلاق، ومن التعبد إلى العقل، والانتقال من ضيق

الفقه وسجون النص إلى رحاب القيم الأخلاقية، وفق مقتضيات الحكمة ومبادئ التشريع (العدل، وعدم الظلم، والسعة، والرحمة، والمساواة)¹ .

إن هذا الكتاب يناقش سلسلة الدلالات المنتجة للتشريع -توسعة أو تضيقاً- ويعيد اختبار قدرتها على الوفاء بوعودها وعهودها في المعالجة والتدبير، فيفتح على الدلالة الحرفية للنص، ويرصد عوامل التوسع والانكماش أو التعارض مع العقل هنا أو هناك. وقد سجل ملاحظاته النقدية الصارمة على غياب الواقع ودلالاته عند الجميع - تقريباً - فالفقهاء لاعتبارات مختلفة لا يثقون بقرينة الواقع في تقييد الإطلاق وظهوره الذي يعتمد على "قرينة الحكمة"، إذ يرى أن الاندماج وتركيز التفكير في النصوص وجزيئاتها تولدت منه حالة من القطيعة مع الواقع ومعطياته، وعن العقل وما يقدمه من نتائج مهمة في تصويب الأفكار وإنضاجها، وتفسير مختلف الظواهر، والبرهنة عليها.

إن دراسات المفكر العراقي ماجد الغرابوي في المعرفة الدينية جديرة بالتبعية للباحثين، ولا سيما طلبة الماجستير والدكتوراه، لتحليلها بشكل توصيفي يلاحق أدوات التفكير لديه ومقوماتها وخلفياتها وأهميتها، ومعرفة بواعث القبول لبعضها والرفض للبعض الآخر، فلا تقل في أهميتها عن دراسات محمد أركون أو عبد الله العروي، مع أن لكل منها مجاله، ولكني أتكلم هنا من حيث دراساته وقدرتها في تقديم الجديد من الثراء، واعتمادها العقل النقدي الشغوف بالحقيقة والفهم المتجدد.

1 - ماجد الغرابوي، مقتضيات الحكمة في التشريع، إصدار مؤسسة المتقف العربي - سيدني - استراليا، الطبعة الأولى - 2024م، 8 / 9.

رحلة من المداريات الحزينة إلى المدارات الساخنة الإبحار في المعقول واللامعقول

بقلم: د. فاطمة الثابت¹

لقد أصبح مشهد الفكر الإسلامي ساحة معركة للصراعات الأيديولوجية، التي تصاعدت على مر السنين، مدفوعة بتآكل الحدود والمقدسات بسبب الرقمنة، مما جعل هذا التحول الرموز عرضة للتفسيرات المتنوعة، وفي الوقت نفسه يكافح الخطاب الديني لتزويد العقول الشابة أو الأجيال القادمة بالأدوات اللازمة لمواجهة مجموعة التحديات التي يواجهونها، بعد أن أدى تشكيل السلوك ورعاية الفكر إلى حصر الدين في رموز، مما قلل من التركيز على المفاهيم الأساسية وجوهر المعتقد.

ومن هنا جاءت ضرورة الاستكشاف المعرفي للمعتقدات والممارسات الدينية، ويستلزم هذا النهج فحص الطقوس والمعتقدات من وجهة نظر معرفية وتحليلها من خلال عدسة نظرية المعرفة، والتحقيق الفلسفي في المعرفة والاعتقاد والتبرير، تبحث هذه المنهجية في كيفية اكتساب المعرفة، وجوهر الاعتقاد، والمعايير التي تثبت صحة قناعاتنا عند تطبيقها على الدين، فإن هذه العدسة المعرفية تدرس الأسباب الكامنة وراء الادعاءات الطقوسية والاجتهادات الفقهية وتقييمها وفهمها، وبالتالي لا بد أن ندرك الحاجة الملحة للتحليلات المعرفية داخل المجتمع، والسياقات الدينية، والتفاعلات بين النظم العقائدية المختلفة، ويرجع ذلك إلى الطبيعة المعقدة والمفككة لكل من المجالين العالمي والديني، والمعتقدات الدينية لا تحيل بالضرورة إلى قناعات - أو رؤى اجتماعية - تدافع عنها تنظيمات اجتماعية أو أفراد معينون فقط؛ بل

1 - أستاذة علم الاجتماع - جامعة بابل / العراق

تتضمن رهانات أيديولوجية، سياسية، اقتصادية... وأيضاً إرثاً حضارياً وثقافياً معيناً

..

هذه الاعتبارات تدفعنا إلى التأمل في الطقوس والعادات والتقاليد المنسوجة في حياتنا، كيف يمكننا التعامل مع هذه الممارسات بمعرفة، وإحاطة أنفسنا بالبحث العلمي الدقيق ومواجهة شكوكنا؟ هل يمكن للدراسات الإثنولوجية أن تلعب دوراً أكثر نشاطاً، مسترشدة بالتقييمات النقدية، لغربة الشوائب الملتصقة بمعتقداتنا؟ كيف يمكن أن ننخرط في مناقشات مسترشدة بالآيات القرآنية التي تظل وفيه لإيماننا الحقيقي؟.

ضمن صفحات "مدارات عقائدية ساخنة: حوار في منحنيات الأسطورة واللامعقول الديني"¹، يتعمق المفكر ماجد الغرباوي في ضرورة إعادة تنشيط الخطاب الديني، ومواءمته مع الأبعاد المتعددة للطبيعة البشرية. ويشمل ذلك العناصر النفسية والسلوكية والاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية، إنه يتفحص المعتقدات وفعاليتها كرموز وإيجاءات وتأثيرها على الوعي الجمعي بقوله (العقيدة منظومة فكرية توجه وعي فرد، يتأتى الإيمان بها، عبر تراكمات لاشعوية، نفسية - ثقافية، هي سر تفاوته من شخص لآخر، فتؤثر في تكوينه جميع المؤثرات النفسية والسلوكية والاجتماعية والسياسية، والعلمية والثقافية، ومنها ذات العقيدة وقوة رمزياتها، وإيجاءاتها وحجم تأثير العقل الجمعي بها، وهنا يكتسب النقد صفة الضرورة ليحد من تمادي العقيدة على حساب المبادئ الأصيلة)².

في التحوار بين المدارات العقائدية الساخنة الذي يشمل عشرة محاور، يبدأ بتكامل مفهوم "المنقذ"، وينهيها بمحور التشيع وإعادة إنتاج الشعائر، تتطلب هذه الدوائر الساخنة التجرد والموضوعية للفهم، لا يحتاج المرء إلى اعتناق الأفكار المقدمة

1 - مدارات عقائدية ساخنة.. حوار في الأسطورة واللامعقول الديني، مؤسسة المثقف وأمل الجديدة، 2017م. والكتاب هو حوار طارق الكناني مع ماجد الغرباوي.

2 - المصدر نفسه، ص 17.

بالكامل؛ بل من الأهمية بمكان أن نمنح العقل حرية اجتياز هذه المدارات دون أن يعيقه الخوف من الحوار.

يقترح الكاتب فحصًا نقديًا للمعتقدات الدينية وتأثيرها على المجتمع، من خلال عدسة التحيزات المعرفية، والأساطير الثقافية، وعمليات التفكير غير العقلاني، يستكشف الكتاب الديناميكيات الاجتماعية المحيطة بالمعتقدات الدينية، ويفحص كيفية تشكيل السلوك الفردي والجماعي، والأعراف المجتمعية، والمؤسسات، ويشعر عدسته بالبحث عن كيفية تشكل المجتمعات الدينية وتفاعلها وتطورها مع مرور الوقت، وكذلك دور الدين في الحفاظ على النظام الاجتماعي أو إدامة عدم المساواة، ومن هنا يتعمق في الآليات المعرفية الكامنة وراء أنظمة المعتقدات الدينية، واستكشاف مفاهيم مثل التحيزات المعرفية، والاستدلال، وعلم نفس تكوين المعتقد، ويبحث الكتاب في سبب صدى بعض الأساطير والمذاهب الدينية لدى الأفراد، حتى في غياب الأدلة التجريبية، وكيف تؤثر هذه المعتقدات على عملية صنع القرار والنظرة العالمية.

يشير مصطلح "اللاعقلانية الدينية" إلى إجراء فحص نقدي للجوانب غير العقلانية للفكر والسلوك الديني، ويستكشف الكتاب ظواهر مثل التطرف الديني، والأصولية، والخرافة، ويشكك في عقلانية بعض المعتقدات والممارسات الدينية، ويمكنه هذا من دراسة الطرق التي يمكن من خلالها استخدام الأيديولوجيات الدينية لتبرير العنف أو التمييز أو غير ذلك من أشكال الأذى.

على مر التاريخ، جذبت المدارات المقدسة والطقوس المرتبطة بها باستمرار انتباه علماء الأنثولوجيا فبرز كتاب كلود ليفي شتراوس "المدارات الحزينة" كتجسيد مؤثر لهذا التحقيق وهو عمل مبدع صاغه عالم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا الفرنسي يؤرخ رحلاته وعمله الميداني في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك أمريكا الجنوبية، تتعمق هذه التحفة الاستبطانية والشعرية في تعقيدات المجتمعات البشرية والأساطير وطيف التنوع الثقافي، ومن خلال مواجهة الحضارة الأوروبية بحضور الثقافات الأخرى، يسعى ليفي شتراوس إلى تبديد هالة التفوق والمركزية، مبشرًا بفكرة مفادها أن أرقى الحضارات هي تلك القادرة على الحوار والتواصل بين الثقافات، ويؤكد أن "العالم بدأ من دون

الإنسان، وسوف ينتهي من دونه أيضاً، والمؤسسات والعادات والتقاليد، التي كان عليّ أن أمضي الشطر الأكبر من حياتي في فهمها وفي استكشافها وإحصائها، هي في حقيقة الأمر بداية تفتّح عابر لتكوين لا نملك تجاهه أي معنى، سوى السماح ربما للإنسانية بأن تلعب فيها دورها"..¹

لذلك بالرجوع الى كتاب مدارات عقائدية ساخنة وفتح باب المناقشة التي تجاوزت فيه الحدود الجامدة بإطلاق العنان للسؤال، حيث مما جاء به (ثمة جدل متواصل بين الأيمان وبيئته لتجديد فاعليته على مستوى السلوك والأخلاق والوعي، بدوافع أيديولوجية لتبقى العقيدة سلطة توجه وعي الفرد وتؤثر في فهم الواقع، فالصورة الذهنية للعقيدة وليدة أيمان الفرد وضروراته ومصادر معرفته)¹، وهنا استكشف مثير للتفكير في التقاطعات بين الدين والإدراك والمجتمع، حيث يقدم نظرة ثاقبة للطرق التي تشكل بها المعتقدات التجربة والسلوك البشري. وما يميز هذا الحوار أنه حوار مفتوح يتضمن حلقات نقاشية على محركات البحث كوكل، وهو جزء من تشكلات الخطاب في العصر الرقمي حيث يرى الغرباوي (أحيانا تخط المعاصرة من قيمة الرمز وقديسيته، بينما تزدهر في غيابه حداً تُلهب رمزيته الخيال الميثولوجي، فيجرّده من بشريته ويخلّق به في مدارات الأسطورة واللامعقول، ليُعيد انتاجه باستمرار في إطار ضروراته العقدية والأيديولوجية)².

بأختصار يبرز التحليل المعرفي للطقوس والمعتقدات الدينية كأمر بالغ الأهمية وهو ينطوي على التحقيق في المفاهيم والممارسات والأحداث الدينية من خلال عدسة معرفية، ويفكر هذا الإطار في كيفية اكتساب المعرفة وجوهر الاعتقاد، والأساس المنطقي وراء التحقق من صحة المعتقدات، إن التعامل مع الدين من هذا المنطلق يتطلب التدقيق في المنطق الذي تقوم عليه الادعاءات الطقسية والأجتهادات المتعلقة بها وتقييمها وفهمها، يحمل هذا النهج أهمية خاصة بسبب الطبيعة المركبة والمفككة للعالم وجوانبه الدينية، وبالتالي تحديد الخطاب الديني الموجه الى الأجيال القادمة

1 - المصدر نفسه، ص 18.

2 - المصدر نفسه، ص 162.

ومحاكاة تطلعاتهم ومخاوفهم فذلك هو السبيل الأنجع للتجاوز بما يناسب فضاء الرقمنة وتجاوز ثقوبه السوداء التي باتت تبتلع كل من يضطلع بها.

ماجد الغرباوي .. إشكالية النمضة ورهان تقوية الشعور الهوياتي العقلاني لدى العربي المسلم

بقلم: الأستاذ الحسين بوخرطة¹

الأستاذ ماجد الغرباوي، غني عن التعريف. كتاباته الرصينة شكلت مرجعا فكريا ومعرفيا جعلته يصطف إلى جانب كبار رواد الفكر عربيا ومغاربيا وكونيا. إنه مفكر إسلامي مرموق كرس الجهد المضني لإبراز المقاصد والدلالات والرموز التي جسدتها النصوص الدينية الأصلية. يمتاز بمنهجية المتفردة وبأسلوبه البسيط المنير للعقول. بتفاعلي مع منتوجاته القيمة تعلمت منه معنى الوضوح والشفافية في الثقافة، والشمولية والموسوعية في تناول القضايا العربية الشائكة. لقد أثبت بالبراهين العقلية أن الاعتدال والوسطية هما الأساس الضامن لصلاح الدين الإسلامي لكل زمان ومكان.

شفافية شخصيته جعلت منهجه قويا جذابا، يقود القارئ بسلاسة إلى التأمل في مراحل التحليل، ميسرا مروره بتركيز عال من الوضعية العادية، ثم الوسطية، ليجد نفسه في الوضعية الختامية مقتنعا بالاستنتاجات المنيرة للعقل والمحفزة على اكتساب المعرفة العلمية والأخلاقية. كما جعلت أسلوبه يتسم بالبساطة والسلاسة. قدرته على تبسيط تحليل القضايا المعقدة مكنته من كسب اهتمام القراء بمختلف مشاربهم. يستحضر النقل ويشهر قوة العقل، ثم يبدع في خلق الحوافز النفسية أمام القارئ دافعا

1- كاتب وباحث مغربي

إياه عن طيب خاطر للتأمل وكشف بواطن الأمور والتمييز بين الأصول والفروع. مكانته الفكرية هي تنويع لمساره الشخصي الزاخر بالاهتمامات والبحوث المتواصلة.

المتتبع للأستاذ الغرباوي يستشف إيمانه العميق بالإسلام الوسطي المعتدل، مبرزاً ما يتضمنه من قيم إنسانية كالحق والعدل والعلم والإيمان. إنه صاحب مشروع نهضوي عربي إسلامي ينضاف إلى مشروع كل من المفكرين المرحوم الدكتور محمد عابد الجابري والدكتور عبد الله العروي أطال الله في عمره. إذا كان الجابري يدعو إلى غريلة التراث من خلال تنوير العقل العربي، والعروي إلى القطيعة المنهجية باعتماد المنهج الماركسي الموضوعي والتاريخانية والارتقاء في أحضان الحداثة الغربية في القرون الثلاث السابعة والثامن والتاسع عشر والعودة الفكرية إلى التراث بمنطق الأنوار، فإن الأستاذ ماجد الغرباوي يدعو إلى عقلنة شعور الشخصية العربية والإسلامية وتقوية قيمها العقلانية بالشكل الذي يجعلها تضيف طابع الفاعلية على الروابط بين العقل النظري والعقل العملي.

يمكننا أن ننظر إلى كتابه "المقدس ورهان الأخلاق" بوصفه دراسة في فلسفة التاريخ (التاريخانية عند عبد الله العروي). استثمر في تاريخ الأفكار وما تمخض عن تفاعل النصوص العقائدية بالواقع. وهو يقابل الخلاصات الفكرية مع الأحداث التاريخية التي وازتها، يمكن القارئ العربي البسيط من طرح التساؤلات العديدة في شأن واقعه وسبل الخروج من مأزقه. كتاباته تصوب اهتمام القارئ في اتجاه علة الأحداث وعمقها، فيؤثر في سلوكه واضعاً إياه في موقع الباحث عن توجهات جديدة، معترفاً بحاجته إلى فهم عميق للفكر الإسلامي، ومحاولاً الكشف الكلي على المسببات الواهية التي ربطت الصدام التاريخي بين العقل والنقل في الفكر الإسلامي بنزعات الحفاظ على المصالح والمنافع الذاتية على حساب الأوطان وشعوب المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج.

العقلانية في الدين عند الغرباوي هي دعوة للحسم في مقومات الشخصية الإسلامية بتمكينها من قدرات الغوص في العلم والإبداع والتكنولوجيا. لقد استخلصت من كتاباته أنه، كعبد الله العروي، يستحضر أوضاع تأخر الشعب الألماني

زمن عصر الأنوار معتبرا إياها مشابهة نسبيا لأوضاع الشعوب العربية في الوقت الراهن. وهو نفس الاستنتاج الذي أبرزه ماركس. إن تدني العلاقات الاقتصادية الألمانية في ذلك العصر، مقارنة بفرنسا وبريطانيا وأمريكا، يعود إلى تلك الإيديولوجيا المثالية التي تهيمن على الوعي الألماني وتحول بينه وبين تطوره، لأنها كانت تغرقه في الأفكار والخيالات السابجة. كان تفكير الألمان يسبح في السماء ولا صلة له بالإبداع لتجديد أنماط وتقنيات الإنتاج المادي.

بنفس المنطق، لم يدخر الأستاذ الغرباوي جهدا في نقد الوعي العربي الزائف وتبيان هشاشته. حياة أغلب أفراد الشعوب العربية غارقة ليل نهار في الأوهام والتعبيرات الشفاهية التي لا تمت بصلة بواجب تنمية الحياة المادية وخلق السعادة الروحية. إن رسائل ودلالات كتاباته تدعوا إلى تشييد حياة جديدة قادرة على تنفيذ الأنظمة التقليدية السائدة. لقد بين بالبراهين الدامغة أن الأبنية الثقافية التي شيدت من طرف أصحاب المصالح من رجال الدين ورواد البيروقراطية السياسية أصبحت هشة ومتداعية وضيقة وغير مريحة. في نفس الآن يذكرنا أن استفاقة العرب المسلمين تملئها أمانة استخلاف الإنسان أرضا. فما تعرفه الشعوب العربية من فقدان مستمر لأجزاء من بشريتهما تحت وطأة الاستغراب الرأسمالي أو العقائدي يجب أن يتوقف. الشخصية العربية المسلمة يجب أن تكون عاملة ومتفاعلة، تتفتح وتزدهر باستمرار، وقادرة على أن تحل محل المذاهب العقائدية المتناحرة السابقة. عليها أن تتوق لتغيير وضعها بتملك السلطة المعرفية والإرادة السياسية والرغبة القوية، وبالتالي تنوير واقع الفرد العربي ليلا ونهارا. يعيش ليله مزهوا بهويته وثقافته وتراثه العقلاني، يفكر ويدبر كيف سيكون غده أكثر مردودية ماديا، مردودية تستجيب لسر وجوده ولأمانة كشف أسرار الكون التي لا تعد ولا تحصى.

بالنسبة للغرباوي، معاداة الآخر لا يمكن اعتبارها إلا عائقا أمام طموح النماء القطري، بل موقفا واهيا يعرض الشعوب إلى هدر الزمن والاضرار بالنفس. زمن الحداثة الغربية هام للغاية. لقد كان من الناحية التاريخية نتيجة نشوب حركات التمرد والثورات التي خاضتها الشعوب الغربية ضد استبداد الكنيسة ومريديها. إنه مرجع تاريخي زاخر بفرص وإمكانيات التطور والقطيعة مع سبات الماضي. لقد دعا الدكتور

عبد العروي إلى سبر أغوار هذه المرحلة البارزة في تاريخ البشرية. التاريخ الغربي يذكرنا بالفترات الصعبة التي انتصرت فيها العقلانية وفرضت حياة متنورة جديدة. لقد أشار الدكتور علي القاسمي في كتابه "صياذ اللآلئ في الفكر والإبداع المغربي المعاصر"، كيف تم إعلان ميلاد حقوق الإنسان في تاريخ البشرية. صدر العهد الأكبر في عهد ملك إنجلترا جون سنة 1215، وتطور إلى إعلان الحقوق بنفس البلد سنة 1689. صدر إعلان الاستقلال الأمريكي سنة 1776، والإعلان الفرنسي لحقوق المواطن سنة 1789. إنه عهد مرجعي في رفع الظلم والحد من الاستغلال البشري والنضال من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية بأي وسيلة. إنه فترة التعبير عن الإرادة السياسية الشعبية لتعميق الفهم للحقيقة بنهج فلسفة تسعى لتغيير الواقع لأجل سعادة البشر. بنفس المنطق، تراث الماضي بالنسبة للغرباوي جزء من هوية الأمة الحضارية شريطة إخضاعه للفحص بغربال العقلانية.

والعالم يعيش زمن تسلط الليبرالية المعبرة عن زمن ما بعد الحداثة بتركيزها على علاقات دولية اقتصادية وسياسية أساسها المصلحة والمنفعة المادية، تزداد الحاجة إلى تقريب كتابات الأستاذ ماجد الغرباوي من العقل الشعبي الواقعي في كل الأقطار العربية، للحسم النهائي في مقومات الفرد العربي المسلم بتقوية وجوده الثقافي الكوني ومستوى مقاومته للتغيرات والخطابات التقليدية المناوئة للمستقبل. إن حلم خلق مجموعة سياسية واقتصادية عربية يتطلب أولا وقبل كل شيء الاطلاع العقلاني على تاريخ تحول العالم الغربي في عصر الأنوار، ثم التشبع بقيم الحداثة بحقوقها السياسية والاقتصادية، ثم الحسم النهائي في مقومات الشخصية العربية المسلمة كما بين لنا ذلك كاتبنا الغرباوي، وبالتالي تعبيد الطريق لخلق القطيعة مع كل بال وورث في التراث، وتسريع بلورة استراتيجية تربوية للصغار وتكوينية للكبار حتى يتأتى للجماهير العربية التوجه للمستقبل بانفتاح نافع مادي ومعنوي، مغتنما كل الفرص المتاحة كونيا في مجال الإبداع والدربة اليدوية والعقلية ووفرة الإنتاج وتراكم الثروات.

الاعتزاز بالتراث العقلاني هو مرادف للعودة إلى القيم الإنسانية في الإسلام، وإعادة الاعتبار لمفهوم النظم والمؤسسات الإسلامية المنفتحة والمتسامحة، وترسيخ ثقافة الخلق الصناعي والإبداعي الفني في أذهان الأفراد والجماعات. الغرباوي يدعونا

من خلال تحليلاته الرصينة إلى تسريع التراكم الحضاري والثقافي بالتخلص النهائي من سلطة تراث الماضي المتخلف الذي يكرر نفسه خالفاً لنفسه حواجز عالية تفرمل آلياته المشروعة لكسب مهارات التنافس والحق في الوجود الفاعل كونياً. فلا سلطة إلا للعقل. إنه الأساس الذي بني عليه التاريخ البشري. علينا أن نجد المنعطف المناسب، ونرسخ مقوماته، ونميل، كما مال الغرب، صدفة وإتقاناً إلى جهة، فوجد نفسه على رأس طريق معبدة. لقد عثر العرب المسلمون على ذخائر خدمة المستقبل في فترات معلومة من الماضي، إلا أنهم مالوا إلى جهة تاهوا فيها في معارج رملية قاحلة.

كتابه "المقدس ورهان الأخلاق" زاخر بمقومات صقل كفاءات ومهارات الشخصية العربية الإسلامية. الأخلاق مصدر معنوي حضاري، يميز من خلاله الفرد المواطن بين الخير والشر، الحسن والقبح، الفضيلة والرذيلة. فأمam التفاعل السريع للسلوكيات والانفعالات اليومية للشخصية العربية الإسلامية، تبرز مكانة العقل لتحقيق المواقف والأفعال وردود الأفعال المناسبة معبرة عن وجود منظومة أخلاقية جذابة تخضع في أبعادها للمنطق المتعارف عليه كونياً. الرأي العام الكوني لا يمكن له أن يعادي الاختلاف المعبر عنه بالطرق الحضارية المعروفة، بل يمتعض من ردود الفعل غير المبررة والعنيفة. وبذلك، تكون الأخلاق وحياً من مدركات العقل العملي ومشاعر الفطرة الإنسانية السليمة. لقد ترتب عما يعيشه العالم من استبداد علي ومبطن بسبب هيمنة الاتجاهات المادية والنفعية الجشعة في زمن العولمة ميول الإنسان الغربي إلى الاحتكام للقاعدة السلوكية المبتدعة "الغاية تبرر الوسيلة" أو الوسيلة". عالم اليوم يحتاج إلى أخلاق وقيم عصر الأنوار وزمن ازدهار الحضارة العربية الإسلامية. نحتاج لحياة فردية تستمد مقوماتها من الأخلاق الحضارية العقلانية، وتكرس في سلوكياتها مهابة الدين في الحياة الشخصية.

المقدس بالنسبة للغرباوي يحتاج إلى التحري المعرفي والتحلي بالدقة والنباهة لتحويله إلى آلية لتقوية الشخصية العربية الإسلامية بالرفع من مستوى جاذبيتها وتحبيبها لسكان المعمور. الجهل المقدس يجب أن يندثر بصفة نهائية من حياة الشعوب الإسلامية ببلورة ميثاق أخلاقي تقدمي منفتح وقابل للتجديد يجعل الدين

مقوم أساس للهوية والحياة. الأستاذ الغرباوي في هذا الصدد أبرز الاستثناءات والقراءات التراثية المتخلفة عن ركب التاريخ في كتابه السالف الذكر. لقد اخترق سجون العقل وأغلال التفكير وفندها بالدليل والحجة. لقد أثار الجدل الذي عاشته الحضارة العربية في فجر الإسلام (المعتزلة، الأشاعرة، الخوارج، الشيعة،). دافع المعتزلة كون الحسن والقبح عقليان، وأذاع الأشاعرة كونهما شرعيان. لقد فند الغرباوي رواية زواج النبي (ص) من عائشة وعمرها ستة سنوات ودخل عليها وعمرها تسعة سنوات. كما ركز بتفسيراته المقنعة على ظاهرة القتل المرفوضة والحق في الحياة (قصة موسى والغلام). إن الكاتب من رواد تحرير الوعي الديني وإخراجه من دائرة احتكاره من طرف مريديه. الحلال بين والحرام بين.

إذا كان العقل النظري هو مفتاح التأمل التجريدي المسخر للاستفادة من خدمات الكشوفات العلمية في الواقع (الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء،)، فإن العقل العملي يكون في أتم الاستعداد لتحويل النظريات إلى صناعات وانتاجات مادية تنفع الإنسان وتجعله يركز أكثر على المستقبل والآتي من الكشوفات الجديدة. العقل النظري دينيا، يقول الغرباوي، يخضع لمبدأ الإدراك، والعقل العملي أساسه دوافع ومحفزات. داخل هذه الانشغالات الطبيعية التي تضمن استمرار الوجود البشري فوق الأرض، يكون العقل الأخلاقي حاضرا بقوة للحيلولة دون السقوط في الانزلاقات الخطيرة. فهو إذن مشترك إنساني غير مرتحن لأي حكم مسبق ما عدا مبادئه. أدواره حماية الأفراد من السلوكيات المنحرفة المحكومة بالظلم والعدوان، والتي لا يمكن لأحد تبريرها مهما رفعت شعارات دينية وطائفية مؤيدة لها (القتل بدوافع عقائدية وطائفية). الحسن حسن بذاته، يدركه العقل العملي باعتباره واقعا، والقبيح قبيح بذاته تنبذه النفس. الفطرة الإنسانية إحساس أخلاقي ترهن له القيم والأخلاق كونيا (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله). الميل للخير مرتبط بوضعية يكون فيها الفرد حرا. في التعاطي مع الأحكام الشرعية، يدعونا الكاتب إلى الأخذ بعين الاعتبار القبليات العقدية والسياسية والإيديولوجية. فلا يمكن مثلا تبرير الإرهاب بأقوال الصحابة أو الأئمة الإثني عشر أو فتاوي الفقهاء. لقد بين لنا كذلك بوضوح تام كيف خضع تاريخنا العقل التراثي للحوافز الإيديولوجية والطائفية.

لقد أسهب الكاتب بما يكفي لتوضيح كون العنوان الأبرز لرسالة الله عز وجل لعباده تتجلى في التسليح بالعلم والأخلاق لتحقيق العبور الدائم من حال الجهل إلى حال العلم. الله يمجّد في كتابه المقدس أولي الألباب الذين يربطون انشغالاتهم اليومية بالشعور بالواجب بدون طغيان اللذة والمنفعة غير المشروعة. جاء في نفس الكتاب أن الفيلسوف كانط في هذا الصدد قد دعا الإنسان للفعل الجاد بحيث يمكن لقاعدة فعله أن تكون قانوناً عاماً. وبذلك يكون مصدر التزام العقل الأخلاقي هو العقل العملي مع اعتبار أن الشخص يعي ذاته بما هي ذات إنسانية مستقلة، وكحركة وجود بمحمولة ثقافية تركز على خصوصية مندمجة في الحضارة الإنسانية وعلى رؤية شاملة للكون والوجود والإنسان والحياة وما بعد الموت لمن كان مؤمناً بوجود عالم ما وراء (يوم الحق والعدل). استحضّر مسألة الضمير الذي يستمد مقوماته من أدواره الرقابية التي يستمدّها من الطاقة الروحية للدين. الأخلاق منظومة معروفة لا تقبل إلا الحسن والفضيلة، ولا تتماهى مع الظلم حتى إن كان دعوة مغلفة بنزعات دينية. مركز انشغال الدين، يقول الكاتب، هو تسديد وحماية الضمير، وليس ذات الفعل الأخلاقي. الدين لا يفرض على الفعل الأخلاقي شروطه وقناعاته. الأخلاق مستقلة لأنها من مدركات العقل العملي.

لقد قدم لنا الأستاذ ماجد الغرباوي منظومة متكاملة أوضح من خلالها الارتباطات العقلانية بين الدين والأخلاق والضمير والمقدس (لا تعارض بين جوهر الدين والأخلاق - الدين تجربة روحية، تتقوم برؤية كونية، ومشاعر إنسانية عميقة)، ميرزا إيمانية توحيد الرؤية لتشمل العامة والمتقنين في شأن مقومات الشخصية العربية الإسلامية القادرة على الاستفادة من ماضيها، وفحص قيم الحداثة التي عاشها الغرب في القرنين السابع والثامن عشر، والاندماج في تطورات الحاضر بمنطق الفاعل الطموح المتشبث بالمشاركة في صناعة المستقبل. التجربة الروحية لكل إنسان محورها الله الذي يدعوه لسبر أغوار الكون والبحث عن حقائقه المطلقة سعياً إلى الاقتراب منها، وتسخير حصيلة أعمال أيامه لسعادة البشر المادية والروحية والصحية (الدافع الإنساني الخالص الذي يجعل من أنسنة المقدس شعاراً صالحاً لكل زمان ومكان).

قداسة النص الديني المتعالية تتطلب توفر الإنسان على القدرة على التدبر والحكمة والتبصر لكيلا يكون أساسها الخوف من يوم الميعاد وتأجيل تحقيق الذات دنيويا والتخلي عن الحق في التمتع بسنوات العمر. فتحرير العقل عند الكاتب أساسي لتمكين الفرد من الوعي بحجم مسؤوليته دنيويا. وفي هذه النقطة بالذات أختتم هذا المقال بقولة ربعة العدوية الشهيرة: "اللهم إن كنت تعلم أنني أعبدك طمعا في جنتك فاحرمني منها، وإن كنت تعلم أنني أعبدك خوفا من نارك فارسلني فيها، أنا أعبدك لأنك تستحق العبادة". لدى المسلم ما يكفي من الأبحاث والمشاريع الفكرية لتحويل العقيدة الدينية إلى مصدر قوة للفعل اليومي وتراكم الخيرات والخبرات العلمية في الحياة. إن فهمه لدينه مع الاعتراف بنسبية معارفه تعد منطلقا للعيش في فضاء أوسع. الآيات الكليات في القرآن الكريم صالحة لكل زمان ومكان، والآيات الجزئيات بوقائعها وأحكامها مرتبطة بالزمن الذي وقعت فيه.

المقدس ورهان الأخلاق

قراءة في كتاب جديد

بقلم: الأستاذ حاتم حميد محسن¹

يبحث هذا الكتاب² العلاقة بين الدين والأخلاق في إطار الدين بشكل عام وفي الاسلام بشكل خاص، حيث برزت فكرة الكتاب بعد إثارة سؤال حول اسباب فشل الدين في تهذيب وضبط سلوك المسلمين، خاصة في ظل الانهيار الحالي في القيم الاخلاقية والدينية، وشيوع انماط سلوكية غير سوية من العنف والقمع والارهاب والتسلط واتساع مظاهر الفساد وهدر الثروات وإلغاء الآخر.

يتألف الكتاب من تسعة فصول:

الفصل الاول: العقل الأخلاقي

الفصل الثاني: الضمير والأخلاق

الفصل الثالث: معالم التجربة الدينية

الفصل الرابع: أنسنة المقدس

الفصل الخامس: قداسة النص الديني

الفصل السادس: رهانات الدين

¹ - باحث فلسفي، له مجموعة من الاصدارات الفلسفية.

² - كتاب (المقدس ورهان الاخلاق) للباحث والمفكر التنويري ماجد الغرباوي، صدر عن مؤسسة المثقف في سيدني، ودار أمل الجديدة في دمشق عام 2022 في 385 صفحة، وهو الكتاب الثامن في سلسلة "متهاتات الحقيقة".

الفصل السابع: معيار الحكم الاخلاقي

الفصل الثامن: صدقية القيم القرآنية

الفصل التاسع: السلوك المقدس

سنحاول التطرق الى المسألة الاخلاقية في الاطار العام وليس في نطاقها الاسلامي، لأن الشق الاكبر من البحث (الاخلاق الاسلامية) والذي أُلِّم به الكاتب بفعل تخصصه، حفل بالكثير من الآيات القرآنية والنصوص الفقهية التي تحتاج الى دراية وفهم في الفقه وعلم الاصول. لذا سنحاول التركيز على المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي ونتجنب تلك الموضوعات ذات الصبغة الفقهية. في الفصل الاول من الكتاب يطرح المؤلف سؤال الاخلاق، حيث هناك إشكالية قديمة في علاقة الدين بالاخلاق طرحها معظم الفلاسفة وهي هل ان الاخلاق مستقلة عن الدين ام تابعة له؟ وقد تناول علم الكلام هذه الإشكالية تحت عنوان: هل الحسن والقبح عقليان ام شرعيان؟ ناقشها المعتزلة والاشاعرة في أحاديثهم حيث اعتبر المعتزلة ان العقل يحكم بمعزل عن المجتمع وعاداته بحسن العدل وقبح الظلم سواء صرح بذلك ام لم يصرح. أحكام العقل هنا هي أحكام معيارية تستمد شرعيتها من العقل العملي الذي يركز على مبادئ انسانية كونية يُحكم اليها عند الاختلاف.

أما في نظرية الأوامر الالهية يكون الصواب الأخلاقي هو الذي أمر به الله وان الخطأ الاخلاقي هو الذي نهى عنه . فمثلا في سفر الخروج 20:16 ان الله أمرنا ان نكون صادقين. هنا السبب في ان نكون صادقين هو ببساطة لأن الله اراد ذلك. بعيدا عن الامر الالهي، يكون قول الحقيقة لا هو جيد ولا هو سيء، أوامر الله هي التي تجعل الصدق صوابا. لكن هذا سيجعل اوامر الله تبدو عشوائية، بنفس السهولة هو بامكانه ان يأمرنا بالكذب وعندئذ سيكون الكذب هو الصواب وليس الصدق (قد يقول البعض ان الله لا يمكن ان يأمرنا بالكذب، لكن لماذا لا؟ اذا هو أجاز الكذب فهو سوف لن يأمرنا ان نفعل الخطأ لأن اوامره ستجعل الفعل صحيحا). هذه النظرية تحل مباشرة المشكلة القديمة المتعلقة بموضوعية الاخلاق. بالطبع الملحدون لن يقبلوا بهذه النظرية لأنهم لا يؤمنون بوجود الله، لكن هناك صعوبات في

قبولها حتى عند المؤمنين بالله. المشكلة الرئيسية أول ما لاحظها افلاطون الفيلسوف اليوناني الذي عاش قبل المسيح بـ 400 سنة. كتابات افلاطون كانت على شكل حوار بين سقراط وأحد محاوريه. في حوار (ايوثيفرو) هناك نقاش يتعلق بالصواب وهل ان الله هو من يأمر به. سقراط يشك في هذا ويسأل: هل السلوك الصحيح هو بسبب ان الله يأمر به، ام ان الله يأمر به لأنه صحيح؟ هذا السؤال كان من الأسئلة الشهيرة في تاريخ الفلسفة. اذا كان الله يأمرنا للقيام بما هو صحيح. عندئذ نحن أمام خيارين: اما ان نتبع الخيار الاول وهو ان الفعل صحيح لأن الله يأمرنا به، او نتبع الخيار الثاني ان الله يأمرنا بذلك الفعل لأنه صحيح.

لو أخذنا الخيار الاول، فان اوامر الله، من الزاوية الاخلاقية، ستكون عشوائية، وان الاعتقاد بخيرية الله سيصبح بلا معنى. اما لو اخذنا بالخيار الثاني عندئذ سوف نعتزف بوجود معيار للصحة والخطأ مستقل عن رغبة الله، وبالنتيجة سوف نتخلى عن التصور الديني للصحة والخطأ.

لذلك، نحن يجب اما ان نعتبر اوامر الله عشوائية ونتخلى عن الاعتقاد بخيرية الله، او نعتزف بان هناك معيار للصحة والخطأ مستقل عن رغبة الله، ونتخلى عن التصور الثيولوجي للصحة والخطأ.

من وجهة النظر الدينية، من غير المقبول اعتبار اوامر الله عشوائية او التخلي عن الاعتقاد بخيرية الله.

لذلك، حتى من وجهة النظر الدينية، لا بد من قبول معيار للصحة والخطأ مستقل عن رغبة الله وهو ما ينسجم مع فكرة الحُسن والقبح العقليين للمعتزلة .

في الحقيقة، ان كبار الثيولوجيين مثل القس توما الاكويني (1225-1274) رفض نظرية الأوامر الالهية لهذه الاسباب، وبدلاً من ذلك ربط الأخلاق بنظرية اخرى مختلفة وهي نظرية القانون الطبيعي.

يرى مؤلف الكتاب ان اولئك الذين يؤمنون بالحسن والقبح العقليين لا يمكنهم ارتكاب او القبول بسلوكيات خاطئة، بينما اولئك الذين اعتمدوا الشرع بزّروا وقبلوا

بتلك السلوكيات حين لجأوا الى تأويل النصوص وارتموا فهم النص لقبليات وثقافة الفقيه او المجتهد. فكان هذا احد اسباب مظاهر الفساد في صفوف المسلمين، حينما بررت فتوى الفقيه استباحة المال العام او التعدي على الاخرين دينيا او طائفيا. الفريق الاول يعاني من تأنيب الضمير بينما لا يشعر الثاني بذلك طالما هو مبرر دينيا. وهذا حسب الكاتب يدعو الى المراجعة والنقد لمعرفة حقائق الامور، ومدى صدقية ان الدين مصدر الاخلاق، فيصل الى نتيجة ان "ان الحسن والقبح عقليان لا شرعيان وان المقدس لا يحول دون الرجوع للعقل لمعرفة حقيقة السلوك البشري مهما كان مصدره"¹².

ومما تقدم يصل الكاتب الى استنتاج وهو "ان العقل يتصف بالحسن والقبح في ذاته بغض النظر عن الامر والنهي الإلهيين. وبما ان الاخلاق تصدر عن حكم عقلي كوني فهي اخلاق كونية ومشارك انساني، فتكون حيادية، صادقة يصعب استغلالها او توظيفها الا بتزوير الوعي والالتفاف على قيم الفضيلة. فالعقل كما يراه مرجعية نهائية للحكم الاخلاقي، عقل يلغي الفواصل بين بني البشر دون انحياز عنصري او ديني او طائفي"².

ان القول بالحسن والقبح الشرعيين يُفقد الفعل صفته الأخلاقية ويكون مرتعنا لحكم الشريعة التي هي ليست فقط القرآن وانما سنة النبي وسنة الصحابة والائمة الاثنى عشر وفتاوي الفقهاء وهنا تعطلت فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، حين كرس فقهاء السلاطين أنفسهم لتبرير سلوكيات الظالمين وبهذا لم يعد هناك معنى لمحاسبتهم وفق أي مبدأ أخلاقي.

¹ - المصدر نفسه، ص 15.

² - المصدر نفسه، ص 23.

رهان الدين

يؤكد الكاتب ان استقلال الاخلاق عن الدين بمعنى التشريع، لا يمنع وجود دور أخلاقي للدين. الفعل الاخلاقي حسب رأيه، هو فعل سلوكي يواجه باستمرار تحديات تختبر صموده، وقد يخفق الضمير تجاهها فيأتي دور الايمان ليعزز دوره الرقابي ويحول دون تراخيه ونكوصه. ان مجال عمل الدين هو ديمومة يقظة الضمير الذي يخضع له الفعل الاخلاقي، والضمير هو مشترك انساني يستهدي به الفعل الاخلاقي في إخلاصه ونقائه الانساني¹.

ويضيف الكاتب بانه ليس من دعاة إقصاء الدين. للدين دور مؤثر جدا حينما نحسن توظيفه، خاصة في المجتمعات التي تحتضن الاديان، المسكونة بالغيب. علينا استثمار المشاعر الدينية وإعادة تشكيل الوعي الديني بما يخدم القيم الاخلاقية والانسانية باعتباره احد وسائل ضبط سلوك الافراد والمجتمعات. هذه المشاعر عميقة ومتجذرة وملازمة لوجود الانسان².

علاقة المقدس بالاخلاق

هناك سؤال يبرز الى السطح وهو هل تتأثر الاخلاق بوجود المقدس او عدمه؟ يشير الباحث الى ان العقل لا يخضع في قيمه وأحكامه للمقدس. الاخلاق تحتفظ باستقلاليتها. فكما ان العقل يحكم بحسن العدل وقبح الظلم بعيدا عن الشريعة، كذلك تكون أحكامه بعيدة عن المقدس، وبذلك يصح استقلال الاخلاق عن الشريعة والمقدس معا.

وكلمة مقدس sacred تشير الى التبجيل او الرهبة، وهي تأتي من الكلمة اللاتينية sacer. الشخص او المكان قد يُشار اليه بالمقدس باعتباره متفرد بشكل استثنائي لما له من قوة اسطورية. في كتابه (المقدس والمدنس) يشير مؤرخ الأديان

¹ - المصدر نفسه، ص 48.

² - المصدر نفسه، ص 58.

الروماني ميرتشا اليادة (1907-1986) Mircea Eliade الى ان المقدس دائما يجسد نفسه كحقيقة مختلفة عن الحقائق العادية. نحن نصبح واعين بالمقدس عندما يُظهر نفسه كشيء مختلف عن المندس. الافتراض هو ان هناك إله او قوة روحية عليا تجسد نفسها للناظر الذي يشعر بالتميّز نتيجة لذلك. وبهذا فان المقدس يجسد نفسه فقط في سياق ايمان الناظر او جماعته، وبعبارة اخرى ان الناظر هو من يخلق المقدس ويستثمره في الأشياء التي حوله.

يؤكد الغرباوي في كل فصول كتابه على الفجوة التاريخية التي يحملها العقل التراثي بنيويا، هذا العقل يشوّه الحقائق، ويتبّنى ما يوافق عقائده بعيدا عن الدليل العقلي والفلسفي رغم ان الواجب يقتضي الركون للدليل وقدرته على تحدي الإشكالات ودراسة جميع الأدلة والبراهين والقرائن المتاحة والاجابة على جميع الاسئلة والاستفهامات وتحليل الواقع بجميع عناصره، ومن هنا جاءت الأجوبة في هذه السلسلة الحوارية من متاهات الحقيقة تقارع قلاع الكهنوت وتحطم أسيجة تراثية تستغرق الذاكرة وتطرح اسئلة استفزازية جريئة بحثا عن أسباب التخلف وشروط النهضة ودور الدين والانسان في الحياة، فتوغلت عميقا في بنية الوعي واستدعت المهملش والمستبعد من النصوص والروايات.

هذا ما يؤكده ويتفق عليه ايضا المفكر المغربي محمد عابد الجابري في قوله: "ان علّة عجز التراث العربي الاسلامي عن القيام بدوره كآلية دافعة للنهوض والتجديد ترجع الى بنائه وبنيته، من بين شروط النهضة هو تمردّ العقل الحرعلى تلك التفسيرات والتأويلات السلفية للآيات القرآنية، هناك ايضا مشكلة قراءة المتون واستيعابها ومعنى النص ودلالته ومقاصده التي أنتجها العقل الديني التقليدي. ان العقل العربي قد تكون أساسا من خلال التعامل مع النص، ونحن لا نطعن في هذا لأنه معطى تاريخي لا معنى للطعن فيه ولكن المشكلة هي في الطريق الذي سلكه الأقدمون في فهم النصوص القائم على ما أسموه "الاستنباط". لقد تعاملوا مع الالفاظ كمنجم للمعاني وأخذوا يطلبون منها ما يريدون، أي ما يستجيب لآراء ونظريات جاهزة هي آراء المذهب سياسيا كان او فلسفيا. هنا تُنتزع اللفظة من سياقها لتتضمن معنى جاهزا. "مع سلطة السلف يفقد العقل سلطته كفعالية قائمة على ربط المسببات بأسبابها،

هذا العقل لا يعرف اللزوم المنطقي ولا يصدر عن مبدأ السببية. وهكذا فإن الفقيه الذي تشكّل عقله داخل الثقافة العربية يخضع في تفكيره لسلطة اللفظ والسلف والقياس وسلطة التجويز".

سبق ان صدرت للغرباوي عدة كتب ركزت على تجديد الفكر الديني ومن أهم اعماله: إشكاليات التجديد، التسامح ومنابع اللاتسامح، قراءة نقدية في تحليلات الوعي، الحركات الاسلامية، استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني، تحديات العنف. ومتاهات الحقيقة بتسعة كتب.

تجدر الإشارة الى ان الباحث الغرباوي أحد الشخصيات الفكرية البارزة في المحيط الثقافي الحالي سعى جاهدا للتوفيق بين المنهجية الغربية والتراث الاسلامي في التصدي للقضايا الفكرية، وهو ما كشف له عن الكثير من الافكار المهمة في الفكر الاسلامي وفي علاقة الاسلام بالآخر. مشروع الغرباوي التنويري لا يقل أهمية عن المشاريع التي برزت في الساحة العربية او الاسلامية، يسعى دائما الى تحرير العقل وإخراجه من بنيته الاسطورية وإعادة فهم الدين وفق دور الانسان المحوري في الحياة والتخلص من سطوة التراث وأغلال العقل التقليدي.

ماجد الغرباوي ونقد الذات

بقلم: الأستاذ بدر العبري¹

في وطننا العربيّ قامات لها رؤيتها النّقدية، وتجربتها العملية، لم يعطوا حقّهم من الاهتمام والالتفاتة، أو لم يتح لهم ذلك لأسباب متعدّدة، لست هنا في مجال تفصيلها، ومن هؤلاء في نظري النّاقد والمفكر العراقيّ ماجد الغرباويّ، فقد ولد في بيئة دينيّة شيعة في العراق عام 1954م، وعاش في تلك المرحلة منذ بدايات نمو الإسلام الحركيّ بشكل عام، والذي سيلبس لاحقاً لباس الحركات اليساريّة، ومن الإسلام الحركيّ كانت بدايات حزب الدعوة، الاتجاه الشّيعيّ المقابل لحزب الإخوان المسلمين السّنيّ، وهذا الحزب تشكّل في العراق، "وقيل أول خلية للحزب تشكّلت عام 1957م، بينما يؤكّد آخرون أنّ تأسيس الحزب الفعليّ تمّ بعد أشهر قليلة من قيام ثورة 14 تمّوز 1958م ... إلّا أنّه أخذ شكله النّهائيّ، ومارس نشاطه التّنظيميّ السّريّ بشكل واسع بعد ثورة 14 تمّوز 1985م حين فسحت حكومة عبد الكريم قاسم المجال أمام العمل الحزبيّ والسّياسيّ"²، وقد "حدّد حزب الدعوة الإسلاميّة أهدافه في السّيطرة على مقاليد الحكم، وإعلام الحكومة الإسلاميّة، وتغيير واقع المجتمع البشريّ إلى واقع إسلاميّ، وإحلال الشّريعة الإسلاميّة محلّ القوانين الوضعيّة"³، وقد انتسب الغرباويّ إلى حزب الدعوة مبكراً.

1 - باحث وكاتب عمانيّ

2 - الطّائيّ: هاشم عبد الرزاق صالح، التّيار الإسلاميّ في الخليج العربيّ: دراسة تاريخيّة؛ ط مؤسّسة الانتشار العربيّ، لبنان - بيروت، الطّبعة الأولى، 2010م، ص: 71.

3 - نفسه، ص: 73.

كما أنّه تأثر مبكراً بالجانب الحركي المتمثل في أدبيات محمد باقر الصدر (ت 1980م)، وحول نظرية شوري الفقهاء، كما عايش بدايات فلسفة الخميني (ت 1989م) وتطوّر نظرية ولاية الفقيه، والتي سيكون لها تأثير بعد نجاح الثورة الإيرانية عام 1979م، وهناك العديد من النظريات السياسية والتي طرحت في الأجواء الشيعية كنظرية ولاية الأمة على نفسها عند محمد مهدي شمس الدين (ت 2001م)، ودولة الإنسان عند محمد حسين فضل الله (ت 2010م)، كما للسيد محمد مهدي الشيرازي (ت 2001م) تأثيره الحركي في أوساط الشباب الشيعة خصوصاً، بيد أنّ أجواء المرجعية الدينية الشيعية حينها لم تكن ثورية، "فنظام المرجعية وطبيعة خياراته الثقافية والسياسية يحدّدان إلى حدّ بعيد طبيعة المجتمع الشيعي في خياراته الزّاهنة، فإذا كانت المرجعية ثورية فإنّ هذا الخيار سينعكس عبر وسائل وآليات على المجتمع وخياراته المتعدّدة، أمّا إذا كانت المرجعية تقليدية وبعيدة عن التصدي المباشر للشأن العام فإنّ تأثير هذا الخيار سينعكس بدوره على طبيعة تعاطي نخب المجتمع مع شؤون العامة"¹.

الأجواء التي عاشها ماجد الغرباوي في الابتداء أقرب إلى الإسلام الشيعي الأصولي الحركي، ابتداء من وجوده في العراق ثمّ إيران، وبما أنّه عاش منذ بدايات طفولته متسائلاً ناقداً؛ خلص بتجربة نقدية للذّات، وفي نظري المشتغل بنقد الذّات أكثر صدقاً وعمقاً من غيره، فكانت كتبه تتمحور في النقد والتّجديد والوعي والتّسامح ومحاربة الاستبداد والعنف والكراهية، كما كتب عنه العديد من الباحثين، وأجريت معه أيضاً عشرات الحوارات، حيث استفاد من وجوده في استراليا، وقراءة التجربة الغربية عن قرب، وهذا ظاهر في مقارناته ومقالاته وحواراته.

ولعلّ حواراته والتي أجراها معه طارق الكناني في كتابيه "رهانات السّلطة في العراق: حوار في أيديولوجيا التّوظيف السياسي"، والذي طبع في مؤسّسة المثقف

1 - محفوظ: محمد، نظام الفتوى عند الشيعة الإمامية في الخليج؛ مطبوع ضمن كتاب الفتوى في الخليج (2): الشيعة - الثّورات - التّأثير، ط مركز المسبار للدراسات والبحوث، الطّبعة الأولى، 2013م.

العربي، استراليا - سيدني، 2017م؛ وكتابه "مدارات عقائدية ساخنة: حوار في منحنيات الأسطرة واللامعقول الديني"، والذي طبع أيضا في مؤسسة المثقف العربي، استراليا - سيدني، 2017م، هذه الحوارات تلخص لنا خلاصة تجربة ماجد الغرباوي، ورؤيته حول العديد من المفاهيم والمراجعات الذاتية، وفي هذا المقالة نذكر شيئا من رؤيته النقدية من خلال كتابه

مدارات عقائدية ساخنة

العقائد في أصلها عند الغرباوي تجمع بين البساطة، والعقلانية العلمية، وقابلية الشك والبرهان، فالعقائد كالعادات والطقوس، يصيبها ظرفية التضخم، ولو كانت بسيطة في بدايتها، لكنّها "تنمو وتتطور، بعضها يقاوم وبعضها يضمحل، فالاعتقاد بأيّ عقيدة لا يدلّ على حقيقتها ومطابقتها للواقع تماما، ولا ينفي دور الوهم والعوامل النفسية والخارجية في تشكيلها، وهذا مبرر موضوعي يسمح بنقدها ومراجعتها للكشف عن تاريخيتها وزيفها، وحجم الوهم والمؤثرات الأيدلوجية والطائفية في صياغتها، فيخطئ من يؤمن بثبات العقيدة، أو ينفي تطورها وتاريخيتها"¹.

فتاريخية العقائد لا يختلف عن تاريخية الأحكام، وإذا كان في الإسلام خصوصية العرض على القرآن، بيد هذا لا ينفي إعمال العقل وربطه بالشك المنهجي، فيرى أنّ "السؤال والشك بات ضرورة لمعرفة الحقيقة، وليس كالتقيد والمراجعة أداة لبيانها واكتشافها؛ لأنّ كثيرا من العقائد والبدعيات اليقينية لدى المسلمين تقوم على مقدّمات وهمية، وافتراسات فلسفية تراكت بمرور الزمن، فينبغي نقضها وإعادة تشكيلها وفق معطيات العلوم الحديثة، بهذا فقط يمكن التخلص من تبعات ترسبات الأفكار والعقائد كخطوة أولى باتجاه فهم ديني وعقدي صحيح يقوم على مبادئ

1 - مدارات عقائدية ساخنة.. حوار في منحنيات الأدلة واللامعقول الديني، حوار طارق الكناني مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا وأمل الجديدة، دمشق - سوريا، ط2، 2019م، ص 21.

حقوق الإنسان، ورؤية كونية تستمد ركائزها من العقل والكتاب"¹، كما أنّ الشك في نظره "دليل الوعي، وعلامة يقظة العقل، والسؤال حقّ طبيعيّ تقبله القرآن برحابة، وأجاب على أسئلتهم وشكوكهم بكلّ صراحة ووضوح، فالشك والسؤال والاستفسار ليس كفرا، ولا محرّما، ولا يؤخذ الإنسان عليهما، بل تدل على ذكائه ووعيه وحبّه وإخلاصه وشعوره بالمسؤوليّة، وشغفه بمعرفة الحقيقة لضمان إيمان نقي"².

ولا يرى أنّ الشك محصور عند طائفة معينة، فمن حقّ أيّ إنسان أن يشك ويبحث وينظر ويتدبر، كان صغيرا أم كبيرا، ذكرا أم أنثى، متخصصا في العلوم الشرعيّة أم غير متخصص، "ولكي ينبغي للمسلمين من أجل نهضة حقيقة فسح المجال أمام جميع الشكوك وعلامات الاستفهام، وعليهم التسلح بثقة عالية، والتراجع عن أيّ معلومة دينيّة ثبت خطأها"، "فلا تكفوا عن الشك والسؤال والنقد لتفادي تداعيات العقل الجمعيّ الذي يسوّق الناس بمكر باتجاه الخرافة، ويستدرجهم عاطفيّا على حساب يقظة العقل وتوقد الوعي"³.

بيد أنّ سنن الاجتماع البشريّ جرت أنّ الناس تدين بما استقرت عليه ظرفيّتا نتيجة الولادة في بيئة ما، فيكتسبون من هذه البيئة دينهم ومذهبهم، ويطمئنون بذلك، لهذا يرى الغرباوي أنّ هؤلاء "نواياهم ... صادقة مخلصة لكنهم غير معذورين دائما، فقد منحهم الله عقلا يحتجّ به عليهم يوم القيامة، كان عليهم العودة للقرآن ليعرفوا حقيقة الأشياء"⁴، "ومشكلة الإنسان في ضعفه وجبنه، يريد التخلّص من المسؤولية بلا عناء، فيتشبث برجل الدّين لتطمئن نفسه، لهذا يستमितون دفاعا عن عقائدهم"⁵.

1 - المصدر نفسه، ص 50.

2 - المصدر نفسه، ص 71.

3 - المصدر نفسه، ص 49.

4 - المصدر نفسه، ص 45.

5 - المصدر نفسه.

ويرى الغرباوي أنّ أكبر عائق بين الإنسان وإعمال العقل هو رجل الدين المستفيد من جمود الإنسان وتبعيته، أي "رجل الدين المعتاش على جهود الآخرين"، والأصل أن تكون هناك "مسافة بينهم وبين رجل الدين، بل وبينهم وبين التراث المثقل بالكاذيب والافتراءات على الله ورسوله وأهل بيته"، "فرجل الدين المغالي لا يتورع ولا يخاف الله، ومن يخاف منهم ربّ الأنعام تجده بسيطاً ساذجاً يتسلّق أعواد الخطابة، ويملي على الناس من تراث لا يمكن إطلاقاً الركون إليه، بمعزل عن القرآن والعقل والصحيح من السنّة النبويّة"¹.

وهؤلاء المغالون في نظره "يزورون الحقيقة، ويستغلّون بساطة الإنسان وحبّه لأهل البيت، وهم يعلمون جيّداً: أنّ مصير الإنسان مرتّحّن بعمله يوم القيامة، ولا ينفعه شيء آخر، {وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}، لكنّهم يستغلّون سعة مفهوم العمل الصّالح، فيقحمون فيه طقوساً ومفاهيم بعيدة كلّ البعد عن سلوك وأخلاق ووعي أهل البيت"²، ومن ذلك الاستفادة من الجانب الماديّ، فغيّب العقل الجمعيّ عن الإنفاق في المشاريع المهمّة كالجامعات العلميّة والمصححات إلى الإنفاق فيما يستفيد منه رجال الدين، "والمرء لا يجد معنى لنفقته على المشاريع الاجتماعيّة، بينما يأمل بثواب الآخرة عندما ينفق على الطّقوس والشّعائر الحسينيّة". كما يقدّم رؤية نقدية لمسألة الخمس في الفقه الشيعيّ الجعفريّ، وعلاقتها بالمرجعيات الدينيّة.

وكما أنّ هناك استفادة ماديّة، هناك استفادة سياسيّة، ووجهة اجتماعيّة، يكتسبها رجل الدين من خلال اغتراب العقل الجمعيّ، ويرى الغرباوي أنّ هناك رابطاً بين استغلال الناس في عقيدة المخلّص، والتي يؤمن بها غالب الشّيعية من خلال وجود المهديّ أي محمّد بن الحسن العسكريّ، الإمام الثّاني عشر الغائب عن الإنظار، وبين نيابة الفقيه أو رجل الدين عنه وقت غيبته، وفي نظره "الأخطر في عقيدة المخلّص ليس الإيمان البسيط لدى الناس الطّيبين، بل ما يترتب على هذه العقيدة من استحقاقات والتزامات، يستमित رجل الدين في إثباتها، أهمّها بالنسبة

1 - المصدر نفسه، ص 54.

2 - المصدر نفسه.

للشّيعَة نيابة الفقيه للمهدي الغائب في جميع صلاحيّاته خاصّة القضايا الماليّة، والولاية، وولاية الفقيه المطلقة أخطر حينما تستلب الفرد وتحتزله إلى مجرد رقم في المعادلات السّياسيّة وغير السّياسيّة للوليّ الفقيه، وتمنحه صلاحيّة مطلقة للاستثمار بالمال والسّلطة تحت هذا العنوان"¹، فهي "سلطة مقدّسة بلا أعداء ومناهضين، يدفع له النّاس أموالهم طواعية بكلّ محبّة وإخلاص، ويطيعون فتاواه وأوامره بكلّ صدق واندفاع، فأيّ سلطة تداني سلطته؟ كلّ هذا بفضل نيابته للإمام المعصوم".

فينتقد بهذا النّياية في السّلطة المطلقة، أو ولاية الفقيه، حيث "الحكم وفقا لنظرية ولاية الفقيه حكم ثيوقراطيّ، يعتبر فيه الفقيه نائبا عن الإمام المعصوم في صلاحيّاته الإلهيّة الواسعة، وحكم دكتاتوري يمنح الحاكم (الوليّ الفقيه) سلطة مطلقة"، لهذا أصبح اليوم "رجل الدّين بشكل عام، والفقيه بشكل خاصّ يؤثّر في جميع المعادلات السّياسيّة، ويلجأ له السّياسيون لحمايتهم ودعمهم، وبات النّاس يتمردون على القانون والدّستور بانتظار كلمة مرجعهم الدّينيّ، وقراره النّهائيّ في كلّ مفردات السّياسية، فكيف نأمل في قيام مجتمع مدنيّ والشّعب موزّع الولاء بين عدد من رجال الدّين من جميع الدّيانات والمذاهب"².

ويرى أنّ استغفال رجل الدّين لعامة النّاس سياسيّاً باسم الدّين لا يختلف عند الشّيعَة عن غيرهم من الأديان والمذاهب الإسلاميّة الأخرى، وما ولاية الفقيه إلّا مخرجا للنّياية العامّة للإمام الغائب كما أسلفنا، وإلّا رجل الدّين عموماً، ليس عند الشّيعَة فحسب، "أنّه [سياسيّاً] مستبد، يرفض خصومه، ولا يعتقد بشرعيّة أي حاكم خارج دائرته، مهما تظاهر بخلاف ذلك"، لهذا "الإسلاميّون يصرونّ على وجود علاقة بين الدّين والسّياسة، وبالتالي يسعون لاحتكار السّلطة باعتبارهم الممثل الوحيد للإله على الأرض، فحشدوا طاقاتهم من أجل السّلطة"³، ومن أجل الوصول إليها، وأغلب طريق لهم في ذلك هو استغفال العقل الجمعيّ، فالفقيه أو رجل الدّين

1 - المصدر نفسه، ص 71.

2 - المصدر نفسه، ص 227.

3 - المصدر نفسه، ص 202م.

"يعتبر الناس "عواما"، رغم خشونة الكلمة، وفيهم علماء ومفكرون ومثقفون ومبدعون وأخصائيون، فيقول: يجب على العوام تقليد الفقيه في الأحكام الشرعية"، بما فيها المتعلقة بالجوانب السياسية.

والأصل في نظره أنّ دور الوصايا الدينية انتهت "بختم النبوة ليرتكز الإنسان لعقله وتجربته الحياتية، ويستظلّ بالدين وقيمه ومبادئه في مسيرته الطويلة، فما عاد الإنسان بحاجة لأحضان الدين سوى روحه الهلعة، كي تستقر وتطمئن وتسمو إلى الله من خلال معرفته والانفتاح عليه بقلب سليم، وتعيش تجربتها الدينية مع الخالق جلّ وعلا، العقل الآن يتحدّى ويشقّ طريقه بثبات، وقدّم لنا حضارة راقية فما علينا سوى العودة لعقولنا ووعينا"¹، وهذا ما حدث في أوروبا "منذ إقصاء الكنيسة عن الحياة عامّة، والسياسة خاصّة؛ انطلقت الشعوب الأوروبية نحو العلم والمعرفة وتطوير الحياة، فأخضعت كلّ شيء للتجربة والعقل، وراحت تبحث عن الأسباب الكامنة وراء الظواهر الكونية، بعيدا عن التفسيرات الغيبية، فأصابها الهدف، وحققت نتائج مبهرة في الحياة، وصار العالم برمته مدينا لاكتشافاتهم، أمّا شعوبنا فمسكونة بالغيب، ووجدوا فيه تبريرا لكسلهم وتقاعسهم"، فأصبحوا يبحثون عن رمزيات خلاصية في الماضي والحاضر، بدلا من إعمال العقل في النظر والكشف والعيش في الواقع بسننه وسنن الوجود.

وعليه في نظره أنّ الغرب قطع "شوطا كبيرا على مسار الرقيّ الإنسانيّ، بينما ثمة من ينتظر رجلا يخرج من أعماق الغيب والتأريخ يصنع كلّ ما صنعه الإنسان"، فأصبح العقل الجمعيّ مسكونا برمزيات ماضوية لا بسنن الواقع، بينما المتأمل في واقعهم يجد "أحيانا تحطّ المعاصرة من قيمة الرّمز وقديسيّته، بينما تزدهر في غيابه حدّا تلهب رمزيّته الخيال الميثولوجيّ، فيجرّده من بشريّته ويخلّق به في مدارات الأسطورة واللامعقول، ليعيد إنتاجه باستمرار في إطار ضروراته العقيدية والأيدولوجية"²، كما أنّ "انتظار الإنسان لمن يخلصه تعبّر آخر عن عجزه وضعفه ... فوجوده من هذه

1 - المصدر نفسه، ص 74.

2 - المصدر نفسه، ص 166.

الرّؤية ضرورة لا تقبل التّقاش، لتفادي الانهيارات التّفسيّة، وتبرير تقاعسهم عن مسؤوليات الحياة، ومستقبل أبنائهم، فالأمل معقود عليه في حياة ناعمة تعويضا عن شقائهم وحرمانهم، وهذا بعد سلبّي مخدّر، لا يساهم في بناء شخصيّة متوازنة".

وكما أنّ العقل الجمعيّ مسكون برمزيّات خلاصيّة ماضويّة؛ هو مسكون أيضا بمصاديق عمليّة يجد فيها شفاء واطمئنانا لخلاصه، ولو قامت هذه المصاديق على أوهام وأساطير وظنون، حيث أنّ الإنسان في نظره أنّه "بطبيعته مسكون باليأس بسبب قساوة الحياة، فيبحث عن الخلاص سيّما في ظلّ خطاب ديني مرعب، يبالغ في قساوة الإله، فهو جبار عتيد، يتربص بالإنسان لينتقم منه من لأدنى خطأ، فكيف والإنسان خلق ليخطأ، ويتعلّم من خطئه"¹، فيتوسّع في الشّفاعات؛ لأنّه "يعتقد بوجود فداء وشفاعة مفتوحة لا ييالي ماذا يرتكب، فيمكنه الاغتسال من الذّنوب أيّ شاء"، كما ربط الشّفاعاة بالأضرحة والشّخوص أكثر من الخالق نفسه، فأصبح لا يشكّ "الإنسان البسيط بشفاعة صاحب القبر، فنصوص زيارة الأضرحة تنسب له صفات الخالقية، وتصوره حيّا جالسا لاستقبال زوّاره وقضاء حوائجهم، فكيف يشكّ بشفاعته وخطيب المسجد يتلاعب بمشاعرهم، ويروي له حكايات وقصصا عن كرامات صاحب الصّريح، وما حصل من معاجز ببركته، بل وحضوره شخصيّا لبعض المناسبات، ليتدارك من يستغيث به من أتباعه ومحبيه، وترى النّاس تصغي وتبكي شوقا وحبّا وتوسلا"²، هذه الخطابات جعلت العقل الجمعيّ يتصوّر لا شعوريّا أنّ "صاحب القبر إلها يحيي ويميت ويرزق، ويتولى قضاء حوائج النّاس، وييده حسابهم إلى آخره ... لا شك أنّ بعض النّاس يعي حينما يتوسل بأهل البيت، فهو يتقرّب بهم إلى الله تعالى في قضاء حوائجه، لكن للسّواد الأعظم فهما آخر، فيتعاملون معهم كأرباب مفوضين من قبل الله في قضاء حاجاتهم، واستجابة دعائهم، وهنا مكنم الخطر، حينما يسكت رجل الدّين، ويتخلّى عن مسؤوليّته في بيان الحقيقة".

1 - المصدر نفسه، ص 44.

2 - المصدر نفسه، ص 69.

كما أنّ التّظرة الخلاصيّة جعلته مسكوناً عقلياً بأنّ رجل الدّين أو الفقيه بيده الخلاص في القضايا السياسيّة، وتحقّق العدل في المجتمعات البشريّة، مع أنّه لو تأمل قليلاً لأدرك أنّ "تصوّر قضية واحدة [سياسيّة أي الخلافة] استغرقت قرابة 1500 عاماً، استهلك بسببها المسلمون جهوداً جبّارة، وأراقوا دماء زكيّة بريئة، وما زالت تتفاعل دون حسم نهائيّ، قضيّة لا تؤثر على عمل الإنسان، وليس لها مدخليّة في قبول الأعمال أو ردّها، ولا يسأل الله تعالى النّاس عنها، تلك أمّة خلت"، وما الماضي سوى تجربة بشريّة في مسار طويل لها ظروفها التي لا تستطيع معرفة ملاساتها لبعد المسافة، وعدم قدرتنا على توثيق أحداثها من خلال كتب التاريخ والتّراث"¹.

ومن هذه الظّرفيّة التّاريخيّة حضور العرق الهاشميّ أو القرشيّ عموماً في قضيّة الإمامة أو الخلافة، وهي قضيّة ظرفيّة وليست مطلقة، ومع ذلك رويت حولها روايات، وأولت نصوص قرآنيّة، لأنّ "رائحة السياسة تفوح من هذه الأحاديث التي تشبث بها الخلفاء لتكريس خلافة قريش، وهي نزعة جاهليّة لا تمّت للدّين بصلّة، فليس هناك تفاضل على أساس عرقيّ أو قوميّ، وإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، هذا هو المنطق القرآنيّ، فالتّفاضل دائماً على أساس التّقوى، بينما يسند الحديث الخلافة لقريش لمجرد أنّهم قريش ممّا يتعارض مع منطق القرآن، ويدفعنا للشكّ في صدوره عن النّبّي الكريم"².

فالخلافة وتطوّر السّلطة قضيّة ظرفيّة تأريخيّة بحته، حيث "السّلطة اليوم مفهوم آخر لها أدواتها وآلياتها، أليس طرق الوصول للحكم باتت واضحة لا علاقة لها بما مضى؟ لقد باتت الشّعوب تطالب حكامها بمستقبل آخر وفقاً لتطوّر الحضارات، ولا تريد العودة للماضي"، "وقيام دولة مدنيّة لا يؤثّر على دور الدّين، بل العلمانيّة احترمت الأديان عندما عزلتها عن السياسيّة، وحافظت عليها كحق شخصي لكلّ فرد"، وبهذا يصبح العقل الإنسانيّ عموماً مسكوناً بواقعه لا بماضيه.

1 - المصدر نفسه، ص 74.

2 - المصدر نفسه، ص 396.

وإذا كان للعقل والشك أهمية كبرى في مراجعة العقائد والأحكام عموماً؛ بيد أنه في المدار الإسلامي ضرورة أيضاً إعطاء القرآن محوريتته في مراجعة التراث والروايات كما يرى الغرباوي، حيث يرى "ما خالف القرآن فهو زخرف، وما خالف القرآن فاضربوا به عرض الجدار، وهذا منطق أئمة أهل البيت الذي طالما أكدوا عليه في أحاديثهم ورواياتهم المروية بأسانيد معتبرة، وكتب موثوقة، فالتراث الشيعي فيه الغث والسمين، وليس كل ما يروى صحيحاً، حجة، يجب الأخذ به"¹.

ومع محوريتة القرآن إلا أنه في نظره أيضاً يجب "التعامل مع المفاهيم بما فيها المفاهيم القرآنية بحذر وحيطة ومسؤولية، فهناك موازين وثوابت قرآنية في ضوءها يجب فهم العقائد، وتحديد مداليلها، كي لا تسقط العقيدة المشروع القرآني في خلافة الإنسان ووحداية الباري تعالى، كما يجب أن تكون مرجعية القرآن حاکمة على كل شيء، فالروايات كما جاء عن النبي الكريم وأهل بيته تعرض على القرآن والعقل، والتأكد من عدم معارضتها له، فضلاً عن تقاطعها مع ثوابته ومحدداته، وإلا ستكون فوضى عارمة، وستأخذ العقائد مساحات واسعة، تضطر لتأكيداتها وترسيخها الفرق والمذاهب من خلال تأويلات بعيدة لآيات الكتاب الحكيم، أو التوغل في اللامعقول لسد الطريق على الوعي والشك، وهذا أخطر ما في الدين"².

ومحورية القرآن لا يعني الاغتراب عن الظرفية التاريخية، والتقدم العلمي والإنساني، فالقرآن ذاته كما يرى الغرباوي "ليس كتاباً علمياً، وليس من اختصاصه بيان معارف العلوم الحديثة، ومن يصبو للاعتماد على الكتاب الكريم فيها لا يحقق أي شيء؛ لأنه اختار الطريق الخطأ، فينبغي الفصل بين ما هو ديني، وما هو علمي، فكلًا من المجالين له دائرته، ومصادر معرفته، والتداخل يفسدهما معاً"³، وكما أن الروايات والتراث إسقاطات ظرفية وتأريخية قد يكون لها مفاهيم قرآنية كبرى، إلا أنه لا يصح الاغتراب في ماضيها الظرفية، وعليه "لا يمكن للمسلمين التهوؤ ما لم تتحرر

1 - المصدر نفسه، ص 423 م.

2 - المصدر نفسه، ص 48.

3 - المصدر نفسه، ص 49.

عقولهم من سلطة التّصوص والتّراث، ويفهمون الدّين ومقاصده وأهدافه وغاياته بعيدا عن الرّوايات الّتي تعكس فهما آخر، يمثل زمن الرّواية بأبعادها المختلفة، فهي روايات محترمة إلّا أنّها تعبّر عن ظروف وبيئة وثقافة مختلفة، فالرّواية ظروفها ولنا ظروفنا¹.

ولأجل وجود قاعدة واضحة من المراجعات داخل المذاهب الإسلاميّة، ولتحقيق قدر أوسع من التّعايش بينها؛ يفرق الغرباوي "بين الضّرورتين الدّينيّة والمذهبيّة، الضّرورات الدّينيّة أو ضرورات الإسلام منصّوص عليها قرآنيّا، نصّا صريحا واضحا بيّنا، لا لبس فيه، كالشّهادتَيْن (لا إله إلّا الله .. محمّد رسول الله)، والإيمان بالغيب، وإقامة الصّلاة والصّوم ... وأما ما دلّ عليها دليل خاصّ وفقا للعقيدة الشّيعيّة ومصادرها فتعتبر ضرورات مذهبيّة، خاصّة بالتّشيع وأتباعه، فليس هي شرط في إسلام الشّخص ولا في إيمانه، ولا يتوقف عليها أيّ عمل عبادي، وهي ليست شرطا لقبول الأعمال، ولا يترتب عليها أيّ شيء وما التّكفير على أساس الضّرورات المذهبيّة سوى تعصب واستفزاز واندفاع عاطفيّ لا علاقة له بالإسلام والقرآن إطلاقا"²، وهذا لا يقتصر بطبيعة الحال عند الخصوصيّات الشّيعيّة، فهناك خصوصيّات في المذاهب الإسلاميّة أيضا، فتبقى خصوصيّات أو ضرورات مذهبيّة لا يكفر أو يفسّق من يرى غيرها. كما أنّ للتّعايش الإسلامي في نظر الغرباوي لا يتحقّق إلّا بالمراجعات والتّفريق بين الضّرورات الدّينيّة والمذهبيّة؛ كذلك لا يتحقّق إلّا بالبعد عن التّبشير المذهبيّ، وجعل النّاس يدركون روح الدّين وجماليّته فيما يسعهم فيه، "فما الّذي يحصل ويتغيّر عندما ينتقل شخص من مذهب إلى آخر سوى بعض الأحكام الشرعيّة" لا أكثر.

هذه الرّؤية النّقديّة الّتي أسلفنا إلى شيء بسيط منها في هذه المقالة القصيرة؛ وإلّا الحديث عن المفكر والنّاقد الإسلاميّ ماجد الغرباوي حديث يطول به المقام، وهو لأكثر من نصف قرن من الزّمن كانت له رؤيته التّنويريّة والنّقديّة، كما أنّ فكره ورؤيته قد مرّت بمراحل، وتطوّرت في الوقت ذاته، وقد عايش الشّرق والغرب، معايشة وقراءة

1 - المصدر نفسه، ص 151.

2 - المصدر نفسه، ص 389.

وتأملًا ونقدًا، لهذا تعتبر تجربته من التجارب الغنيّة التي ينبغي أن يلتفت إليها، وأن تعاد قراءتها تفكيكا ونقدًا، وهذا قدر أدنى لأجل ردّ فضله، وما قدّمه للعقل العربيّ والإسلاميّ والإنسانيّ عموماً نقداً وتنويراً وإصلاحاً.

ماجد الغرباوي

في رحلته مع التسامح ومنابع الاتسام

بقلم: د. حسنين جابر الحلو¹

يعيش الانسان اليوم في رحلته الحياتية في غربة، ولاسيما عندما يجد ان هناك ثمة تعرقل مقصود يطيح به، ويحيط به في الوقت ذاته، بسبب عدم القدرة على التسامح، والاتسامح المفرط في وقتنا المعاصر أدى إلى ضعف البنية الاجتماعية بين الأفراد، وانتقل إلى عموم المجتمع وتفصيلاته، في هذه الرحلة مع "ماجد الغرباوي" يضيء لنا بعض الأضواء في مفاهيم التسامح حيث يجد أنه مفهوم اسلامي، ولكنه في الوقت ذاته قد صورته الثقافة الإسلامية بعده مخلوقا غير اسلامي بسبب قراءات العنف والاحتراب، وهذا مما يستدعي منا الرجوع إلى الذات لمراجعتها ونقدها، والوقوف على مواضع الخلل فيها لتقويمها ومعالجتها.

على الرغم من الملاحظات على القراءات المبتورة التي سجلها "الغرباوي" على من يعتقد بأن المتسامح هو انسان متنازل عن قناعاته الفكرية والعقيدية نزولا عند رغبة الآخر كما يعتقد، أو هي الانصياع والتبعية والرضوخ للآخر المختلف في رؤية أخرى، هنا الا يعتقد او يضع مجالا بعده تعايشا؟ على اساس كلية العقيدة وحرية التعبير وماشاكل ذلك.

قطعا ان التسامح عنده هو نسق قيمى وأخلاقي يراد احلاله محل النسق القيمي والأخلاقي الذي مازال يدير حركة المجتمع ويحدد اتجاهاته، ولاسيما بعد ان ظل العنف مستحكما داخل المجتمعات غير المتحضرة والتي لا تحتكم الى القانون، وتحتاج

1 - أستاذ فلسفة، فكر عربي معاصر

إلى رجوع واضح لفهم التداعيات في الممارسة غير المشروعة للعنف، واعتماد الجميع القوة والعنف أساسا في التفاضل الاجتماعي والسياسي عن طريق:

- الولاء القبلي .

- وسيادة الإرادة السياسية .

وهذا بدوره أدى إلى تأسيس قيم في المجتمع من خلال :

1- تزريق القيم الى وعي الفرد عادة في السنوات الأولى من حياته عندما يلقي مفاهيم الخضوع والاستسلام للقيم .

2- المجتمعات العربية مجتمعات ذكورية، تمنح الرجل صلاحيات واسعة، وتهمش المرأة وتلغي وجودها .

3- هيمنة القيم السلطوية والقمعية في المجتمع .

4- تمثل السلطة الفوقية وتداولها ولائيا.

مما سبب حالات من التغيير في مبنى فهم الأفراد لما يحتاجون إليه جملة وتفصيلا، داخليا وخارجيا .

وبما أن التسامح هو نسق قيمى إلا أنه لا ينسجم مع منظومة القيم المستبدة، لأن المجتمع هو الذي يحكم بصلاحه من عدمه، ووقوف الاستبداد السياسي كخصم حقيقي للتسامح، من خلال رفض الآخر وتبعاته، كما ينبغي بحسب " الغرباوي" اعتماد أسلوب آخر في الحكم ينهي هيمنة الطاغية على عقل الإنسان، الذي يخشى التدهور السياسي والأمني عند غيابه، بمعنى البقاء داخل السلطة مهما كلف الأمر .

ومن جهة أخرى يرى أن التطرف الديني أيضا أحد أخطر منابع اللاتسامح، لتلبسه بلبوس المقدس، وتوظيفه للنص الديني، بما ينسجم مع مصالحه الخاصة فقط .

بعدها ينتقل الى أسس التسامح في حقوق المواطنة من المسلمين وغيرهم، الى سيادة القانون والاستمرار في تأثيره الاجتماعي، ولكنه يصطدم عندما يجد تعدد في المرجعيات فيفقد قوته ويتراجع، وحتى يبقى موقفه قويا لابد من إعادة تشكيل قيم

التفاضل من خلال مجموعة موزعة اجتماعيا بين الدين والأخلاق والأعراف والعادات والتقاليد، وتوظيفها في إطلاق الحريات العامة لترسيخ قيم التسامح بين أبناء الوطن الواحد، عن طريق الإسلام الصحيح بالرفق والحلم والعفو والرحمة، بدراسة مهمة ومحاولة تأسيس نسق قيمي جديد لمفهوم اسلامي عريق أكدته نصوص الكتاب وعضدته السيرة الصحيحة.

محاولة "الغرباوي" هذه محاولة علمية جادة، أراد من خلالها تبيان منابع التسامح الإسلامية الصحيحة التي تدعو إلى العيش المشترك، بعيدا عن لغة الحروب والصراعات والفتن، التي لا تؤدي إلا إلى القطيعة، وقد تستمر الى أجيال وأجيال اذا لم ننبه إليها.

قراءة تحليلية لكتاب الحركات الإسلامية لمؤلفه المفكر العربي المعاصر ماجد الغرباوي.

بقلم: د. زينب عبد الرحمن¹.

لا أحد يستطيع إنكار حجم تعاطف الجماهير المسلمة مع ظهور بعض الحركات الإسلامية في الآونة الأخيرة خاصة بعد ثورات الربيع العربي، ووصولها للسلطة بديلاً عن الأنظمة السابقة، أملاً في تحقيق العدالة والحرية والمساواة. ولا ريب أن الحديث عن محاولة نقد تلك الحركات الإسلامية في المجتمعات العربية، ومحاولة الكشف عن غياب الوعي لديها، يُعد من أهم الموضوعات الجريئة والشائكة التي لن تنال قبولاً لدى العديد من الجماهير، خاصة ونحن نعيش في مجتمعات عربية مُتدنية بطبعتها، لا تزال غير مُعتادة على ممارسة النقد بعد.

هذا ما تحدث عن المفكر العراقي التنويري ماجد الغرباوي (1954م – 1374هـ) في كتابه "الحركات الإسلامية: قراءة نقدية في تجليات الوعي"، الذي صدرت طبعته الأولى عن مؤسسة المثقف العربي، عام (2015م – 1436هـ)، هو من أهم الكتب في الفكر العربي المعاصر التي تناولت بالبحث والتحليل نقد الحركات الإسلامية. خاصة الحركات المتطرفة التي لجأت إلى العنف والإرهاب. وتقديم قراءة نقدية لتجليات وعي تلك الحركات الإسلامية. فالنقد ضرورة لفهم: حقيقتهم، طرق تفكيرهم، استراتيجياتهم، رؤيتهم للآخر، مصداقيتهم، موقفهم من العنف والإرهاب، هدفهم من السلطة، وأسئلة أخرى كثيرة.

1 - مُدرس الفلسفة بكلية الآداب جامعة الفيوم. - جمهورية مصر العربية.

لذا يؤكد ماجد الغرباوي على أهمية النقد وضرورة استمرارية ممارسته، فلا مُقدّس ومُنْتَعَلٌ على النقد مادام فكراً بشرياً واجتهادات شخصية، قابلة للمراجعة والنقد، فنجدّه يقول: "وما الهالة القدسية سوى أوهامنا، وأوهام التبجيل، وأوهام الانحياز المطلق بالضد من الآخر وإن كان داخلياً. لقد كلفتنا القداسة مُستقبلنا، حيث حرّمتنا أنفسنا من النقد، فتراكمت أخطاؤنا، وأن الأوان لمراجعة حقيقية من أجل بناء قاعدة فكرية — عقيدية خالية من الأوهام والتطرف والأكاذيب"⁽¹⁾.

هكذا يتخذ ماجد الغرباوي النقد الإيجابي البناء — وليس النقد السلبي الإقصائي — هدفاً لتقييم وتقويم سلوك الحركات الإسلامية، فهو لم يرفض الحركات الإسلامية ولم يعترض عليها أو يدعو لإقصائها من المجتمع والقضاء عليها. بل يعترف بوجودها وبدورها الإيجابي في إيقاظ الوعي، قبل دخولها المرحلة السياسية، مُؤكّداً على أنّها قد لعبت دوراً كبيراً في إيقاظ الوعي، ونبّهت إلى مخاطر التخلف، وممالة الظالمين من الحكام والمستبدّين، كما كان لها دور فاعل في مواجهة الاستعمار والاستبداديين الديني والسياسي، والتحريض ضد الحكومات الجائرة، انطلاقاً من مسؤولياتها الدينية⁽²⁾.

وكأن ماجد الغرباوي يُقدّم لنا موقفاً رائعاً لفكرة الحوار والتسامح مع الآخر، حتى وإن كانت لديه أفكاراً مُخالفة لك أو مُتطرفة، فلم يدعونا نحو التعصب ورفض الحركات الإسلامية المُتطرفة أو إقصائهم من الحياة السياسية لإخفاقهم وغياب الوعي لديهم. بل على العكس من ذلك يقوم بنقدهم نقداً علمياً موضوعياً بعيداً عن الأهواء والأيدلوجيات، لكي يتجاوزوا أخطاءهم ويعودوا للحياة السياسية من جديد، بعقل جديد، ومنهج جديد، وسلوك جديد، وبناء جديد، وأفكار ومعتقدات جديدة تعمل على خدمة المجتمع والأمة الإسلامية. بروح تسودها قيم التسامح وقبول

1- ماجد الغرباوي: "الحركات الإسلامية: قراءة نقدية في تجليات الوعي"، مؤسسة المثقف، سببني — أستراليا والعارف للمطبوعات، بيروت — لبنان، ط1، 2015م، ص12، 13.

2- المصدر السابق، ص8.

الآخر، بدلاً من دعوة بعض الحركات الإسلامية المتطرفة للتناحر والصراع والتناذب والإقصاء والتعصب.

يدعو ماجد الغرباوي نحو وضع استراتيجية نقدية لتقويم منظومتهم الفكرية وسلوكهم وأدائهم، خاصة وهم يمارسون السُّلطة باسم الدين والإسلام، ويوظفون شعاراتهم لمصالحهم الشخصية والحزبية، فانعكس ذلك سلبيًا على جميع الإسلاميين بل على الإسلام ذاته. إضافة إلى صراعهم على السُّلطة، وتناذبهم، وتمزقهم، حد الاقتتال⁽¹⁾.

لذلك أصبح النقد هنا لدى ماجد الغرباوي ضرورة مُلحة لانتشال الوعي، وتصحيح مساراته، للفصل بين قيم السماء وسلوك هؤلاء الإسلاميين، لعنا نساهم في الحد من تداعيات السلوك السليبي، وتوعية الناس بحقيقة ما يجري، سواء من قبل إسلامي السُّلطة، أو من قبل الجهاديين ممن يمارس العنف والإرهاب. خاصة والثاني بات يُشكل خطرًا كبيرًا على الإسلام، وتحديًا واسعًا للسلم بقدرته على استقطاب الشباب، رغم حجم ما ترتكبه الجماعات الإسلامية المتطرفة من جرائم وأهوال⁽²⁾.

يتكون كتاب "الحركات الإسلامية: قراءة نقدية في تجليات الوعي" من (160 صفحة)، مقسمة إلى أربعة فصول تسبقها توطئة؛ **في الفصل الأول المعنون بـ: "إشكالية الوعي الحركي"**، يحاول ماجد الغرباوي الكشف عن أهم أخطاء الحركات الإسلامية والتي من أهمها: أنها أحاطت بمنظومتها الفكرية والعقيدية والتنظيمية بسور قدسي حرّم النقد والمراجعة، بل أن بعض الحركات لم تنشر شيئًا من أفكارها ونظرياتها، وآثرت السرية حتى في مجال العمل الفكري والتثقيفي، مخافة أن يطالهما النقد أو يقظة الوعي. لذا تراجع الوعي، وأصابته تشوهات عمّقت التخلف،

1- المصدر السابق، ص 10، 11.

2- المصدر نفسه ص 11.

وولدت حالات جديدة من الإرباك والانطواء على الذات، بعد معاداة الآخر ورفض أجندته، والانكفاء إلى الماضي وتقديس قيمه⁽¹⁾.

لذلك يأتي التساؤل إلى ماذا تحتاج الحركات الإسلامية من وجهة نظر ماجد الغرباوي؟، فنجد أنه يؤكد على أنها بحاجة إلى تحديد خطابها الفكري والسياسي، وإعادة النظر في متبنياتها الأيديولوجية، وطموحاتها السياسية، إضافة إلى منهج جديد في قراءة الدين والتراث والعصر، ووضع استراتيجية مُعلنة تكون أساسًا لتعاملاتها مع الأطراف الأخرى. استراتيجية خالية من العنف والتعصب، وترتكز إلى التسامح والعفو والرحمة. ويجب عليها ممارسة النقد بصورة شاملة، وإجراء مُراجعة عنيفة ومُستمرة لمبنياتها الفكرية والعقيدية⁽²⁾.

وفي الفصل الثاني والمعنون بـ: "شرعية النقد"، يؤكد ماجد الغرباوي في هذا الفصل على ضرورة ممارسة النقد، وإن مسؤولية نقد الحركات الإسلامية مسؤولية جميع الأمة الإسلامية لتشكيل أجواء ضغط تحاصر مكامن الوعي وتعيد تشكيله حتى لا تتحوّل تلك الحركات إلى عبء ثقیل على الإسلام والمسلمين⁽³⁾.

وفي الفصل الثالث والمعنون بـ: "مواقف وسلوك"، يُدعِ المفكر التنويري ماجد الغرباوي في الحديث عن موقف الحركات الإسلامية تجاه المرأة، فما زالت تلك الحركات الإسلامية تراهن على النظرية الإسلامية في تأمين حقوق المرأة وحمايتها من محالب الحضارة العاتية. وتبشر بعهد جديد في ظل الحكومات الدينية. ولم تتوانَ الجهود الفكرية والثقافية المكثّسة لبيان حقوقها، في توظيف النص الديني لدعم نظرياتها حول المرأة، إثباتًا أو نفيًا⁽⁴⁾.

1- المصدر نفسه، ص16.

2- المصدر نفسه، ص17، 18.

3- المصدر السابق، ص51.

4- المصدر السابق، ص105.

وأما الفصل الرابع والمعنون بـ: "الحركات الإسلامية العراقية"، يوضح ماجد الغرباوي أن ثمة أخطاء قاتلة ينبغي للحركة الإسلامية العراقية وهي تخوض مرحلة السُّلطة الانتباه لها، وإلا فالوضع ينذر بإخفاقها، وفقدان مصداقيتها. ومن أهم تلك الأخطاء أن أفراد الحركة الإسلامية في العراق مازالوا يمارسون السياسة بعقل مرحلة التأسيس، أو بدايات مرحلة الدعوة، حينما يخلقون العاملون إبان جلسات التنظيم السرية في عالم مثالي، مجرد من إسقاطات الواقع. مُؤكِّدًا على أن لكل مرحلة ضروراتها، ومفاهيمها، ومصاديقها، ورجالها، وحساباتها، وما يصلح للمرحلة السرية لا يصلح للمرحلة العلنية. ومن لا يعي الواقع لا يستطيع الإنسجام معه، ومن لا ينسجم معه يتحول إلى عثرة في طريق الآخرين⁽¹⁾.

إذن فالمطلوب من الحركات الإسلامية العراقية، من وجهة نظر ماجد الغرباوي، تطوير أدواتها في العمل الحزبي، بعد تحديث نظريتها السياسية ومتبنياتها الفكرية، لترقى إلى مستوى السُّلطة بمفهومها الجديد. فلم تعد المنظومة الفكرية والمفاهيمية السابقة لتلك الحركات ملائمة لمرحلة السُّلطة والمشاركة في الحكم. لأنها نظريات ومفاهيم نصية ثرائية، لم تلامس الواقع ولم تجرب أحكامه، حتى اتصفت بمثالية وطوباوية مفرطة، وتشبعت بأحلام أيديولوجية واسعة⁽²⁾.

الخلاصة: وهكذا يتضح لنا هدف وغاية المفكر العربي ماجد الغرباوي من محاولته نقد الحركات الإسلامية وهو الكشف عن غياب الوعي لديها، سعيًا نحو إعادة تقييم سلوكها ورفض المعتقدات التي تدعو للعنف والعمليات الإرهابية الانتحارية باسم الدين والجهاد، ومحاولة إنقاذ الشباب وإيقاظ وعيهم وعدم إستقطابهم لتحقيق مصالح أفراد شخصية ليس لها علاقة بالدين، والدين بريء منهم.

كما لجأ مفكرنا العقلاني التنويري ماجد الغرباوي نحو الحل السلمي في محاولة القضاء على ظاهرة الجهاديين أو ظاهرة الإرهاب، والتي تُمثل خطرًا كبيرًا يُهدد

1- المصدر السابق، ص141.

2- المصدر السابق، ص142.

المجتمعات العربية في الآونة الأخيرة. فقدم حلاً للقضاء على تلك الظاهرة من خلال محاولة تقديم نقد لمعتقدات الحركات الإسلامية المتطرفة، والكشف عن غياب الوعي لديها، وبيان حقيقة خطابها الفكري العقائدي القائم على أساس الطاعة العمياء "منهج السمع والطاعة" * وعدم المناقشة أو النقد. إلا أن هذا الحل ينقصه حلاً آخر يساعد في التخلص من تلك الظاهرة وهو الدور المؤسسي الرقابي. لا شك أن الحل الذي دعا له ماجد الغرباوي للقضاء على ظاهرة الإرهاب، وتأكيد على أن نقد الحركات الإسلامية المتطرفة مسؤولية الجميع وخاصة المثقفين والكتاب أي مسؤولية جميع الأمة، هو حلاً مناسباً. إلا أننا هنا نُشير إلى دور آخر وهو دور الدولة الرقابي، فيُعَد دور الدولة كمؤسسة رقابية دوراً هاماً في التقليل من ظاهرة "التطرف الديني".

كما أن كاتبة هذه السطور تُشيد بموقف ماجد الغرباوي نحو ضرورة التسامح مع المتعصبين أو الدوجماطيين أو حتى المتطرفين في الرأي أو الفكر أو الدين. ولا ينبغي لنا إقصائهم من المجتمع، بل ينبغي التسامح معهم ومحاولة فتح قنوات حوار بيننا وبينهم، ومحاولة إحتواءهم، فهم ليسوا منبوذين من قبل المجتمع. وفي حالة قيامهم بأي أعمال عنف أو قتل أو تعدي على الأفراد أو على المجتمع ومؤسساته فلا بد من وجود قانون رادع للدولة باتخاذ كافة الإجراءات القانونية ضد مرتكبي أي أعمال عنف قد تُهدد الدولة وأفرادها. فلا بد من قبولهم بإعتبارهم مواطنون داخل الدولة، حتى وإن كانوا مُخالفين لنا في الرأي، وعدم رفضهم أو معاداتهم أو إقصائهم.

وفي النهاية ومن خلال هذا العرض الموجز لكتاب "الحركات الإسلامية: قراءة نقدية في تجليات الوعي"، والذي يُعد من أهم الكتب والموضوعات التي يجب طرحها على ساحة الفكر العربي المعاصر في الآونة الأخيرة، لما يتناوله من موضوع غاية في الأهمية، وهو نقد الحركات الإسلامية لإيقاظ الوعي بأهمية وضرورة ممارسة النقد. كما تتمنى كاتبة هذه السطور أن يُمثل هذا الكتاب خطوة أولى نحو مشروع نقد الحركات

* لقد كان لمنهج "السمع والطاعة" أكبر الأثر السيء على عقول العديد من الشباب وتطرفهم وأكبر دليل على ذلك حادثة إغتيال فرج فوده، لمجرد أن أحد الشباب سمع في إحدى التجمعات الدينية بأن فرج فوده يدعو إلى التكفير، فقام على الفور بقتله وإغتياله دون أن يقرأ حتى أيًا من مؤلفاته.

الإسلامية وإعادة تشكيل قيمها من جديد، وإيقاظ العقول المتحجرة الجامدة فكريًا. لذلك نتمنى ألا يكون هذا الكتاب هو الكتاب الأخير في مكتبتنا العربية المعاصرة الذي يتناول هذا الطرح الهام، أي نقد تلك الحركات الإسلامية والمطالبة بضرورة إعادة تشكيل مُعتقداتها والنظر فيها من جديد، بشكل يساعد على تجنب أخطائها السابقة، ومحاولة مُعالجتها بعيدًا عن مفاهيم العنف والتعصب والإرهاب. بل ندعو العديد من الباحثين والمفكرين والمثقفين للعمل على نقد تلك الحركات الإسلامية وإعادة تشكيلها من جديد بشكل يساعد على نهضة المجتمع وتقديمه ونشر قيم التسامح والحوار بدلًا من قيم التناحر والعنف والإقصاء.

اشكاليات التجديد

قراءة في نافذة الوعي

بقلم: د. محمد سعيد الأجد 1

في ضوء القراءات المتعددة للواقع الراهن، يبقى الوعي هو الاسّ في معادلة الصراع القيمي الحاضر، والذي يجب علي كل باحث اسلامي ان يستلهم اشعاعاته ويتمثل أبعاده ويعيد صياغته من أجل القضية الاساسية التي يواجهها في مهمته الشاقّة، وهي مهمة التجديد والاصلاح والنهوض بالواقع الذي يعيشه الشرق والعالم الاسلامي ازاء مقولات كاحجة وتقليعات مدمّرة لا زالت في توالد مستمر تكرّس نزعة الهيمنة وتستعين بتطورها المادي الهائل من أجل استعباد الشعوب وتغليب الاحادية والفردانية في التفكير والمنهج السياسي.

وبهذا الصدد يجي كتاب الاستاذ الباحث ماجد الغرباوي: اشكاليات التجديد²، كدراسة تتوغل في عمق المشكلة وتغوص في القاع لتكتشف وتثير وتجاوز من أجل تحليل داخلي معرفي للاسس النظرية التي تتعكز عليها كل من الرؤية الاخرى النازعة للهيمنة والتفرد، والرؤية المقاومة المتمثلة للوعي وعقلنته لاثبات الوجود والهوية المعاصرة.

تتوزع الكتاب فصول ثلاثة:

الوعي الراهن.

احياء الفكر الديني.

الموقف من الاستبداد.

1 - كاتب وباحث عراقي

2 - الغرباوي، ماجد، اشكاليات التجديد، ط2، 2001م، بيروت، لبنان، دار الهادي.

الوعي بالتجديد

يتطرق المؤلف في الفصل الاول الى محورية دور الوعي في التجديد مشخصاً الواقع الراهن علي ضوء تداعياته الخطيرة المماثلة لتداعيات الواقع التاريخي السابق على عصرنا، فيكتشف المؤلف المماثلة في ارهاصات ذلك التداعي وعلله الاساسية والمتمثلة في غياب حالة الوعي تجاه الفكر والعقيدة والحكم الشرعي والمنبسطة سلباً في اتجاهين رئيسيين: عدم التمييز بين ماهو الهي وما هو بشري، وعدم التمييز بين ماهو مقدس وماهو غير مقدس. وهو بذلك يتوخى طريقه لرسم آلية منهجية بعيدة عن افرازات الذهن البشري المحدود او الملعوم بظروفه الخاصة وصولاً الي (اسلوب الامام علي (ع) في تعميق الحس النقدي لدي آحاد الامة، الذي بعث فيها الحياة وأعاد لها شخصيتها حتي قال معاوية بن ابي سفيان في وصف هذه الحالة. مخاطباً أهل العراق: (لقد لمظكم علي بن أبي طالب الجرأة علي السلطان وبطي ما تفظمون).

وهذا عند المؤلف هو الكفيل بالارتقاء الفكري للفرد بعد ان تتجسّر العلاقة بين الامة ومصادرها الفكرية والعقيدية من الكتاب والسنة ليتشكل بعد ذلك تيار ضاغط يهدد النزعات الشخصية ويرسم اتجاه حركة الدولة والقيادة.

ثم يدخل في صلب موضوعه الكتاب (التجديد) ويتوجس من مخاطرها لانها عبارة عن تقويم الواقع و(اعادة صياغة بنية الفرد المعرفية وفقاً لمتطلبات الحاضر وضرورات المستقبل، وفي اطار الثابت والمتغير من الدين) .

وهو — مع هذا — يحث المفكر الخبير لخوض غمار المعترك وايقاد شعلة الهم التجديدي في دواخل ضمير الامة، لانه — التجديد — حاجة يتطلبها طبيعة الظرف الراهن وهو يحوي هذا التحول المعرفي الهائل الذي كلما تقدم يوضح بصورة أكبر معركة متبنيات وآليات التجديد والنهوض لدى الشرق حيث ينقسم الى متغربين وسلفيين واصلاحيين، وهنا تلتقي مقولة التجديد بالثقافة، فيعرج المؤلف لمصطلح المثقف ويحدد عناصره بثلاث:

1 . المعرفة:

وهو الخزين الثقافي الضروري لنقد الواقع واصلاحه يمكنه من قراءة التراث الاسلامي والنص القرآني قراءة كاشفة عن الابعاد والمداليل والايحاءات والفروقات بين ثوابته ومتغيراته.

2 . الوعي:

وهو غير المعرفة المتراكمة، بل اضاءة لفضائه المعرفي تحرّكه لنبد المظاهر المتخلّفة والمفاهيم المقلوبة وبكلمة هو ادراك الواقع ومحاكمته، وبدون الوعي — كما يقول — لا تتحرك في المثقف دواعي التجديد وهموم الاصلاح. ثم يذكر الامام الخميني كنموذج انتج وعيه ادخال عصري الزمان والمكان في العملية الاجتهادية ارتقت به الي مستوى عصري راقٍ.

3 الموقف:

وهو العنصر الاساس في بلورة مفهوم المثقف في العصر الحديث، وهنا يتساءل المؤلف بشجاعة: ماذا يترتب على المعرفة والوعي اذا لم يتحوّلا الى موقف شجاع يعلن علي رؤوس الاشهاد، وينفع في اصلاح واقع الامة؟

ويخلص من ذلك كله الي ربط المسألتين معاً (التجديد والثقافة) ربطاً جدلياً منتجاً، يتجه نحو اصلاح الانساق الثقافية بعد تفكيك مكوناتها ثم مراجعتها بغية تقويمها وفق صياغة تخدم مصالح الدين والامة معاً.

وكنموذج للتجديد يتطرّق المؤلف لمدي اهمية الصياغة الجديدة لعلم اصول الدين الذي تطوّر نتيجة بعض السجلات الفكرية حول العقيدة الي علم كلام، والذي أفرز جملة من السلبيات اختزلتها مقولة عزلة الانسان وعقيدته عن حياته ومنهجه السلوكي في المجتمع، فصار الانسان بفعل هذه العزلة غريباً عن منهجه القرآني وفطرته وصارت العقيدة تدور حول مجموعة من المفردات والابحاث الكلامية التي انتجت شرخاً كبيراً في ما بين اصحاب العقيدة الواحدة فتشكّلت الفرق وتقاطعت الافكار، وادّى ذلك كله الي رقد بوتقة السياسات المستبدة واعانة اصحاب الاهواء والمصالح.

ويناغم الكاتب بطريقة ايجابية اطروحة علم الكلام الجديد الذي يهدف الى اكتشاف جوهر العقيدة الاسلامية وحقيقتها المتمثلة بالعودة الى المنهج القرآني الذي يمنح الانسان دوره الفاعل في بناء الحياة ومواكبة التطور الحضاري لتبقي العقيدة واقعاً متحركاً مبدعاً يواجه التحديات ويواكب المستجدات ويشبع التطلعات ويسمح بالاجتهاد وتبادل وجهات النظر وفق منهج علمي منتج ومبشّر بكل ماهو جديد.

وفي ذات الفصل يستعرض الاستاذ الغرباوي الجذر التاريخي لاشكالية الحوار مع الآخر كمرحلة اولي تهي الوسط الناقل للفكر والفكرة، فيقول: ولم يواجه الحوار الحضاري الاسلامي في مراحله الاولى تحدياً الا من قبل شعوب كانت تحتفظ بانساق فلسفية وسياقات فكرية تتحكم باداء العقل وتمنع اي مراجعة من شأنها تقويض البني الفكرية له .

ولكن هذه الشعوب في الحقيقة بقيت تعاني من افرازات انتماءاتها الخاصة علي فهم النص الديني نفسه، الا ان المسلمين تمكنوا من خلال الحوار الجاد والمثمر من التواصل معهم والتأثير بهم وبناء الدول الاسلامية في اماكن متناثرة من العالم الاسلامي حتى حقق الاسلام رفع شقي الاشكالية المتقدمة، الاعتراف بالآخر، والقدرة علي الانفتاح والتفاعل الثقافي معه. وعن الشق الاول تحدثت التجربة الاسلامية وفتوحاتها، واما عن الشق الثاني فيقول المؤلف أنه مبدأ قرآني رسخه جملة من الآيات.

وحول مدى حجم الاشكالية المتقدمة في الحوار الحضاري الراهن، فاننا نؤيد الاستاذ الكاتب في ابتلائه بالاشكاليتين المتقدمتين (شقي الاشكالية، (فليس وعي الغرب للاسلام يساعد علي الحوار وليس الانفتاح الثقافي لواقع المسلمين يؤيده)، فالاسلام في وعي الغرب هو المنافس الأيديولوجي الاول بعد انهيار الاتحاد السوفياتي للاتروحة الغربية المعاصرة التي تشير مصادر دراستها (نهاية التأريخ لفوكوياما وصدام الحضارات لهانتغتون) لانها هي خلاص البشرية ونهاية جهدها الفكري وحركتها الابداعية، وسعي الغرب لعولمة هذه الفكرة مهّشاً بها ايديولوجيات العالم وانساقه الفكرية الخاصة، ومادام الغرب لم يعترف بالآخر فسوف لن يتم اشباع هاجس الحوار

معه، وهذا يفرض علينا - كما يذهب المؤلف - امتلاك اللغة التي يفهمها الغرب وهي - عنده — (لغة القوة والتطور التقني والتعددية والديموقراطية في الحكم والحرية في ابداء الرأي والصراحة في التعبير عن قناعاته) كما (علينا نحن أيضاً ان لا ننغلق على الذات الى حدّ نرفض فيه كل مالدي الغرب من ثقافة، لان الآخر المختلف من شأنه ان يطوّر الثقافة من خلال اشكالياته واستفهاماته التي يثيرها باستمرار .

وفي نهاية الفصل الاول يتعرّض المؤلف لبعض هموم المجتمع الاسلامي ودور المثقف في الدولة الاسلامية، فتراه لا يستعرض النشأة التاريخية لمقولة المجتمع المدني بقدر ما يشغله تسليط الضوء على مفهومها وفرزها بشكل دقيق عن ملاساتها من الطروحات الوضعية والتقليعات المستجدة، اذ يركّز على هدفية الطرح الذي يتواءم مع المبادي الاسلامية والقيم الدينية، فليس هذا الطرح بمتقاطع مع وجود الدولة الاسلامية او يمتدّ مقابلاً لحقوق المجتمع المرسومة شرعاً، بل يهدف هذا الطرح الى اعطاء الفرد في الدولة الاسلامية فضائية ومساحة اكبر لممارسة دوره في النقد والدفاع عن حقوقه من خلال طوعية الانتماء واستقلال الشخصية وحرية الرأي.

واما عن دور المثقف في الدولة الاسلامية وتكوين البنية الفكرية للمجتمع والمساهمة في تحديد هويته الثقافية، فيعقد الحديث اولاً عن الاشكاليات التي تواجه دور المثقف غير الاسلامي، فيقول: فالمثقف غير الاسلامي أما ان يتخلّى عن كل شيء ليلتحق بالآخر (الغرب) بدواع (حداثوية) وحينئذ يعيش غربة حقيقية. او يحاول ان يجد صيغاً توافقية. بين الاسلام والآيديولوجيات الأخرى، فينتج لنا اسلاماً مشوّهاً، وحينها سيعيش هذا الفرد تناقضاً مريباً في مجتمعه .

اما المثقف الاسلامي — وهذه التفاتة جوهرية رائعة من المؤلف — فانه فرغ من مسألة المرجعية الثقافية، فلا غربة ولا تكاسل، لان مرجعيته الثقافية تشع له بالرؤي والافكار والطموحات التي ليس لها حدّ. وهذه المصادر الاشعاعية تزودّه بطاقة حركية تجعله في عمل متواصل لانجاز مهامه التي يلخصها المؤلف بـ: بث الوعي، النقد، تبني قضايا الامة .

احياء الفكر الديني:

وفي الفصل الثاني يتناول المؤلف جذور فكرة الاحياء الديني بالبحث والكشف والتحليل مستفيداً من التجربة الاسلامية التي كانت حية في مبدأ أمرها بفعل العبقرية الفكرية والسياسية للرسول الاعظم (ص) وعدم ظهور تيارات تخريب قوية في عهده، فأرسى ملامح الفاصلة الضرورية بين الدين والحياة، ثم اجتاحت الامة الاسلامية موجة من التخريب الفكري والسياسي، ووجدت لها صدئ في ثلاث حروب ثارت الاولى علي العدل والثانية علي الشورى والثالثة على العقل.

وجر الدين من خلال ذلك لمصلحة معاوية وغيره من المتفعين، وانفصل عن السياسة بل تبعها، فكان ذلك من اكبر حملات التخريب الديني .. وهكذا يستعرض المؤلف تلك الحملات المتوالية والممتدة (13) قرناً حتى جاءت مرحلة ما بعد الاحياء والمتمثلة باشكالية النأي عن مقاصد الشريعة فتحمل الاصلاحيون الدينون مهمتهم ابتداءً من السيد جمال الدين الافغاني الي حين قيام الجمهورية الاسلامية في ايران .. ومّر المؤلف بمناسبة الحديث عن التيار الاصلاحى برموز الاصلاح في العالم الاسلامي، السيد جمال الدين ودوره في مناهضة الاستبداد واشاعة تركيز الوعي ومحاربة الاستعمار ومشروع الجامعة الاسلامية وتنقية الفكر الاسلامي من الشوائب، والشهيد محمد باقر الصدر واسهاماته الفريدة والمتنوعة في الاصلاح، فكرياً وحركياً ومرجعياً، والامام الخميني واصلاحاته الحوزوية والسياسية والاجتهادية التي أكدّت دور العلماء وحجّمت فقهاء السلاطين وأتت على شاهنشاهات ايران وأذّنت بانتهاء التبعية للدول الاستعمارية وأعادت للامة دورها المغيّب وانتهت باقامة دولة اسلامية على أرض الواقع محققة حلم الانبياء والمصلحين.

والمؤلف من خلال ذلك يركّز على مفاتيح العبقرية الاصلاحية واسرار التحرك الاصلاحى الواعي مدّلاً بذلك على امكانية اعادة دراسة وتمثّل تلك المشاريع وضرورة استكمالها نخوضاً بالواقع الراهن الي أقصى مدى ممكن، وكل ذلك عبر لغة معاصرة كان يلوّح بها المؤلف من خلال ثنايا الكتاب وطبيعة توجه بحثه ودراسته.

الموقف من الاستبداد

ويدرس المؤلف الاستبداد في الفصل الثالث ويبيّن ماهيته ومناوئيه من الاصلاحيين كما يدرس بشكل مقتضب جذره التاريخي ومعاناة الامة منه ومن اشكاله التي تتحدد بثلاثة: رضوخ الفرد لتحديات المستبد، الاستجابة الطوعية للمستبد وتسخير رجل الدين للشرعنة وتطويع الناس، الرفض والتمرد وعدم الاستجابة لارادة المستبد.

والحقيقة ان الاستبداد هو العقبة الكؤود امام التجديد والنهضة، اذ يقضي الاستبداد سواء كان سياسياً ام دينياً علي دور الآخر الفرد او الامة، ويعطل قدرته الذاتية على التحرك الرسالي، وينتج نسخاً مستنسخة عن المستبد ورأيه، ولكن مع المستبد دائماً يوجد أسّ آخر في معادلة الصراع وهو المصلح، (فلا يمكن للاستبداد ان يستمر مادام هنالك دعاة مصلحون، ولا يسود الاصلاح وهناك جذر للاستبداد).

ومن هنا شرع المؤلف بدراسة الخطوات التي اتبعها المصلحون في محاربة الاستبداد:

1. فضح الممارسات الاستبدادية:

ومثل لذلك بالسيد جمال الدين والشهيد الصدر وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم، وما لاقوه في سبيل ذلك من محن وابتلاءات وصور شتى من الاضطهاد والتنكيل.

2. تبني مبدأ الشوري والديموقراطية كطرفي النقيض للاستبداد:

وتطرّق لآراء الكواكبي ومحمد عبده ومحمد حسين النائيني منظر الحركة الدستورية في ايران والامام الخميني.

وفي هذه النقطة جعل المؤلف المعارضة وحرية الرأي علامة صحّة تكشف عن قوة النظام وجدارته واقصاء المعارضة دليلاً علي الاستبداد والقمع لارادة الجماهير ودّلل علي ذلك بأقوال للامام الخميني وهو ينظر للدولة الاسلامية وعلاقتها بالامة.

3 . سيادة القانون:

القانون الذي يبدأ الاستبداد بانتهاه واحتقاره من قبل المستبد، وراح المؤلف هنا يتتبع كلمات الامام الخميني وهو يمنح القانون السيادة العليا على الجميع كخطوة اساسية لمحاربة الاستبداد، ويوضح العلاقة بين ولاية الفقيه واحترام القانون او مناهضة الاستبداد وانه لا تضاد بينهما بل توافق وانسجام لان هدف ولاية الفقيه هو احترام القانون ومنح الامة دورها وحجمها الطبيعيين كما فعل النبي والائمة حينما تصدّوا لقيادة الامة وبناء الدولة.

واخيراً فكتاب "اشكاليات التجديد" الذي بين ايدينا هو نافذة تقرأ من خلالها وعي المؤلف المستمد من وعيه للواقع على صورته التي ينبغي لكل باحث ودارس ومثقف أن يعيه ويعي أسس تشكّله واشكالياته، تطلّعاً لنهضة اسلامية تعيد الرؤية الاسلامية الي نصابها الواقعي في خضم حملات التشويه والتهميش وتمنحها مساحتها المرجّوة من لغة العصر وشكله الحاضر.

فهم التسامح لدى ماجد الغرباوي

قراءة في كتاب التسامح ومنابع الالتسامح

بقلم: د. عفاف المحضي¹

مقدمة: الإنسان هو من يعيش فنّ الحياة. من يبتكر لنفسه قارب نجاة وطريق حياة مشتركة. الإنسان هو من يحيا ليحيا الإنسان معه وليس من يحيا لينفي غيره .. هو من يرسم فن الوجود بكل سماته وأبعاده الإنسانية والأخلاقيّة التي تعتبر بوابة للتسامح ومبدأ فلسفة التعايش الإنساني في الكون.

ماهو التسامح؟ وكيف نفهمه؟

1. تعريف التسامح لغة واصطلاحاً:

لغة: تأتي كلمة التسامح من جذر (س.م.ح) سَمَحَ - سَمَحًا وَسَمَاحًا وَسَمَاحَةً: فَلَانَ وَسَهَّلَ ويقال سَمَحَ العودُ وتَجَرَّدَ من العَقْدِ وانقاد بعد استعصَابِ وفلان: بذل في العسر واليسر عن كرمٍ وسخاءٍ ويقال سمح له بحاجة يسرها له. و(سَمَحَ) سَمَاحَةً وَسُموُوحَةً صار من أهل السِّمَاحَةِ فهو سَمِيحٌ وَسَمِيحٌ. وَسَاحَهُ بكذا وفيه أي وافقه على مطلوبه².

مرّ التشكل المفهومي لهذا المصطلح بمرحلتين: تمثلت مرحلته الأولى في الجانب اللّغوي لهذا المفهوم ثمّ اكتسب في مرحلة ثانية بعداً اصطلاحياً مع التنظير الفلسفي

¹ - دكتوراه حضارة إسلامية، تونس.

² المعجم الوسيط: ج1 ابراهيم المصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر محمد علي النجار: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع اسطنبول - تركيا (د.ت) باب السين مادة (سمح) ص 447.

له في البيئة الغربيّة. ويمكن تحديد الفترة التاريخيّة لبروز هذا المصطلح وتشكله في الفكر الغربي منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ففكرة التسامح الغربيّة الحديثة قد ارتبطت في بدايات تشكلها بالمسألة اللاهوتيّة مع الفيلسوف والمفكر جون لوك "الذي كان ينظر إليها بوصفها "الحلّ العقلائي" لمشكلة الخلافات التي نشأت داخل المسيحيّة آنذاك"¹. إبان العصور الوسطى ولتفادي تلك التداخيات والصراعات المذهبية والطائفيّة والأنساق الفلسفيّة من أجل التوصل الى اتفاق وتوافق بين هذه الصيغ المختلفة والمتعارضة ورتق الفتق الحاصل بينها.

لا بد من تشكل صيغ جديدة تضمن الوفاق والتسامح بين هذه الاتجاهات المتصارعة تضمن حقوق الإنسان وحرية التعبير لكل الأفراد على السواسيّة دون قيود أو تقديم تنازلات، إلى أن أصبح هذا المفهوم "التسامح" من المفاهيم الأساسيّة والمركزيّة في موثيق حقوق الإنسان، مع صدور إعلان سنة 1948 والذي تمّ بموجبه التخصيص على حرية المعتقد والرأي والتعبير، كما بدأ العمل لتفعيله في المنظمات الدوليّة، إذ أصدرت منظمة اليونسكو إعلان مبادئ التسامح لسنة 1995 وتبنّته الجمعية العامّة للأمم المتحدة بتاريخ 16 نوفمبر 1995 بباريس².

2. موقف الأديان من التسامح:

"نسمع أصواتا قوية منذ قرن من أهل الغيرة على الإسلام في شتى أقطاره، وتنادي لنعد إلى الإسلام وهي صيحة كريمة جديدة بالاستماع، وإنها لتنتشر وتشتد على مرّ السنين من الغيورين والمتظاهرين بالغيرة على الإسلام ولعل هناك صيحة أجدر منها بالاستماع هي لِنُعِدْ إلينا الإسلام وبين الصيحتين فرق يفقهه من قدر

1 - انظر كتاب رسالة في التسامح: جون لوك، المجلس الأعلى للثقافة 1997

2 - موقع منظمة اليونسكو: www.unesco.org

عليه¹ ولا يبرز البناء الصحيح للإسلام لا بد من أن ننزع عنه الطبقة المتحجرة الخبيثة التي رنت على أسسه بنوع من التغيب للأصل وتغيير حقائقه من رفق وحلم وعفو رحمة وتعايش سلمي وتسامح وتكافل وغيرها من السمات الإنسانية والأخلاقية...

فالخواء الروحي ليطبق على العالم في عنف والأمم تضطرب في كل مكان والنظم القديمة كلها تتصدع عن قصد وعن غير قصد وأصحابها يخربونها بأيديهم وبأيدي غيرهم ويظهر أنّ البشرية تتقارب وتتجه نحو الوحدة العامة.. فما لم تتقدم رسالة روحية من الرسائل القديمة لسدّ هذا الخواء متحفظة بجوهرها الصحيح الملائم للفطرة الإنسانية منسلخة من قشورها وأعراضها البالية ولن تكون هذه الرسالة إلا الإسلام — فلا بد من ميلاد رسالة جديدة تلائم الوحدة العالمية المنتظرة، وإنّما لعلّ الأبواب فما هذه الاضطرابات من حروب ونحوها إلّا أعراض حمل الإنسانية لهذه الرسالة وإنّ تتبعها المحموم لأظهر أعراض المخاض وما أسرع الطلق فيخرج الوليد الموعود.² لتاريخنا المعاصر الذي شهد ويشهد تغيرات شتى ومستجدات عدة متسارعة النسق مضطربة ومتخبطة المسار.

إنه إشكال التجديد، أمام ما يشهد به العالم اليوم من مظاهر للعنف والاحتراب الذي يستدعي منا جميعا ضرورة العودة إلى الذات لمراجعتها ونقدها في أسسها وثوابتها الداخلية، والوقوف على مواضع الخلل فيها لتقويمها وتصحيحها ومعالجتها، ثم الارتكاز إلى قيم جديدة تستبعد بعض مظاهر الكراهية والشرور النفسية المتفشية بين الجماعات الإنسانية وبين الأمم والشعوب، لتنتفح على قيم أخرى إنسانية والدينية كونية. وإنّ هذا الغرض والغاية لبلوغها ونيل شرف مرتبتها وقطف طيب ثمارها قد يتطلب منا جميعا على حد سواء الغوص في أعماق فكرنا وعقيدتنا بحثًا عن الجذور المشكلة بيننا كإنسان.

1 - التسامح في الإسلام: محمد أحمد حسونة بك ومحمد خليفة التونسي: الأسس النفسية والاجتماعية في الإسلام مطابع دار الكتاب العربي بمصر محمد حلمي المنيوي ص 29
2 - المصدر نفسه، ص 50.

إذ لم يعد أمام الشعوب الإسلامية خياراً للحدّ من هذه العدوانيّة، عدوانية ثقافة الموت والاحتراب والعداء والإقصاء المتفشية في كلّ مكان في الأمصار العربيّة الإسلاميّة سوى خيار وحيد هو تبني قيم التسامح والعفو والتصالح والمغفرة والرحمة والأخوة والسلام، فعمق الحاجة إلى اليوم مع تصاعد وتيرة العنف والإرهاب أصبح مطلباً ملحاً لتأخذ فيما بعد وبصفة تدريجيّة أشكال الدعوة إلى صوراً مختلفة من التساوق وحوار الحضارات والثقافات وتواصل الأديان "لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف إلى مساحة للحوار والتفاهم، بدل الاقتتال والتناحر. وهو عمل صعب يستدعي جهوداً يتضافر فيها الخطاب الإعلامي مع الخطاب الثقافي والديني والسياسي والتربوي، ويتطلب تعاون الفرد مع المجتمع، والشعب مع القانون، والدولة مع الدستور.

إنه عمل جذري يستهدف البنى الفكرية والعقائدية والثوابت والأعراف للمجتمع، لإعادة صياغتها صياغة عقلية تضع أمامها الأولويات والوعي، وتقديم فهم عصريّ للدين والرسالة والهدف الأسمى لتحقيقه، دونما أن تتجاهل الجانب النقدي المهم والبناء للمفاهيم والقيم والسلوك البشري، لرسم مستقبل أفضل ونوعي لفرد جديد والشعب متكافل مترابط الأوصال والوطن مزدهر ينعم بالسلام. قراءة متفهمّة للتراث ومستوعبة لأدق تفاصيل التاريخ، وعودة إلى القرآن والعقل، لتحقيق فهم آخر للحياة والعمل الإنساني

فالتسامح ليس نسقاً فكرياً مجتمعياً بل هو نسق فكري وثقافي وعقيدي. فالتسامح ليس مجرد مفهوم يراد استنباطه ضمن النسق القيمي للمجتمع وإنما هو نسق ثقافي وعقيدي مغاير له أليته في العمل وأسلوبه في التأثير ومنهجه في التفكير وطريقته في الاشتغال فلا يمكن سيادة قيم التسامح ما لم تكتمل جميع مقدماته¹.

1 - ماجد الغرباوي: التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2008م: ص 16

بالتركيز على الدين الإسلامي كمرجع في صياغة انساق التسامح محاولة لاستنطاق النصّ المؤسس والنصوص الحواف في جهودها التفسيرية مع مراعات المرحلية التاريخية والظروف الحافة بها عبر التاريخ. كما أراد من خلاله ماجد الغرباوي أن يسافر عبر حقبات التاريخ مع النصّ والتفاسير التي تعاقبت عليه بنوعيتها الحرفية منها والتجديدية العقلية من أجل التوصل إلى منظومة مفاهيمية يمكن توظيفها في صياغة النسق الفكري والعقدي للتسامح الإنساني على إختلاف أجناسه وأطيافه المكونة له. فالتسامح لا يمكن أن يكون إلا قيمة دينية قبل أن يكون قيمة أو سمة إنسانية.

الدراسة ركز صاحبها فيها على أهم أسباب وأشكال التعصّب ومنابع اللاتسامح العقدي والسياسي والطائفي والقبلي في المجتمع وقد اعتمد العراق كنموذج للتعدد القومي والديني والمذهبي والطائفي والعرقي. محاولة أو أملا في البحث عن صيغ جديدة وأطر جديدة للتعايش المجتمعي تستوعب تلك التناقضات وهذا التنوع.

إننا اليوم أمام إشكال كيف ننقي هذه القيمة الدينية من الشوائب الثقافية التي فرضتها التراكمات من المواقف الشخصية أحيانا عبر التاريخ من اجتهادات شخصية وحماية لمصالح استبدادية سياسية التي تحولت مع مرور الزمن إلى انساق عقائدية ومعرفية تمارس سلطتها على العقل وتتحكم في سلوكات الأفراد والجماعات.

لابد لنا اليوم من التركيز أساسا على أهمية دور المراجعة وإعادة قراءة تراثنا ومعارفنا لإكتشاف مراكز القوة ومواطن الضعف والحوّز بعيدا عن القراءات الأحادية للنصّ المؤسس والحذر من القراءات التي تنادي بالوسطية ظاهرا والتعصب باطنا والمتجذرة في العقل الفقهي أساسا فهل يمكن للعقل الفقهي أن يكون وسطيا موضوعيا بالشكل السوي للمفهوم؟

"على هذا فإن الوسطية التي يدّعيها بعض فقهاء العصر كالفرضاوي لا صلة لها بمفهوم التسامح والاعتدال المتداول في الحقل الدلالي لأدبيات عصرنا الراهن والحديث فكريا وثقافيا وسياسيا بل هي "وسطية" الوقوف في الوسط بين الاعتدال والتطرف أي النوسان بينهما وفق المصلحة التكتيكية و(الأهواء والمصالح السياسية)، مصلحة

اللحظة الراهنة والموقع فيتخطّر بين الضفتين فإذا كان وضع الحركة الإسلامية لا يسمح باستخدام سيف العنف فإنه يلجأ إلى استخدام سيف التسامح وهو في كلتا الحالتين لا يتجاوز "حدّ مفهوم السيف" فكلاهما غزو في الخطاب الفقهي العنف والتسامح أو الحب والسيف بحسب حسن البناء، فإذا كان الوضع يتطلّب التسامح فإن الأمر في غاية البساطة إذ ما علينا سوى أن ننش في كيس التراث حتى نستحضر ما تيسر لنا من محفوظات مناسبة لحالة التسامح. ففي السنة النبوية يواجهونك مباشرة بذلك الأعرابي الذي بال في المسجد وهمّ به أصحاب النبي ليمنعوه فأمرهم أن لا يقطعوا عليه بولته وأن يصبوا عليه ذنوبا من ماء قائلا: "إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين."

تواجهك هذه الواقعة عشرات المرات في كتب القضاوي (خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ص 143) وآلاف المرات في كتب الفقه (ككلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها وكتابه الإسلام والعنف، نظرات تأصيلية) التي تنقل عن بعضها لبعض حتى يكاد أن يكون هذا الأعرابي أشهر "بوال" في التاريخ.¹، وكأن بهذه الحادثة قد مثلت أفضل أنواع التسامح وأشرفها في التاريخ الإسلامي. أمام هذه المغالطات لا بد لنا اليوم من أن نعي جيداً أن علم الأصول يستدعي الانطلاق من القرآن نحو السنة وليس العكس لتقديم وعي جديد للحقيقة الدينية وللأسس الأخلاقية الإسلامية.

3. أسس التسامح وأثرها في التعايش الإنساني:

التسامح سلم من الدرجات المتنوعة يبدأ من الديني ثم السياسي ليتشكل في مظهر اجتماعي بين الأفراد والمجموعات والأمم التي تحترم حقوق المواطنة وتضمن سيادة القانون والإعتراف بالتعددية المرجعية من أجل إعادة تشكيل قيم التفاضل

1 - عبد الرزاق عيد: سدنة هياكل الوهم/ نقد العقل الفقهي، يوسف القضاوي بين التسامح والارهاب دار الطليعة بيروت الطبعة الأولى، سبتمبر 2005 ص 210.

بينها إن وجد خلل فيها حسبما تقتضيه الحاجة الإنسانية لمبدأ التعايش في الوجود، ولأن الوعي بسياسة العنف التي هي سبيل لخلق اللاتسامح والتعصّب القبلي أو السياسي في المجتمع ليكون العنف كعقل وخطاب وثقافة داخل مجتمع ما.

لهذا قدّم الغرباوي طرحا جديدا للمسألة يقوم على ضرورة التحوّل في مفاهيم القيم وطرح التفكير كبديل للتكفير، بوضع استفهامات ضرورية لتجاوز هذه الأحداث والظواهر التي فتكت بالمجتمعات الإنسانية. هو سؤال كيف نبحث ثقافة العنف؟ تكون بعدة أشكال منها: الولاء للوطن بمعنى الاخلاص الشامل. أما سؤال كيف يعاد تشكيل العقل الإنساني بشكل يرفض فيه العنف فإن جوابه يتطلب الحاجة إلى "منظومة قيمية تحلّ محلّ النسق القيمي القديم السائد". الذي ولّد خطر أن يتحول العنف إلى منهج في تفسير التاريخ وقراءة الأحداث وبذلك يتحوّل إلى عامل ضروري وأساسي في صناعة التاريخ وأسلوبا فريدا في حل الأزمات و تسوية الخلافات. وإنّ واجب المثقف النوعي وعلماء الأمة الأكفاء اليوم أن يولوا وجوههم تجاه البحث عن أصول العلاقات التي تربط الظواهر التاريخية للعنف بالتسامح وتحديد القراءات وتفسيرات لقيم الدين التي تشرع ممارسة العنف ضد الآخر.

لقد كشفت رؤية الغرباوي النقدية حجم المعاناة التي تعيشها مجتمعاتنا العربية. مما استوجب في نظره تقديم قراءة متأنيّة وجذريّة لأسس التسامح السائدة في واقعنا العربي المتورّم .. قراءة مبنية متماسكة الجوانب تقوم على دراسة شاملة لتشكّل قفزة نوعيّة في محاولة منه لإخراج المجتمع العربي الإسلامي من أزمارته ونكباته المتراكمة المتتاليّة. وهذه الموقف ليس بالجديد عليه إذ دعا في بحوثه ولقاءاته الصحفية المنشورة في المواقع والصحف الإلكترونية وبصفة خاصة كتابه الذي تناولته بالشرح والتعليق في بعض مسأله إلى ضرورة فهم الظواهر التاريخيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والأنساق الفكرية المتأزمة ومربكة لإستقرار الأرضيّة العربيّة، كاشفا من خلاله محاولاته لتفسيرها والوقوف على أهم أسبابها وظروف تشكّلها في الواقع والتراث محاولا قدر المستطاع تبين موطن الداء وخلق الترياق المناسب لمعالجتها معالجة شاملة بوسائل ومناهج قانونيّة دستوريّة شرعيّة بالمعنى السياسي لا بالمعنى الفقهي الشرعي وبما يتلائم مع الأعراف الاجتماعية العامة والخاصة، التي لا تتعارض وسماحة قيم الإسلام، لايجاد

حلول لمشكلات حياة الإنسان والمجتمع العربي وانتشاله من سقط الواقع المتأزم الذي يعيشه.

كما دعا أيضا إلى ضرورة الاستفادة من التجارب البشرية المتنوعة عبر التاريخ، وتحري الموضوعية والمصداقية في البحث عن وسائل وأنساق جديدة بديلة ترفع من مستواه السلوكي في مستوى الكم والنوع، وهو ما سيساعد على تطوّر فكره الاجتماعي وتنمي شعوره الديني والمذهبي نحو أفق أشمل وأوسع هو أفق الكونية الأرحب لتزيد من نسب التعايش كأفراد مختلفين في مجتمع ورقة جغرافية واحدة كان التاريخ عاملا في استمرارية تلك الوحدة التي يتوق الإنسان إلى أن تكون أكثر صلابة واصرارا على اعتناقها وكسب ملكيتها. من خلال بلورة حديثة لتلك الأسس الرخوة وإعادة بنائها بانسجام وحذر لتساهم في خلق مجتمع أكثر تناغم وتعايش، يحتقر ماضيه في زواياه المظلمة ويدأوي جراحه بعقاقير ملائمة لأورام زمانه ويللم شتاته بهمة وعقلانية، ليتطلع بثبات نحو مستقبل أفضل وإنهاء موجبات العنف والاقصاء والهيمنة والقوة المباشرة وغير المباشرة. لخلق تصوّر صحيح عن أسباب القرية والبعيدة لظاهرة الاتسامح.

"فما يعيشه العالم العربي من انفجار لهوياته الفرعية وتشظيه بعناوين طائفية ومذهبية وقبلية وجهوية، هو نتاج طبيعي لبعض الخيارات السياسية والاجتماعية التي سادت في العالم العربي، وعملت عبر وسائل قهرية لتغيب حقيقة التعددية الموجودة في المنطقة العربية..."¹. "فالذي يفجر الكنائس في العراق أو مصر أو أي بلد عربي آخر، ليس هو الأجنبي، وإنما هو التيار العنفي - التكفيري الذي بدأ بالبروز في العالم العربي" وإن اختلفت حقيقة الأيدي التي تقف وراءه وتحركه نحو أهدافها العدوانية المرضية.² رغم أنّ البحث في الأسس الأولى للمناهج الثقافية والدينية التي خلقت هذه الظاهرة "المهجينة" وأقول هجينة لأنها لا ترتبط بأسس دينية عقيدية صحيحة بل

1 - محمد محفوظ: التحليل الثقافي لظاهرة العنف الديني مركز أفاق للدراسات والبحوث حرر في 2015/12/5

2 - المصدر نفسه، التحليل الثقافي لظاهرة العنف الديني.

هي وليدة تفسيرات وتحليلات دينية تاريخية تسائر السياسات التي كفلت مشروعيتها التي عملت في مشروعها على تغييب واقضاء ثنائية: "نحن وهم"

حقيقة لا مناص منها أنّ واقع المجتمعات العربية اليوم لا زال مفتقرا إلى المعرفة الدقيقة والواقعية لمصطلح أو مفردة التسامح رغم أنّها دُشّنت في مطلع هذا القرن في السجال الذي حصل بين فرح أنطون ومحمد عبده، في المعارك الفكرية والسياسية التي تطالب اليوم وأكثر من أي وقت مضى بفتح باب الاجتهاد، في مجال دراسة الموروث الديني والثقافي، فهل نستطيع القول اليوم إنّ هذه المعركة التي لا بد منها لم تعد قابلة للتأجيل أو التأخير أو محاولات الطمس والتغييب على العقل العربي؟ مع أنّ معطيات متعددة في الواقع العربي الراهن تقتضي ممّا بلورة اجتهادات جديدة تمكّننا من إعادة استثمار الدلالة الجامدة والسطحية السابقة بدلالة رمزية ومفتوحة للمفهوم؟

لكن يبقى السؤال الأهم: هل يوجد في عالمنا تسامح لننظّم له ملتقانا الفكري أم أنّ غيابة اليوم يدعونا لتنظيم ندوات علمية للتذكير بجوهر مبادئه في بعض السطور المكتوبة لتلقى في ندواتنا ومؤتمراتنا وملتقياتنا وتنسى أو تنتهي بانتهائها أم أنّ الوعي بخطورة الوضع العالمي اليوم تحتم علينا ضرورة مراجعة ذواتنا ومعاملاتنا تجاه أنفسنا وتجاه الآخر في نطاق مبادئنا الصحيحة التي وضعها لنا الإسلام الأول وأقصد بمصطلح الإسلام الأول الإسلام الذي دعا إليه سيد الخلق سيدنا محمد صلّ الله عليه وسلّم وليس إسلام التأويلات والقراءات الذي تعيشه بعض الفئات المتطرفة دينيا في العراق وسوريا وليبيا والتي أحدثت في الأرض فسادا عميقا نسأل الله السلامة من شرّ ما يحدثون.

التسامح ومنابع اللاتسامح، الضد النوعي للاستبداد، تحديات العنف، وغيرها، بحوث جلها إنبثقت ضمن مشروع وهدف أعمق وأبعد هناك تخطيط واضح في الأفق تلحقه محاولات للتأسيس، هناك هدف أكبر وأسمى من المفكر العراقي ماجد الغرباوي وسعي حثيث ولمموس لمشروع ثقافي حضاريّ مؤسس. أي أن هناك شيئا لا يستطيع القارئ معرفة ماهيته تحديداً، أكثر من كونه حتى يأخذ مكانه التربوي في الساحة الاجتماعية والوطنية ودوره الطبيعي في مجالس العلم وساحات الفكر والمعرفة

ليساهم من قريب أو بعيد إن قليلا أو كثيرا في خلق تطوّر ثقافي جديد جميع المجالات الوطنية والسياسية والاجتماعية والدينية.

كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح

إنّ أفكار كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، لماجد الغرباوي، كما هو واضح من موضوعه تحمل مضامين إصلاحية، وتعكس وجهة نظر نقدية ورؤية إستشرافية مستقبلية للعالم العربي في حاضره ومستقبله وما ينطوي بينهما من أحداث سياسية ودينية وثقافية. إنّ مشروع الغرباوي الإصلاحية هو معالجة عملية فكرية للمشاكل التي تحيط بالمجتمع العراقي كأنموذج والمجتمع العربي بشكل عام. مشروع يؤسس لثقافة:

- العيش داخل مجتمع تعددي

- الموازنة بين القيم الدينية والقيم الإنسانية

- نقد التراث الإجهادي وخلق بديل مع المحافظة على الجوانب العقلية القوية منه والتي لا تتعارض وروح العصر ومتطلبات الإنسان اليوم الخميني الشيعي والإخواني السني.

- نقد العقل الإسلامي الإجهادي الذي يكرر ذاته لسنوات والذي أفرغ النصّ القرآني من أبعاده الدينية وتوجيهه الوجهة الفقهية التقنية منذ عصر الشافعي إلى اليوم العقل الإجهادي يكرر نفسه.

- إخراج الإنسان المسلم من فهم ماضوي ضيق للإسلام، فهم قد غدا عالة عليهم لم يعد قادرا على الإستجابة لروح العصر والحداثة وهذا ما خلق الصراع بيننا وبين العالم

- التفرقة الواعية بين الدين وبين الفهم الذي نشكله عنه

- الخروج من المنظور المذهبي الضيق الذي يدعي كل منها اكتساب الحقيقة وما تنجر عنه من تبعات تكفيرية واقصائية كردّ فعل مضاد لحماية لتلك القشور التي

شوهت مقاصد الدين العالميّة من تسامح وكونيّة وتعايش ومحبة ورحمة وعفو عند المقدرة والصفح والغفران... عبر التاريخ. فالقرآن يحتوي آيات غاية في التسامح والمحبة والانفتاح على الآخر ولكن التفسيرات التاريخيّة المسيّسة والخاضعة للظروف هي التي جعلت منه متقلبا بين الانفتاح والانغلاق حسب ما تقتضيه الحاجة التاريخيّة والمصالح السياسيّة.

- كسر قيد الوضع القاهر الذي يتحكم فينا وفي مجتمعاتنا العربيّة "إن لم تكن معي وتنضوي تحت منظومتي الفكرية فأنت ضدي واجب وحق شرعي تصفيتك الجسديّة."

لكن يبقى السؤال المتكررة في ذهنيّة كل مفكر أو مصلح أو فرد واع بالواقع اليوم هو ما مدى مشروعية البحث عن أرضيّة للتسامح في التأويل النّصي؟ ما مدى وعينا بهذا المفهوم؟ أليس من الضروري إعادة ابتكار لمفهوم التسامح وقولبته وفق متطلبات العصر المتجددة؟

"هناك فارق كبير بين قبول الآخر والاعتراف به فالحالة الأولى يفرضها الواقع والمصالح المشتركة بينما الحالة الثانية تعبّر عن وعي لا تخالطه نوازع التعالي الناشئ عن عقيدة التفوّق العنصري أو الاجتماعي أو الديني أو المذهبي أو الثقافي. ولا تلامسه مشاعر الفوقية والتفوّق. ولا تنطلي عليه أوهام صحة ونهاية وجزمية الأفكار والمعتقدات في مقابل خطأ الآخر مطلقا. كما لا تخالجه التفرد بالدين"¹. والتأصيل لإطار وطني يستوعب التعدد القومي العربي والأصولي الديني وشيوعيّة واشتراكية عربيّة وطوائفية وشعبوية داخل شرعيته. والتأسيس للتسامح أخلاقيا ولغويا، دينيا ومدنيا.

لأن "التسامح نسق قيمى تتوقف فاعليته على وجود أرضية صالحة وأجواء سليمة تساعد على تفاعل قيمه لذا يشترط أولا ايقاف نزيف الكراهية والحقد وقطع مصادر العنف والاحتراب وتخفيف منابع اللاتسامح والارهاب والحيلولة دون تدفقها

1 ماجد الغرابوي: التسامح ومنابع اللاتسامح، مصدر سابق، ص 70.

لا على مستوى الممارسة فقط وإنما اجتثاثها كثقافة وعقل ومنهج"¹. "فالأحقاب طويلة من الزمن وقع تجاهل الكلمة، وقع تجاوزها أو على الأصح اكتفى بمجرد النظر إليها على أنها من نافل القول ... كما أن الكلمة لم تكن تعبر في الحقيقة عن شيء محسوس. بقي التسامح طوال قرون متتالية مجرد فكرة مجرد فرضية ضمنية تتحدث عن طبيعة الحياة عامة والعلاقات البشرية وقد كان مصير التسامح في الفكر الديني (الذي يجب تمييزه عن الدين) مصيرا متناقضا.

فالتصوّر الإنساني المتعلق بالدين قد أنتج مدارس ومذاهب كانت سببا في إثراء هذا الفكر ولكنها كانت سببا في فتن مزّقت أوصال المجتمعات التي تدين بالديانات السماوية على وجه الخصوص"². لذلك لا بد من التأكيد ضرورة قصوى على أهمية الثقافة النقدية في "النفوذ إلى أعماق اللاوعي لتفكيك البنى المعرفية القديمة وتأهيلها لاستقبال نمط فكري وثقافي جديد يعمل في إطار قيم التسامح. ويجب ان يطال الخطاب النقدي جميع المستويات وينفذ إلى كل الحقول. ولا يتوقف عند مساحة دون أخرى. فيبدأ بالفرد والأسرة لينتهي بأعلى سلطة فكرية واجتماعية مروراً بقيم النظم القبليّة والحزبيّة والدينية والنقائبة والسياسية"³.

بتفكيك سلسلة قيما ومفاهيمها القديمة والتحرر من ربكة نخطها الاستبدادي من خلال نقد الخطاب الديني (هنا يجب أن نفهم الفرق بين النص والخطاب الديني)⁴

1 - المصدر نفسه، ص 69.

2 - دراسات في التسامح: ناجي البكوش، التسامح عماد حقوق الإنسان المعهد العربي لحقوق الانسان والمجمع التونسي بيت الحكمة - نشرات الشمال - تونس 1995 ص 9-10.

3 - المصدر نفسه، ص 70.

4 - النصّ الديني والخطاب الديني: النصّ هو كل ما ثبت وروده عن الله سبحانه وتعالى وعن رسوله صلّ الله عليه وسلم، وهو فوق المحاسبة أو الإتهام، ويعتبر أصلا لا يمكن المساس به، فهو نص مقدس معجز صالح لكل زمان ومكان، مرتبط بالوحي، يأتي في مقدمة الأدلة الشرعية والحجج الدينية التي لا يمكن دحضها والمنزهة عن كل تحريف وشبهة. لهذا يشكل النص الديني الشكل الثابت الذي يمثل أساس الدين وكنهه سواء كان متعلقا بالعقائد أو بالعبادات أو بالمعاملات أو بالأخلاق. أما الخطاب

عند سيد قطب في قوله إن هذا الخطاب الديني لا يؤسس ولا يساعد على وجود مجتمع متسامح، بل العكس سينتج حركات إسلامية متطرفة تستبيح قتل المسلمين قبل غيرهم¹ وهذا ما يشهده عالمنا العربي اليوم من قبل الجماعات المتطرفة. لذلك لابد من تفكيك الخطاب الذي تتبناه هذه الجماعات وتحديد المرجعيات التي تمت وفقها هذه القراءات وبيان تهافتها ونقاط ضعفها لتفادي تنامي هذه القراءات ويتفاهم هذا الفهم ويتجذر داخل الفكر الديني إلى درجة يصبح فيها الفكر الآخر المضاد فكراً منحرفاً وكافراً من وجهة نظره ومن زوايا فهمه وقراءاته وتفاصيله. فكيف يمكن حينها أن نتعاش مع الأفكار والأديان والعقائد المختلفة من حولنا؟

إن قضية الفكر ليست قضية الذات بل هي قضية نتاجها المعنوي تماماً كما هو النتاج المادي فنحن نرفض النتاج في عناصره ونحترم المنتج في إنسانيته بمعنى لو أسقطنا الفكر لا نسقط صاحبه بل نحترمه كذات إنسانية نشترك معها في هذه الخاصية الإنسانية. إذ " ليس هناك صحيح مطلق وخطأ مطلق وإنما الفكر أياً كان انتماءه انتاج بشري واجتهاد شخصي قد يصيب وقد يخطأ يتأثر بالظروف الزمانية والمكانية

الديني هو الخطاب الذي ينطلق من الرؤية الدينية مرجعاً، فهو ما يستبطنه ويفهمه ويفسره الفقهاء والعلماء من النص الديني أو مصادر الاجتهاد. وهو الواسطة بين الناس وبين القرآن والسنة والتي توضح الإسلام وما فيه من أحكام، فهو طريقة ومنهج في التفكير والتصوير وفي التعبير عن الأفكار والتصورات. وما يميز الخطاب الديني هو معيار الثابت والمتغير ويحكم هذا التمايز كيفية فهمه واعتباره سواء من قبل منتج الخطاب أم من لدن متلقيه، ذلك أنه لا يكتسب من موضوعه -الدين- قداسته وإطلاقه. لا بد من التمييز والفصل بين الدين والفكر الديني، فالدين هو مجموعة النصوص المقدسة الغالبة تاريخياً، في حين أن الفكر الديني هو الاجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها واستخراج دلالتها. ومن الطبيعي أن تختلف الاجتهادات من عصر إلى عصر، بل ومن الطبيعي أيضاً أن تختلف من بيئة-واقع اجتماعي تاريخي جغرافي عرقي محدد- إلى بيئة في إطار بعينه، وأن تعدد الاجتهادات بنفس القدر من مفكر إلى مفكر داخل البيئة المعنية. أنظر مقال بعنوان "تجديد الخطاب الديني: الاجتهاد نموذجاً" للبرامى - مولاي مروان العلوي - فؤاد عاقل - مركز أفاق للدراسات والبحوث حرر في: 2015/08/31

1 - الغرابوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح، مصدر سابق، 74.

وتؤثر فيه القبلية المعرفية والأنماط الثقافية والاحداث السياسية والصراعات الطائفية والمستوى العلمي وأفاق الوعي السياسي والاجتماعي والديني"¹.

كما أكد على أهمية الدور الذي تلعبه الأسس المنهجية في ثقافة الحوار مع الآخر في مسائل منها الفرق بين الهداية الإنسانية والهداية الإلهية التي "عمل الأنبياء على تجديده وتعميقه في النفوس المؤمنة" كما أكد أيضا على دور القانون الذي يكمن دوره في فاعليته الكبرى في حسم النزاعات وإعادة الأمور إلى نصابها الأول وقمع الفقاعات الطائفية والمذهبية أو العنصرية أو الدينية في مهدها وحماية الصيغ التوافقية بين المواطني الشعب الواحد.

تخطيط الثوابت الغائرة والمتخفية في اللاشعور خاصة في مفهوم الهداية رغم الحوار الذي لم يتجاوز في نظره داخل الذهنية العربية الإسلامية منطق التكفير والإكراه خاصة اذا ارتبطت بالآخر الخارج عن المنظومة العقائدية لأننا المؤمنة لذلك لا بد للغرباوي هنا من تقديم البديل عن هذه الرؤية باعطاء مفهوم جديد لهذا المصطلح في قوله: " الهداية هبة ربانية لا يمنحها إلا لمن يستحقها. وموضوعها العقيدة الإلهية وليست الشريعة وأحكامها، والعقيدة قناعة ذاتية لا تخضع لوسائل العنف والإكراه. وتحديد الهداية وضدها النوعي الذي هو الضلال مرتبط بالله تعالى ولا تتحدد بالسلوك الخارجي. فرما شخص يمارس الشعائر تحت ضغط الواقع... فالحوار معه على أساس هدايته باعتباره ضالا أمرا غير مبرر ولا مستساغ. وإنما يجب الحوار معه على أساس المثاقفة والتكامل باعتباره يمتلك رؤية وفكرا وثقافة وأدلة على أساسها اكتملت قناعته"².

هي " إرادة لا تعترف سوى بتبعية الذات وامثالها القسري والإكراهي لنموذج النسق الثقافي الذي يرهن أفق الإنسان ضمن منظور اختزالي لا يرده إلى ماهيته

1 - المصدر نفسه، ص 100.

2 - المصدر نفسه، ص 109 - 110.

الجمهورية التي تؤسسها الحرية، وإنما إلى أصول ميتافيزيقية وأسس ثقافية شكلها الإنسان ذاته عبر تاريخه"¹.

كما أكدّ على ضرورة الفهم لصحيح لموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو موضوع قيمي أخلاقي بالأساس وليس عقدي ديني. لأنّ مأزقنا اليوم المعاصر حسب رؤية الغرباوي النقدية للواقع المعاصر تتلخص في أن العقل العربي الإسلامي لا زال يكرّر ذاته باستمرار عود على بد من الألف إلى الياء وهذا ما قاله أيضا طه عبد الرحمان وأكد عليه في أنّ العالم العربي الإسلامي، لا وجود لإمكانات البناء والتجديد عنده بل يستنسخ ما قاله السلف.

قواعدهم وعباراتهم ومصطلحاتهم وآراءهم هي ذاتها لا تبديل ولا تحويل، وإن وجدت بعض المحاولات الخجولة التي لا تخرج عن منظومة النسخ على ذات المنوال إلا في حدود بيان بعض القواعد وشروحات لبعض العبارات، إن لم تكن شرح على شرح، وبعض الحواشي أو تعليقات عليها، ومحاولات توضيح المراد منها واستخلاص المضمون. وكأن الأول لم يترك للآخر شيئا وأضحى تفكيرنا مقيدا لا يخرج على المستوى الذي فكروا فيه.

لا يسمح لنا بصياغة قواعد بديلة لتفكيرنا الديني نابعة من خضم مشكلات واشكاليات عصرنا ورهائاته، وتقدم العلوم والمعارف المستجدة في عصرنا. ينبغي علينا اليوم أن لا نفتقر للحسّ النقد التاريخي والتدقيق في دراسة موروثنا من الخطاب الديني كنصّ قابل للنقد وتجديد بنيانه الذي أصبح اليوم عاجزا عن الوفاء بمتطلبات روح العصر وحاجات العقل الإسلامي اليوم. فضلا عن ضرورة أن نتعرف على آفاق الحاضر، ونستبصر أو نستشرف متطلبات مستقبلنا.

لقد شدد الغرباوي على ضرورة الخروج عن المناهج التقليدية في الاجتهاد والتفكير وأهمية بعث أسس وأدوات نظر معاصرة عقلية نقدية للموروث الخطابي الديني، وتحطّي تلك النظرة التقليدية التي حرمت لقرون طويلة المساس بحزمة وقدسيتها

1 - عبد العزيز بو مسهولي: مبادئ فلسفة التعايش، أفريقيا الشرق - المغرب 2013 ص 66

الخطاب الديني على وصفه "نساقاً مقدساً وعميقاً" وحداً نهائياً، قادر على انتاج الأسئلة والأجوبة لكل زمان ومكان. خطابات في نظره قد ساهمت في تعطيل العقل العربي الإسلامي، عود على بدء بدايتها نهاية ونهايتها نقطة. كتاب أراد صاحبه من خلاله أن يتخطى ما هو مكرر في الكتابات الإسلامية المماثلة (حسن البناء، يوسف القرضاوي، محمد عبده...) وغيرهم إن من حيث عنوانه، أو مضامينه، أو عناوين مباحثه (الاستبداد العربي، الجهاد والاجتهاد في الإسلام، مشروع تحرير المرأة) وجرأة محتواه وأهدافه في الكشف عن حدود حقول فاعليات الدين وآثاره الإيجابية البناءة. مقدماً بذلك مشروعه الاصلاحى الجديد من صلب التجربة العراقية المتنوعة والمتمثل في جملة من التنبيهات والمحاولات الاصلاحية أهمها:

- صيانة قيم العدالة والمساواة في مجتمعاتنا العربيّة وتجرى الممارسات التي تفرق بين أفراد المجتمع الواحد جغرافياً أو تاريخياً أو دينياً أو ثقافياً.
- محاصرة كل أنواع الخطابات وأشكال الممارسات المتطرفة.
- ضرورة الوعي الحضاري للتاريخ وأحداثه وتطوراتها الذي يؤهلنا لاستيعاب النقاط الإيجابية من تاريخنا.
- حاجة المسلم اليوم إلى رؤية دينية تؤهله للعيش وفق قواعد التزاماته الدينية المتوافقة مع مستجدات زمانه وتطوراتها المتلاحقة.
- ضبط سلوك الإنسان والعمل على تهذيبه والإعلاء من شأن الاعتبار الدينية والأخلاقية التي تسيّره.
- محاولة استئصال القيم الجامدة واستبدالها بقيم جديدة والترويج لقيم المحبة والسلام والتسامح بين الأنا والآخر.
- تقديم رؤية للظواهر ضمن إطارها التاريخي وأنساقها المعرفية والثقافية التي تأسست في خضمها.
- تقديم اجراءات من الواقع بعيدا عن التنظير والمثل.

- تفكيك مصادر الخطاب والإشارة إلى الوجدان المتورم وإلى العاطفة الوجدانية الجارفة التي حولت العقل الديني إلى عقل أزمة أو عقل مونولوج وتيار شعور ساهم في تحوُّله إلى خطاب حركي خطير.

- تقديم فهمٍ جديدًا للحياة، للفرد وللشعب والوطن بعيدا عن العصبية القبلية.

- الدعوة إلى ضرورة سدّ الثغرة الراهنة في المجتمع عن طريق الإصلاح والتغيير الخطاب الديني القديم في بعض جوانبه وتكييفه بما ينسجم مع تحديات العصر بفهم جديد ليس هو التغريب وليس هو التأويل المخل الذي يصطدم مع النصوص الشرعية الصريحة والذي يجعل منها ذات دورا ثانويا أمام متطلبات العصر ووقائعه وحاجاته وإنما هو التجديد الذي يعود بنا إلى النصّ الأصليّ و إلى الأصول الإسلامية الأولى الصحيحة. فالمجتمع المسلم مأمور بتجديد إيمانه من كل ما علق به من أسباب الضعف والبلى والخضوع والانحراف.

- صدّ كل أشكال العنف السائدة في المجتمع بالتسامح لأن أرضية التسامح هي معارك حرية التفكير والتعبير والعقيدة الدينية.

الإعتراف بالآخر الذي هو أصل التسامح وجوهره.

- لا بد من تحديد التمايز الحاصل بين الدين بصفته مصدرا والخطاب الديني بصفته تمظهرًا.

- تحديد مفهوم التجديد وآلياته، كالاجتهد ودوره في التجديد.

- تحديث الخطاب الديني وتحديدده بما يتناسب ومعطيات الحضارة المعاصرة

- تخطي الحلول الجاهزة التي ارتضاها المسلمون نتيجة ظروف ومعطيات تاريخية وحضارية وسياسية قد تجاوزها الزمن والركب الحضاري المعاصر

- التنبيه إلى ضرورة عودة المسلم إلى القرآن ليستمد منه القواعد الصحيحة للسلوك السوي في جميع مجالات الحياة.

- ضرورة التنبه والوعي التام بالحقائق الأساسية ذات الأولوية في حياتنا كمسلمين من حقوق المواطنة وسيادة القانون وتعدد المرجعيات ومراجعة الأنساق التي تحكمنا وتسيطر على تركيباتنا الذهنية في التفكير

- الوعي بأن الحلول في هذا الميدان لا تكون إلا في نطاق الواقعية والممارسة الحرّة بعيدا عن التنظير والمثالية لأن هذا الوعي الثقافي لا يمكن أن يلامس الواقع إلا في إطار تلاقح الأفكار وخلق فضاءات أرحب للحوار بعيدا عن منطق الهدي والارشاد الذي تمتعنه بعض الجماعات والجمعيات.

خاتمة

وفق منظور ماجد الغرباوي تتأسس ايتيقا الأنا من خلال اللقاء المتكامل بالآخر وبهذا المعنى فهو تعبير عن تجل لوجود خاص من أجل وجود عام، لا يكتسب تحديداته الجوهرية الخاص، التي يصبح عبرها نوعا، لا امتدادا إلا في علاقته بالآخر، الذي يكون وجوده سابقا وكائنا على وجود أية ذاتية، فالأنا الذاتي لا يتحدد إلا إذا كان هناك آخر ذاتي يسبقها في الزمن داخل زمانية التفاعل الإنساني، هذا الذي يضمن شرط انفتاح الذاتية على الغيرية ويجعل أفق الكونية ممكن موافقة وتوافقا عبر سمة التسامح مع الآخر¹. [19] فأخلاق التسامح والتفاعلية هي مبدأ اعلاء من قيمة الحياة والإبداع التي تقوم على الإلتحام بالوجود والآخر " واحترام خياراته وأسلوبه في اغناء تجربة الحياة المشتركة، وكل حياة مشتركة خلاقة"². رغم يقيننا بأن التسامح لا بد وأن يحمل قسطا من الشرّ معنى ذلك أنّ التسامح لا يمكن أن يكون قيمة مطلقة، أي أنّه مكره بفعل مشيئة كل فرد على الفعل وفق القواعد الكونية والإنسانية والأخلاقية والقانونية والأعراف الإجتماعية والقبلية المترسّخة في ذهنية الفرد من

1 - انظر كتاب مبادئ فلسفة التعايش، لعبد العزيز بو مسهولي ص 188

2 - المصدر نفسه، ص 190.

الناحيتين النظرية والعملية. لكن مطلب الحياة يبقى غاية الإنسان الحقّ والمؤمن بأن الله وحده هو الذي يستحق أن يحيا الإنسان ويموت في سبيله وهذا لا يتحقق إلا في صلب مجتمع مثالي يتعايش فيه وبسماحة كل إنسان مسلم مؤمن وأناس غير مسلمين، وهذا المجتمع لا يكون غير المجتمع الإسلامي الحق الذي يقبل ان يكون بين أفرادة يهودا ومسيحيين وفئات لا تؤمن بنبي ولا كتاب. أليس هذا هو الوجه المثالي للتسامح الحق؟

لقد رفض الغرباوي في كتابه التسامح على أساس المنّة والتفضل ودعا الى قيام التسامح على أساس مشاركة الآخر لنا بالحقيقة، ولو بجزئها، وحينئذ لا توجد منه ولا يوجد تفضل، بل هو شريك حقيقي لنا.

قائمة المصادر والمراجع

I. قائمة المصادر:

- القرآن الكريم
- ماجد الغرباوي التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2008

II. قائمة المراجع:

- جون لوك: رسالة في التسامح: ترجمة منّة ابو سنّة، تقديم ومراجعة مراد وهبّـه المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة- 1997
- عبد العزيز بو مسهولي: مبادئ فلسفة التعايش، أفريقيا الشرق - المغرب 2013
- عبد الرزاق عيد: سدنة هياكل الوهم/ نقد العقل الفقهي، يوسف القرضاوي بين التسامح والارهاب دار الطليعة بيروت، رابطة العقلايين العرب، الطبعة الأولى، سبتمبر 2005
- محمد أحمد حسونة بك ومحمد خليفة التونسي التسامح في الإسلام: الأسس النفسية والاجتماعية في الإسلام مطابع دار الكتاب العربي بمصر محمد حلمي المنياوي
- ناجي البكوش: دراسات في التسامح، التسامح عماد حقوق الإنسان المعهد العربي لحقوق الإنسان والمجمع التونسي بيت الحكمة - نشریات الشمال - تونس 1995
- يوسف القرضاوي: كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، دار الشروق- القاهرة الطبعة الثالثة سنة 2008

- الإسلام والعنف نظرات تأصيلية دار الشروق- القاهرة 2010

III. قائمة المقالات الإلكترونية:

- محمد محفوظ: التحليل الثقافي لظاهرة العنف الديني مركز أفاق للدراسات والبحوث حرر في 2015/12/5

- لبنى الرامي - مولاي مروان العلوي - فؤاد عاقل: تحديد الخطاب الديني: الاجتهاد نموذجاً"- مركز أفاق للدراسات والبحوث حرر في: 2015/08/31

- موقع منظمة اليونسكو www.unesco.org

التسامح وفرص التعايش بين الأديان والثقافات

دراسة في فكر ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة خولة خمري¹

والأستاذ عباس أعومري²

مقدمة: إنّ الحديث عن فرص التسامح والتعايش بين الأديان والثقافات³ والسعي إلى بعث قيم التسامح من جديد من بين المواضيع التي تشغل الساحة الثقافية العربية والإسلامية بشكل كبير خاصّة في أيامنا هذه، بعد ما يسمى بثورات الربيع العربي، فقد أصبح هذا الموضوع رأياً عاماً خاصّة في ظل تصاعد وتيرة الحروب الثقافية وتفشي ظاهرة الخطابات التكفيرية التي أصبحت هاجساً خاصّة للدول الضعيفة، وهذا ما أدى بالدول العربية والإسلامية إلى تكثيف الجهود أكثر سعيًا للحفاظ على الهوية الإسلامية وترسيخ قيم الفكر الوسطي وقبول الآخر بإقامة ملتقيات وعقد ندوات للبحث والتخاير في سبل إمطة اللّثام عن المخبوء في علاقته بالقوى العالمية الامبريالية التي تحاول إلصاق التهم بهويتنا الإسلامية، فالتحول

1 - الأستاذة خولة خمري - الجزائر، تخصص تحليل الخطاب ومناهج النقد. مركز الوفاق الإنمائي

للدراستات والبحوث والتدريب - ماليزيا

2 - الأستاذ عباس أعومري - الجزائر - باحث أكاديمي

3 - ورقة مشاركة في المؤتمر العلمي التاسع للنهوض بالبحث العلمي خطوة أساسية في بناء العراق الموحد. تحت شعار: "النهوض بالبحث العلمي خطوة أساسية في بناء العراق الموحد" ... 2-3 شعبان 1439 هـ 17-18 نيسان 2018م، كلية المعارف الجامعة، كلية أهلية عراقية، بعنوان: (التسامح وفرص التعايش بين الأديان والثقافات بين الواقع والمأمول.. دراسة نقدية في فكر ماجد الغرباوي).

الاستعماري اليوم أخذ سبلاً جديدة ووسائل عديدة مختلفة عن تلك التي عهدناها مع الاستعمار التقليدي المباشر.

لقد تغيّر السباق من مضمار التسليح إلى مضمار السيطرة الثقافية، لتصبح الثقافة السائدة هي الثقافة الغالبة، والثقافة التابعة هي الثقافة المستتلبة من طرف الثقافة الغالبة، وهو حال ما نراه اليوم من تلك العولمة الفكرية والاستلاب الثقافي لبنية الهوية الإسلامية التي تشهد غزوًا رهيبًا لمقوماتها من طرف الثقافة الغربية التي تحاول ربط الفكر التكفيري بتاريخنا، بطرق وأساليب متعددة ومتنوعة خاصة مع تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة الأمر الذي زاد من وتيرة هذا الغزو المنظم في نظامنا الاجتماعي والسياسي ناهيك عن نسقنا الثقافي الفكري المبثوث في نصوصنا التراثية، خاصة في ظل التحول العالمي إلى نظام القطب الواحد وبالتالي الثقافة الواحدة إثر بروز معالم النظام الدولي الجديد بداية من تسعينيات القرن الماضي.

من خلال ما سبق سنُحاولُ في هذه الورقة البحثية اِماطة اللثام عن ما قدمه المفكر العراقي ماجد الغرباوي في هذا الاطار باعتباره مثقفًا تنويريًا درس التراث بطريقة جديدة، من أجل تحرير العقل الاسلامي من قيد التراث. وعمل على ارساء قيم التسامح والحرية وقبول الآخر. هذه الخطابات التي يفتقدها عصرنا اليوم خاصة ونحن في زمن الحروب الثقافية وسطوة المركزية الغربية الساعية بقوة إلى الفتك بتراث وتاريخ الهوية العربية والإسلامية وذلك من خلال أليات العولمة الثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها، والتي باتت تفرض علينا فرضًا في اطار الحوار الحضاري وعمليات التثاقف والاستيراد القسري لتلك الانظمة الفكرية التي لا تمت بأي صلة لهويتنا الحضارية والثقافية فضلًا عن الدينية، وهو ما أحدث ردة فعل عنيفة تمثلت في تفشي الخطابات التكفيرية والغلو والتطرف. وهنا نسعى لبيان بعض الحلول التي قدمها ماجد الغرباوي والتي نرجو من خلالها بث روح التسامح ونشر الخطاب الفكري الوسطي الإسلامي الصحيح.

نحو طرح اشكاليات التعايش بين الأديان والثقافات

يُعتبر الحديث عن التعايش بين الأديان والثقافات أحد أبرز الاشكاليات التي باتت تطرح نفسها اليوم، خاصة وأن عصرنا أصبح يتخبط في نوع من التيه الكبير بسبب عدول الإنسان عن التمسك بالبوصلية الربانية، فضلا عن علو صوت الخطابات التكفيرية المنتشرة هنا وهناك وهو ما زاد من حدة الصراع بين الثقافات والأديان، هذا الموضوع الذي أصبح يؤرق الحكومات ويقض مضاجع السياسيين فضلا عن المفكرين المشتغلين بهذا الميدان لعل على رأسهم المفكر العراقي ماجد الغرباوي، فأمام موجة الاختراقات الفكرية من خلال نظريات عنصرية تروج للعنف وتعمل على تفكيك أواصر قيم التعايش والتسامح تطرح العديد من الأسئلة كيف لنا أن نرسي قواعد التسامح والتعايش في عالم يسوده الكره والحقد؟ وما السبل والأدوات الكفيلة للتصدي للسياسات الغربية التي تتعامل بها مع الدول العربية والإسلامية والتي تسببت في ظهور موجة العنف والغلو؟ وهل يمكن الحديث عن نوع من التوافق الحضاري والديني في كنف التعددية الثقافية والإنسانية؟.

جميع هذه الأسئلة المثيرة تطرح نفسها بقوة في فكر ماجد الغرباوي الذي عمل وبشدة على فك شفراتها وإيجاد الحلول المناسبة لها لتحقيق قيم التسامح والتعايش بين الأديان والثقافات.

الآخر في التراث ودوره في النهضة المنشودة

هل كان لتواجد الآخر في تراثنا العربي الإسلامي دور في النهضة وبأي صورة كان وجد هذا الآخر؟ وما الضوابط والمنطق الذي حكم تواجده؟. سؤال نستهل به سير بحر آراء ماجد الغرباوي وحديثه عن التراث ومكان الآخر فيه وفرص التعايش التي حضى بها وكيف كان دوره في بناء نسيج الحضارة العربية الإسلامية، وهو ما يطرح أسئلة عميقة عن حقيقة تواجد الآخر في تراثنا العربي الإسلامي ودوره في النهضة المنشودة.

يعتبر مفهوم النهضة والفعالية الحضارية عموماً وسبيل قيامها أحد أبرز الموضوعات التي اشتغل عليها كبار مفكرينا بالوطن العربي والإسلامي ومنهم الغرباوي. فهذا المفهوم من المفاهيم الجدلية التي تستعصي على الباحث لتداخله مع العديد من العلوم خاصة علم الاجتماع وتطرح العديد من الإشكاليات المتداخلة التي يتخبط فيها عالمنا العربي والإسلامي الذي يزرع تحت وطأة الفصل بين الحياة الاجتماعية وتوجيهات الدين وهو ما أكدته ماجد في ارجاعه أن السبب الحقيقي يعود إلى "قطع خيوط التواصل بين العقيدة والحياة الاجتماعية. فعقيدة التوحيد التي كان يعيشها الانسان المؤمن في بدايات البعثة الشريفة ممارسة حياتية يومية تطبع سلوكه واخلاقه، صارت تدور في مدارات عقلية بعيدة عن هموم الحياة ومتطلباتها"¹.

أمام هذا الخطاب نتبين مدى الأهمية الكبيرة لأثر العقيدة في تنظيم سير حياة المسلم فما إن تمنا عن الطريق تاهت حضارتنا وأصبحت تحكمها الشهوات وابتعدنا عن روح الإسلام السمح الذي يحث على بعث روح التعايش ونبذ العنف، وهو ما جعل غياب الأفكار الداعية للتجديد والتسامح تغيب بشكل كبير لتحل محلها خطابات الغلو والتطرف وبالتالي فقدان روح الانبعاث النهضوي.

يعرف المفكر الجزائري مالك بن نبي الحضارة بقوله: "إن حضارة ما، ما هي إلا نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ، ويبنى هذا المجتمع نظامه الفكري طبقاً للنموذج الأصلي لحضارته، إنه يتجذر في محيط ثقافي أصلي، يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى"². وبتتبعنا لهذا القول المقتضب للحضارة يتبين لنا المرتكزات الأولية لبناء الحضارة من شروط روحية وأخرى مادية تحقيقاً لتلك الفعالية المنشودة "مجموع منسجم من الأشياء والأفكار، بصلاتها ومنافعها وألقابها الخاصة وأماكنها المحددة،

1 - ماجد الغرباوي: إشكاليات التجديد - سلسلة قضايا إسلامية معاصرة-، دار الهادي للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ، 2001م، بيروت، لبنان، ص 37.

2 - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، سوريا، ط9، ص 4 .

ومجموع كهذا لا يمكن أن يتصور على أنه مجرد تكديس، بل كبناء وهندسة، أي تحقيق فكرة مثل أعلى¹.

تجديد الخطاب الديني وفرص بعث التعايش من جديد

لطالما أكد ماجد الغرباوي على ضرورة تجديد الخطاب الديني الإسلامي فهكذا بوسعنا حسب ما ذكره أن نقيم نوعاً من الحركة الحضارية نحو تجديد بعث الخطاب الديني من جديد لتشمل النهضة جميع المجالات من فكر واقتصاد وسياسة وغيرها من المجالات، ليكون للفرد المسلم الدور الأبرز في هذا الحراك مستغلاً الوسائل الضرورية لتفعيل حركة التاريخ وهندسة دورة الحضارة القائمة على التراث ومدى تواجد الآخر فيه بما يتلاءم والمعطيات الحضارية الموجودة بعيداً عن فكرة التكديس التي لم يكن لها وجود على مستوى الحضارة الإسلامية أيام الأندلس مثلاً باعتبارها نموذجاً تراثياً عالمياً شهدت دوراً كبيراً للآخر ومدى اسهاماته في قيام الحضارة الإسلامية، والتي ما كانت لتكون لولا فرص التسامح والتعايش التي قدمها الإسلام لهم، حيث كان التمازج الثقافي مع الآخر والعطاء العلمي والفكري في أوج ذروته وهو ما ذكرته المفكرة والفيلسوفة الألمانية زيغريد هونكه بعرضها لتلك النماذج التراثية العالمية التي قدمت الكثير للحضارة الإنسانية على اختلاف ثقافتهم وتنوع مللهم ونحلهم.

ولكن بعد حين من الزمن انقلبت البوصلة الحضارية فلقد تعرض الإسلام والمسلمون في السنوات الأخيرة لحملة ظالمة من الافتراءات والمزاعم التي أرادت أن تلصق بالإسلام هم التعصب والإرهاب، وترويع الآمنين، ورفض الآخرين، وغير ذلك من دعاوى لا أصل لها في الإسلام ولا سند لها من العلم ولا من الواقع التاريخي.

فالحضارة الإسلامية التي انطلقت من تعاليم الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان قد ضربت أروع الأمثلة في التسامح والتعايش الإيجابي بين الأمم والشعوب من مختلف الحضارات والثقافات والأديان والأجناس، ولا تزال هذه التعاليم الإسلامية

1 - المصدر نفسه، ص 32.

حية وقادرة على صقل عقل الأمة وتوجيه سلوكها وتعاملها مع كل البشر في كل زمان ومكان بعيدا عن خطابات الغلو والتطرف المقيتة وهو ما عبر عنه ماجد بقوله "خطاب الغلو نجح في ترسيخ بديهيات عقيدية، من خلال منهج مراوغ، يعتمد الاستدلالات الساذجة، ويستغل رثاثة الوعي، وانحطاط الثقافة، والبيئة المثولوجية، فيشاغل وعي المتلقي بمضامين غرائبية خرافية عن الرموز الدينية، يغفلون معها سؤال الحقيقة. أي السؤال عن ذات الرمز وحقيقته قبل الحديث عن خصائصه ومعجزاته وكرامته. فعندما يشاغل النص الوعي الرث بأحاديث خارقة، مذهله، غرائبية لا يلتفت لسؤال الحقيقة، بل تصبح لديه منظومة بديهيات، ومبادئ عقيدية مسلّمة، تندرج ضمن اللامفكر فيه، والمقدس، الذي يحرم مقارنته، فضلا عن نقده. هذه البديهيات هي التي تمر روايات الغلو، لتراكم مزيدا من المعرفة المشوهة، العقيمة"¹.

فهذا هو الخطاب الديني المقيت الذي يدعو إلى ركود العقل والأخذ بالنص بكامل حذايره دون إعمال للعقل أو الاعتناء بما يسمى بفقهِ الواقع ومتغيراته الثقافية والحضارية، وهنا يتم تغييب الدور الحقيقي للمثقف الحر الواعي وهو ما جعل ماجد يقول: "وباختصار إن الأمة بحاجة أولا إلى وعي رسالي تتجاوز به أزمته، كي تتمكن من تحدي الممنوع، ولا يتحقق لها ذلك إلا بإعادة تشكيل وعيها داخل فضاء معرفي، يستظل بمرجعيات تجدد باستمرار فهمها للنص الديني، في ظل المستجدات الحياتية المتأثرة بالظروف الزمانية والمكانية"².

فما إن تم تغييب دور المثقف برزت اثر ذلك خطابات الغلو والتطرف وانعدمت قيم التسامح والتعايش تلك القيم الإنسانية السامية التي لطالما دعا ديننا الحنيف وسنتنا النبوية إليها انطلاقا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

1 - الغرابوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة، مؤسسة المثقف، سبدي - أستراليا وأمل الجديدة، دمشق - سوريا، 2018م، ص 279.

2 - الغرابوي، ماجد: الضد النوعي للاستبداد"، اصدار مؤسسة المثقف العربي، نشر العارف للطبوعات، ط1، 2010م، ص 74-75.

حَبِيرٌ¹». فإذا ما تم تغييب هذا الشعار فإن الفوضى والتشتت والحروب والغلو وشتى أصناف التطرف سيكون سيّد الموقف ولذلك لابد من تحديد الخطاب الديني وبعث سبل التسامح و التعايش فيه من جديد بعد كل هذا السبات العميق الذي ميز خطابنا الديني وهو ما يجعلنا نبحث في سبل تحديد تراثنا وبشدة.

تجديد التراث وسبل بعثه من جديد عند ماجد الغرباوي

يولي ماجد الغرباوي موضوع تجديد التراث أهمية كبيرة لما للتّراث من دور كبير في حفظ الهوية العربية الاسلامية خاصة وأنه يمثل الانطلاقة الأولى لأي نخضة فقد كان ماجد الغرباوي يطمح إلى انشاء استراتيجية نَحْضوية نابعة من تراثنا الديني تعترف بأهمية تواجد الآخر ودوره في اثراء الحضارة الإسلامية القائمة على فكرة التعددية الثقافية فالتراث منبع وأصل الهوية بدونها نفقد مقومات وجودنا فالهوية هي: "مركب من المعايير، الذي يسمح بتعريف موضوع أو شعور داخلي ما. وينطوي الشعور بالهوية على مجموعة من المشاعر المختلفة، كالشعور بالوحدة، والتكامل، والانتماء، والقيمة، والاستقلال، والشعور بالثقة المبني على أساس من إرادة الوجود"².

ولعل هنا يبرز كنموذج كبير لخطاب التعددية الثقافية نموذج العصر الأندلسي ذاك العصر الذهبي الذي تميز بانتشار كبير لمختلف التيارات الفكرية والدينية ورغم ذلك سادت قيم التسامح وكان الحب والتّعايش سيد الموقف فكان يعيش المسلم جنب اليهودي دون ترهيب أو تقتيل وهو ما جعل ماجد الغرباوي يدعو وبشدة إلى ضرورة تجديد التراث قائلا "ينبغي إعادة النظر في الوعي الذي تكون في اطار بعض النصوص الدينية والمرويات التاريخية"³. وقد ضرب ماجد الغرباوي في ذلك مثالا بارزا

1 - سورة الحجرات: الآية 13.

2 - إليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعة، دمشق، ط1، 1993. ص 15.

3 - الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للطباعة ط1، بغداد، العراق، 1429هـ- 2008م، ص 60.

في خطاباتنا التراثية وهو نموذج ما يسمى بالفرقة الناجية الذي يشكك بصحته دائماً. حيث يقول بأن هذا الحديث: "لعب دوراً كبيراً في تشطي الأمة، والإصرار على احتكار الحقيقة ورفض كل الفرق والمذاهب التي تحتفظ بوجهات نظر اجتهادية مخالفة، حتى بات الجميع إلا ما ندر يعتقد بخطأ المخالف مهما كان نوعه"¹. وهذا ليس من روح الإسلام السمح الذي يحترم باقي الأديان أو مختلف التوجهات الفكرية ويدعو إلى تعددية ثقافية في كنف الأمة الواحدة.

لقد كان ديدن الإسلام منذ ظهوره قبل أربعة عشر قرناً من الزمن يرغّب أهل الكتاب من غير المسلمين بالإسلام داعياً إلى مكارم الاخلاق ومثمناً إياها لذلك شاعت حينها خطابات تحث على افشاء الخير ودحر نوازع الشر وخطابات التكفير البغيضة فعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)².

يقول ابن حجر رحمه الله: قوله: (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام)، وجه التشبيه أن المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته؛ فكذاك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفاً في الجاهلية فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس؛ فإن أسلم استمر شرفه وكان أشرف ممن أسلم من المشركين في الجاهلية³. وفي هذا يقول الإمام النووي رحمه الله: ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس⁴.

لكن عصرنا اليوم انقلبت فيه كل الموازين فخفت الوعي بمدى أهمية التسامح والتعايش بين الأديان المختلفة وهذا ما يدعوا إلى ضرورة الوعي العميق بضرورة إبراز مثل هذه النماذج الدعوية لإعادة الأمور إلى جادة الصواب وحصر خطابات الغلو

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه.

3 - البخاري (3383)، كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين}، ومسلم (2378)، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف.

4 - "فتح الباري" (529/6).

والتطرف فحسب ما ذهب إليه ماجد الغرباوي أنه "من دون الوعي لا يمكن تنطلي مؤامرات التزوير على الواقع والتاريخ والدين والحقيقة. ومن دون الوعي لا يمكن النهوض بمشروع حضاري مستقبلي يعتمد مرجعية فكرية وثقافية، مؤسس في ضوء المبادئ الإسلامية. إذن فالوعي أساس في نجاح المشروع الإسلامي، وهو من مهام المثقف الرسالي، الذي ينهض بهذا الدور، انطلاقاً من مسؤوليته في تكوين عقل الأمة وتحديد هويتها الثقافية"¹ تلك الهوية الثقافية التي تعاني منذ زمن بعيد تيهها كبيراً غياب العقل وسلب الإرادة وأفشى نوازع الغلو والتطرف، وهو ما جعلنا نغيب عن الساحة الحضارية بالعالم فلا دور لنا إلا تلقي الأوامر وتطبيقها بحذافيرها من طرف القوى العالمية فلا اهتمامنا بترائنا ولا بواقعنا الراهن فبتنا مأسورين مدحورين مقيدون لا حراك لنا وهو ما يدعونا إلى ضرورة التساؤل عن ما موقع المثقف الواعي من كل هذا.

دور المثقف الواعي في إيجاد فرص التعايش

قديماً قال الشاعر:

اقرأوا التاريخ إذ فيه العبر... ظل قوم لا يدرون ما الخير.

بيت شعري على قلة حروفه لكن معانيه تحمل الكثير من الدلالات والسياقات التاريخية والحضارية التي تحتل العديد من الملامح المشكلة لتطور الأمم، لتميط لنا اللثام مبرزة تلك الملامح الكاشفة لبواطن ما اكتنف التاريخ من أحداث

وصراعات بشرية، مشكلة بذلك منعرجات حضارية خطيرة رفعت أمماً عالياً في السماء وأسقطت أخرى أرضاً في حين أخرجت الكثير من سياقتها تماماً معلنة أن لا مكان لها على الركب الحضاري لتحولات العالم وسياقاته، فالركب يا سادة شعاره "كن أو لا تكن" حكر على الأقوياء لا مكان فيه للضعفاء والجدير فيه بحمل وسام البطولة الحضاري من يثبت وجوده لا استسلامه.

1 - "شرح النووي لصحيح مسلم" (135/15).

يقول ماجد الغرباوي "ثم إن المثقف الإسلامي وعى الإسلام وعيا حضاريا اعتمادا على التراث وليس منفصلا عنه، من دون أن يعيش وهم الماضي، بل ينطلق منه لبناء المستقبل، فيستمد منه القيم لتكون أساسا في ممارساته الاجتماعية والسياسية، فلا يشعر بالغرابة من القيم السائدة، وإن كان من ضمن اهتماماته إلغاء ما هو غريب عن قيم الإسلام والإنسانية"¹. فهذا هو جوهر الإسلام القائم على الجد والاجتهاد والوعي العميق بالتراث ودوره في الحراك الاجتماعي القائم على التعدد والتنوع وهو ما يفتح اشكاليات قيم التسامح والتعايش على مصراعيها وهنا يبرز الخطاب الواعي للمثقف الإسلامي الذي يحسن التعامل مع هذه الإشكاليات.

إن تكريس مفاهيم وقيم التسامح والدعوة إليها منهج متأصل في نصوصنا القرآنية وسيرتنا النبوية وكان للمثقف الإسلامي الواعي الدور البارز فيه وفي هذا تحدث ماجد كثيرا عن فكرة التعددية الثقافية وفق الرؤية الإسلامية التي تختلف اختلافا كليا عن مثيلتها الغربية. فالتعددية الثقافية وفق النظرة الغربية كما يرى ماجد الغرباوي "قامت باختزال الدين إلى مجرد تجربة روحية باطنية بمعزل عن الحياة يستطيع أن يعيشها كل إنسان، وفصلت ما بين الشريعة والدين"² وهو ما يعترض عليه المثقف الإسلامي الواعي وبشدة فديننا يتدخل في كامل تفاصيل حياتنا اليومية بل هو البوصلة التي توجهنا وتسير حياتنا بوعي وتبين لنا سبل التعامل مع الآخر وكيفية التعامل مع اشكاليات التعددية الثقافية التي لطالما أستفاض ماجد الغرباوي بالحديث عنها في مختلف كتبه.

وهو نفس الأمر الذي ذهب له المفكر المصري محمد عمارة بحديثه عن التعددية الثقافية ودور المثقف في إيجادها حيث يرجع محمد عمارة أصول قيم التعددية الثقافية إلى السنة النبوية بالضبط في ميثاق المدينة المنورة التي اعتبرها عمارة بمثابة "الإعلان الإسلامي عن شرعية ومشروعية التعددية الإسلامية في هذه المساحات من الفكر وتطبيقاته وفي الأدوات اللازمة لذلك ومنها التنظيمات . تلك هي سنة الإسلام التي

1 - الغرباوي، ماجد، اشكاليات التجديد، مصدر سابق. ص 67- 68.

2 - المصدر نفسه، ص 67.

شرعت وكننت لمبدأ التعددية في الفكر الإسلامي وفي الممارسات الإسلامية منذ صدر الإسلام والتي بناء عليها وتطبيقاً لمنهجها كانت تيارات الاجتهادات الإسلامية مصدراً لثراء الفكر الإسلامي على عهد الازدهار الحضاري الذي سبق عصر التراجع والجمود¹. ولعل هذا يحيلنا إلى تساؤل آخر أكثر عمق هو كيف لنا أن نخرج من شرنقة ذلك الجمود والانسداد التاريخي الذي جثم على صدر الأمة لمدة طويلة جداً خاصة في ظل التخطيط الكبير الذي يعاني منه سواء العالم الإسلامي أو العالم أجمع لعل ذلك الترياق نجده في الهدية النبوي في سنة التولية قبل التحلية، ففي الهدى النبوي يوجد ما يسمى بالتولية قبل التحلية ومن ثم يتحتم علينا تنقية الجو الاجتماعي العربي والإسلامي من الشوائب التي تشوبه وتعكر صفو عالمية رسالتنا القائمة على التعددية الثقافية والإنسانية، ومختلف قيم التسامح والتعايش بين مختلف الثقافات والأديان كحق إنساني مشروع، ومن ثم يأتي دور التحلية فيتم التركيز على بعض الأمور المهمة التي تستلزم منا زرع قيم فرص التسامح والتعايش من تعددية ثقافية ودينية في إطار الأمة الواحدة، علماً أن مثقفنا الإسلامي الواعي يملك كل المقومات والأسس لذلك انطلاقاً من البوصلة الربانية والهدى النبوي القويم.

ولذلك لما غاب الوعي الحقيقي لدى المثقف بمجريات فقه الواقع فغاب عنا الفقيه الرباني الذي يحسن التعامل مع متغيرات العصر ومتطلبات المعرفة الجيدة بخبايا متغيرات النص أمام الأسئلة الفقهية الجديدة التي تطرحها التعددية الثقافية حيث يقول ماجد الغرباوي "في ظل هذه الظروف تشكيل عقل المسلم، وأعيد فهم الدين من خلال قوالب جديدة، فأصبح الدين مجرد علاقة خاصة بين العبد وربّه، لا صلة له بالحياة الاجتماعية. ولما سارت تلك النظرة إلى الفقه، تقوقع في دائرة الفردية، واخذ الفقيه يفكك بين الموضوعات ويفتي بمعزل عن مقاصد الشريعة وغاياتها، ففقدت الأحكام بالتدريج مداليلها الاجتماعية، بعد أن اعتبرت الفرد وحدة مستقلة لا تربطه أي علاقات أو وشائج اجتماعية. بل تطور الحال إلى حد عجز معه الفرد أن يحدد موقفه من بعض القضايا الحياتية المهمة في ضوء الشريعة، لأن الفقيه لم

1 - ماجد الغرباوي: الضد النوعي للاستبداد"، مصدر سابق، ص 152 - 153.

يتصد للفتوى في تلك المجالات"¹. وهنا يبرز لنا ذلك النموذج الرباني الامام الماوردي الذي عرف بمعرفته الشديدة كفقيه بمدينة البصرة المعروفة لتعدديتها الثقافية وتواجد مختلف الثقافات بها حيث كان الفقيه الوحيد تقريباً من يحسن وفي ضوء الشريعة ايجاد الفتوى الملائمة لتلك القضايا العويصة الشائكة.

ولذلك فإن مسؤولية المثقف الإسلامي اليوم كبيرة تجاه المنظومة الفكرية الغربية التي تروج لنوازع العداة ونشر قيم التطرف من مثل قول برنارد لويس: "إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية الإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعات خواطرهم أو التأثير بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم، ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، إما أن نضعهم تحت سيادتنا أو ندعهم ليدمروا حضارتنا"².

أمام هذا الخطاب الشديد العدائية فإنه يتعين على المثقف العربي والإسلامي العمل من أجل تغيير تلك الصورة النمطية لنا تجاه الآخر الغربي وإزاحة الغشاء الذي يعمي بصيرتنا عن انماط الاستعمار الجديد الساعي إلى نشر الفوضى بأوطاننا وجعلها معادلاً موضوعياً لكل ما يمت للهوية الإسلامية بصلة .

فالخطابات الثقافية الغربية التي راجت أثناء وبعد ثورات الربيع العربي تكشف عن تلك الرسائل التي تمرر من خلالها تلك النظرة الفوقية المشبعة بالمركزية الغربية Central Western التي رسمها الاستشراق التقليدي، ويعمل الاستشراق الجديد على ترسيخها حالياً، لترسم في أذهاننا بأن خلاصنا مرتبط بـ برنارد ليفي ومن قبله لورنس العرب... وغيرهم، وكأن مجتمعاتنا العربية لا تتعلم من التاريخ، فإذا بنتائج ذلك انتشار رهيب لخطابات التكفير وشتى الخراب والدمار بالكثير من هذه الدول، ولعلّ هذا ما جر المفكر الفلسطيني الأمريكي إلى القول في كتابه "تمثيلات المثقف": "من المهام المنوطة بالمثقف أو المفكر أن يحاول تحطيم قوالب الأنماط الثابتة

1 - محمد عمارة : <http://klmty.net/472766-%D8%AF>

2 - الغرابوي، ماجد الغرابوي، مصدر سابق. ص 110.

والتعميمات الاختزالية التي تفرض قيوداً شديدة على الفكر الإنساني وعلى التواصل ما بين البشر"¹.

وبعودة قليلة عبر الزمن إلى الوراء بالضبط إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ذاك الحادث الذي أحدث بلبلة كبيرة بالعالم وغير مجريات وموازن كثيرة بالعالم وزادت من حدة الصراع بين الإسلام والغرب فانتشرت الإسلاموفوبيا إلا أنها علمتنا أن التعايش أمر ضروري ومطلب ملح لدى كافة الأديان وفي هذا يقول ماجد الغرباوي "نبوءة هنتنغتون فهي وإن قامت أساساً على رؤية لتاريخية الصراع بين الحضارات، إلا أنها انتهت بالعودة إلى الدرس الذي ينبغي أن نتعلمه من التاريخ، لا بد من تعايش بين الحضارات، وفهم أعمق للفروض الدينية والفلسفية لكل منها، ودعوة لتحديد العناصر المشتركة بين الحضارات، تمهيداً للتعايش والتواصل الذي لا بد من له. إنه لدرس بليغ أن تنتهي أعتى النظريات التي تؤصل للصدام إلى التأصيل للتعايش وتحقيق القدر الأكبر من الوئام"².

ولذلك لا بد على المثقف الإسلامي الوعي نشر أهمية منح فرص التعايش بين الأديان وتبني روح التسامح لدى المجتمعات المختلفة مهما وصلت حدة تلك الاختلافات فالتسامح tolerance يعني الاستعداد الذاتي لاتخاذ الموقف المتسامح دون أية ضغوطات أو اضطراب، لا يمكن اعتبار التسامح فضيلة إلا عندما يمكن للشخص ألا يكون متسامحاً. فهو قريب من مفهوم "العفو". والقول المعروف "العفو عند المقدرة من شيم الكرام" يشير إلى المقدرة على العفو، وليس في مقدرتنا أن نتحدث عن موقف متسامح في تراثنا الإسلامي في حال شخص يضطر، وهو مضطهد وفي موقف ضعيف، أن يتحمل الآخرين، وهذا الشخص الذي يتحمل

1 - عبد الحكيم منصور: حكومة العالم الخفية - الماسونية والثورات العربية بين الحقيقة والافتراء - دار الكتاب العربي، القاهرة، 2012، ص 242.

2 - نجيب الحصادي: جدلية الأنا والآخر، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1996. ص 56-57.

الظلم فإنه، في حال الضرورة ووفقاً للعرف الاجتماعي، له الحق في المعارضة والحق في الدفاع عن نفسه في وجه الاضطهاد والتمييز العنصري¹.

خاتمة:

من خلال ما طرحناه آنفاً في ورقتنا البحثية هذه من إشكاليات وتساؤلات حول أحد أهم إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر التي تشغل على خطابات قبول الآخر في تراثنا الإسلامي والتي عمل المفكر ماجد الغرباوي على إيجاد السبل الكفيلة بحلها، وسعيًا منا لإيجاد الحلول المناسبة للوقوف في وجه هذا التسونامي الاستعماري الفكري الجديد إن جاز التعبير الجارف للهويات الدينية والثقافات المتنوعة بوطننا العربي الإسلامي تحت أغطية كثيرة تختزل معادلة الصراع الحضاري العالمي، نطرح في خاتمة مقاربتنا هذه بعض الأفكار والتوصيات التي نرجو أن تسهم في ترميم التصدعات الجاثمة على خارطة الهوياتية للتنوع الطائفي والديني والثقافي بوطننا العربي، لتحقيق سبل اعتاقنا من مد المركزية الغربية المحرصة على العنف والإرهاب والتكفير وويلاته، وإرساءً لدعائم سبل تحقيق التعايش الثقافي والديني وفق المنهج الإسلامي الصحيح الذي بينه محمد عمارة، نطرحها في النقاط التالية:

1- ارساء قواعد التعايش السلمي وتعلم سبل التعايش بين الثقافات والأديان المختلفة لن يكون برفع الشعارات الزائفة، وإنما يتحقق ذلك بتضافر جهود جميع الأطراف داخل العالم الإسلامي باستخدام لغة العصر وأدواته في نشر الفكر الإسلامي الوسطي، وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني المختلفة، ونشر ما يحث عليه الدين الإسلامي من قيم التسامح والتعايش بين المذاهب، خاصة في المناهج التعليمية تعليمًا وتربية لهم على اتقان فن حقوق الانسان، تحت اشراف مختصين في المجال

1 - الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح - فرص التعايش بين الأديان والثقافات، مصدر سابق، ص 9.

وليس مجرد درس يتم إلقاؤه فقط لتنتهي المهمة عند ذلك، فالأمر أكثر من ذلك بكثير.

2- من الضروري بعث سبل تجديد الثقافة العربية خاصّة الخطاب الديني، وتفعيل دوره في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية بجميع طوائفها بعيداً عن جدل التعصب للعرق أو المذهب... إلخ، وقوفاً في وجه الخطابات الفلسفية الجديدة المغلفة بقيم الاستشراق ذات الطابع الاستعماري الجديد، وهذا كله تأسيساً لنوع جديد من الاستشراف المستقبلي لأمة إسلامية جديدة ولدت من رحم الانبعاث الحضاري الإسلامي القويم، بعيداً عن الصراع الديني المدعم من أطراف خارجية تكن الحقد والكره لكل ما يمت للإسلام بصلة.

3- لقد أنتجت فلسفة ما بعد الحداثة انساناً غريباً ثاناتوسياً، مخرباً للعالم ناسقاً للقيم حقوق الانسان وشتى أنواع التعايش الثقافي و الديني السلمي القائم على مبدأ قبول الثقافات والأديان ضارباً بكل ذلك عرض الحائط، ومرسياً بدل ذلك مفاهيم جديدة من قبل: الهدم، التشظي، المركزية الغربية، الإسلاموفوبيا... إلخ، ساعية إلى نشر هذه المفاهيم وترسيخها في الأذهان، تحت غطاء وأقنعة مختلفة تختزل معادلة صراع الأديان بمختلف أبعادها.

4- تعتبر أحداث 11- 09- 2001 بمثابة النبوءة التي أكدت نظرية صراع الحضارات المنتهتونية والتي اتخذت منها الولايات المتحدة الأمريكية مطية لشحذ الهمم وتفعيل الحراك العالمي ضد الهوية الثقافية الإسلامية، وهو ما جعلها تقرر طبول الحرب معلنة المعركة ضد محور الشر كما قال جورج بوش آنذاك، لتعلن بعدها عودة ما سمي بالحروب الصليبية من جديد ونتائج ذلك ماثلة أمامنا في كثير من الدول لعل على رأسها العراق وسوريا حالياً من انفراط كبير لمد الصراعات الأيديولوجية المفتتة لكيان الدول والناشرة للفتن الطائفية، التي أصبحت تفتك يوماً بعد يوم بقيم التعددية الثقافية للأمة العربية والإسلامية .

5- فرق كبير بين نظرة الفلسفة الغربية الوضعية في نظرتها لقضية التعددية الثقافية ووجهة نظر الهدي النبوي الذي بينه محمد عمارة في التأسيس لهذا الحق

المشروع فالقوى الغربية انطلقت من اكرهات حتمتها عليها الشعوب ما اضطرها لوضع ميثاق عالمي لحقوق الانسان منها حق التعدد الثقافي و الديني، فضلا عن السياسات الاستعمارية في الاتحاد من هذه الفلسفة مطية للسيطرة على الشعوب، اما الهدي النبوي فقد كان امرا تلقائيا تلبية لنداء الفطرة فضلا عن تنفيذ أمر رباني صالح للتطبيق في كل زمان ومكان على اختلاف الثقافات وتنوع الأديان.

6- العنصرية والتفرقة بين الأديان والشعوب والأعراق والثقافات في الدول الغربية نابع من فلسفة عنصرية متأصلة في الفكر الغربي بداية بأفلاطون وصولا لفوكوياما و هنتغتون وغيرهم الكثير ترى أن الانسان الغربي أسمى وأعرق ثقافة وأرفع دينا وهو ما جعل العديد من الفلاسفة الغربيين المنصفين أمثال جان جاك روسو وايريك فروم وروجيه غارودي ونعوم تشومسكي... يوجهون نقدهم اللاذع لما وصلت له الحضارة الغربية من عنصرية تجاه الدين الاسلامي فهذا الأخير - نعوم تشومسكي - يعتبر أبرز المفكرين الذين يقفون في وجه السياسات الغربية التي تتخذ من فزاعة حفظ حقوق الأقليات الدينية والثقافية لتقسيم الشرق الأوسط وتفتيته مقيمة شرق أوسط جديد يخدم مصالحها فقط.

7- لا بد من تضافر جهود جميع الدول العربية الإسلامية سواء على مستوى الحكومات أو على مستوى الشعوب، وتحدث فيما بينها تعاون وتنسيقات عالية المستوى، وتكثيف الجهود أكثر على مستوى النخب الثقافية بما أنها فئة تنويرية بإقامة مؤتمرات وندوات للتباحث في سبل بعث الهدي النبوي في نظرتة لفكرة التعددية الدينية والثقافية، إلى جانب العمل على دعم منظمات المجتمع المدني والعمل على تغلغلها داخل النسيج الاجتماعي للمجتمعات العربية والإسلامية حتى تنتشر التوعية أكثر بمخاطر الفتن الطائفية وأثر ذلك على الهوية الإسلامية ومدى تماسك المجتمع تجنباً للانزلاقات الوطنية نحو العنف والدموية.

8- انتشار دواعي حوار الأديان وتمازج الثقافات وتلاقح الحضارات والمعرفة الكونية... إلخ، كلها تقريباً صنعت لأغراض سياسية بحثة ساعية إلى إحكام السيطرة على العالم، ونشرًا للنموذج الثقافي الأمريكي، بدعوى أنها هي الأجدر بقيادة العالم

كما أعلن عن ذلك صامويل هنتنغتون على اعتبار أنها ثقافة مركز القوة في العالم، فهي مجرد شعارات رنانة زائفة مزركشة بصورة بهية من الخارج، في حين هي انتهازية استعمارية من الداخل.

المصادر

- 1- القران الكريم
- 2- عبد الحكيم منصور، حكومة العالم الخفية، الماسونية والثورات العربية بين الحقيقة والافتراء/ القاهرة 2012
- 3- الغرباوي، ماجد، اشكاليات التجديد، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2001
- 4- الغرباوي، ماجد، الضد النوعي للاستبداد، مؤسسة المتحف العربي، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، ط1، 2010.
- 5- مالك بن نبي، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، دار الفكر، سوريا، ط9
- 6- الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الاديان والثقافات، الحضارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، ط1، 2018.
- 7- نجيب الحصادي، جدلية الانا والاخر، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ط1 : القاهرة 1996
- 8- اليكس ميشكيللي، الهوية، ترجمة علي وصفة، دار الوسيم، دمشق، ط1، 1993.

محطات بارزة في فكر التجديد عند ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة علية عيش¹

سؤال يتبادر إلى الذهن ونحن نقف مع قامة فكرية في الساحة العربية، مثل ماجد الغرباوي. أين نصنف الفكر الغرباوي؟ هل نصنفه ضمن قائمة المفكرين المشهورين سواء كانوا عرب أم أجنب. وهل وصل ماجد الغرباوي بفكره الشمولي أو الكوني إلى العالمية القائمة على الأسس العقلية؟، وهل سيلقى فكره قبولا لدى الآخر (الفكر الغربي) في حالة ما إن ترجمت أعماله إلى لغات أجنبية، فماجيد الغرباوي من خلال بحوثه عرف بانفتاحه على العالم، من خلال دعوته إلى التجديد وإخراج الأمة العربية والإسلامية من مستوى الانحطاط الذي بلغته في مرحلة ما.

استطاع ماجد الغرباوي بفكره أن يشغل مساحة واسعة لنشر أفكاره. والمتتبع لكتابات يقف على أن الغرباوي، مُنظِّرًا وناقِدًا ومجددًا، حيث تدور أبحاثه حول الخطاب الديني وتحرير العقل البشري من بنيته الاسطورية، مسلطا الضوء على كثير من المشكلات التي حظيت بنقاشات واسعة لدى النخبة المثقفة متخذًا في ذلك مسارا جديدا في عالم الفكر والاستبصار. كما تناول قضايا تتعلق بمرجعيات الفكر الديني، حاول من خلالها إبراز سبب إخفاق الوعي الديني ولماذا انتصر الآخر علينا، كما تناول قضايا المرأة من وجهة نظر فلسفية تحررية، وما يمكن تقديمه من حلول مخاطبا في ذلك النخبة المثقفة من أجل فهم متجدد للدين، كشرط أساسي لأي بناء

1 - كاتبة وصحفية جزائرية

حضاري، ويمكن القول أن ماجد الغرباوي قد أشبع طرحا مستفيضا في كتبه وأبحاثه متتبعا الواقع الراهن وهو يرد على سؤال النهضة.

في هذه الورقة المتواضعة نقف على "النظرية الغرباوية" وما قدمته من أفكار ورؤى حول الإنسان في تقدمه تارة وتأخره تارة أخرى وفق ما تقتضيه الظروف، فكتاباته تأتي لتدعم جميع توجهاته في المجالات السياسية والفكرية، لامس من خلالها الوضع العربي وما يعانيه من مشاكل تعيق ازدهار الحركة الفكرية والسياسية والثقافية. فجل كتابات الغرباوي تدعو إلى تنوير العقل البشري وتحريره من القيود والتبعية السياسية والإقتصادية وحتى الفكرية عن طريق الحوار مع الآخر وممارسة النقد بأسلوب عقلاني حضاري، من أجل تقارب الأفكار بين الرأي والرأي المخالف/ المختلف، وبالأخص الصراع الدائر حاليا من جهة بين الحركات الإسلامية التي تبنت العنف كحل سياسي. ومن جهة أخرى حول مسألة الطائفية. ففي كل إصدار له نجده يغوص في إشكالية الأنا والآخر، الثابت والمتغير، المقدس والمدنس، يراجع فيها المفاهيم والأفكار حتى لا يُعَرَّض الوعي للإخفاق، خاصة حين ينفعل الوعي بالعالم الخارجي فيحوله ويُكَيِّفُهُ وَيُعَيِّرُهُ، جعله ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أبعد منها، إلى أن وصل إلى المرحلة الراهنة التي لم يستطع تعديها أو تجاوزها، لأن الأنظمة تغيرت وقوانين النظام الاجتماعي لم تعد ثابتة، في ظل نزاعات حزبية وسياسية معينة ومواقع إيديولوجية أثرت بالطبع على مضامينها وجدية تمثيلها لموقف من المواقف، خاصة وأن المحدثين الأوائل كانوا فئات متفاوتة المشارب والثقافة والقدرة على الاستيعاب، فكان الغرباوي شديد الحذر إزاء النصوص.

وقد شهد فكره الكثير من الباحثين الأكاديميين الذين أشادوا بمشروعه الفكري الذي أثرى الساحة الفكرية والثقافية العربية، ورغم أن أسلوبه يتميز أحيانا بالتعقيد، لأنه يبتعد أحيانا عن الخطاب المباشر أي المصارحة، إلا أن أفكاره تتفق في مجملها مع الكثير من المفكرين التنويريين. فقد حرص الغرباوي على تقديم أفكاره ورؤاه وفق معطيات منطقية لامس فيها روح الواقع بنظرة علمية متفتحة، ما يعني قدرته على "المناظرة" والتحدي من أجل كشف الحقيقة ورفع اللبس عن القضايا المعقدة، في سبيل الارتقاء بمشروعه الفكري، كما نرى ذلك في كتابه الذي ناقش فيه "إشكاليات

التجديد"¹، وكتاب "التسامح ومنابع اللاتسامح"²، خاطب فيها الإنسان، هذا الإنسان الذي تطور في تمثله حركة العالم، بحيث ينظر إليه نظرة تاريخية، باعتبار أن التاريخ مادة متحركة متحركة، وفي كل حركة تاريخية يتحرك معها الإنسان، يظهر ذلك في عمله الجماعي، يتكون وينمو، فيضفي على نفسه صفة الوعي المدرك لمسؤوليته في العالم المعاصر، وقد يتأخر لظروف اجتماعية تؤثر عليه ومحيطه والبيئة التي يعيش فيها، فتجده يمشي بخطى مترددة كما أنه يتأهب لخوض معركة مريبة الخاتمة، فمن خلال ما وقفنا عليه من إصدارات آلينا أن نقرأ الغرباوي وما تحويه نظرياته من أطروحات، وأن نتأمل نصوصه في سياق الموقف الاجتماعي والسياسي السائد في الوقت الراهن.

التجديد عند الغرباوي هل هو ضرورة حضارية؟

فكتاب "إشكالية التجديد" كان عبارة عن أسئلة طرحها ماجد الغرباوي، هي أسئلة فرضتها حالة التخلف والانحطاط الذي بلغته البشرية، فكانت موضع اهتمام الدارسين والمفكرين رفدت أفلامهم الوعي بكل جديد، من أجل نهضة حضارية تعيد للمسلمين مجدهم المضاعف وأبقتهم في دوامة السؤال والبحث كمنتج فكري عن سبل كفيلة بإنجاز نهضة تمثل هويتهم، وتجسد قيمهم ومبادئهم، لدرجة أن الكتاب طبع ثلاث مرات، الأولى في سنة 2000 ضمن سلسلة كتاب قضايا إسلامية معاصرة، والثانية سنة 2001 ضمن نفس السلسلة في بيروت، والطبعة الثالثة، صدرت عام 2017م، مع مقدمة بعنوان: التجديد والفعل الحضاري في ضوء التحول الثقافي والفكري. إذ يرى ماجد الغرباوي أن التبعية إحدى مظاهر التخلف، لأننا نعتمد على الغرب في كل ما نحتاجه، حتى ثرواتنا التي يحتاجها الغرب يصعب علينا فرض

1 - الغرباوي، ماجد، إشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2017م.

2 - الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2008.

شروطنا عليه إلا بصعوبة، ومكمن الخطر أن الشعوب لا تعي مخاطر التبعية¹. ويمكننا هنا أن نقارن بين فكر الغرباوي ومالك بن نبي في مسألة التبعية فهما يتقاسمان الفكرة لكن لكل منها طريقته الخاصة، بحيث سماها مالك بن نبي بـ: "القابلية للاستعمار"، وهو يطرح سؤال النهضة ليجد علاجاً للمشكلات الحضارية وسلوكات المجتمع التي أدت إلى اتساع الهوة بين الإنسان وواقعه الذي تحكمه ظروف تاريخية، وجد نسه عاجزاً عن التوفيق بين حاضرة وماضيه الحضاري.

فنحن نقرأ بحوث الغرباوي خاصة ما تعلق بالتراث والحداثة، وكأننا نقف على متطلبات حوار الحضارات وضمن استمراريته (أي الحوار) وفعاليتها، الأمر طبعاً وكما يقول مفكرون يقتضي الإيمان بالحوار، والتقييد بتقنياته وأساليبه والإتفاق على مرجعيته المتمثلة في العقل أو المنطق، كنهج أساسي في العلاقة مع الآخر، أي توجيهه الوجهة الصحيحة في حسم الخلافات والنزاعات، وهذا يطرح تساؤلاً هو كيف يمكن التوفيق بين خطاب العقل وخطاب العاطفة (العاطفة الدينية) وكيف يمكن ربط العقل بالمفاهيم المتناسقة (الوعي، الفكر، الثقافة والتراث) وإن كان بالإمكان الوصول إلى قناعة ترضي الطرفين وتخدم الجميع، خاصة في مجال إعمال العقل في النص الديني وإعطائه صبغة "القداسة"، كونه ينظم كل مناحي الحياة،

ويشير ماجد الغرباوي إلى ما تعانيه الشعوب من استبداد سياسي صعب عليها تقرير مصيرها بنفسها، سواء التي تعيش تحت نير الإستعمار، أو التي تمارس حكوماتها التسيير الاستبدادي الدكتاتوري، من خلال مصادرة الرأي وقمع المعارضة وتلجأ إلى تكميم الأفواه عن طريق الاعتقالات، فتجده دوماً يبحث عن المخرج من أجل وحدة الأمة التي تعتبر جزءاً من الدين، وهي قضية الإسلام ولا يمكن أن تنفك أو تنفصل عنه.، ويربط ماجد الغرباوي الاستبداد الديني في العالم العربي والإسلامي بانتشار الفكر التكفيري، الذي قادته حركات إسلامية متطرفة وهذا بسبب القراءات الخاطئة للقرآن وتأويلاته والفتاوي التي أباحت قتل الآخر، وهتك عرضه وحرمته، ومما زاد في تفاقم الحالة تعدد الخطابات، بين الدينية، الطائفية والقومية، هذه الخطابات أزهرت

1 - اشكاليات التجديد، مصدر سابق، ص 11.

الحق بدلا من أن تزهد الباطل، فمجد الغرباوي في هذه المسائل يحاول إحقاق الحق، وهو في هذه الحالة يسير على نهج بعض المفكرين، من بينهم واصل بن عطاء الذي يعتبر أول من قال أن الحق يُعرّف من وجوه أربعة: "كتاب ناطق وخبر مجتمع عليه وحجة عقل (القياس) وإجماع"¹.

ولذا يرى ماجد الغرباوي أن التجديد ضرورة حضارية، منبثقة عن حركة الأشياء². الملاحظ أن الغرباوي يربط التجديد بالحدث التي باتت ضرورة حضارية، رغم الهجوم الكاسح ضد المجددين، وصل إلى حد القذف والاتهام والطعن في الأعراض، والتجديد في نظر الغرباوي لا يعني إلغاء الآخر أو إبعاده ووضع آخر في مكانه، وإنما يعني به تحديث أدوات التفكير عبر مناهج ونظريات حديثة، خاصة في المسائل الدينية من أجل فهم الدين ومقاصده وغاياته.. الخ³، في ضوء تكون وعي الإنسان، وهذا يحتاج إلى مراجعة الثوابت والفكر والثقافة، رفع الجمود على النص وتقليد السلف، والانتقال من أسلوب التلقي الأعمى إلى البحث فلا يجب أن ننساق وراء حمايات لا نعرف عنها شيئا، أو نشارك من حيث لا نشعر بطقوس وممارسات تمتص طاقتنا ولا تساهم في إثراء النهضة.

و قد تحدث ماجد الغرباوي عن دور الثقافة في تحديد اتجاه الوعي، وقارن بين الثقافة المغلقة والثقافة النقدية الجادة (المنفتحة)، الأولى كما يقول تفضي إلى واقع سلبي، يغيب الوعي، وينتقد ماجد الغرباوي تزيف الوعي، ويؤكد أن الأمة بحاجة إلى وعي رسالي⁴ ومكافحة الغلو والتطرف الفكري، في إطار مبني على منهج صحيح بعيدا عن الخطابات التحريضية من أي جهة صدرت ما دامت المسألة قابلة للبحث والدراسة، من وجهة نظر غرباوية فإن تخلف المسلمين سببه انقسامهم أمام النهوض

1 - علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، الطبعة السابعة، 1977م، ج1، ص395.

2 - اشكاليات التجديد، مصدر سابق، ص 23.

3 - المصدر نفسه، ص 24.

4 - المصدر نفسه، ص 24.

الحضاري، الأول منبهر بالغرب، حيث تبني ثقافة التغريب، وصل به الأمر إلى حد التبعية، الثاني أصولي متعصب للتراث ولا يرى غيره رافضا معطيات الحضارة الحديثة، والثالث عاد لمراجعة التراث يستنطقه دون التغلغل في أعماق الوسط الاجتماعي مهماً الجانب المعرفي¹. ولذا ترى النظرية الغرباوية أن الوعي يشكل نقطة انطلاق في مهام التجديد، والوعي عند الغرباوي يعني إدراك الواقع وتشخيص أخطائه²، وإعادة النظر في إشكالية الحوار مع الآخر المختلف وفق مبدأ قرآني، دون أن ينسى دور المثقف في تكوين بنية المجتمع فكرياً وفي تجديد هويته الثقافية، حيث يدعو إلى منهجية الثقافة والمعرفة، وترك عملية الدفع الاجتماعي تأخذ مجراها، في إطار ديناميكية التناسق أو التضامن طالما في المجتمع البشري فئات مختلفة.

تحديات العنف والتطرف عند الغرباوي

وتشكل ثقافة العنف عند الغرباوي تحديات خطيراً لوجود الإنسان منذ القدم، ولا يزال العنف من أخطر التحديات وأكثرها تعقيداً، وبات من الصعب العثور على طريقة تؤدي إلى تشخيص الحلول الناجحة لتسوية الازمات، التي تفاقمت في العقود الأخيرة من القرن المنصرم وهذا القرن حتى تحول العنف إلى سلسلة أعمال إرهابية وموجة تفجيرات وعمليات انتحارية طالت مناطق واسعة من العالم، اتهمت الرسالة السماوية بالدموية، حتى بات العنف علامة فارقة تتصف بها الحركات الإسلامية جميعاً³. ما يلاحظ أن ما جاء في هذا الكتاب قد اشتمل على تقرير، تحدث فيه ماجد الغرباوي عن التكثيف الاعلامي المضاد لوسائل الاتصال الحديثة، بطريقة متهورة أحياناً، ليست أقل خطر من الأعمال الإرهابية ذاتها التي يرتكبها البعض باسم الدين، بل بات المسلم في نظر هذه الشعوب حيواناً مفترساً لا يستحق الحياة،

1 - المصدر نفسه، ص 47.

2 - المصدر نفسه، ص 54.

3 - الغرباوي، ماجد، تحديات العنف، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2009، ص 95.

بعد تجرد الإرهابيين من قيمهم الإنسانية وارتكابهم أعمالاً مخزية ضد البشرية، أو ضد التطور الحضاري، فصار العنف يشكل تحدياً كبيراً للمشروع الإسلامي الحضاري.

فماجد الغرباوي يطرح مسألة العنف من وجهة نظر فلسفية، هل هو حقيقة أم هو استعداد قابل للتطور والتفاقم؟ وهل هو حاجة غريزية؟ أو فعل إرادي يمكن السيطرة عليه؟ أم أمراً عارضاً على الإنسان يمكن التخلي عنه؟، يقول الغرباوي أنه صعب الإجابة على هذه الأسئلة¹، لأن هناك اختلاف في الرؤى والتصورات بين الفلاسفة والانتروبولوجيين، خاصة إذا كانت السلطة تسعى لتأسيس دولة تنضبط داخلها الأمور كلها، ونجد هنا أن الغرباوي قد استعان بحوار الانتروبولوجي المغربي عبد الله حمودي²، إذ يؤكد في الصفحة الموالية للكتاب أن مشكل العنف مشكل شائك وحضوره قائم، بمعنى أنه لن يكون مآله الزوال ومن ثمّ القضاء عليه مستحيل، في البداية انطلق الغرباوي من تاريخ نشأة العنف عندما تحدث عن حادثة ابني آدم (قاييل وهاييل)³ التي عكست طبيعة العلاقات التي مر بها الإنسان خلال مراحل حياته، وهذا يعني كما يقول هو أن تاريخ البشرية بدأ بالعنف في أول خطواته، مقدماً في ذلك صورة واضحة لفكرة "الجهاد"، إن كانت تعني قتل الأبرياء الذين يختلفون معهم دينياً أو مذهبياً أو تعني تفجير الساحات العامة والمباني والمؤسسات ومحطات النقل؟ وهل من الجهاد قتل الذين يمارسون شعائرهم الدينية بأسلوب انساني مسالم؟ وهل من الاخلاق قتل النساء والاطفال وذبح الاسير، من الوريد الى الوريد؟ انما أعمال وحشية لا انسانية فكيف يرتضيها دين الاخلاق والقيم الانسانية⁴.

يقول الغرباوي أنه حان الوقت لمقاربة الاسئلة الممنوعة واستنطاقها والتنقيب عنها في أعماق التراث بحثاً عن مكوناته وآليات تكوّنه، إذ ما زال التراث يتحمل القسط الأكبر من مسؤولية التخلف الحضاري للمسلمين، يكون ذلك عن طريق فتح

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه، ص 96.

3 - المصدر نفسه، ص 32.

4 - المصدر نفسه، ص 20.

حوار مع الذات عن الخلفية التي ينطلق منها الأصولي والمتطرف في ارتكابه ممارسات إرهابية وإقدامه على عمليات انتحارية ضد الناس الأبرياء، فالتماذي في ممارسة "الإرهاب" المسلح دون مناقشات علمية للبنى العقدية القائمة عليها، سيجعل من الأخيرة مرجعية يركز إليها كل من يبغى محاربة الآخر ممن يختلف معهم دينيا أو فكريا أو عقديا، لدرجة أنه ظهر الخلط في تحديد المفاهيم، فلا يوجد تعريف متفق عليه بخصوص مفهوم الإرهاب، ففيما يعتبره البعض عنفا واطرفا يراه البعض على أنه إقدام وشجاعة من أجل استرجاع حق مغتصب¹. في كل هذا وذاك يقارن الغرباوي بين ما تمارسه الجاليات العربية والاسلامية التي تعايشت مع الآخر ونشأت بينهما علاقة مفعمة بالتسامح والاعتراف بالتعدد الثقافي والديني في الوقت الذي مارست فيه بعض شرائح المجتمع، كل أشكال العنف المسلح حتى صار العنف سلوكا يوميا عندها، بل تحول إلى ثقافة وفكر وعقل ومنهج في التفكير؟ ويرجع الغرباوي السبب إلى تسلط الأنظمة على شعوبها وتدميرها القيم الانسانية، واستنابات قيم جديدة اعتمدت العنف واستباححت المحرمات الانسانية والدينية.

جدلية العنف والتسامح في المشروع الإصلاحى لماجد الغرباوي

هل الغرباوي رجل إصلاح؟ ومن ثم يمكن ضمه إلى قائمة الإصلاحيين مثل الكواكي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني، هذه الأسئلة تقودنا إلى تحديد مفهوم الإصلاح عند الغرباوي، فهو يرى أن الإصلاح واقع مادي جوهري وله قيمة فوق تجريدية وهو مرتبط بالتجديد². حتى الذين تابعوا كتاباته أجمعوا على أن ماجد الغرباوي لم يذكر الإصلاح إلا وأردفه بالتجديد وفي جميع حواراته، لم يكن يفصل التجديد عن الإصلاح والعكس، كما أن جل رجال الإصلاح في المشرق العربي والمغرب العربي ركزوا في دعوتهم على مصطلحات تشمل التجديد والإصلاح

1 - المصدر نفسه، ص 21.

2 - الرزوق، د. صالح، جدلية العنف والتسامح.. قراءة في المشروع الإصلاحى لماجد الغرباوي، دار نينوى، دمشق - سوريا، 2016م، ص 42

والتسامح والتعايش، اكتسبوا من خلالها درجة من التقديس أبعدت عنهم كل الشبهات والتهمة، وهذا الكتاب يعتبر متما أو مدعما لما سبقه، ولذا اهتم الغرباوي من بين كل الإصلاحيين بالأفغاني¹. إذ يرى الأفغاني في إصلاحه أنه إصلاحي نهضوي وكان مجددا رغم أن العاطفة الإسلامية تغلبت على انبهاره بالحدث، يقول الغرباوي ان إسلاميات الأفغاني كانت موضع تشكيك من السلفيين².

أما مسألة النهضة، فالغرباوي يعرضها كأطروحة ثابتة تشمل مفهومين: الأولى إحياء وبعث الدين بلا انحرافات، والثانية ربط السياسة والأفكار بالعقائد، مقدما في ذلك شيخ الإصلاح محمد حسن النائيني منظر الحركة الدستورية "نموذجا"، لاسيما والشيخ النائيني وبغض النظر عن مذهبه، فهو يشترك مع رواد الإصلاح بنفس الاستراتيجية، وقد واجه نقاشات وجدالات وتساؤلات ومعارك فكرية متعارضة، ويبدو أن الغرباوي من بين المتأثرين بفكر محمد حسن النائيني بحكم نظريته الخاصة للإنسان وكيف يمكن أن يعيش، أكونه دقيق النظر في المسائل المعقدة والمستعصية حلها لاسيما في الجانب العقدي دون أن يهمل الجانب الذي يعتبر الأساس في دعوته كتهذيب الأخلاق والمعاملات من أجل تحقيق الفضيلة³. فهو مثالا يرفض الجهاد ضد الحاكم المسلم في المقابل يقبل بالأعمال الحربية ضد الاستعمار، المسألة هنا هي مسألة موازنة بين الدعوة والدولة والإسلام هو الفكرة السائدة في هذه الموازنة، ما دفع المفكرين للتساؤل عن من يملك الاستقلالية المطلقة الدين أم الدولة؟ وربما ماجد الغرباوي واحدا منهم، بدعوته إلى استخدام العقل في القضايا المصيرية والتعقل في كل المسائل التي تتعلق بالإنسان كجوهر.

1 - المصدر نفسه، ص 46.

2 - المصدر نفسه، ص 25.

3 - المصدر نفسه، ص 30.

موقف ماجد الغرباوي من المدارس النسوية

لا ينفك ماجد الغرباوي أن يقحم المرأة في أطروحاته، ففي كتابه "إشكالية التجديد" اعتبر المرأة مقياسا لتطور المجتمع، وقمعها يعتبر أحد علامات تخلفه، حيث تعيش المرأة مسلووبة الإرادة والاختيار، بينما تعيش المرأة في الغرب إنسانا كاملا في الحقوق والواجبات¹.

وقد كانت هناك قراءات حول رؤية الغرباوي لقضية المرأة، منها القراءة التي أجراها الدكتور محمود محمد علي في كتاب: "الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري"²، فالمدارس النسوية بتعدد أفكارها وإيديولوجياتها تسعى لإعطاء وجهها جديدا للمرأة في إطار التغيير السياسي والاجتماعي والثقافي، وتحديد العلاقات بين الجنسين، وصولا إلى المساواة المطلقة كهدف استراتيجي، وقد انقسمت المدارس النسوية في خطاباتها بين خطاب معتدل وسطي وخطاب متشدد متطرف وتولد عن هذين الخطابين العداء والصراع بين الجنسين.

لقد مرت المدرسة النسوية بعدة مراحل وموجات من أجل تمكين المرأة في المجالات المختلفة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية، معتمدة في ذلك على عدد من المفاهيم الرئيسية خلال مراحلها المختلفة من أجل تفسير الواقع السياسي، فنجد من هذه المفاهيم كلمة "الجندر" (Gender) الذي ظهر مع كتابات سيمون دو بوفوار، وهو يعني النوع الاجتماعي الذي يمكن القول أنه أصبح المفهوم المركزي للحركة النسوية كلها، وقد واجهت المدرسة النسوية بكافة مراحلها موجة انتقادية وهجومات واتهامات كذلك، بحجة أن هذه المدرسة تأسست لضرب الأسرة وتدميرها كمؤسسة أولى في التنشئة الاجتماعية، خاصة ما تعلق بـ: "الجندر" نظرا لكون هذا

1 - إشكاليات التجديد، مصدر سابق، ص 30.

2 - محمد علي، د. محمود، الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، ودار الوفاء، الاسكندرية - مصر، 2021م.

المفهوم يخرج عن الإطار المجتمعي والثقافي، كما يتعارض بشكل صريح مع الأطر الدينية التي تتبناها المجتمعات العربية والإسلامية.

في معرض رده على سؤال الدكتور محمود محمد علي حول الأطر الثلاثة للنسوية: (النظرة النسوية الإصلاحية، النظرة النسوية المقاومة والنظرة النسوية المتمردة) حيث تسعى الأولى إلى تحسين ظروف المرأة والارتقاء بأوضاعها الاجتماعية، والثانية تركز على العنف والقهر الجنسي الموجه ضد المرأة، يقول الأستاذ ماجد الغرباوي: (إن قضايا المرأة متشعبة ومركبة، وتسويتها تقتضي تفكيك أنساقها، والبحث عن جذر القهر والاضطهاد)¹، ويرى أن هدف النظرية الإصلاحية إصلاح أحوال المرأة المعيشية والإقتصادية فيكون الإستغلال وجهتها (وهذا النوع من التشخيص لا يمس جذر المشكلة، ويعالج قضايا فوقية، رغم الأهمية الاقتصادية)²، دون التعمق في القضايا الجوهرية العميقة التي تواجهها، وهنا يتساءل الغرباوي إن كانت المشاكل الاقتصادية بديل عن الوعي ودوره في تعزيز القيم الإنسانية. الملاحظة التي سجلها ماجد الغرباوي أن مشكلة المرأة هي ثقافية عامة يشترك فيها الفرد والمجتمع، فلا هي مشكلة أنثوية ولا هي ذكورية، فماجيد الغرباوي تناول بالنقد والمراجعة المدارس النسوية، ويّين موقفه منها، كالمدرسة النسوية الإصلاحية، الاشتراكية، الماركسية، الراديكالية والراديكالية المتطرفة، كما قارب مسألة النسوية العربية أو كما سمّاها العربُ إسلامية، ويّين خصائص البيئة والثقافة، وضرورة أخذها بعين الاعتبار حين عالج قضايا المرأة، وهناك تفصيلات كثيرة يمكن مراجعتها ضمن صفحات الكتاب.

ويوضح الغرباوي كيف كان ينظر الرجل للمرأة في القرون التي خلت، بحيث كان ينظر إليها نظرة مقدسة بل يضعها في مرتبة الآلهة، بخلاف اليوم أسقطت منها صفة القدسية وأصبح ينظر إليها نظرة دونية، ويرجع الغرباوي هذه الأحكام إلى الفارق البيولوجي أو الجنسي للمرأة والرجل، أما موقفه من "الجنדר" عندما تحدث عن أساسيات الجغرافية النسوية وقال أن دراسة الجندر ومظهر الأرض أو كما يسمى بـ:

1 - المصدر نفسه، ص 157.

2 - المصدر نفسه.

"اللانديسكيب" وتقضي أثر النوع والخلفية الثقافية والاجتماعية للإنسان في تشكيل هذا المفهوم، إلا أنه يوضح أكثر، أن مهمة الجندر نقد وتحليل النظرية التي تعتقد أن الفوارق الاجتماعية بينهما تم تزويرها لتعزيز السلطة الأبوية، وخلق قناعة لدى المرأة بأن مهمتها محصورة بالأمومة والمنزل¹.

ودعا الغرباوي إلى إعادة تشكيل الوعي من خلال تفكيك الأنساق الثقافية والمهيمن الفكري، وتشكيله على أسس إنسانية²، حيث ينظر للمرأة نظرة إنسانية عادلة، وذلك عندما تحدث عن الوظيفة البيولوجية للمرأة، إذ يرى أن هذه الوظيفة كانت وراء تصنيفها، فهي بالنسبة للرجل جسد، مرتحنة لقوته وإرادته جنسيا. يقول: (لا يخفى أن الوظيفة البيولوجية للمرأة كانت وراء تصنيفها. فهي بالنسبة للرجل جسد وطبيعة بيولوجية مغايرة)³.

من هذا المنطلق يبدو أن المفكر التنويري ماجد الغرباوي يؤيد الثورة النسوية المتوازنة ودورها في بناء الوعي في رده على الراديكالية المتطرفة التي تبيح الإجهاض وإقامة العلاقات الجنسية الغير شرعية، وحق المرأة في ممارسة السحاق، وما شابه ذلك وهو بذلك يتحيز إلى ثورة فكرية ثقافية يكون التنافس الفكري فيها مسموحا ومشروعا، أي دون هيمنة فكرية أو تعصب فكري وبعيدا عن ثقافة "النديّة"، وكان الأستاذ ماجد الغرباوي قد ناقش مثل هذه القضايا في كتابه: "المرأة والقرآن" وأعطاهم أبعادها الفكرية والاجتماعية والدينية، لاسيما قضية حجاب المرأة، وعاد به إلى زمن الرسالة المحمدية، حيث ربطه بالحياء والاحتشام، ونقف هنا مع موقف الغرباوي عندما قال: "هناك من ترتدي الحجاب عن قناعة باعتباره شعيرة دينية، وهناك حجاب تفرضه العادات والتقاليد، وثمة حجاب يخفي تمردا أنثويا"⁴، ومما

1 - المصدر نفسه، ص 142.

2 - المصدر نفسه، ص 159.

3 - المصدر نفسه، ص 136.

4 - المصدر نفسه، ص 217.

تقدم، يطالب الغرباوي بإعادة قراءة حكم الحجاب في الشريعة ودعوات خلعه وحالات التمرد عليه من باب نظرية العبودية.

قراءات للفكر الغرباوي

ما وقفنا عليه من أعمال الغرباوي يعتبر شيئا قليلا، لأن نصوصه تحتاج إلى قراءات وتحليل، كانت هناك قراءات أجراها كثير من المفكرين، فقد حظي فكر ماجد الغرباوي باهتمام كثير من الباحثين الأكاديميين والمختصين في الفلسفة ومنهم الدكتور محمود محمد علي، الذي قدّم لمشروع الغرباوي قراءات فلسفية متعددة، عرض فيها أفكاره وموقفه من القضايا المطروحة لاسيما التي تلقى جدلا بين الباحثين والمفكرين. خصوصا في كتاب الفلسفة النسوية.

كذلك نقف مع القراءة التي أجراها الدكتور قادة جليد أستاذ الفلسفة بجامعة وهران غرب الجزائر، حيث اعتبر الغرباوي ظاهرة فكرية وثقافية في العالم العربي الإسلامي لأنه مثقف نقدي يبحث في المعنى وعن فهم جديد للقضايا الفكرية التراثية والإنسانية، ومثقف عضوي لأنه منخرط في عملية التغيير الاجتماعي وهذا ما يجعله مختلفا عن المفكرين الآخرين، خاصة في مسألة التراث، فالغرباوي يعتقد أن الفهم الذي نعينه اليوم بالتراث غير مطابق لحقيقة التراث وبالتالي هذا الفهم الخاطئ وتقديسه هو عائق أمام التطور، فهو يرى أن الغرباوي شخصية علمية عصامية، ملتزم بما يؤمن به وملتزم بقضايا المجتمع وطموحه إلى التغيير دفعه لذلك، والالتزام عند المثقف العربي هو أن يكون مثقفا عضويا بلغة غرامشي، بمعنى يكون منخرطا في القضايا العامة التي تواجه المجتمع كتحديات، وهذا ما يقوم به ماجد الغرباوي، خاصة من مؤسسته " المثقف " من أجل التنوير والتغيير، ومن هنا جاء التفلسف أو التفكير بالمطرقة، فقليل جدا من المفكرين والكتاب يقول قادة جليد من يكون مستعدا لدفع الثمن، ولكن أغلبهم يطرحون الأسئلة الفاخرة، أما المثقف الحقيقي والصادق يطرح

اسئلة الناقدوس والغرباوي من الذين يطرحون أسئلة الناقدوس أي أسئلة الخطر ويوجب عليها وأسئلة الناقدوس لها ثمن¹.

أما الدكتور صالح الزروق في مشروع الغرباوي أن هذا الأخير في حديثه عن الإصلاح والإحياء الديني كان أكثر وعيا بالسياسة عند أئمة الشيعة الإصلاحيين ومنهم باقر الصدر وروح الله الخميني وأفرد لهما مساحة خاصة للتدليل على أن الإصلاح هو نهضوي فعلا²، له غاية تتلخص في إحياء الدولة الإسلامية، ولذلك لا يختلف الإصلاح عن التجديد في مفهوم الغرباوي حيث يدعو إلى فتح باب الاجتهاد حتى في الثوابت، ومن هنا تنعكس فلسفة الإصلاح عند الغرباوي عن باقي المصلحين أو الإصلاحيين إن صح التعبير، حيث يجعل التسامح في مقدمة أطروحاته، من باب ان التسامح أمر الهي وعقيدة وطنية، إلا أنه يرى ان الحرية شرط أساسي للتسامح فهي ضمان من التخلص من الأبوية، فهو يرى الحرية مطلب ديني وحاجة غريزية، خلاصة القول يلاحظ أن ماجد الغرباوي التنويري يسير على نهج الكثير من التنويريين، إذ يطل على منطقة الفكر على أساس أنها ساحة معرفية مشتركة تقع على خطوط التماس مع الدين والفلسفة والسياسة لإرواء عطشه الفلسفي.

1 - المنجز الفكري لماجد الغرباوي ضمن ندوة: الفكر العربي المعاصر والتفلسف بالمطربة في الجزائر، تقرير علجية عيش، أنظر، صحيفة المثقف 12 كانون/يناير 2023.

2 - جدلية العنف والتسامح، مصدر سابق، ص 37.

فرص التعايش بين الأديان والثقافات التسامح ومنابع اللاتسامح لماجد الغرباوي

بقلم: د. حفيظ اسليماني¹

"التسامح ومنابع اللاتسامح: فرص التعايش بين الأديان والثقافات"² كتاب لـ: ماجد الغرباوي، يتناول فيه موضوعا مهماً وهو: التسامح واللاتسامح. في هذه القراءة سنبين أهم أفكاره الرئيسة مُبدين رأينا فيها.

إنّ التسامح ضرورة حياتية تبقى الحاجة إليها قائمة ما دام هناك إنسان يمارس العنف والإقصاء والتكفير، ويرفض التعايش السلمي مع الآخر المختلف، بل الحاجة إلى التسامح تشتدّ مع اتّساع التنوّع الإثني والديني، لامتناع تداعيات الاحتكاك بين القوميات والثّقافات والأديان، والخروج بها من دائرة المواجهة إلى مستوى التعايش والانسجام. كما عبّر الكاتب عن الوضع الحالي بالقول: "إنّ ما نشاهده اليوم من صراع محتدم بين القوميات والأديان والمذاهب يكشف عن رخاوة الأسس التي يقوم عليها مفهوم التسامح أو غيابه، فهو في نظر الأوساط المتصارعة لا يعدو كونه قيمة أخلاقية تتحكّم به المؤثرات الاجتماعية والسياسية، وهو في رأيها منّة وتفضّل مشروط، قد ينقلب إلى ضدّه إذا فقد رصيده الأخلاقي، وما نحتاجه فعلاً لتوطيد العلاقة بين الطوائف والقوميات مفهوم يركّز إلى أسس متينة، تتفادى الاحتكاك على خطوط التماس". كما يرى الكاتب أنّ التسامح بمفهومه الجديد لا يتحقّق

1 - باحث في الفكر الإسلامي ومفارنة الأديان - المغرب

2 - "التسامح ومنابع اللاتسامح: فرص التعايش بين الأديان والثقافات" كتاب لـ: ماجد الغرباوي، الناشر الحضارية للطباعة والنشر، إصدار معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، الطبعة الأولى 2008، وعدد الصفحات 162 صفحة.

بسهولة، وأنّ تتوقف فاعليّته على حجم استجابة الأوساط الاجتماعية والدينية لضروراته، وهو في نظر الكاتب لأمر صعب، يحتاج إلى مران طويل يخفّف الإنسان خلاله من حِدّة غلوّه وتطرفه، وذلك يحتاج إلى عودة متأنّية للذات من أجل نقدها وتحريض بنائها الفكرية والعقيدية، وتأهيلها لتكون أرضية صالحة لاستنبات قيم التسامح الجديدة.

التسامح ومنابع اللاتسامح: مقاربات تمهيدية

لا بدّ من التأكيد أنّه لم يبق أمام الشعوب الإسلامية خيار للحدّ من ثقافة الموت والاحتراب والعداء والإقصاء المتفشية في كل مكان سوى قيم التسامح، لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف إلى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتناحر، وهذا صعب في نظر الكاتب لكونه "يستدعي جهودا يتظافر فيها الخطاب الإعلامي مع الخطاب الثقافي والديني والسياسي والتربوي، ويتطلب تعاون الفرد مع المجتمع، والشعب مع القانون، والدولة مع الدستور. إنّ عمل جذري يستهدف البنى الفكرية والعقيدية للمجتمع، وإعادة صياغة العقل والأولويات والوعي، وتقديم فهم عصري للدين والرسالة والهدف، ونقد للمفاهيم والقيم والسلوك".

لقد اعتبر الكاتب أنّ ما نشاهده اليوم من مظاهر عنف واحتراب يستدعي العودة إلى الذات لمراجعتها، ثم الارتكاز إلى قيم جديدة تستبعد الكراهية والحقد، وتفتح على قيم الإنسانية والدين. وهذا "يتطلب الغوص في أعماق الفكر والعقيدة بحثا عن جذور المشكلة؛ أي ينبغي البحث عن الدوافع الحقيقة وراء ثقافة الموت والاستهانة بالحياة وتكفير المجتمع. وتقصّي المفاهيم المسؤولة عن صياغة البنى الفكرية والمعرفية لعدوانية المرء تجاه الآخر أيّا كان الآخر داخليا أم خارجيا، دينيا أم سياسيا".

التسامح: الدلالات

ومن الحديث عن التسامح ومنابع اللّاتسامح، توقّف الكاتب كذلك عند دلالات التسامح؛ فبخصوص الدلالة اللغوية لمفهوم التسامح يرى الكاتب أنّها: تستبطن المنة والكرم، وتشير هذه الدلالة أيضا إلى وجود فارق أخلاقي بين المتسامح والمتسامح معه. فليست هناك مساواة بين الطرفين، وإنّما هناك يدٌ عليا واهبة، ويد سفلى متلقية، وهو مقتضى المنة والكرم. في نظرنا نعتبر أنّ التسامح واجب علينا فلا هو مَنْ ولا كرم بل هو حقٌّ للآخر. وفي معناه الاصطلاحي يراد به الموقف الإيجابي الذي يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الإقصاء، على أساس شرعية الآخر المختلف دينيا وسياسيا وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته. وفي علاقة بذلك، يتساءل الكاتب: ما هو المطلوب من الشخص المتسامح؟ هل المطلوب التنازل عن القناعات الفكرية والعقيدية نزولا عند رغبة الآخر، أم إنّ ذلك ضرورة يقتضيها التسامح؟ أم إنّ التسامح يعني الانصياع والتبعية والرضوخ للآخر المختلف؟

انطلاقا من الأسئلة المطروحة أعلاه، يرى الكاتب "لا هذا ولا ذاك، وإنّما التسامح يعني اعترافا بالآخر والتعايش معه على أساس حرية العقيدة وحرية التعبير، لا تكرّما ولا منّة، وإنّما هو حق باعتبار تعدد الطرق إلى الحقيقة، وعدم وجود حق مطلق لدى طرف دون آخر، وأنّ الحقيقة موجودة لدى جميع الاتجاهات الدينية والعقيدية على أساس وحدة الحقيقة وتعدّد التجارب الدينية". وثمة نقطة جوهرية، وهي أنّ التسامح لا يقتصر على الجانب الديني، بل يتعدّاه إلى ما هو سياسي وإيديولوجي واجتماعي، فالتسامح السياسي مثلا هو اعتراف بالآخر وحقّه في التعبير عن رأيه وممارسته. ونفس الأمر على مستوى التسامح الاجتماعي؛ أي الاعتراف بالآخر على أساس إنساني بعد تجريد مرجعية التفاضل من القيم العنصرية.

منابع اللاتسامح

إنّ منابح التسامح - حسب الكاتب - تتعدّد تبعاً لطبيعة المجتمع ثقافياً وفكرياً وعقيدياً، وأيضاً تبعاً لمستوى حضور الدين ومدى تمسك المجتمع بالقيم الدينية والاجتماعية. ومن منابح اللاتسامح يذكر الكاتب ما يلي:

أولاً: منطق العنف:

إنّ العنف كان سائداً داخل المجتمعات غير المتحضّرة التي ترفض الاحتكام للقانون أو الأعراف، وبالتالي يبقى العنف السبيل لتقرير المصير. يقول الكاتب "لجوء الإنسان البدائي للقوة والعنف كان دفاعاً عن النفس بسبب الأخطار المحدقة به، ولما ظهر التنافس بين المجموعة البشرية الواحدة واحتدم الصراع على المراعي والحقول، لجأ الإنسان إلى العنف للدفاع عن حياته وعائلته وممتلكاته"، وإذا لم تعمّ ثقافة التسامح اليوم ربما سيعود الصراع والعصية، فيكون الفيصل لغة الدم، يقول الكاتب "ينبغي علينا أن نعي مهمّة ثقافة السلام والتسامح وضرورة انتشارها وتثقيف الشعب عليها عبر خطاب مؤهل قادر على استنبات قيم جديدة، بدلاً من النسق القيمي الذي نطمح لاجتثاثه، بمستوى يصبح التسامح مسؤولية تاريخية يتصدى لها جميع أبناء الوطن من أجل الوطن ووحدته وسلامته وأمنه ومستقبله، كي يلمس الشعب حقيقة التحوّل الذي طرأ على البلاد نتيجة التحوّلات التي مرّ بها".

ثانياً- الولاء القبلي:

هذا الولاء يعدّ من منابح اللاتسامح، ونحن نعيش اليوم الولاء والتعصب إمّا للدين أو للمذهب أو للحزب، في غياب شبه تام لمقدمات العيش في إطار الاختلاف، فالهوّة تتسع ويتسع معها العنف. ينه الكاتب إلى خطورة الولاء القبلي بالقول "ليست العشائر في المجتمع القبلي سوى خطر كامن يتفجر متى شاء، إذ أنّ قرار العشيرة قادر على تحريك كل أفرادها وبالتالي تعبئتهم ضد أية جهة، وحينما

تتعرض مصالح العشيرة للخطر، حتى وإن كان ذلك على حق، فإنّها تتمرد على قرارات الدولة وإرادة القانون... فالمجتمع القبلي عبارة عن قنابل نووية مخصبة قابل للتفجير والانتشار الواسع. فتفكيك النسق القيمي وليس الاجتماعي للقبيلة وإعادة تشكيل العقل العشائري له الأولوية في عملية التغيير المرتقبة، ليصير إلى وسط اجتماعي يتقبل التحوّلات الجديدة ويتفاعل مع قيم التسامح".

ثالثاً- سلطة القيم:

يرى الكاتب أنّ ترزيق (تلقين) القيم إلى وعي الفرد يبدأ عادة في السنوات الأولى من حياته عندما يُلقن بمفاهيم الخضوع والاستسلام للقيم، ويلزم بقيم الاحترام والطاعة والخضوع، أي يُلقن بمفاهيم قيمة يراد له الالتزام بها كي يكتسب احترام المجتمع. وهنا يعطينا الكاتب المثال التالي: فحينما يركز المجتمع إلى العنف في تسوية الخلافات وانتزاع الحقوق، فإنّ الاحتكام إلى العقل والتسامح، من قبل بعض الأفراد، يصبح جينا. وهناك مثال آخر متعلّق بالعقلية الذكورية، فحسب الكاتب "تتصف مجتمعاتنا أيضاً بأنها مجتمعات ذكورية، تمنح الرجل صلاحيات واسعة في مقابل تهميش المرأة وتحقيرها، وتلغي وجودها وتعتبرها أنثى يطأها الرجل حينما يرغب ويتخلى عنها متى يشاء"، وهذا فيه إقصاء للمرأة ومنعها من حقها في أداء رسالتها الحضارية إلى جانب أخيها الرجل.

إذاً لا بدّ من نسق قيمي يطال المشاعر والأحاسيس يؤهّل الإنسان لحياة جديدة قائمة على التسامح وإعادة وعي العلاقة بين جميع الأطراف، بشكل معقول ومنسجم مع طبيعة النفس البشرية الموغلة بالنقص والخطأ، يتفهّم الحالات المختلفة أو المتناقضة التي تطرأ على الإنسان.

رابعاً- الاستبداد السياسي:

يؤكد الكاتب على أنّ الاستبداد السياسي يعدّ خصماً حقيقياً للتسامح؛ ففي الوقت الذي يعتبر فيه الاعتراف بالآخر جوهر التسامح الديني والسياسي

والاجتماعي، يعتبر رفض الآخر وتهشيمه جوهر الاستبداد السياسي، لذا لا يمكن التوفيق بينهما. وبالتالي، لا يمكن إشاعة قيم التسامح في ظل أجواء التفرد والاستبداد بالسلطة، لأن طبيعة الاستبداد تقتضي عدم الاعتراف بالحقوق السياسية للآخر، التي منها حقّه في ممارسة السلطة مع استكمال الشروط اللازمة لها.

خامساً- العنف الديني:

يعتبر العنف الديني أحد أخطر منابع اللاتسامح، لتلبّسه ببُعد شرعي، وتوظيفه النص الديني، وسرعة تصديقه من قِبَل الناس، وقدرته على التخفي تحت غطاء الشرعية والواجب والجهاد والعمل الصالح. فـ "عندما نعود إلى سياق التسامح ومنابع اللاتسامح نؤكد أنّ الفهم الذي يكرّس الأحقاد ويصرّ على تكفير الآخرين، من أجل شرعة قتالهم ومطاردتهم، هو فهم لا ينسجم مع روح الشريعة الإسلامية، وبعدها الإنساني، وبالتالي فهذا الفهم يُعدّ من أخطر منابع اللاتسامح، لالتساقفه بالدين الحنيف، فالمطلوب من أجل الرقيّ إلى مستوى المجتمعات المتسامحة العمل على تفكيك الخطاب الديني المتطرّف، وتفتيت بناء المعرفة، وإشاعة وعي ديني قادر على فهم الحقيقة، كي يتوارى هذا اللون من الفهم ويحلّ محله خطاب متّزن يمهد لاستنبات قيم التسامح والعفو والرحمة".

التسامح: تأصيل الأسس

للتسامح أسس، وإرساؤها يعدّ مدخلا لجعل المجتمعات محتضنة لقيم التسامح ونبذ اللاتسامح، وهذه الأسس:

1- حقوق المواطنة: إذا كان الشعب غير مُهيّئ نفسيا وفكريا وثقافيا للاعتراف بالآخر، لأي سبب كان، فإنّ قبول الآخر وقبول التعايش معه أمر تفرضه وحدة الوطن، من أجل استتباب الأوضاع واستقرار الأمن والسلام. من هنا تكون حقوق المواطنة أحد الأسس الكفيلة بإرساء دعائم التسامح داخل المجتمع ولو بشكل مرحلي، وهي "قضية تملئها وحدة الوطن والحرية الشخصية والاعتراف المتبادل بين

أبناء الشعب جميعا، رغم تنوّع خصوصياتهم؛ أي أنّ جميع الأفراد، وفقا لحقوق المواطنة، متساوون بالحقوق والواجبات على أساس التساوي في انتمائهم للوطن الواحد. مما يعني أنّ مقتضى حقوق المواطنة هو تقديم ولاء الوطن على غيره من الولاءات".

2- الحقوق الإسلامية لغير المسلمين: أي لا بدّ أن يتركز المجتمع على قاعدة احترام الخصوصيات التي تنطلق من عناصر الالتزامات الدينية؛ بحيث لا يعتدي فريق على آخر، ولا يضطهده في خصوصياته. وفي ضوء ذلك "تحدّد حرية المعتقد والتعبير في الضوابط القانونية الخاضعة للسلامة العامة للنظام والإنسان، على هذا الأساس يفتح العيش المشترك في المساواة في الحقوق والواجبات في القانون العام. وفي الخصوصيات الشخصية، وفي مسألة الحريات في نطاق المسؤولية عن الفرد والمجتمع". ويبقى المطلوب حسب الكاتب هو الارتكاز إلى التسامح بالمعنى الاصطلاحي للكلمة لفاعليته وتجذّره وقدرته على ترسيخ قيم المجتمع المدني. أي المطلوب أساسا هو الاعتراف بالآخر وبحقوقه المشروعة، باعتبار تعدد الطرق إلى الحقيقة على صعيد التجربة الدينية.

3- سيادة القانون: مثلما أنّ حقوق المواطنة هي الأساس الأول لإرساء قيم التسامح في المجتمع، فإنّ القانون وسيادته هو الأساس الثاني لها. بل لا يمكن للتسامح الاستمرار في تأثيره الاجتماعي ما لم يكن هناك قانون يستند إليه ويدافع عن قيمه، سيما إذا لم يتمثل الشعب بُعد التسامح إلى درجة الاعتراف بالآخر اعترافا حقيقيا. لذلك فإنّ وجود القانون ضروري. وفي هذا الباب يقول المؤلّف: "مهما كان المستوى الثقافي للمواطن جيّدا غير أنّ نوازعه النفسية وطموحاته السياسية وقراءته المتباينة للأديان والحقوق القومية والطائفية، جميعها تساعد على زعزعة الأوضاع، وتخلق فراغا كبيرا إذا ما تفاقمت الحالة وتعذّرت السيطرة عليها. غير أنّ القانون سيلعب دورا أكبر، إذا توافر على قوة ردع عالية، مرتكزة إلى حرص السلطات التنفيذية والقضائية على تطبيقه، إضافة إلى حجم الحماية التي يمدّه بها الشعب". إضافة إلى ذلك، نؤكد على أنّ مشكلة الأميّة تعدّ السبب الخطير لانتشار اللاتسامح.

4- إعادة تشكيل قيم التفاضل: إنّ الناس في نظر الإسلام: إمّا أخ لنا في الدين أو نظير لنا في الخلق ومن ثم لا تفاضل بين الناس إلّا بالتقوى وهو ما تؤكّده الآية القرآنية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)¹.

ويعلق الكاتب على الآية أعلاه قائلا: "التقوى لا تعني كثرة العبادة، وإمّا خشية الإنسان من الله تعالى إبان تعامله مع الناس، سلوكا وعاطفة؛ فرمّا عابد لا يخشى الله في خلقه يمارس سلوكا لا أخلاقيا في تعاملاته اليومية، فيضرب ويقتل باسم الدين والقرآن والأخلاق، وهو بعيد عن كل ذلك. أو لا يتمتع بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية التي أكّد عليها القرآن الكريم، فيتحايل عليها ويظلم الآخرين ويبخسهم حقوقهم بل ويتعدى على حقوق الآخرين. فالإنسان التقى من يخشى الله، سيما في موضوع استباحة الدماء، خصوصا مع المخالفين دينيا أو مذهبيا، فإنّ حرمة الإنسان عند الله كبيرة، فكيف إذا كان أخ لك في الدين والعقيدة ولا يعدو خلافه معك إلا في أشياء اجتهادية". إنّ الخطاب في الآية القرآنية تحدّث عن الناس ولم يقل المسلمين. ومن ثمة، فالآية العامة تتجاوز العبادة إلى المعاملة.

5- إطلاق الحريات العامة: الحريات العامة بدورها تلعب دورا كبيرا وفاعلا في ترسيخ قيم التسامح بين أبناء الوطن الواحد. وتعدّ حرية الرأي والعقيدة من وجهة نظر الكاتب إشكالية ملتبسة في الفكر الإسلامي، رغم وضوح القرآن الكريم في قوله تعالى (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)². فالطريقة المثلى حسب الكاتب ليست قتل المرتد وإمّا الانفتاح عليه بأساليب أخرى لتفهّم إشكالاته وشبهاته.

بناء على ما سلف، نوّكد مع المؤلّف على قيمة التسامح في شتى تجلياته، ليتحقّق معه وبه مجتمع إنساني يؤمن بقيم الرحمة والاحترام والمحبة دون بغض وحقد تجاه الآخر، سواء كان الآخر ابن الوطن أو الآخر المختلف دينيا أو مذهبيا، فعصرنا

1 - سورة الحجرات، الآية: 13.

2 - سورة البقرة، الآية: 256.

عصر العولمة يفرض علينا السير مع مستجداتها وتجديد التراث بخطاب يسير ولغة العصر.

فغياب التسامح، إذن، يجعل العالم يعود إلى عهوده الأولى، حيث يسود الصراع القبلي والعنف، وهي نقطة جوهرية في الكتاب، وإننا نرى اليوم في كثير من البلدان مثل هذه الأمور، كتلك الصراعات القبلية الراجعة إلى قضية اللغة. وينطبق نفس الأمر على مسألة الاستبداد السياسي الذي أهلك ودمّر دولا عديدة.

ومن القضايا التي توقف عندها المؤلّف بإيجاز، قضية العنف الديني، وفي الحقيقة موضوع العنف الديني بحاجة ماسة إلى المزيد من الكتابات، فالخطاب الديني اليوم يستلزم تعميق النظر فيه، وإنتاج خطاب يراعي التطوّرات، وإلاّ سيستمر خطاب العنف واللاتسامح سائدا، وهو ما ينعكس أثره على البشرية جمعاء.

الإستدلال ، الترجيم والإقتراح

منظومة فكرية متقدمة للباحث ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ سلام كاظم فرج¹

عانى المسلمون والفكر الاسلامي ومنذ بدايات التأسيس في القرن الاول الهجري من إشكالية الفهم الشكلائي للنص المقدس... ومنذ بواكير تشكل الفكر الاسلامي أنتبه الإمام علي عليه السلام الى هذه الاشكالية في قوله ان القرآن الكريم حمال أوجه .. وفي صراعه (الفكري) مع الخوارج قال قولته الشهيرة (كلمة حق يراد بها باطل) ردا على قول الخوارج (إنما الحكم لله لا لك يا علي..) في إشارة الى إن النص المقدس قد يؤخذ في غير مظانه ومقاصده..

فكل الايات الكريمة نزلت ضمن سياقات تاريخية معينة وانطلاقا من حاجات ملحة فرضتها ظروف تلك المرحلة (مرحلة البعثة والوحي..) .. وإذا كانت آيات السيف والقتال تترى في السور المدنية. فإن آيات الرحمة والسلام والتسامح والقبول بالآخر المختلف توطر كل السور المكية.. بل أن الكثير من السور المدنية نزلت ايضا لتنظم الشؤون الادارية والاجتماعية للمجتمع الاسلامي الجديد.. وإذا عرفنا ان البسملة في كل سورة تعتبر آية من آيات الذكر الحكيم. لوجدنا ان توكيد الرحمة تأتي في مقدمة كل سورة (الله الرحمن الرحيم..) لكن منابع اللاتسامح انما تأتي من التفسير الشكلائي لآيات السيف وعدم وضعها في سياقاتها التاريخية ..

كتاب الاستاذ الباحث ماجد الغرباوي (التسامح ومنابع اللاتسامح، فرص التعايش بين الاديان والثقافات)² والصادر في طبعته الأولى عن مركز دراسات فلسفة

¹ - سلام كاظم فرج، أديب وناقد، العراق، له مجموعة مؤلفات.

² - الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2006.

الدين في بغداد.. يبحر عميقا في استكناه جذور إشكالية ضمور البعد التصالحي والتسامح بين معتنقي الديانات المختلفة في العالم المعاصر. والاثار المدمرة على الانسانية جمعاء في تكريس فلسفة التناثر بين معتنقي تلك الديانات.. وإنطلاقا من حقيقة ان المؤلف احد دعاة التنوير من المفكرين الاسلاميين فقد ركز في كتابه على ما يمكن ان نسميه بالنقد الذاتي . ليضرب المثال للآخرين في نقد الذات قبل تحميل كل طرف مسؤولية ما يحدث على الطرف الآخر.

فيقول (لسنا في صدد خطاب ايدولوجي تبريري يمارس التضليل بإقصاء الحقائق ليلقي بتبعية الاخطاء التاريخية على الاشخاص دون الافكار، او يتهم المسلمين لتبثرة العقيدة والدين، وايضا لانتهرب من الاشكاليات النصية او الممارسات السلوكية، انما قررنا مواجهتها بجميع تفصيلاتها...).

ان شجاعة المواجهة والمكاشفة مع الذات قبل المواجهة مع الاخر تشكل حجر الزاوية في مؤلف الاستاذ الغرباوي الذي يعد من الكتب نادرة المثال في النقد الذاتي الاسلامي وصولا الى تنقية الفكر الاسلامي ذاته وإعادةه الى اصول مقاصد الشريعة. لا التخريجات المخربة التي الصقت بالمسلمين قسرا لاسباب متعددة من بينها قصور المسلمين انفسهم في فهم المقدمات الصحيحة التي انتهت الى نتائج غير صحيحة فقدمتهم الى العالم على غير صورتهم والصقت بهم تهم الارهاب والكراهية ونبد الآخر المختلف في عصر دخلت فيه البشرية الى مراحل متقدمة من تكريس قيم المحبة والتسامح والقبول بالآخر المختلف مهما كانت عقيدته ورؤاه..

ان الفكر المعاصر ينتهج نهج الحرية الشاملة في حرية الاعتقاد، لكن هذه الحرية مشروطة بعدم التجاوز على حرية الاخر في فهمه وتصوراته عن الوجود.. فمن باب اولى ان يكون المسلمون سباقين الى تبني هذه الرؤية المتقدمة على غيرهم لا العكس..

في الفصل الاول يجري الباحث مقاربات تمهيدية كثيرة ليؤصل فكرته في انسانية الفكر المحمدي.. وغربة المفاهيم التكفيرية عن روح النص المقدس انطلاقا من الاعتراف بوجود الاختلاف بين البشر وحتى بين اتباع الدين الواحد وانطلق من المجتمع العراقي كمثال.. ولكن.. (ثقافة التسامح واشاعة قيم التعايش والتعددية

تطمح الى خلق اجواء لاتسمح بإنقلاب الإختلاف الى معارك دامية وانما تبقى وجهات نظر محترمة في إطار القانون وحرية الرأي والتعبير)¹.

يقول الاستاذ ماجد (التسامح لغة: مشتق من السماحة أي الجود والمسامحة المساهلة..). ثم يقول (ويراد بالتسامح اصطلاحا موقفا ايجابيا متفهما من العقائد والافكار يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والاقصاء، على اساس شرعية الاخر المختلف دينيا وسياسيا)².

ويؤكد ان التسامح لايعني التنازل عن قناعاتك الفكرية والعقيدية نزولا عند رغبة الاخر . ولا هو انصياع للآخر ولا تبعية ولا رضوخ.. بل هو الاعتراف بحقوق الاخر مثلما اطلب منه ان يعترف بحقوقى. لا تكزما ولامنة.. وانما حق باعتبار تعدد الطرق الى الحقيقة (لانسبية الحقيقة وهذا رأي آخر..)

. مادامت الحقيقة موجودة (بمعنى محتملة) لدى الجميع.. فمن الاولى التعايش ..بينهم لا الإحتراب ..

ويستعير من المفكر الايراني الدكتور عبد الكريم سروش قوله (لا التشيع هو الاسلام الخالص والحق المحض ولا التسنن، على الرغم من ان اتباع هاتين الفرقتين لا يرون هذا الرأي فيما يخص حقيقتهم، لا الاشعرية حق مطلق ولا الاعتزال... لا كافة المسلمين منزهون ولا جميع النصارى.. الدنيا غاصة بالهويات غير النقية، وليس فيها حق صراح في جانب، وفي الجانب الاخر باطل محض).. من هنا ان التعصب لاينتج الا تعصبا مقابلا.

لاموجب بعدئذ للتعصب او الشعور بالمنة والكرم والفوقية حين يقبل التعايش. وانما يجب عليه ذلك..

¹ - المصدر نفسه، ص 15

² - المصدر نفسه، ص 17.

تخطر في بالي وانا أمعن النظر في رؤى الاستاذ الغرباوي المتقدمة العميقة بهذا الشأن أمثلة ضربها عالم الاجتماع الدكتور علي الوردي في قصور الفهم الانساني لمقاصد التشريع المقدس...

تتلخص الامثلة بقصة رجل مفترض عمل كمساعد لطبيب.. لاحظ المساعد ان هناك تناقضات في وصفات الطبيب الماهر. منها انه يحذر احد المرضى من اكل اللحوم الحمراء. في حين يشجع مريضا آخر على الاكثار منها...

ان رؤية المساعد القاصرة قادته الى الظن ان الطبيب يخدع مراجعيه. دون ان ينتبه ان مرض فقر الدم مثلا يتطلب الاكثار من تناول الكبدة وان داء الملوك مثلا يتطلب الامتناع عن تناولها.. يقول الدكتور الوردي إن الايات القرآنية نزلت في وقتها تعالج كل حالة وفق ظروفها وإن الاصرار على الأخذ بها في غير موضعها يشبه اصرار المساعد على سوء الظن بالطبيب.

إن مقاصد الدين الاسلامي كلها تصب في صالح التسامح والمحبة والاعتراف بالآخر المختلف واحترام حقوق غير المسلمين وان وردت آيات كريمة لا تنحو هذا النحو. وتحض على القتال فلأسباب تتعلق بظروف مرحلة عاشها المسلمون الاوائل تتعلق بتهديد حقيقي اكتنف كل غزوة.. ولها تخريجاتها ومقدماتها ونتائجها الصحيحة. وإن الأخذ بها في غير موضعها ينقلب وبالا على المسلمين قبل غيرهم..

في الفصل الاخير يورد الاستاذ ماجد الغرباوي. تحت باب نصوص خالدة. عشرات الايات الكريمة والاحاديث الشريفة التي تتضمن الرحمة والتسامح والعفة عن الايغال في الكراهية والتباغض منها على سبيل المثال..

(إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌوَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)¹.

¹ - سورة البقرة، الآية: 62.

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)¹.
 (فَاعْمُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)².
 (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...) ³
 (لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)⁴.
 لاحظ.. فعل الامر. لا تسبوا. هنا نهي عن الشتم... فكيف بالقتال؟. والتنزيل
 الحكيم هنا يتحدث عن الكفار لا اصحاب الديانات السماوية.
 (فَأَنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)⁵.
 (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس حتى يكونوا
 مؤمنين؟)⁶.
 (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ
 رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)⁷.
 (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ)⁸.
 (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)⁹.

1 - سورة البقرة، الآية: 83.

2 - سورة البقرة، الآية: 109.

3 - سورة البقرة، الآية: 256.

4 - سورة الأنعام، الآية: 109.

5 - سورة الرعد، الآية: 40.

6 - سورة يونس، الآية: 99.

7 - سورة النحل، الآية: 125.

8 - سورة الكهف، الآية: 29.

9 - سورة الكافرون، الآية: 6.

هذه شذرات مختارة من بين مئات الايات الكريمة التي تحض على التسامح والتفهم والصبر اقتبسناها من اقتباسات الاستاذ الغرباوي في كتابه القيم..

ومن بين اهم مصادر اللبس في فهم مقاصد التنزيل المقدس الفهم المتطرف لموضوعة النسخ والتي غالى الفقهاء على مر العصور في الخوض فيها حتى اخروجها عن غاياتها . فقد درس الاستاذ الغرباوي بعناية تلك الملابس في فهم النسخ في القرآن الكريم وضرب مثلا في نصوص غيبها النسخ وفق منظور مجموعة من الفقهاء توسعوا في فهم النسخ كأبن حزم الاندلسي على سبيل المثال في اعتبار ان آيات السيف نسخت آيات الرحمة . وتلك اشكالية خطيرة وقف عندها كتاب الاستاذ ماجد الغرباوي طويلا ليخلص الى حقيقة مؤداها ان النسخ شل حركة نخبه من أرقى الايات إنسانية وتقدما ورحمة. وإن الوقوف عند آيات السيف دون آيات الرحمة إجحاف بحق النص المقدس وينبغي احياء الايات التي جمد فاعليتها الفهم المبتسر للنسخ لتساهم في خلق مناخات تساعد على سيادة ثقافة التسامح والاخاء والوئام والعفو والرحمة والمغفرة لا العكس.. وليس كما يفعل متطرفوهذا العصر من تكفيريين وجهلة يسيئون الى الاسلام والمسلمين بعلم وبغير علم.. في تقديم الكراهية على قيم المحبة ..

إن نسخ مئات النصوص بسبب نص واحد نزل بعدها ينفي عن القرآن الكريم صفة الشمولية في فهم الحياة وسبل إدارتها صوب الارتقاء.. والكيل بمكيال عصور كان بعض الفقهاء فيها تبع لحكام مغامرين اغرثم الفتوحات في زمن غادرناه وانتهى وصار في ذمة التاريخ... فقدموا السيف على الرحمة.. انتهك خطير لمنظومة القيم الانسانية الراقية في الفكر الاسلامي..

لقد ثبت الكتاب اربع قيم اساسية في الاسلام كما وردت في نصوص ثابتة معتبرة

هي، الرفق، الحلم، العفو، والرحمة..

في الختام نحبي الاستاذ الباحث ماجد الغرباوي على هذا البحث القيم الجليل ولا نملك الا القول ان النصوص القرآنية تتطلب تحريصا دقيقا لأنها لا تسلم معناها

الا وفق مفاتيحها. ومفاتيحها الحدس السليم والفطرة الانسانية الطيبة. (الاسلام دين
الفطرة..) والفطرة سمة الحياة لاسمة الموت. والحياة لا تنمو الا بالمحبة ..
وإذا كان قلب (حدس) المؤمن دليله. فإن حدسنا يقول ان الرؤى التي أتى بها
الكتاب تصلح ان تكون دليل عمل لبناء عالم جميل خال من الحروب.

عنف الدولة في كتاب

(تحديات العنف)

بقلم: الأستاذ علي جابر الفتلاوي¹

(عنف الدولة) هو أحد المواضيع التي بُحِثت في كتاب (تحديات العنف)² للاستاذ المؤلف ماجد الغرباوي³ يقول الباحث (ص 177) من كتابه، وننقل كلامه مختصراً دون الإخلال برؤى الباحث:

يمثل عنف الدولة أحد الأخطار المستعصية التي عانت وما تزال تعاني منه غالبية الشعوب، وتكمن خطورة هذا اللون من العنف، كون الدولة ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، وهي مركز السلطة والقوة والقرار، وتسبب عنف الدول في تخلف

1 - كاتب وباحث إسلامي من العراق.

2 - انظر: الغرباوي، ماجد، تحديات العنف، إصدار معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، بغداد، الطبعة الأولى، العارف للمطبوعات، بيروت، (1430 هـ - 2009 م).

3 - الاستاذ ماجد الغرباوي مغترب عراقي يعيش في الوقت الحاضر في استراليا، تعرفت عليه من خلال صحيفة المثقف الالكترونية كونه المشرف على الصحيفة، باحث أصدر عدداً من الكتب، منها: (تحديات العنف)، (مدارات الكون السردية)، (مدارات أيدلوجية). وهي من مقتنيات مكتبي الشخصية، إنه حقاً شخصية عراقية مفكرة تستحق التقدير والاهتمام.

كتبت صحيفة المثقف عنه في العدد (5000) في 2020/5/14: ماجد الغرباوي باحث في الفكر الديني يسعى من خلال قراءة متجددة للنص الديني تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، من أجل فهم متجدد للدين كشرط أساس لأي نهوض حضاري، متخصص في علوم الشريعة والعلوم الإسلامية، مؤسس ورئيس مؤسسة المثقف العربي في سيدني - استراليا، أصدر عدة كتب .

للاطلاع على صفحة ماجد الغرباوي وسيرته في المثقف

<https://www.almothaqaf.com/foundation/majed-algharbawi>

مجتمعاتها ثقافيا وحضاريا، إذ تداعيات الارتكاز إلى العنف منهجا في التفكير السياسي، واسلوبا في الحكم، لا تقتصر على اقضاء المعارضة وقمع الرأي الآخر فحسب، بل إن العنف ينغرس في اللاوعي للشعوب، بحيث يقضي على خيارات تسوية الخلافات بالحوار بين مكونات الشعب الواحد، ويحصرها في اسلوب واحد هو العنف، وحينئذ لا يجد الفرد مبررا للعدول عن العنف ما دامت جميع الأطراف بما فيها السلطة السياسية تلجأ إليه.

عنف السلطة ينتج تخلف المجتمع بسبب الممارسة الطويلة للعنف والاستبداد الدموي، ربما لا يتجهر الأفراد في استخدام العنف المسلح خوفا من ارهاب السلطة وبطشها إلا أن سلوكهم واساليبهم تطفح بأنواع أخرى من العنف، ومثل هذا الشعب سيعاني طويلا حتى يعود إلى مائدة الحوار والتخلي عن العنف بجميع أشكاله، ولا يتحقق هذا الأمر بسهولة، إذ لا بدّ من توفر أجواء وثقافة تساعد في تخطي محنة العنف والعنف المضاد، بعض الشعوب استطاعت تخطي هذه المشكلة، و(نأت بنفسها عن العنف في علاقاتها الداخلية)¹. وبات العنف بالنسبة لهذه الشعوب شيئا مكروها، لكنّ مثل هذه الشعوب مرّت بمخاضات صعبة قد امتدت لمئات السنين. (حتى أصبح متعذرا على دول تلك الشعوب اللجوء للعنف، في علاقاتها الخارجية فضلا عن علاقاتها الداخلية، مالم تتوافر على مبررات قانونية كافية وتضمن قناعة الأغلبية؛ وتمثل هذه الدول اليوم سلم الرقي الحضاري حكومة وشعبا، ونموذجا تطمح إليه بقية الشعوب)². ويضيف الباحث الغرباوي:

الدول المتخلفة ظلت تعاني استبداد السلطة السياسية وتكريس القوة، وممارسة العنف ضد الشعوب، بعد انتاجه وتصديره، والتحايل في ممارسته بصور بشعة وأساليب شتى، وليس الوضع غريبا على المنطقة، بل أنّ ماضي الدولة تأريخ طويل من معاناة الشعوب والظلم والاضطهاد والتسلط والدكتاتورية والاستبداد. ومنذ أن

1 - انظر: الغرباوي، ماجد، تحديات العنف، المصدر السابق، ص 178.

2 - المصدر نفسه، ص 179.

تحولت الدولة إلى ملك عضوض على يد الأمويين والعباسيين، إذ بدأت السلطة المتمثلة بشخص الخليفة تمارس العنف عملاً يومياً ضد المعارضة، واستمر هذا المنهج في عهد الدولة العثمانية المتمثلة بشخص السلطان، والدولة الفارسية وبمثلها الشاه، إذ سارت دولة الخلافة الأموية والعباسية، وكذلك دولة السلطان والشاه بمنهج واحد، هو الاتكاء على العنف والسيوف وقمع المعارضين، وممارسة إرهاب السلطة حتى امتلاً التاريخ بأحداث جارفة اتسمت بالمواجهات والتمرد والقمع والقسوة والخوف والقلق، وأضاف الاستاذ ماجد الغرباوي:

عندما توفر فقيه السلطة تولى بنفسه شرعنة وتبرير ممارسات الحاكم التعسفية ضد شعبه وضد خصومه السياسيين. فمثلاً تجد المعارضة عبر التاريخ توصف، وفق منطق الفقه السلطاني، بالفئة الباغية، العاصية، المارقة، الكافرة؛ ويوصف الشعب بأوصاف مثل رعية السلطان وعبيده ومواليه، فهو ولي أمرهم ونعمتهم، يغدق عليهم عطاياء ومننه، فهو أمير المؤمنين، القاضي بالحق، المنصور بالله، المتوكل على الله، أمين الله، يُحرم الخروج عليه ولو كان فاسقاً أو فاجراً أو قاتلاً أو مقترفاً للموبقات والكبائر. أخيراً يرى الباحث الغرباوي: أن (الدولة منذ تشكلها على يد الأمويين نجد أنها تنحصر في اشكاليتين متداخلتين، الأولى: اشكالية الفكر السياسي والتنظير الفقهي لنظام الحكم والسلطة. والثانية: اشكالية الممارسة السياسية المتمثلة بالحاكم أو رئيس السلطة السياسية ومن ينوب عنه أياً كان اسمه (خليفة/ سلطان/ شاه/ والي)..¹

بعد عرض الموضوع رأبي كقارئ، أنّ الاستاذ الباحث ماجد الغرباوي، قد عرض الموضوع من حيثيات واتجاهات مختلفة، وهذا يُفصح عن قدرة الباحث الفكرية من جهة، وتنوع ثقافته وسعتها في الميدان الفكري من جهة أخرى. ذكر الباحث الآثار التي يتركها العنف على الشعوب، قال أنّ أهم آثار العنف الذي تمارسه السلطة، أنّه يخلق حالة من التخلف لدى الشعوب التي تعيش في أجواء العنف، وهذه إحدى النتائج التي توصل إليها الباحث، وهي نتيجة سليمة في رأبي، العنف

1 - المصدر نفسه، ص 181.

والكبت الشديد يولّد عادات لا تخدم المجتمع ولا تواكب الزمن، ما يعنيه الباحث أن
عنف السلطة هو سبب والتخلف عند بعض الشعوب من نتائج هذا العنف.

يستنتج الباحث الاستاذ الغرباوي، أن من يعيش أجواء العنف فترة طويلة يصبح
سلوك العنف جزءا من بناء الشخصية، يوظفه الفرد في اتجاهات عديدة.

أرى الباحث مصيب في هذا الاستنتاج، والدليل أن بعض العادات والسلوكيات
عند بعض شرائح المجتمع أي مجتمع، ومنها عادة الأخذ بالثأر هي نتيجة الألفة مع
عنف السلطة لسنوات طويلة إذ خلقت حالة من التطبع التي تبدو عند الممارس لهذه
العادة طبيعية ومألوفة، وهذا ما أكدّه الاستاذ الباحث الغرباوي بقوله: ربما لا يتجاهر
الأفراد في استخدام العنف المسلح خوفا من ارباب السلطة وبطشها، إلّا أن سلوكهم
واساليبهم تطفح بأنواع أخرى من العنف؛ لم يبين لنا نماذج من هذه الأنواع الأخرى،
في تقديري أنّ عنف الزوج مع زوجته أو أولاده أو مع أفراد المحيط الذي يعيش فيه،
هي من الأنواع الأخرى للعنف، ومن نماذج عنف السلطة رأينا أو سمعنا كيف كان
صدام يتعامل مع معارضيه؟ القتل على الشبهة أو على كلمة تفوه بها الآخر، وعنفه
هذا تعامل به حتى مع أفراد حزبه الذي ينتمي إليه. رأي الباحث أن هذا الاسلوب
العنفي يقضي على خيارات تسوية الخلافات بالحوار، متوافق مع الباحث الاستاذ
الغرباوي، واستنتاجه سليم ومصيب.

الأمر الآخر الذي يستنتجه الباحث أنّ ظاهرة العنف تعود لأسباب تاريخية، إذ
يرى أن العنف بدأ منذ تحولت الدولة إلى ملك عضوض حسب تعبيره على يد
الأمويين والعباسيين، ومن بعدهم العثمانيون والصفويون. استنتاج صحيح، ونضيف
أنّ الحكومات التي تأسست لاحقا، سارت في نفس المنهج العنفي الموروث، إذ
تحولت إلى مالكة ووارثة للدولة بكل مفاصلها ومؤسساتها وثرواتها، بل يشعر الحاكم
أنّ شعب تلك الدولة مملوك له أيضا، سواء كان الحاكم رئيسا أو ملكا أو سلطانا أو
أميرا، وكل واحد منهم يسلمّ الحكم إلى الذي يليه من عائلته حسب اختياره، في
تقديري أن أغلب الشعوب العربية والاسلامية لا زالت تعيش هذه المحنة إلى اليوم.
نرى بعد أن يطرح الباحث رؤيته في إرجاع ظاهرة العنف لأسباب تاريخية يطرح

مسألة أخرى مهمة لها علاقة بعنف السلطة، وهي مسألة دور الفقيه أو الواعظ الديني في قضية العنف، يرى الباحث أن فقيه السلطة تولى بنفسه شرعنة وتبرير ممارسات الحاكم التعسفية ضد شعبه وخصومه السياسيين.

رؤية الباحث سليمة وصحيحة وواقعية، وقد أكد هذه الحقيقة باحثون مختصون في دراسة طبيعة المجتمع، منهم الباحث الدكتور علي الوردي رحمه الله تعالى عليه، إذ ألّف كتابا مستقلا في هذا الميدان اسمه: (وعاظ السلاطين)، كذلك تناول تفاصيل عن عادات المجتمع العراقي التي تأصلت بسبب عنف السلطة في كتابه الآخر المسمى: (لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث) المكون من ست أجزاء، كقارئ أتوافق مع الباحث الغرباوي في رؤيته عن الواعظ أو الفقيه السلطاني الذي يفتي حسب رغبة الخليفة أو السلطان الحاكم، الواعظ السلطاني يطوّع الدين حسب مزاج ورغبة واتجاه السلطان، فورثنا دينا رسميا لا يعكس صورة الإسلام الانسانية الحقيقية.

أخيرا لا أتوافق مع الاستاذ ماجد الغرباوي في إطلاق عنوان (عنف الدولة)، أرى المناسب أن يكون العنوان (عنف السلطة)، لأن السلطة التي تمارس العنف، هي أحد مفاصل الدولة، ومفهوم السلطة يختلف عن مفهوم الدولة، ولو أن الباحث الاستاذ الغرباوي أثناء عرضه للموضوع يطلق تسمية عنف السلطة في بعض المواضع. وهذا يعني أنّ هناك خلطا بين المفهومين عند الاستاذ ماجد الغرباوي حسب تقديري. أخيرا أشير أن الاستاذ ماجد الغرباوي لم يتطرق لدور (وعاظ السلاطين) في إنتاج الفكر الارهابي الذي تتبناه منظمات الارهاب اليوم، والذي اسموه الفكر الجهادي. هذا الفكر المنحرف انتج جرائم منظمات الارهاب بمختلف مسمياتها؛ إذ أباح هذا الفكر المدعوم من وعاظ السلاطين، قتل الآخر لأنه مختلف؛ يقوم دعاة هذا الفكر العنفي بملاحقة وقتل المختلف، حتى لو كان منتما لنفس الدين والمذهب، فهو فكر دموي في خدمة السلطان مهما يكن عنوانه ملكا أو رئيسا أو أميرا، المهم أنّه يحمل شارة السلطة ويرتدي زي الاسلام زورا، وقد سمعنا جميعا بمقتل خاشقجي وتقطيع جسده من قبل السلطة السعودية في قنصليتهم باسطنبول، رغم أن خاشقجي ينتمي لنفس مذهب السلطة السعودية، لكنّه معارض والمعارض وفق فتوى فقيه السلطة حكمه القتل، هذا الفكر إضافة إلى أنه يبيح قتل المختلف في الرأي، يبيح أيضا سي

النساء وانتهاك أعراضهن حتى وإن كانت النساء من نفس المذهب، وهذا ما قامت به منظمات الإرهاب من القاعدة وداعش، ومنظمات بعناوين أخرى تنتمي لنفس الفكر السلطوي المدعوم من الواعظ والفقير الذي يخدم السلطان، مهمة فقيه السلطة تطويع الدين حسب ما يشتهي السلطان، هذا الفكر المدعوم من فقيه السلطان، يشوّه صورة الإسلام بما يقوم هؤلاء الإرهابيون من أفعال شنيعة، إضافة إلى أنّه يلبي أهداف إسرائيل، والدول الطامعة الاستعمارية الأخرى مثل أمريكا، لهذا نرى أمريكا وإسرائيل وحلفائهما قد احتضنوا الإسلام السلطاني، ودعموه بمختلف الوسائل لتحقيق مصالحهم، وكان من نتائج هذا الدعم، أن أقدمت سلطة العنف على إعلان التطبيع مع إسرائيل، وقد تحققت هذه النتائج بسبب دعم الفقيه لسلطة العنف. أخيراً أقدم تقديري واحترامي للاستاذ الباحث ماجد الغرباوي على جهوده الكبيره في خدمة الفكر السليم والصحيح المتوافق مع أصالة الإسلام وإنسانيته، وأشكره على ما يقدم من جهود في هذا الميدان، كما استمحيه عذرا إن لم أتوافق معه في بعض المواقف، ولابدّ من الإشارة وحسب معلوماتي، أن الاستاذ ماجد الغرباوي هو أحد ضحايا عنف السلطة في زمن المقبور صدام حسين.

قضايا المرأة في الفلسفة الإسلامية الحديثة

قراءة في فكر الأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: د. تناصر آل جعفر¹

ماجد الغرباوي، كما هو مثبت في سيرته في صحيفة المثقف وويكيبيديا: باحث بالفكر الديني. يسعى من خلال مشروعه الى: تحرير العقل من بنيته الأسطورية وإعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة. وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، ومن خلال قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، من أجل فهم متجدد للدين، كشرط أساس لأي نهوض حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتناوب والاحترا ب. في ضوء هذا التعريف سأتناول رؤيته بقضايا المرأة المسلمة. أي المرأة التي تستمد من الدين رؤيتها، ومن الشريعة الإسلامية أحكامها.

الفلسفة النسوية

اهتمت الفلسفة النسوية بمبدأين، أولهما نقد التحيز الذكوري حيثما وجد. والثاني تطوير أخلاق غير متحيزة ذكوريًا. علما أن الإشكاليات التي واجهت ذلك التطوير أغلبها مرتبط بمسألة الدين والشريعة. وهذا يتطلب العودة الى جذرها الديني والأخلاقي أولاً لمعرفة حقيقة تلك الإشكاليات في ضوء النصوص المقدسة، وليس التراث الذي هو رأي بشري غير مقدس. وهذا ما فعله المفكر التنويري ماجد

1 - كاتبة، أستاذة جامعية

الغرباوي في كتابي: "الفلسفة النسوية"¹ وكتاب "المرأة والقرآن"². حيث تصدى لزعزعة تلك الإشكاليات بعد نقده للفهم المتداول لقضايا المرأة عامة والنسوية خاص، عندما سلط الضوء على منظومة القيم التي تحكمها، ومدى مطابقتها للقيم الإنسانية والدينية، لتحاشي الاتجاهات الرادكالية المتطرفة التي انجرفت بعيدا عن الأخلاق والقيم الأخلاقية فضلا عن القيم الدينية.

إن أهم محاور كتابي "الفلسفة النسوية" و"المرأة والقرآن"، هي: الأسطورة ومحددات الوعي. سطوة الفقه، علاقة المرأة بالدين، فهم النص الديني وأثره في النظرة المتداولة حول المرأة وحقوقها ودائرة حريتها وغيرها من قضايا تمس إنسانيتها وحقوقها ومكانتها، كموضوع: النسوية ما بعد الكولونيالية، قهر المرأة، الوعي النسوي، النظام الأبوي، العلاقة بين الجنسين، أشكال التحيز والتمييز، قاضيا المرأة في ضوء الشريعة، كالتعدد والحجاب والنشوز. وغير ذلك كثير ومفصل.

وقد تناول الباحث الغرباوي قضايا المرأة تارة في ضوء النص المقدس، خصوص القرآن الكريم. وتارة في ضوء التراث الذي هو فهم بشري للنص الديني، تتحكم به ايدولوجية القارئ وثقافته وآرائه الفلسفية والفكرية وعقيدته وعلاقته بالسياسية وأشياء غيرها. وهذه قضية مهمة يجب الانتباه لها، فليس كل ما يقوله التراث عن المرأة يمثل رأي الدين بالضرورة، مهما كان مصدره لانه رأي بشري قد يصيب وقد يخطئ، وعلينا الرجوع للقرآن المصدر التشريعي الاول لمعرفة الحقيقة والأخذ بها: (فالقياص - كما يقول الغرباوي - هو القرآن وليس قول المفسر او الفقيه، ومتى ما انتابنا الشك في اقوالهم نعود للقرآن نستنطقه كي نتعرف على الحقيقة)³.

1 - محمد علي، د. محمود، الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، ودار الوفاء، الاسنديرية - مصر، 2021م

2 - المرأة والقرآن.. حوار في اشكاليات التشريع، حوار د. ماجدة غضبان مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، 2015.

3 - المصدر نفسه، ص 16.

يعتقد الباحث أن قضية المرأة قضية عالمية، بمختلف اشكالياتها، وإن كانت بنسب متفاوتة لكن القضايا الرئيسية واحدة¹: اضطهاد المرأة، الذكورية، ضياع الحقوق، قمع الحريات، تهميش المرأة، كمال عقلها، قدراتها الادارية، وغير ذلك. فلفاهيم واحدة مهما تعددت بيئاتها الثقافية والاجتماعية. لكن هناك إشكاليات مرتبطة بالأديان عام والدين الاسلامي خاصة، تولدت عن آراء فقهية ووجهات نظر اجتهادية تتأثر لا محال بقبليات الفقيه، فجعل الرأي الفقهي من المرأة (جاريةً أو أمةً)، مسلوقة الحقوق والإرادة، وسلط عليها الذكر كما يمليه عليه فهمه لقضايا المرأة ودورها في المجتمع، فسلبها انسانيته ذلك الحق الإلهي الذي منحه لها، وجعل منها شريكة لخليفة السماء في الأرض أي الإنسان الذكر، فعهد الله الخلافة لهما وليس للذكر خاصة دونها، لكن رغم ذلك كله حط رجل الدين من قيمتها الانسانية. يقول الباحث: (الرؤية الفقهية المتداولة تستمد شرعيتها من آيات يبدو ظاهرها مع تكريس عبودية الإنسان عامة، وانتقاص المرأة خاصة. أي نظرية العبودية تبرر النظرة الذكورية، والنظرة الدونية للمرأة، ولديها ما تستدل به من أحكام الشريعة. بينما تنقلب النتيجة مع منطق الخلافة، وأن الإنسان أساس الخلق. وما الأحكام إلا لترشيده مرحليا، وفق ملاكات الأحكام، وليست لاستعباده تحت أي مسمى كان)². لقد تعرضت المرأة الى ظلم عظيم في حياتها، ولقد كان ظلم المجتمع للمرأة أهون من ظلم الفقهاء والفلاسفة. بل أن الكثير من الفلاسفة كان أكثر قساوة في أحكامهم على المرأة من الفقهاء³.

المنطق العبودي

في التفاتة جعلت المفكر الغرباوي يحذو حذو التنويري محمد شحرور فيما سماه: المنطق العبودي حين وصف علاقة الناس بخالقهم، بأنهم: عباد لا عبيد. فهم عباد

1 - الفلسفة النسوية، مصدر سابق، ص 15.

2 - المصدر نفسه، ص 16.

3 - المصدر نفسه، ص 152.

الله، كما تصرّح الآيات بذلك. علاقة الانسان العابد بخالقه علاقة واعية تنطلق من عقلية حرة مميزة. بينما يُقَاد العبيد بسلاسل مكتوبة، متوارثة من كتب التراث الإسلامي، الذي دفع المجتمعات الإسلامية والعربية بشكل خاص إلى التمرد التام، ولا سيما المرأة التي ثارت على تلك المقدسات البشرية التي سجنتها عقوداً طويلة. كتب موروثاً عن التراث اليهودي والمسيحي، طالما عاشت أوروبا والغرب في ظلها بظلام كبير، انعكس على وعي المرأة ونظرتها لذاتها وللآخر.

سعى المفكر الغرباوي إلى حل إشكالية "عبودية المرأة" من خلال وعيها. وعيها لذاتها وللآخر الزوج / الابن / الاب، باعتبار الوعي لدى الباحث قضية مركزية يعول عليه لتسوية إشكاليات المرأة، وعنده (أن مشكلة التخلف مشكلة وعي قبل كل شيء. والعلاقات غير المتوازنة بين الرجل والمرأة، سببها رثاءة الوعي المشرعن)¹. أولها أسطورية البنية المعرفية لها، التي احتلت فيها الخرافة واللامعقول مساحة واسعة، وجعلتها تنظر لنفسها نظرة دونية. لا شك، كما يؤكد الباحث أن علاقة المرأة بالأساطير والفلسفة القديمة، محكومة بنظرية العبودية، التي تركز عبودية الإله / السيد / الملك / الطاغية. وتسلب الفرد إنسانيته، بعد تكريس "تشيئته"، ليكون مستتباً، تابعاً. فقيمة الشخص، ذكر أو أنثى، قيمة اعتبارية تسبغها عليه الإلهة / الملوك / السادة / الطغاة. وليس لهم وجود مستقل². هذا ما يفعله المنطق العبودي والذي يحذر منه الاتجاه التنويري دائماً، ويؤكد عليه كثيراً الباحث الغرباوي في كتابي: الفلسفة النسوية وكتاب المرأة والقرآن. كما أنه يرفض تحميل المرأة خطيئة البشرية، تلك الأسطورة التي تتناقضها الأساطير القديمة والكتب التراثية. المرأة تعرضت لمختلف أنواع الاضطهاد، أحدها شيطنتها وتحميلها مسؤولية الخطيئة الأولى، فالرجل بطبيعته معصوم لولا غواية المرأة التي أوقعته في الخطيئة!!!.

لا شك أن علاقة الرجل بالمرأة أو الذكر بالأنثى مرة بمراحل مختلفة خلال تاريخهما المشترك، ففي العصر الأموي كانت المرأة تتمتع بمكانة رفيعة حتى صارت

1 - المصدر نفسه، ص 27.

2 - المصدر نفسه، ص 17.

آلهة تعبد، وصارت الأنوثة رمزا للخصب والحياة في الأساطير القديمة¹. ثم خضعت الى سلطة الذكر، وراح يتحكم بها ويمقدراتها. الى درجة بات وعي المرأة مرتقنا لوعي الرجل، ضمن أطر البيئة الثقافية، والنظم الأخلاقية التي قامت على مركزية الذكر ذلك ما ذكره الأستاذ الغرباوي وهو يناقش الوضع تاريخيا².

وقد سعى في كتاب النسوية الى تصحيح المفاهيم فان معنى كون المرأة آلهة، يقول: (فكونها - أي المرأة في العصر الأمومي - مصدرا للحياة كان سببا لعبادتها، وقدسيتها. كما هو الحال بالنسبة لعبادة البقر باعتبارها مصدرا للخير والعطاء. فالوهية المرأة تكمن في عطائها لا في إنسانيتها، وقدراتها العقلية، وعبادتها لا تعني الاعتراف بإنسانيتها بل لأنها مصدر للحياة، مثلها مثل البقرة. يتضح هذا جليلا من خلال الملاحم والرموز الأسطورية)³. ويضيف: (بل أن إنسانية المرأة غير مطروح أساسا، وتبعيتها للذكر أمر مفروغ منه، ضمن ثقافة العبودية، التي كانت سائدة آنذاك، والتي كانت تعيد انتاجها باستمرار، وهي ثقافة لا إنسانية تصدر المرء حريته واستقلالته، وتجعل منه عبدا مملوكا لسيده)⁴.

التأويلات الخاطئة للنصوص الدينية

تكلم الباحث الغرباوي في كتاب المرأة والقرآن⁵ عن التأويلات الخاطئة لنصوص القرآن الكريم الخاصة بالمرأة، وكيف أنها عكست صورة سلبية عنها، من وحي تلك التأويلات. فعندما نعود للكتاب الكريم نجده يتحدث عن المرأة الإنسانة، على

1 - المصدر نفسه، ص 20.

2 - المصدر نفسه، ص 21.

3 - المصدر نفسه.

4 - المصدر نفسه.

5 - المرأة والقرآن.. حوار في إشكاليات التشريع، حوار د. ماجدة غضبان مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2015م.

خلاف ما هو متداول في مجتمعاتنا. فهي انسان اولا وقبل كل شيء. يجب التعامل معها على هذا الأساس. هي شريك الرجل، ورديفه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)¹، فهما على مسافة واحدة بالنسبة للآية الكريمة، خاطبهما معا مادام أحدهما يكمل الآخر. وقد ذكر الكتاب أمثلة عديدة عن مكانة المرأة في الإسلام. منها: (خاطب القرآن المرأة كانسان في: جميع الآيات التي خاطبت الانسان بما هو انسان فتشمل باطلاقها الرجل والمرأة، ولا تخصيص له دونها، وهي الآيات التي تتحدث عن الانسان بما هو انسان. وكذلك الآيات التي تحاطب الناس، وليس الناس سوى الرجال والنساء، بدليل الآية المتقدمة، انا جعلناكم شعوبا وقبائل. وكل الآيات التي تنص عليها كمؤمنة)². فاستصغار شأنها ونزع إنسانيتها ليس مصدره النصوص القرآنية وإنما رؤية بشرية تتحكم بها عادات وتقاليد بعيدة عن روح الانسانية. مصدرها الرجل وإن كان مفسرا. رجل ينطلق من رؤية ذكورية للمرأة في تحديد حقوقها ومسؤولياتها.

كما لفت الكتاب نظر القارئ إلى وحدة الخطاب القرآني للرجل والمرأة بشكل متساوٍ في النصوصه. جميعها يتحدث عن إنسانيتهم ودورهما في بناء المجتمع³. وأرجع أسباب النظرة الدونية ونقصان عقل المرأة في المجتمع إلى التراث الذي نسب للنبي والصحابة روايات تنقص من إنسانيتها. غير أنني أرى أن نسبتها للنبي والصحابة ليست صحيحة. لأن ما يخالف النصوص القرآنية لا يؤخذ به. القرآن أعاد للمرأة حياتها وحرم الوأد. وفرض لها نسبة من الميراث. ومنحها حق اختيار الزوج، وغير ذلك من حقوق حصلت عليها بعد نزول الرسالة المحمدية.

1 - سورة الحجرات، الآية: 13.

2 - المرأة والقرآن، مصدر سابق، ص 13.

3 - المصدر نفسه، ص 12 - 13.

المرأة والوعي

ما زالت المرأة العربية بحاجة إلى ثورة تخرجها من سلطة الرجل والفقهاء ومقدساتهم. وأن تعي ذاتها وإنسانيتها قبل أن يعي المجتمع أهميتها. فهي بحاجة مستمرة الى ثقافة تنويرية تستعيد بها وعيها ودورها الانساني الذي خلقت من أجله. فالوعي بالنسبة لفلسفة ماجد الغرباوي أمر مركزي، يعول عليه كثيرا، حتى ضمنه في مفهوم الفلسفة النسوية. ففلسفته قائمة على الوعي أولاً، لذا يقول في تعريفه لمفهوم النسوية والمهام التي تقوم بها: (تعرفني لمفهوم النسوية - Feminism، وفقا لمفهوم الفلسفة المعاصرة، القائمة على النقد والعقلانية، هو: أنها فلسفة تهدف إلى (تحرير وعي المرأة وإعادة تشكيله وفق رؤية إنسانية عادلة). ليكون موضوعها: (نقد مكونات الوعي وارتقانات تشكيله)¹.

ان مسألة وعي المرأة بذاتها كما يراها هي الركيزة الأهم في تصحيح النظرة إليها ووضعها في مكانها الصحيح ومكانتها كإنسان كامل، لا يعاني من نقص العقل الذكوري، فهي الإنسان الواعي الذي يسعى لبناء مجتمع إنساني سليم التفكير لا يستطيع الفقهاء والحكام التسلط عليه وغبن حقه. ولا نغالي إذ قلنا أن ثورة تشرين عام 2019 كانت صورة واضحة لوعي المرأة العراقية لمكانتها، وخروجها من سجون الفقهاء كان نتاج ذلك الفكر التنويري الذي يملكه وينشره التنويري السيد ماجد الغرباوي. لكن للأسف رأينا كيف عاد العراق إلى النظام الديني المتطرف الذي أعاد المرأة العراقية إلى الهاوية بعد أن كانت قد حازت الصفوف المتقدمة في الفكر والريادة في المحافل الدولية العلمية والسياسية.

هذا التراجع سببه العودة إلى (النظام الأبوي) الذي تتبناه الحركات الدينية. والتي تجعل من المرأة كائن يثري البشرية بالنوع الإنساني فقط من خلال وظيفتها الإنجاب مما يجعلها بحاجة إلى قوامه الرجل أو التسلط عليها بحسب المفهوم الخاطئ للنصوص

1 - الفلسفة النسوية، مصدر سابق، ص 9.

الدينية التي جعلتها إنسان شأنها شأن الرجل (وفضل بعضهم على بعض) كل باجتهاده.

يختتم الأستاذ ماجد كتابه من خلال تساؤل المحاور عن رأيه في حجاب المرأة، كانت التفاتة جميلة أنه وصف الزي والملبس بقوله (يشكل الزي مائزا يفترق به الإنسان بمعية العقل والإدراك عن الحيوان)¹. إذ لم يشأ آدم وحواء أن يكونا عراة كالحیوانات وذلك كما يرى بداية الإدراك العقلي للبشر بعد خروجهم من الجنة، ففي سورة طه: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَحَا بِخَصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)². ثم يعود إلى غطاء الرأس لبيان أنه يمثل هوية لمن ترتديه. على اعتبار أن الأزياء تمثل هوية الإنسان كفرد إذ أن الأزياء عند الشعوب لا تتشابه بل يتميز الناس في أزيائهم، وكون الحجاب زي يمثل المرأة المتدينة سواء أكانت يهودية أو مسيحية أو مسلمة، فتعاليم الدين تدعو إلى حجاب المرأة. فانتقل في الإسلام من مجرد كونه يدعو إلى الاحتشام إلى شعيرة دينية غالبا يفرضها رجال الدين والقبيلة بالقوة مما يجعلها تشعر بالتكبير والقيود والنفور منه، إذ نقل الفقهاء قضية الحجاب من مجرد زي إلى علامة انتماء سياسي أو ديني أو مناطقي، وتبقى مسألة التمسك بالحجاب من عدمه يعود إلى وعي المرأة بالزي الذي ترتديه.

رأيت في فكر التنويري الغرباوي في كتابه المرأة والقرآن نظرة، دبلوماسية، نحو تعدد الزوجات الذي رفضه الكثير من التنويريين، فإن صلاح المجتمع ونظافته من الفساد أكثر صلاحا حين يسمح بتعدد الزوجات. إلا أنه أطلق حكما قاسيا جدا على الرجال ومن يسمح بتزويج المرأة غصبا فاعتبره من الزنا، وأنا أرى أن ذلك صحيح جدا ونحن نرى الآن كيف انتشر تزويج القاصرات غصبا لأسباب اقتصادية والمتاجرة بجسد القاصرة لا يمكن أن يعد إلا من باب الزنا.

1 - المصدر نفسه، ص 206.

2 - سورة طه، الآية: 121.

الإسلام ثورة، هذا التوصيف أطلقه الكثير من المفكرين من أطلق عليهم صفة علماني أو تنويري، إلا أنني لا أرى أن الإسلام ثورة كون الثورات تتأكل نتائجها بانتهاك رجالها وأثارها لتأتي بعدها ثورات أخرى تصحح المسار، بينما لا يكون ذلك في الدين الإسلامي لأسباب عدة ربما يكون لي شرف مناقشتها مع الأستاذ الغرباوي.

لقد لفت المفكر الغرباوي الأنظار الى مسألة قدسية النصوص القرآنية، وما يترتب على من يؤمن أو لا يؤمن بقدسيته، وكيف تتبدل زاوية النظر: (ثمة من يعتقد بمرجعية وقداسة القرآن مطلقاً، في قبال من ينفي عنه ذلك. وبالتالي فزاوية النظر تؤثر في فهم النص بين التأويل والنقد. لكن الجميع يعتقد ان القرآن نص متعال في نسقه الكلي، بلاغيا او في بنائه النصي، او من خلال وسطيته وعقلايته، او اخباراته التاريخية والعلمية، غرائبته وتشريعاته، وأشياء اخرى كثيرة. وهذا ليس رأيا شخصيا. وعليه نحن نتعامل مع النص بما هو نص تاريخي، دون انحياز لأي من زاويتي النظر، سواء كان وحيا او تأليفا .. فهذا لا يهمنا حاليا، الا في سياق الأسئلة)¹.

يبقى هدف المرأة الواعية أن تعيش إنسانة حرة، لا يقمع أحد شعورها الإنساني ولا يعيدها إلى مفهوم (العبودية) وإنما هي (خليفة الله في أرضه) شأنها شأن الرجل.

إن قضية التنوير التي يتبناها الأستاذ الغرباوي لا تعني عداؤه للدين أو رفضه التام لما ورد فيه، بحسب ما يظنه المتشددون أو (الراديكاليون المتطرفون) من أن التنوير يدفع نحو إنكار ما جاءت به الأديان. وأهم ما حدث عليه أن التنويري عندما يتصدى لقضية نقد القضايا التي تمس مقدسات الناس لا بد وأن يكون ملما إماما تامة بما يقرأ ولديه كل وسائل النقد وآلياته.

1 - المرأة والقرآن، مصدر سابق، ص 9.

رؤية تحليلية لكتاب التسامح ومنابع اللاتسامح للمفكر العربي الأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: د. رانيا عاطف¹

لا شك أن التسامح يعد مبدأً أخلاقياً أساسياً وقيمة إنسانية سامية، وهو أحد أهم مبادئ تعزيز العلاقات بين أبناء المجتمع الواحد أو بين المجتمعات وبعضها البعض، كما أنه يعد أساساً لكثير من القيم الأخلاقية مثل قبول الاختلاف، احترام الإنسان لكونه إنساناً يجب أن يحترم لذاته، احترام حرية التعبير عن الرأي أيًا كان هذا الرأي، وإدراك أهمية تطبيق مبدأ العدالة في المجتمع، ومن هنا يأتي السؤال: بأي معنى يجب أن يتحقق التسامح؟ وهل يمكن أن يكون صفة ذاتية قاصرة على شخص بعينه؟ أم هو صفة اجتماعية يمكن أن تتجسد في مجتمع بأكمله؟ حاولت الباحثة الإجابة عن هذا السؤال في ضوء كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح (فرص التعايش بين الأديان والثقافات) هذا الكتاب الذي تم نشر الطبعة الأولى منه عام 1429هـ - 2008م للمفكر القدير الأستاذ ماجد الغرباوي وذلك لما لهذا الكتاب من أهمية كبرى حيث جاء ليوضح كيف يمكن أن يتحقق التسامح، كما أبرز كذلك منابع اللاتسامح التي تعد -من وجهة نظر كاتبة هذه الأسطر- الخطر الأكبر الذي يهدد أي مجتمع متى ينتشر فيه، وهنا يأتي السؤال: ما أهمية تناول قيمة التسامح الآن؟ بمعنى أكثر دقة لماذا تم اختيار كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح كموضوع لهذه الورقة على وجه التحديد؟

عند الإجابة عن هذا السؤال نجد أنه رغم مرور سنوات طوال على نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب شهد عالمنا خلالها أحداثاً كثيرة من تقدم علمي وتكنولوجي،

1 تخصص فلسفة بكلية الآداب، جامعة المنيا، مصر.

وحروب، ونزاعات، وثورات، وصراعات مختلفة، وغير ذلك من الأحداث التي تساهم بلا شك في تشكيل فكر الإنسان إلا أنه مازال يعاني من غياب ثقافة الحوار وعدم قبول الآخر المختلف وانتشار الكراهية والموت وازدراء الإنسان في كثير من الأحيان وذلك تحت مسميات دينية ومذهبية وقومية.

لا مجال لخلاف على أن الإنسان بطبعه كائن اجتماعي يسعى دائماً لمشاركة غيره والتعايش معه وقد ظهر ذلك واضحاً منذ قيام أول مجتمع بشري على الأرض، لقد أدرك الإنسان أنه لا يستطيع أن يعيش بمفرده أو بمعزل عن غيره فلا بد له من الاحتكاك بأبناء مجتمعه والتعامل معهم، ومع إدراك الإنسان أهمية ذلك الاحتكاك بغيره والتعامل مع أبناء مجتمعه أدرك أهمية تطبيق تلك القيم التي تنظم حياة أبناء المجتمع، وتحفظ لهم حقوقهم، وتضمن لهم حياة إنسانية هادئة دون ظلم أحد أفراد هذا المجتمع، ومن بين هذه القيم الأخلاقية التي تضمن للإنسان تضامنه مع غيره وتقبله للآخر سواء اتفق معه أو لم يتفق، وكذلك تضمن تكامل المجتمع وتحقيق أهدافه "قيمة التسامح" حيث أدرك الإنسان أهمية التسامح، وكونه ضرورة حياتية تبقى الحاجة لها قائمة مادامت الحياة مستمرة، وطالما أن هناك إنساناً يمارس العنف ضد الآخر وإقصائه وتكفيره، وبرفض التعايش السلمي مع غيره المختلف معه سواء كان هذا الاختلاف فكرياً أو دينياً أو سياسياً أو ثقافياً¹ كما جاء ذلك في مقدمة كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح، من هنا جاءت أهمية السؤال الذي تم طرحه في بداية هذه الورقة وهو: بأي معنى يجب أن يكون التسامح؟

لا شك أن هناك الكثير من الدراسات والمؤلفات التي أفاضت في تناول مفهوم التسامح لغة واصطلاحاً، وكذلك الحديث عن أهميته كقيمة أخلاقية علياً إذ لا سبيل لمجتمع أراد أن يعيش بسلام أن يتخلى عنه إلا أن هذا الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن نجده قد اتخذ طريقاً يختلف إلى حد كبير عن الطريق الذي اتخذته معظم الدراسات التي تناولت قيمة التسامح؛ وذلك لأنه حاول بيان الأسس التي

1 ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح (فرص التعايش بين الأديان والثقافات)، الحضارية للطباعة والنشر، العراق - بغداد، الطبعة الأولى: 1429هـ - 2008م، ص: 11.

يجب أن يركز عليها مفهوم التسامح لتوطيد العلاقة بين الطوائف والقوميات المختلفة، أي تكريس مفهوم التسامح وفق الحاجة الاجتماعية له من حيث كونه حقاً للجميع قائم على أساس الاعتراف بالآخر واحترامه لأنه إنسان يجب أن يحترم لذاته سواء اتفق مع غيره أو اختلف مع ضمان حريته في التعبير عن رأيه وممارسة حقوقه كاملة، وعندما أدرك الإنسان خطر الحرب وانتشار التعصب والعنف والتطرف والإقصاء ونبد الآخر المختلف في بعض المجتمعات لم يجد أمامه وسيلة للحد من هذا الدمار الذي لا محالة سينال المجتمع نتيجة غياب قيمة التسامح والعيش بسلام سوى التمسك بقيمة التسامح، إذ تعد تلك القيمة وسيلة النجاة لأي إنسان أدرك المعنى الحقيقي للإنسانية وما تتضمنه من حقوق وواجبات يجب احترامها والحرص على أدائها كما يجب أن تكون، هذا بالنسبة لأي إنسان، فماذا عن الإنسان المسلم الذي وجد التسامح جوهر دينه الإسلامي الوسطي الذي يدعو إلى احترام الإنسان لذاته واحترام إرادته وتحريم الاعتداء على كرامته، وكفل له حرية التعبير عن رأيه فما كان أمامه غير التمسك بالتسامح وبغيره من قيم العفو الرحمة والسلام كوسيلة للحد من خطر الموت والنزاع والعداء والإقصاء المنتشر في المجتمع كما أوضح لنا الأستاذ الغرباوي من خلال هذا الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن حيث يقول مفكرنا: "لم يبق أمام الشعوب الإسلامية خيار للحد من ثقافة الموت والاحتئاب والعداء والإقصاء المتفشية في كل مكان، سوى تبني قيم التسامح والعفو والمغفرة والرحمة والأخوة والسلام لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف إلى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتناحر..."¹ ولكن كيف يمكن ترسيخ التسامح في المجتمع لكي يحقق أهدافه ويؤتي ثماره؟ يمكننا القول بأنه للابد للإنسان إذا أراد التمسك بقيمة التسامح أن يدرك أولاً أنه إنسان، أي أن طبيعته الإنسانية تجعله يخطئ ويصيب، وطالما أنه ليس على صواب دائم فلا بد له من احترام طبيعته وكذلك احترام طبيعة الآخرين؛ ويظهر ذلك من خلال قبوله آرائهم وفي بعض الأحيان -قبوله أخطائهم- وتسامحه معهم إن لم يمتد خطر تلك الأخطاء لإيذاء إنسان آخر أو

1 المصدر نفسه، ص: 15.

التعدي على حق من حقوقه، ومن ثم يكون علم الإنسان بكونه ليس معصومًا من الخطأ في سلوكه وأقواله يقتضي بلا شك تسامحه مع نفسه أولاً، أي قبوله لذاته وطبيعته وقبوله لغيره على ما هو عليه ومع قبوله لذاته وقبوله لغيره يسعى للتغيير للأفضل، وهذا من وجهة نظر الباحثة يمكن عده ممارسة التسامح بأسمى معانيه تطبيقياً على أرض الواقع سواء كان ذلك على المستوى الديني أو الثقافي أو الاجتماعي أو حتى على المستوى السياسي، وهذا هو جوهر الدين الإسلامي كما أوضح لنا الكتاب، وبمنظرة أكثر شمولية نجد أنه لا مجال لحياة إنسانية هادئة مطمئنة بعيداً عما نعانيه ويعانيه عالمنا الآن من حروب وصراعات ونزاعات وإبادات جماعية لشعوب بأكملها إلا بالتسامح، إذ ليس من الإنسانية في شيء أن يحصل شعب بعينه على حقوقه كاملة، ويعيش حياة مطمئنة على حساب شعوب تفتقد أقل حقوقها وهي أن تعيش بسلام دون تهديد أو عنف أو فقد أو إقصاء أو معاناة، وبالمثل لا يمكن تحقيق التسامح إلا من خلال تضافر الخطاب الإعلامي مع الخطاب الديني والسياسي والتربوي، وذلك يتطلب تعاون الفرد مع المجتمع والشعب مع القانون والدولة مع الدستور.¹

أجاب الكتاب عن مجموعة من التساؤلات مثل ما معنى التسامح؟ ما المطلوب من المتسامح سواء كان فرداً أو مؤسسة أو دولة؟ وما هي الأشياء التي يمكن التسامح فيها؟ وغيرها من الأسئلة المهمة التي تفرض نفسها عند دراسة قيمة التسامح إلا أن الباحثة هنا سوف تركز اهتمامها على نقطة جوهرية ارتأت أنها في غاية الأهمية وعرضها الكتاب عرضاً وافياً وهي كيف يمكن أن يكون الفهم الخاطئ لمفهوم التسامح سبباً لغياب قيمة التسامح؟ أي كيف يكون سوء فهم التسامح منبع اللاتسامح؟ وبأي معنى يمكن أن يكون التسامح حقيقياً؟

يرى الأستاذ الغرباوي: أن التسامح في نظر الأوساط المتصارعة لا يعدو كونه قيمة أخلاقية تتحكم به مؤثرات اجتماعية وسياسية، وهو في رأيها منّة وتفضل مشروط، قد ينقلب الى ضده إذا فقد رصيده الأخلاقي، وما نحتاجه فعلاً لتوطيد

1 المصدر نفسه، ص: 15.

العلاقة بين الطوائف والقوميات مفهومًا يركز الى أسس متينة، تتفادى الاحتكاك على خطوط التماس، إلا أن المراد بالتسامح أنه موقف إيجابي متفهم من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدًا عن الاحتراب والإقصاء¹.

بهذا المعنى ارتأت الباحثة ضرورة تكريس مفهوم التسامح وفق حاجات الإنسان الاجتماعية بعيدًا عن المنّة والتفضل والكرم، بحيث يكون التسامح حقًا لجميع الأفراد على أساس الاعتراف بالآخر وحقه في الاختلاف كيفما يشاء بشرط عدم الإضرار بغيره، وهذا يؤكد لنا أنه ثمة اختلاف جوهري بين تسامح شكلي، تفرضه دوافع السلم الأهلي أو الاجتماعي يقوم على المنّة والتفضل، ويحمل في داخله نواة انهيائه، في مقابل تسامح حقيقي، يعي صاحبه مفهوم الآخر، ويعترف به شريكًا بالحقيقة مهما كانت نسبتها، أي تسامح يسمح بتعايش مختلف الرؤى والاتجاهات بعيدًا عن الصراع والإقصاء، على أساس شرعية وجود الآخر دينيًا وسياسيًا وضمان حريته في التعبير عن آرائه ومعتقداته²، بهذا المعنى يكون التسامح الحقيقي ضد احتكار الحقيقة والاستئثار بالنجاة لطرف دون آخر بعيدًا عن إصدار أحكام برفض الآخر أو تكفيره لمجرد اختلافه مع من يتوهم أنه يمتلك الحقيقة المطلقة، كذلك يكون التسامح وسيلة للقضاء على منابع اللاتسامح التي تتعدد تبعًا لطبيعة المجتمع ثقافيًا وفكريًا وعقديًا، وأيضًا تبعًا لمستوى حضور الدين ومدى تمسك المجتمع بالقيم الدينية والاجتماعية، ولكن ثمة منابع تعد -في نظر مفكرنا- أكثر أهمية مما سبق وتتفق معه الباحثة في هذا الرأي من بينها منابع التي تفضي إلى التعصب الديني والقبلي والسياسي، وما ينتج عنها وما يعمق وجودها ويركز فاعليتها من مفاهيم وقيم³.

ومما سبق يمكننا القول بأن التسامح الذي يحتاجه عالمنا الآن وبالمعنى الذي يجب أن يكون هو التسامح الحقيقي لا الشكلي، التسامح الذي يقبل المختلف قبولًا

1 المصدر نفسه، ص: 20.

2 ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح (فرص التعايش بين الأديان والثقافات)، الحضارية للطباعة والنشر، العراق - بغداد، الطبعة الأولى: 1429هـ - 2008م، ص: 23.

3 المصدر نفسه، ص: 26.

حقيقياً ويعترف بحقه في الاختلاف، وليس مجرد التظاهر بالتسامح الذي ينكشف زيفه وكذبه مع أول اختبار له بخلاف بين متبنيه والطرف الآخر المختلف معهم، ما نحتاجه هو تسامح تكون غايته أن يعيش العالم في سلام ووثام دون نظرة تعالي من طرف على غيره، نحتاج التسامح كصفة ذاتية وصفة اجتماعية في الآن نفسه، حيث يتبلور تسامح الإنسان كصفة ذاتية في قبوله لذاته من حيث كونها ذاتاً بشرية مهما تسامت لا يمكن أن تصل لمراتب الكمال المطلق أبداً، ومن ثم يعد فهم الإنسان لذاته وطبيعته واعترافه بأخطائه وعثراته - لأنه إنسان يصيب ويخطئ - الخطوة الأولى لتطبيق التسامح الحقيقي مع الذات، ومحاسبتها بما يتوافق مع طبيعتها البشرية، وكذلك يكون التسامح أيضاً خطوة مهمة نحو قبول الآخر المختلف والتعامل معه تعاملًا سلميًا، إذ لا مكان ولا مجال لعنف أو تعصب بين أناس عرفوا معنى التسامح وأدركوا قيمته وطبقوه في علاقاتهم، ومن ثم يكون التسامح أيضاً المبدأ الأساسي لقبول التعدد والتنوع والاختلاف سواء بين أبناء المجتمع الواحد أو بين المجتمعات المختلفة، كما يتبلور مفهوم التسامح الحقيقي أيضاً من حيث كونه صفة اجتماعية في احترام أبناء مجتمع ما ثقافة وهوية المجتمعات الأخرى، إذ أن لكل مجتمع هوية تميزه وثقافة يرتضيها أبنائه يجب أن تحترم.

فليس الهدف أن نتفق جميعاً على ثقافة ما أو سلوك بعينه؛ لأن هذا الاتفاق ربما يكون محالاً، وإنما يجب أن يكون الهدف هو أن نتعلم كيف نختلف، فللاختلاف أخلاقيات يأتي في مقدمتها الإيمان بأن هذا الاختلاف هو سنة كونية يجب قبولها، مما يتطلب تنمية روح التسامح واحترام التعددية بشتى صورها وترك التعصب والتشبث بالرأي الواحد جانباً إذا ما أردنا النهوض بالمجتمع وتحقيق تقدم حقيقي، فليكن مبدأنا: لا مانع من أن نختلف كما شئنا ولكن يظل احترامنا لبعضنا البعض مرجعنا، ويظل تسامحنا متجسداً في علاقاتنا مع بعضنا البعض، وليكن تسامحنا بالمعنى المطلوب باحترامنا لذواتنا دون رفض طبيعتها التي ربما تفرقنا في بعض الأحيان واحترامنا لغيرنا مهما اختلف معنا، فليكن تسامحنا رحمة فيما بيننا، وليكن تسامحنا أيضاً رفضاً لكل عنف يمكن أن ينال الإنسان أيّاً كان هذا الإنسان، وليتمثل تسامحنا في حب الخير لغيرنا حتى إن لم يحقق نفعاً لنا، فليكن تسامحنا في تحقيق تقدمنا دون

إلحاق الضرر بغيرنا، فليتجسد تسامحنا في إيماننا بأنه لا خير في مجتمع لا يراعي القيم الإنسانية، وليكن تسامحنا تطبيقًا لا تنظيرًا فحسب.

ومن خلال هذا العرض الموجز لما تناوله كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح من تساؤلات ونقاط تعدّها الباحثة في غاية الأهمية لكونها متجددة بتجدد مستجدات العصر تنصح الباحثة بقراءته وتناوله كموضوع لمزيد من الدراسات حول قيمة التسامح لكونها أساسًا لكثير من القيم التي يحتاجها عالمنا اليوم ووسيلة لحل كثير من مشكلاته.

قراءة في فكر الباحث ماجد الغرباوي

تجليات التنوع في التأويلية الهرمونيظيقية

بقلم: الأستاذة ريم الكلزلي¹

إن قيمة أيّة مشروع فكري تنويري تتمثل في نوعيّة هذا المشروع من حيث الأصالة والابتكار، هل يقدّم حلولاً جديدة، هل يعالج المشكلات بطرق مبتكرة، نتاج هذا المشروع وقابلية التطبيق هل تتميز بالاستدامة، أخيراً وهل يستطيع أن يحدث فرقاً إيجابياً واضحاً في المتلقي والمجتمع على حد سواء؟

كما أن كلّ كتاب نتطلع إلى قراءته لا بد من عنوان مهم له يشدنا نحوه، أما قراءة فكر الغرباوي، فهي قراءة مثمرة بقدر ما تفتح الأعين على رؤى عميقة ومنهج تحليلي متفرد في معالجة الإشكالات والقضايا الإنسانية.

عُرف ماجد الغرباوي بأنه مفكر وباحث عراقي له مساهماته في الفكر الإسلامي المعاصر، فكيف يمكن تحليل ونقد الطرح الذي قدّمه في سياق الهرمونيظيقية وما الآثار النظرية والعملية المترتبة على هذا الطرح، والذي يسهم في تأدية دوراً مهماً في فهم النصوص بطريقة عميقة بين النص والقارئ، حيث يؤثر كل منهما في الآخر.

بداية تظهر إصداراته كمحطات يتأصل فيها منهج هذا المفكر الذي عرفنا على التغيرات والتحديات التي لا تنفصل في رؤيتها عن منهجه المعرفي والمحاوّر الرئيسية في مشروعه الإصلاحي، حينما اتخذ موقفاً جريئاً ثابتاً ممن يؤلّهون الأوثان البشرية، فقال: "يكن خطر التراث في قدرته على تأليه أوثان صنعها بيده"، هذه المقولة إصلاحيّة بقدر ما يتم تفسيرها على أنها دعوة إلى إعادة النظر في بعض جوانب التراث، التي يمكن أن تعيق التقدم، أو تسهم في ترسيخ مفاهيم خاطئة، حيث الفكر الإصلاحي يسعى لتحديث الممارسات والأفكار دون التخلي عن الجوهر أو الهوية الثقافية،

ونستطيع القول أنها تنويرية بقدر ما تعزّز المشاعر الإنسانية التي تتخذ طابع التجديد لولادة فكر موضوعي يركز على العقلانية، والعلم، ويدعو إلى التحرر من كل أشكال السلطة التي لا تستند إلى العقل والمنطق، بما في ذلك سلطة التقاليد والتراث، وكلا الحركتين الإصلاح والتنوير تدعوان إلى ضرورة التفكير النقدي الذي يتزامن مع عاصفة من التناقضات الاجتماعية الراهنة، حاو من خلالها الغرباوي أن يؤسس قاعدة ثابتة، يتحرّر فيها من عقدة النموذج، ومن حتميات الدلالة.

يعتمد المشروع الإصلاحي لدى ماجد الغرباوي على السياق التاريخي والثقافي للموضوعات التي أراد لها النور، فبدأ من الإصلاح الداخلي، إصلاح الأوضاع الدينية والاجتماعية إلى السياسية أحيانا داخل المجتمع، سعياً إلى تطويرها من الداخل وفقاً لمبادئه الأساسية.

حرص الغرباوي على احترام التقاليد والقيم الراسخة في المجتمع في مشروعه الإصلاحي ساعياً إلى العثور على نقاط مشتركة بين الثقافات لأهميتها التي تسهم في مد جسور التواصل، ويرى في الإصلاح طريقة لإعادة إحياء هذه التقاليد بما يتكيف مع العصر الحالي لرأب الصدع الحاصل بين الدين والأخلاق.

كما ويسعى إلى التغيير التدريجي، كسيروية في التقدم المستمر، بشكل يتساوق مع بناء الوعي المعرفي، وإن كان مشروعه يبدو بأنه يحمل الالفة التنويرية ويتخذ منهج الإصلاحيين.

فقد طرح سؤالات كبيرة في كتابه "المقدس ورهانات الأخلاق" كدعوة لإيجاد إجابات تحطم أطر التراث التي تستغرق الذاكرة، بحثاً عن أسباب التخلف، وشروط النهوض، فالنهضة وفق منظوره يعرضها كأطروحة ثابتة، في إحياء الدين دون انحرافات، وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني، وربط العقيدة بالنظام السياسي والاجتماعي.

وقد استعرض د. صالح الرزوق - وهو مفكر وكاتب سوري له العديد من المقالات والكتب النقدية التي تناولت قضايا مختلفة كالدين والثقافة والسياسة - في

كتابه "جدلية العنف والتسامح"¹ فكر ماجد الغرباوي وتناول موضوع النهضة والتجديد في الفكر الديني والفلسفي، فتقاطعت أفكارها في الرؤية التي عدّها محاولة للتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وبأنه إصلاحي ينتمي لمعنى اليقظة الاجتماعية، واليقظة حسب الرزوق انتباه نفسي وثقافي يفترض امتلاك أدوات سياسية يمكن أن نعتمد عليها في حوارنا مع الآخر. كما بيّن كيف يمكن للتسامح أن يلعب دوراً في تخفيف التوترات والصراعات التي تنشأ من العنف المستند على التفسيرات الدينية أو الأيديولوجية. وناقش كيف يمكن للتسامح أن يساهم في إحياء فكرة النهضة من خلال تشجيع الحوار والانفتاح على الآراء المختلفة.

دعا الغرباوي إلى خلق قطيعة إبستمولوجية مع الخرافة لصالح المعرفة، وفهم النص الديني ضمن سياقه التاريخي بعيداً عن التقديس، لإعادة تشكيل الوعي.

نتبين في قراءتنا أنّ موقفه ثابت نحو الاجتهاد الفكري المبدع الذي يجب أن يتواءم مع الحريات الإنسانية ونهضة المجتمعات الحديثة وفقاً للظروف المعاصرة، فهو يناقش النهضة الإسلامية من منظور يجمع بين الدين والسياسة، ويبين دور النهضة كما حدده الرزوق " في تنقية الدين من انحرافات التأويل " وتجديد الفكر الديني بما يوافق متطلبات العصر، مع الاحتفاظ بقيم التسامح والحرية.

الإصلاح في مشروعه الفكري ظاهرة ملموسة ذات أهمية أسمى تتجاوز النظريات المجردة، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بروح التجديد عبر الإشادة بضرورة العلم ونشر الوعي، ومحاربة الجهل والخرافات حسب ما ذكر في كتابه "المرأة والقرآن"² بأن الانطلاق من داخل النص إلى خارج النص هو الأمر الذي يتناسب مع القراءة عندما يشترك مع عوامله الخارجية، فالقراءة التي تنبع من داخل النص وحدها إنما هي ضيقة الأفق والمحدّ، بينما تلك التي تتم من خارج النص إلى داخله تُظهر سلطة المعرفة، والاعتقاد

1 - الرزوق، د. صالح، جدلية العنف والتسامح.. قراءة في المشروع الاصلاحى لماجد الغرباوي، دار نينوى، دمشق - سوريا، 2016.

2 - المرأة والقرآن.. حوار في اشكاليات التشريع، حوار د. ماجدة غضبان مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2015.

في إطار استراتيجيات توجد الخطاب نحو الحقيقة. يقول محمد عابد الجابري: " ما لم نمارس العقلانية في تراثنا، وما لم نفضح أصول الاستبداد ومظاهره في هذا التراث، لن ننجح في تأسيس حادثة خاصة بنا، حادثة ننخرط بها ومن خلالها في الحادثة المعاصرة العالمية، كفاعلين لا مجرد منفعلين".

في محطة: المرأة والقرآن.. حوار في إشكاليات التشريع

بدأ الحوار عن قضايا المرأة في إطار يتحرى الموضوعية، ومدى صلاحية النص، لينظر في شأن المطلق من الأحكام، كما وأن الهيئة الحوارية للكتاب تزيح الملل عن القارئ، ومن خلال جرأة د. الغضبان في طرح الأسئلة جاءت الإجابات بعقلانية لافتة من الغرباوي، خلص فيها إلى أن القرآن الكريم لم يُنقص من شأن المرأة بينما الحكايات والأساطير والمرويات التراثية فعلت ذلك استنادًا إلى نصوص دينية منحولة.

فيقول الغرباوي إن القرآن خاطب المرأة خطابات ثابتة ومدونة، بما يخصها من التشريعات، فجعل لها من الثواب والعقاب ما للرجل على حدّ السواء، التساوي الذي يشملهما في الأوامر والتواهي الإلهية، بينما التفسير الخاضع لفهم المفسر يعيقه الجمود على حرفية النص والارتكان للتراث، وهو يختلف من زمان إلى زمان آخر، يكون حسب الاسقاطات النفسية والاجتماعية، حيث كشف عن الإشكالية القاصرة عن الإدراك، بسبب عدم مراعاة الواقع فتعكس صورة مشوهة للنص.

محطة" الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي

ماجد الغرباوي كمفكر تنويري يتخذ موقفًا يتسم بالتوازن تجاه قضايا الجندر والحركة النسوية، يؤيد فيه الحاجة إلى تحليل ونقد الأنظمة الاجتماعية والثقافية التي تؤدي إلى الفوارق بين الجنسين، والتي غالبًا ما تعزز الهيمنة الأبوية التي نشأت في المجتمعات الغربية وتحتصر دور المرأة في دور الأمومة والمسؤوليات المنزلية.

يعتقد الغرباوي أن الجغرافيا النسوية ليست مجرد دراسة لمظاهر الأرض " اللاند سكيب " بل هي تقصّي لكيفية تأثير الجندر والحمولات الثقافية والاجتماعية في تشكيل هذه المظاهر، ويرى أن الفروق الاجتماعية بين الجنسين لم تتكون بشكل طبيعي، ولكن صممت لترسيخ سلطة معينة.

فيسعى لإرساء الوجه الحقيقي للمرأة عبر مشروعه الفكري لمواجهة المفاهيم التي تتبنّاها الحركة النسوية، وتوضيح دور المرأة في المجتمع وأهميتها ومكانتها كما يتوافق مع الأطر الدينية للمجتمع العربي والإسلامي، بعيدا عن الرؤية التي لازمت كلمة الجندر حينما ظهرت في كتابات سيمون دوبوفوار كنوع اجتماعي أرادوا جعله المفهوم المركزي للحركة النسوية كلها.

كما يوضح موقفه من الأفكار الراديكالية باعتماده على البحث عن توازن ونقد النهج الذي يدعو إلى الإجهاض، أو العلاقات المحرمة خارج إطار الزواج، أو حقوق المثليّات. في الوقت نفسه يشجع على ثورة فكرية ثقافية تسمح بالتبادل الفكري الحر والمشروع، رافضاً ثقافة التنافس التي تتسم بالعداء.

لقد أولى العديد من المفكرين والمتخصصين في المجال الفلسفي اهتماماً بالغاً في فكر ماجد الغرباوي، ومنهم الدكتور محمود محمد علي الذي قام بتحليل مشروع الغرباوي فعرض تقييماً للقضايا الشائكة التي تثير النقاش حول آرائه التي تتعلق بالفلسفة النسوية، حيث بين في كتاب " الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي " كيف دعا الغرباوي إلى إصلاح الفكر السائد وإعادة بناء الوعي بما يتماشى مع الفطرة السليمة والقيم الإنسانية، مؤكداً على موضوع النظر إلى المرأة بأنها كيان إنساني كامل له حق التعامل معه بعدالة، وأن الدور البيولوجي للمرأة هو السبب لخضوعها للتصنيفات، حيث تم تقييمها من قبل الرجل باعتبارها مجرد جسد خاضع لقوته وإرادته، بينما النهج النسوي المتوازن يعترف بالفروق الجنسية ولكن يسعى في الوقت ذاته إلى إعادة تقييمها وتعريفها بما يتناسب مع النهضة في المجتمعات الحديثة، بطرق تمكن المرأة، وتعزز المساواة بين الجنسين دون إلغاء الفروق الثقافية والاجتماعية التي تضفي على المجتمع تنوعاً وتمازجاً.

ثم يعود في كتابه "التسامح ومنابع اللاتسامح"¹ لسلط الضوء على فرص التعايش بين الأديان والثقافات، من خلال ربطه بين مفهوم التسامح والإصلاح مؤكداً على أن التسامح ليس مجرد قيمة أخلاقية بل هو عقيدة وطنية، يجب أن تعزز في المجتمع، والحرية في نظره شرط لا غنى عنه لتحقيق التسامح.

ويخرج من كتابه "إخفاقات الوعي الديني"² وتداعيات النكوص الحضاري في حوار مع سلام البهية السماوي إلى كتاب آخر بعنوان "إشكاليات التجديد"³ ليحدد الأسباب التي دفعت العرب المسلمين للتأخر وتوقف المد الحضاري، حصرها في عدة اتجاهات:

- اتجاه أول: شعور الانبهار بالغرب وحضارته حد الاستلاب والدونية، ورفض الآخر.

- اتجاه ثاني: انكفاء وسط شريحة واسعة مشوهة بسلوكيات ماضوية تتمسك بظاهر الدين.

- اتجاه ثالث: يتقدمه رواد الإصلاح الذين درسوا حقيقي الازدهار والانحطاط بحثاً عن الحقيقة. والتي انتهت بضرورة التثبث بالجانب المعنوي لتسديد الأخلاق.

كما أوضح أن الإجابة هي موضوع اشتغال المفكرين والباحثين على جميع المستويات، حيث المشكلة في الأساسية هي في بنية العقل والنظام المعرفي لشعوب المنطقة كونها القاعدة الأولى التي تركز إليها النهضة.

1 - الغرابوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح .. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2008م.

2 - إخفاقات الوعي الديني .. حوار في تداعيات النكوص الحضاري، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2016.

3 - الغرابوي، ماجد، إشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2017.

وقد سنّ أطروحته بشكل أكمل حول المنهج الجديد في تشريع الأحكام، عبر كتابه "مقتضيات الحكمة في التشريع"، فنرى أن رسالة الكتاب تدور حول أهمية فهم مقتضيات التشريع وهي الظروف والأحكام التي تقتضي صدور حكم شرعي معين، وكيف يمكن لهذا الفهم أن يؤثر في تطبيق الشريعة وتكييفها مع الواقع المعاصر، كالتغيرات الاجتماعية، والتطورات التكنولوجية، والأوضاع الاقتصادية في ظل الأزمات، تحت ما يعرف بتغيير الأحكام وفق الزمان والمكان، ويتطلب ذلك دراية بأصول الفقه، كمبدأ في تحديد الخطاب الفقهي وجعله متوافقاً مع الواقع ومتطلبات العصر، والحفاظ على الثوابت، ومراعاة المقاصد الشرعية، من خلال فهم عميق لأصول الفقه وقواعده.

تعكس تجربة الغرباوي تجربة شخصية عميقة مع قضايا الاستبداد، سواء السياسي أو الديني، فهي تجربة تنقل بصدق وحساسية معاناة الأفراد الذين يعيشون تحت نير الأنظمة القمعية، هذه المشاركة تضيف الشرعية لحديثه عن الاستبداد. فتظهر جرأته في طرح الآثار السلبية لاستغلال الدين في فرض سلطة البعض وتقييد الحريات.

في النهاية لا يسعى القول إلا أن سلسلة متاهات الحقيقة بدأت من النقطة الأهم وهي الهوية كمجموعة من القيم والخصائص والمعتقدات التي تحدد شخصية الفرد ومكانته في المجتمع، وأهميتها الكبرى في رحلة البحث عن المعنى لوجوده، وعامل رئيسي لتشكيل الوعي، تمد الفرد ثقته بنفسه، وتعزز الانتماء الذي يمنح الأمان النفسي، ويمد أيدي التواصل لتبادل الأفكار والخبرات التي في رحلة البحث عن المعنى عبر دوره الاجتماعي، فالهوية إطار يمكن من خلاله التنقيب والتفكير في الأسئلة الأساسية حول معاني الوجود.

ولم تنته مجموعة كتبه في متاهات الحقيقة ذات الرؤية الواسعة للتاريخ مشيراً عبرها إلى أن الاستبداد العابر للحضارات والثقافات، كان ومازال عقبة رئيسية أمام التقدم والتطور الحضاري، وهذا يعكس فهمًا للتاريخ يركز على الصراع من أجل الحرية كقوة دافعة للتقدم الإنساني.

في رحلة عميقة نحو إيجاد معنى وجودي وفي سياق الإصلاح لدى الغرباوي ضمن إطار فكره الإصلاحية، يمكن أن تتضح مظاهر التنوع بالنقاط التالية:

1- التأويل المنفتح: بمعنى إعادة تأويل النصوص الدينية والثقافية بطريقة تعكس التنوع والسياقات المعاصرة، وتدعو إلى التعددية داخل المجتمعات، فيظهر الباحث الغرباوي اهتمامًا بتأويلات تتسم بالانفتاح على أفكار جديدة ومختلفة تحترم التنوع الفكري والديني.

2- النقد الذاتي: يشجع النقد الذاتي وإعادة النظر في التقاليد الثقافية والدينية بهدف تحديثها وجعلها أكثر ملائمة للعصر الحديث وقيم التنوير وحقوق الإنسان.

3- التفاعل الثقافي: التأكيد على أهمية التفاعل والتعايش بين الثقافات المختلفة مع الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية.

4- التعددية الفكرية: الدفاع عن التعددية وحرية الفكر والتعبير، ورفض الفكر الأحادي والتسلطي.

5- إعادة تقييم السلطة الدينية: دعا الغرباوي لإعادة تقييم السلطة الدينية وأسس التفويض والتأويل، بحيث يمكن الأفراد من فهم النصوص بشكل مباشر.

6- الإصلاح اللغوي: الاهتمام بلغة التواصل والتعبير عن الأفكار الإصلاحية، بطريقة مفهومة ومقبولة للجماهير مع الأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخي والفكري.

إخفاقات الوعي الديني

حوار في تداعيات النكوص الحضاري

للأستاذ والمفكر ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ احمد راضي الشمري¹

حينما يكون حاضرننا المعاصرُ محتلاً من قبل الماضي السحيق، بكل ثقله الدموي وإرثه العنيف وانشقاقاته البغيضة، لابد أن يتكرس هذا الاحتلال أغلالاً فكرية تلجم العقل وتجمده وتجعله من تبعيات ذلك الماضي. ولهذا فإن العقل قد يعيش في عصره الحاضر وفي ألفتته الثالثة إلا أن أدواته الفكرية وأساليبه التحليلية لازالت خاضعة إلى ذلك الماضي. ذلك الماضي الذي لايفك يجر العقل إليه ويسحره بسحر الطهورية الإفتراضية والمجد الخادع. ومن هنا فإن العقل يعيش مأسوراً مصفداً في ظلمات الإنجماد التاريخي بعد أن ضلّ طريق التنوير (السير مع التاريخ) فاقداً لبوصلته الفكرية رازحاً تحت تخدير عام يسلبه كل قواه ويمنعه من الحركة. في حين تمكنت عقول أخرى مماثلة، مرّت بذات التجربة، من الإنعتاق من ماضيها الثقيل والإنفكاك من إرثها التاريخي وتراثها الثقافي فانطلقت في مسيرات التنوير الفكري تسابق الوقت وتتماشى مع التاريخ لكي تتناغم فكراً وواقعياً مع عمر العقل الإنساني، ولو نسبياً.

إن الظلمات الفكرية التي تتولد من زواج العقل مع الماضي السحيق وعشقه له واقتارنه به وذوبانه الأبدي فيه كثيرة لا تعد ولا تحصى. وهي ظلمات يُنتج بعضها بعضاً فتفرّخ وتنشع وتتكاثر وتزدهر وتترعرع وتتفرّع في متواليات هندسية، خصوصاً في بيئات الجهل. تلك البيئات التي لاينكرُ منكراً أنّها أطبقت على الواقع الإسلامي لمدة ألف عام على أحسن التقادير. ومن أبرز نتائج هذه الظلمات هو التيه العام؛

1 - شاعر وكاتب - أستراليا.

تبه العقل وتبه الفكر وتبه الهوية وتبه الذات وتبه الموقع الحضاري وتبه النظرة الى المستقبل.

ومن هنا فإن حجم التنوير المطلوب لتبديد هذه الظلمات، أو لكشفها على الأقل، يكون بحجم الجبال ويحتاج إلى همم عالية ونفوس كبيرة وشجاعة فائقة وفروسية منقطعة النظير. ذلك إن سحر الظلمات الواهم وما ألقاه من رعب في قلوب المسلمين، أو ما صنعه من ألفة وحميمية نتيجة طول فترته معهم، عطّل عقولهم وجمد أفكارهم وأففل أذهانهم بأقفال القداسة المتمددة على عرض الفكر الإسلامي. ومن ذا الذي يحطّم تلك الأقفال غير المقتدرين من ذوي الهمم العالية ومن فرسان الفكر والشجعان والمصلحين الذين لا يقدسون غير الحقيقة؟

وفي هذا الصدد يمثل كتاب (إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكصوص الحضري)¹ شمعة ضوءٍ وضياء يحملها الأستاذ المتنور والمنور ماجد الغرباوي في محاولة جريئة لكشف الطريق نحو الخروج من التيه العام. وأول ما يُسجّل فيه للغرباوي في هذا الكتاب هو قدرته الواضحة على التحلل والانفكاك أو الإنعتاق من عُقد الخوف والحذر من مناقشة مواضيع حرجة وحساسة ربما تجنبها غيره لاعتبارات معروفة. هذا بالإضافة الى إيمانه، الذي يبدو متزايداً، بالنقد الذي يعتبره الغرباوي من أبرز مقومات التغيير والنمو والتطور الفكري الذي من شأنه أن يحقق طفرات باتجاه المشروع الحضاري.

يتكون الكتاب من مجموعة من الأسئلة القوية والمهمة والجريئة وهي في مجموعها كانت ستة وعشرين سؤالاً، طرحها الأستاذ سلام البهية السماوي، على ماجد الغرباوي. هذا بالإضافة الى كم وفير من التعليقات لمجموعة من الكُتّاب والباحثين والناقدين والأدباء والشعراء والقاصّين والمتابعين الذين أطروا على الكتاب وأثنوا على مؤلفه، كما قدّموا نقوداتهم عليه أيضاً. ويشعر القارئ للكتاب بسلاسة كبيرة وهو

1 - إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكصوص الحضري، حوار الاستاذ سلام البهية مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، والعارف للمطبوعات، 2016.

ينتقل من سؤال إلى سؤال في حوارية فكرية موضوعية عميقة وهادئة تمكّن فيها المحاور السيد سلام البهية السماوي من أداء واجبه الحواري بشكل ملحوظ تمثل في إستخراج مكنونات الغرباوي ومثنياته الفكرية بشكل واضح دون لبس وكامل من غير نقص. ولقد تنوعت المواضيع والأفكار في خضم الأسئلة التي طرحها السماوي على الغرباوي لتشمل التاريخ والسياسة الفكر والعقيدة والفقه المجتمع والمرأة بالإضافة الى مواضيع أخرى.

يشير الغرباوي وبوضوح في مستهل كتابه إلى غياب القابلية الإسلامية الآنية على الوقوف بِنَدِيّة حقيقية مع الطرف الحضاري الآخر (الغرب) بعد أن فقد العالم الإسلامي مقومات الندية والتكافؤ. فما عدا وجود البنية القيمية الأخلاقية النظرية عند المسلمين، لا يملك المسلمون اليوم شيئاً من مقومات الحضارة التي تؤهلهم لخوض الصراع مع الغرب بتكافؤ نسبي مقبول. وهو واقع يصعب دحضه إذا ما لاحظنا التبعية المخجلة، بل المهينة، التي تكبل العالم الإسلامي من أقصاه الى أقصاه وتجعله تابعاً للغرب ومعتمداً عليه في أبرز الإحتياجات وفي كل مناحي العلوم بما فيها العلوم الإنسانية. لذلك يرى الغرباوي إن جزءاً كبيراً من عملية إصلاح هذا الخلل وفك التبعية والإعتماد على النفس يتمثل في الإعتراف بالحقيقية والإجابة على الأسئلة التي أطلقها المفكرون المسلمون، كجمال الدين الأفغاني والكواكبي وغيرهم، في البحث عن أسباب تخلف المسلمين وفشل النهضة عندهم. ولا يجب أن يخاف المسلمون، إن أرادوا الإصلاح، من نقد تراثهم والإعتراف بأسباب الفشل مهما كانت لأنها السبيل الوحيد للتشخيص قبل تقديم العلاج. وعندها سيكونون قادرين على فهم ما أسماه الغرباوي ب "الفاجعة الحضارية" التي تتمثل في إمتلاك المسلمين لثروات هائلة وطائلة فوق الأرض وتحتها بينما تتصاعد في بلدانهم معدلات الفقر والتخلف والبطالة والجهل والامية وتنخر في أجسادهم آفات الحروب والأزمات وتفتتهم الصراعات والإنقسامات: (الندية سيدي الكريم تحتاج إلى تكافؤ بين الطرفين. أو يكون الفارق الحضاري من الضالة ما يسمح بالتناد بينهما. فهل تعتقد أستاذ سلام أن واقع المسلمين الآن يصلح أن يكون ندا للحضارة الغربية؟؟ لا أحد يرى ذلك حتى

المسلمين أنفسهم. فمنذ الصدمة الحضارية وما زلنا عيالا على الحضارة الغربية في كل شيء¹.

ولم يزل الغرباوي معتزلاً معتداً بتراثه الإسلامي بما يمثله من قيم حضارية إيجابية يمكنها أن تشكل علامة فارقة في الصراع الحضاري مع النذ الغربي وبما تمثله من مناطق غنية لاتزال قابلة للكشف والإستثمار، خصوصاً في حب العلم وطلبه والحث عليه وإعطاء منزلة الجهاد. ولا يهمل الغرباوي ولا ينسى ولا ينكر أيضاً أن مشاعل النور الأولى ومناير العلوم التي أهدى بها الغرب لها صلات لاتنكر بجذور المسلمين الأوائل الذين ظلت كتبهم مراجعاً فكرية وعلمية في معاهد الغرب ومؤسساته العلمية الأكاديمية لقرون طويلة. ولكن التباهي اليوم والتفاخر بذلك الإرث لايجدي نفعاً والمسلمون فقراء في غناهم.

وفي ردٍ للغرباوي على سؤال للسيد السماوي حول إمكانية حصول حوار حقيقي بين الإسلام والغرب، لا يستبعد الغرباوي إمكانية حصول هذا الحوار خصوصاً في ظل التطور الهائل للوسائل التقنية والثورة المعلوماتية العامة والشاملة التي تعززت وترسخت في أول عقدين من الألفية الثالثة. إلا أن الغرباوي يشترط وجود بعض الممهّدات التي من شأنها أن تُفضي إلى إمكانية حصول الحوار. ومن بعض هذه الممهّدات هو وجود جوٍ سياسي واجتماعي هادئ خالٍ من التقلبات والعنف والفوضى بالإضافة إلى وجود بيئة مستقرة نسبياً يمكن للحوار العقلي أن يكون فاعلاً ومسموعاً فيها. ومن أبرز ما يعكّر صفو هذا الحوار بحسب رأي الغرباوي هو انتشار موجات التطرف الفكري عند جماعات كثيرة من المسلمين ومن أبرزها حركات القاعدة وداعش ومن يسير على نهجهما. فلا يمكن للحوار العقلاني الهادئ أن ينطلق ضمن بيئات موبوءة يختفي فيها التسامح والمقبولية والتعايش وينتشر فيها القتل والذبح والسبي التهجير والعنف والدماء، يقول: (كانت هناك فرصة لإجراء حوار حضاري ناجح بين المسلمين والغرب في ظل ثورة الاتصالات الكبيرة، غير أن سلوك المتطرفين الإسلاميين قلب المعادلة فخلق حالة توجس وخوف من الإسلام

1 - المصدر نفسه، ص 18.

والمسلمين)¹. كما ويعتقد الغرباوي بشكل قد يكون جازماً أن الغرب بشكل عام بات، وربما لا يزال، مهووساً بنظريات الصراع بين الحضارات ومنها ما أسس له الكاتبان صموئيل هنتغتون في كتابه الموسوم بـ (صراع الحضارات) وفرانسيس فوكوياما الذي كتب نظريته في ما أسماه بـ (نهاية التاريخ والرجل الأخير). إن هذه المتبنيات الفكرية التي وجدت صدئاً عربياً أيضاً في المؤسسات الفكرية والأكاديمية وحتى السياسية والإقتصادية تشكل سائراً كثيفاً عند فئات غربية كثيرة وتحول دون إيمان حقيقي بمبدأ أو بقيمة الحوار الإنساني (أو حوار الحضارات كما أسماه الرئيس الإيراني السيد محمد مهدي خاتمي). وهو ما ينذر باستمرار التناوش والصراع الذي قد يفضي في لحظة ما إلى صدام عنيف وربما يقود إلى حرب كونية.

ولا يقف الغرباوي معصوب العينين أمام تشخيص دقيق واضح وصريح للإزدواجية الفكرية والنفاق السياسي عند الغربيين في تبنيهم لخطين/فكرين متناقضين في فهم وتطبيق القيم الديمقراطية والليبرالية يتمثل في وجود خط/فكر محلي لبلداتهم وفكر تسويقي خارج حدودهم. وهذه الإزدواجية في نظر الغرباوي تقف حاجزاً قوياً متيناً عند كثير من الجماعات والمجتمعات الإسلامية في مقبولة إستيراد وتبني الصالح من قيم الغرب الحضارية، في مختلف المجالات.

ولكن، وكعادته في توحي الموضوعية والواقعية، يميّط الغرباوي اللثام عن عقدة مشتركة تتميز بها الثقافتان الإسلامية والغربية، وإن كانتا متباينتين، تتمثل في تبني النظرة الدونية للآخر. ففي حين تعتبر الثقافة الغربية العنصر الأبيض عنصراً سامياً متفوقاً وتعتبر الآخر جاهلاً متخلفاً أمياً لا يستحق إلا أن يكون تابعاً ومحكوماً، ينعكس ذات الشيء في أفكار المسلمين (وليس بالضرورة الإسلام) وخصوصاً الأفكار الدينية التي تنجس الآخر وتكفره وتحط من قيمته الإنسانية: (للأسف ما زالت الأرضية غير مؤهلة لاحتضان الآخر، لا لهم ولا لنا. فهم يعتبروننا) أقصد الشعوب وليس الحكومات) شعوباً متخلفة تقف على عاتقهم في كل ما يحتاجون، وهم أرقى جنساً. هذا الشعور موجود لدى شريحة واسعة منهم، خاصة العنصريين منهم.

1 - المصدر نفسه، ص 33.

ونحن أيضاً ما زلنا نعتبر الآخر كافراً، ونفتي بنجاسته، وتجنب الاختلاط به. وما زلنا نتحدث بلغة أرض الكفر وأرض الإسلام. فثقافتنا الإسلامية بالنسبة للآخر طاردة، بسبب إفرازات الدراسات الفقهية المتأثرة أساساً بالصراعات الداخلية، والقائمة على التكفير، واستباحة الدماء)¹. وعلى الرغم من ذلك يعترف الغرباوي بمتانة النظام الديمقراطي في كثير من الدول الغربية التي سخرته، في العموم، لتحقيق مصلحة الشعب وتحقيق منجزات الرفاه الاجتماعي للإنسان عن طريق إحترامه واحترام حاجاته وحرياته. فقد ترغب الحكومات الغربية أو تتمنى أن تستخدم سلطتها ونفوذها ونفوقها العسكري والعلمي والتكنولوجي من أجل إستغلال موارد الشعوب الفقيرة، إلا أن ذلك ليس ممكناً على الدوام خصوصاً إذا ما قوبل بمعارضة شعبية قوية عريضة وواضحة.

ثم يتناول الغرباوي مواضيعاً مهمة وأكثر جرأة لها مساس بالواقع المعاش قد انعكست آثارها وتأثيراتها على العامة في كل مجتمع إسلامي منذ العصور الأولى للإسلام من قبيل الجهاد العنفي ونقد السلف وأهمية القرآن والوحدة الإسلامية. إذ يرى الغرباوي أنه لا حاجة ولا ضرورة أصلاً للجهاد بمعناه القديم (حمل السلاح والغزو) خصوصاً بعد أن أعلن الوحي فتح مكة ودخول الناس أفواجاً في دين الله. فما بقي حينذاك هو بناء مادي ومعنوي وحماية بلدان والدفاع عنها ولا حاجة ولا ضرورة لاستمرار الغزو أو ما يعرف بالفتوحات. عوضاً عن عدم وجود تفويض أو تشريع يبيح هذه الأعمال التي أكسبت الإسلام صفة العنف (السيف). ولكن هذه الأعمال استمرت بمباركة فقهاء السلاطين إرضاءً لشهوة الخليفة والأمير في كسب الشهرة وبسط النفوذ والتمدد الجغرافي فضلاً عن جني المزيد من المغنم الاقتصادية من خراج ومداخيل وغلل ونساء وأراضٍ الخ.

ولقد تكرست هذه الصفات والمظاهر (الجهادية) في الفكر الإسلامي عند المسلمين بعد أن أعطوها غطاءً شرعياً من خلال تأويل مطاطٍ للآيات القرآنية

1 - المصدر نفسه، ص 34.

والأحاديث النبوية وزادوه بإضفاء العصمة على السلف من الصحابة وآخرين حتى أصبحت جزءاً لا يتفكك من فكر المسلمين وتراثهم¹.

ويبقى القرآن عند الغرباوي مركزاً مهماً وفريداً من مراكز إعادة إنتاج وعي جديد للأمة الإسلامية من خلال البناء على ما تقدم أعلاه ومن خلال إيجاد أدوات وأساليب عصرية علمية جديدة ومختلفة يمكنها استخراج ما استودع فيه من فكر ووعي وثقافة وعلم وهذه الأشياء طبعاً تشكل المقومات والمكونات الأساسية لكل حضارة.

ومن أبرز الكنوز القرآنية ومستودعاتها القيمية والفكرية التي تحتاج التركيز عليها من أجل خلق الوعي الحضاري، كما يرى الغرباوي، هي قضية الوحدة الإسلامية، والتي تشكل حجر الزاوية في أي مشروع حضاري يهدف إلى البعث والنهضة. فبدون إعادة البحث والنظر في إيجاد فهم حقيقي وجديد لمفهوم الوحدة الإسلامية في القرآن لن يستطيع المسلمون من الإنطلاق في مشروع النهضة الحضاري. وكيف لهم ذلك وهم اليوم يمزق بعضهم بعضاً وينحز الأخ أخاه بدوافع مذهبية أو طائفية أو عرقية أو قومية أو مناطقية الخ؟ وكيف للوحدة أن تتحقق دون وجود فهم متبادل بين المكونات الإسلامية ودون الإيمان بالمشتراكات؟².

وبينما يسير الغرباوي بين ألغام الفكر الإسلامي ويحاول أن يفجرها عن بعد، أو عن قرب أحياناً، لا ينسى أن يحيل القارئ إلى المظاهر المدنية في الإسلام والتي يمكن اكتشافها وإعادة إنتاجها عن طريق تبني بعض القيم الحضارية التي يهتم بها المسلمون بكل أطيافهم، والتي لا تتعارض مع قرآنهم، وإن أخفوا ذلك الإهتمام. ومن بين تلك القيم قيمة الحرية التي يعتبرها الغرباوي من القيم الجوهرية للإنسان والتي يعدو الإنسان من دونها مسخاً دون روح. فقيمة الحرية تعتبر من القيم المهمة التي لا يستطيع الإنسان أن يكتشف مواهبه الذاتية التي يحتاجها في حياته العملية أو أن

1 - المصدر نفسه، ص 35.

2 - المصدر نفسه، ص 39.

يطلقها من دون الحرية. وكذلك لا يمكنه أن يتعرف على ما أودع الله فيه من قابليات ومواهب وقدرات تتعلق بمسؤوليته الكونية وهو يفتقر الى بيئة متحررة من القيود بكل أنواعها. إن أهمية الحرية تكمن في كونها وسيلة يستطيع الإنسان من خلالها أن يتحمل مسؤوليته الكونية بإعتباره خليفة في الأرض يسعى إلى فك ألغاز الكون في الآفاق والأنفس، وهل تكون هناك مسؤولية دون حرية؟ وهل يكون هناك عقاب أو حساب أو ثواب دونما وجود الحرية؟¹.

وبعد بلوغه الى هذه القمم، يصل الغرباوي إلى فصل الخطاب ويقترّب من نهاية المطاف في رحلة "الإخفاقات" إذ يسعى جاهداً للمناداة بتحرير العقل الإسلامي من القيود التي تحاول شده الى قيمها البدوية والقبلية والعشائرية وإعادة إنشاء قيم بديلة تتمثل في الإيمان بالمجتمع المدني الذي يؤمن بسيادة القانون، والذي يمثل بدوره مدنية العقل ويضمن حريته وحرية أفكاره بغض النظر عن الإعتبارات العنصرية أو القبلية أو العرقية وغيرها. فهذه الحرية التي تكون في ظل هذا المجتمع تكون كفيلة بخلق جو عام تسود فيه القيم الإسلامية الكبرى التي تتمثل بالعدل والإنصاف والمساواة.

وكغيره من المفكرين المعاصرين، يدعو الغرباوي الى التوازن في فهم أسباب التخلف والتراجع (النكوص) الفكري ومن ثم الحضاري عند المسلمين وتشخيصها بشكل علمي تجريدي، كما ويدعوا الى التحلي بالعقلانية في ردود الأفعال لهذه الأسباب. فبين الإفراط في كره الذات وجلدها عند البعض ومن ثم الهرع الى الضفة الأخرى والإرتقاء في أحضان الخصم وتبني قيمه عن طريق الإستنساخ الثقافي المطلق، وبين الإنكفاء على الذات وحجبها ومنعها وحرمانها من التواصل مع الآخر ورفضه كلياً، يقف الغرباوي موقفاً وسطياً يلتزم فيه بنداء العقل بالإضافة إلى ما يفرضه الواقع. إذ يرى الغرباوي إن الرصيد الأخلاقي القيمي الذي يمكن للعبادة الدينية أن تنتج على المستوى العملي لا ينبغي له أن يتنافر مع العلم وتطوره المتسارع وغزوه لمناحي الحياة وتشعبه في كل تفاصيلها. بل يشدد الغرباوي على أن للأخلاق ومنظومتها القيمية، المحمّدة، في الفكر الإسلامي أهمية كبيرة في رفد الحضارة

1 - المصدر نفسه، ص 42.

الإنسانية. فهذا المنظومة يمكنها أن تلعب دوراً مهماً في ترشيد الطيش التكنولوجي والحد من تماديه الغريزي الذي يؤثر سلباً على المشروع الحضاري الكوني الكبير للإنسان ويجره بعيداً الى مناطق الذاتية والشخصانية والأنوية.

ويختتم الغرباوي الحوار مع السماوي بصياغته لمصطلح "اليقين السلبي" الذي يراد منه ما ينعكس من إعتقادات إسلامية مشوهة متراكمة نتيجة الفهم الخاطئ، أو الغير صائب للتعاليم الدينية. هذه الإعتقادات، كالإعتماد المطلق على الغيب في مثلاً في صنع المستقبل دون السعي إلى كشف الأسباب، تقود الإنسان الى التعاسة بدلاً من أن توفر له الراحة والاطمئنان النفسي والسعادة. في حين إن اليقين الحقيقي الخالص هو الذي يقود الى السعادة وذلك بما يقدمه من فهم واقعي وعلمي للأشياء وبما يوفره من دافع روحي لتجنب الأخطاء والمضرات والآثام. يقول: (اليقين السلبي "ما يعيق الفعل الحضاري من جزميات وقناعات راسخة". ويقع على الضد من اليقين الايجابي. واليقين السلبي، فهو حزمة جزميات وقناعات راسخة، توجه وعي الإنسان وتضبط سلوكه وحركاته ومشاعره. ومثاله البسيط إيمان الفرد بقوى خارقة، يستعين بها لتحقيق مآربه، دون سلوك الطرق العلمية والطبيعية، كتسخير الجن وتخضير الأرواح، فيتقاعس عن العمل وطلب الرزق، بانتظار أن تقوم الجن بعمل خارق تلبي من خلاله جميع طلباته)¹.

وكأني، وأنا أصل إلى خاتمة الكتاب، أرى ما دُفن بين سطور الغرباوي من حسرة ولوعة وحزن على المسلمين. وكأني أسمع آلام الإمام علي ع وهو يصرخ في بئر ماء يبحث عمن يسمعه وعمن يفهمه. وأرى ما بين تلك السطور حزن الأنبياء على عدم وصول صدى رسالاتهم وخيبتهم وخوفهم على مصير مجتمعاتهم، وكأنه يقول:

- كيف يمكن لملياري مسلم من أن يعيشوا في الألفية الثالثة وفي عصر الفضاء وعصر الفتح التكنولوجي والانفجار المعرفي من دون أن تكون لهم فيها موطئ قدم ومن دون أن يكون لهم ذكر في إنجازاتها؟

1 - المصدر نفسه، ص 59.

كيف يمكن لهم أن يكونوا كذلك ويرضوا بذلك وهم ينتشرون على أفضل المواقع الجغرافية في الكرة الأرضية وأحسنها وأغناها من موارد طبيعية وممرات بحرية وثروات بشرية وقيم روحية وتاريخ علمي متين كان يومًا منارة للكون؟

- كيف لا يكون هناك مشروع لهذه الكتلة البشرية الضخمة التي تفوق الهند وتفوق الصين؟ على الأقل مشروع الوحدة بين أوصال المسلمين فضلًا عن المشاريع العلمية أو السياسية أو الإقتصادية أو العسكرية.

- ومن بين صرخات الغرباوي الكامنة في هذا الكتاب إن المسلمين لا يمكن لهم أن يخرجوا من شرقة الإرث التاريخي الثقيل ويتمكنوا من اللحاق بركب الحضارة من دون النظر إلى عيوبهم بعين الناقد الموضوعي ومن دون تفكيك أدوات وعيهم الحالية والتي لا تقدم علمًا ولا تنتج فكرًا ولا تصنع حضارة. وذلك لن يحصل من دون إرجاع الأمور إلى نصابها وعدم الحساسية وعدم الخوف من مناقشة المحرمات التاريخية الهامة كالمقدسات التي باتت تتضخم وتتنامي وتنفخ حتى أتت على مساحات الحرية وقضمتها قضم الجراد للمزروعات.

- إن النكوص الحضاري المرعب الذي يمر به المسلمون في عصرنا الحاضر لا توجد له أية تبريرات واقعية في ظل التقدم التقني والتسارع المعلوماتي والذكاء الإصطناعي. وكيف لهم أن يبرروا ذلك ونحن نرى أمما وشعوبا مثل اليابان وكوريا الجنوبية وغيرها، لا تملك مايملكه المسلمون، تمكنوا من أن يخلقوا هوية حضارية علمية لشعوبهم في غضون عقود قليلة من الزمن رفعتهم اجتماعيًا واقتصاديًا بل وسياسيًا كذلك وجعلتهم في مصاف الدول المرموقة؟

- إن الحديث عن كل أشكال المعوقات السياسية والعسكرية والإقتصادية وغيرها، والتي قد يعتقد كثيرون أنها مما يعيق مشروع المسلمين الحضاري، لا يمكن القبول بها ولا يمكن أن تكون معوقات أساسية أو حقيقية أصلًا. إن اساس المشكلة كما يقترح الغرباوي هي مشكلة تاريخية وعقد تراثية في بنية التفكير عند المسلمين وهي التي قيدت أدوات إنتاج الوعي لديهم. ولا بد لأي مشروع حضاري من أن يضع في أسسه وضمن أولوياته تناول هذه المشكلة الكبيرة ووضع الخطط اللازمة

لحلها والآليات المطلوبة للتعامل معها. وفي هذا الصدد قد لا أكون مخطئًا إذا قلتُ بأنني ربما التقيت إشارة من خضم حديث الغرباوي تشير إلى أن بعضًا من الميزات المهمة والأساسية في النظام العلماني الغربي، بما يمنحه من حرية الفكر وحرية الكلمة وحرية التعبير وتشجيع الحكومات على البحث والإنفاق عليه، كانت من السمات السائدة في العصور التي تمكن فيها المسلمون من بلوغ أعلى الدرجات العلمية والتطور التقني وخصوصًا في العصر العباسي.

هذه النقطة المهمة قد تشكل محرمًا كبيرًا عند غالبية المسلمين وهم يضعون العلمانية موضع الكفر ولا يعتقدون بتأتا بأنها مما ينسجم مع نظرية الحكم في الإسلام. ولذلك فمما ينبغي على أي مشروع نهضوي حضاري أن ينتبه إلى هذه النقطة المهمة جدًا ويتعامل معها بموضوعية شديدة وبتجرد مقبول.

وعلينا أن لا ننسى بأن أي مشروع حضاري نهضوي يحتاج في ضمن ما يحتاج إليه أن يسعى إلى تغيير قيم المجتمعات وتبديل أولوياتها وهذا ما يتطلب مصارحة خالصة وشجاعة كبيرة في طرح المشاريع المهمة.

ألف شكر للأستاذ والمفكر ماجد الغرباوي والشكر موصول للسيد سلام البهية السماوي على هذه الحوارية التنويرية الممتعة.

دفاعاً عن التسامح والتعايش السلمي

بقلم: الأستاذة سهام الجزار¹

دراسة: مظاهر العنف تستدعي الارتكاز إلى قيم جديدة تستبعد الكراهية

التسامح ضرورة حياتية تبقى الحاجة إليها قائمة ما دام هناك إنسان يمارس العنف والإقصاء والتكفير، ويفرض التعايش السلمي مع الآخر المختلف وغيرها من قيم اللا تسامح .

بل الحاجة إلى التسامح تشتدُّ مع اتساع التنوع الإثني والديني، لامتنعاص تداعيات الاحتكاك بين القوميات والثقافات والأديان، والخروج بها من دائرة المواجهة إلى مستوى التعايش والانسجام.

عبّر الكاتب ماجد الغرباوي في كتابه «التسامح ومنابع اللا تسامح : فرص التعايش بين الأديان والثقافات»² عن الوضع الحالي بالقول: «إنّ ما نشاهده اليوم من صراع محتدم بين القوميات والأديان والمذاهب يكشف عن رخاوة الأسس التي يقوم عليها مفهوم التسامح أو غيابه.

فهو في نظر الأوساط المتصارعة لا يعدو كونه قيمة أخلاقية تتحكم به المؤثرات الاجتماعية والسياسية، وهو في رأيها منّة وتفضّل مشروط، قد ينقلب إلى ضده إذا فقد رصيده الأخلاقي، وما نحتاجه فعلاً لتوطيد العلاقة بين الطوائف والقوميات مفهوم يرتكز إلى أسس متينة، تتفادى الاحتكاك على خطوط التماس».

1 - كاتبة وباحثة.

2 - انظر: الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، إصدار الحضارية ودار العارف، بيروت، لبنان، 2008م.

كما يرى الكاتب أنّ التسامح بمفهومه الجديد لا يتحقق بسهولة، وأن فاعليته تتوقف على حجم استجابة الأوساط الاجتماعية والدينية لضروراته، وهو في نظر الكاتب لأمر صعب، يحتاج إلى مران طويل يخفف الإنسان خلاله من حدة غلوّه وتطرفه، وذلك يحتاج إلى عودة متأنية للذات من أجل نقدها وتمحيص بنائها الفكرية والعقيدية، وتأهيلها لتكون أرضية صالحة لاستنبات قيم التسامح الجديدة.

التسامح ومنابع اللا تسامح

لا بدّ من التأكيد أنّه لم يبق أمام الشعوب الإسلامية خيار للحدّ من ثقافة الموت والاحتراب والعداء والإقصاء المتفشية في كل مكان سوى قيم التسامح، لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف إلى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتناحر.

وهذا صعب في نظر الكاتب لكونه يستدعي جهوداً يتظافر فيها الخطاب الإعلامي مع الخطاب الثقافي والديني والسياسي والتربوي، ويتطلب تعاون الفرد مع المجتمع، والشعب مع القانون، والدولة مع الدستور. إنّ عمل جذري يستهدف البنى الفكرية والعقيدية للمجتمع، وإعادة صياغة العقل والأولويات والوعي، وتقديم فهم عصري للدين والرسالة والهدف، ونقد للمفاهيم والقيم والسلوك.

لقد اعتبر الكاتب أنّ ما نشاهده اليوم من مظاهر عنف واحتراب يستدعي العودة إلى الذات لمراجعتها، ثم الارتكاز إلى قيم جديدة تستبعد الكراهية والحقد، وتنتفتح على قيم الإنسانية والدين.

وهذا «يتطلب الغوص في أعماق الفكر والعقيدة بحثاً عن جذور المشكلة؛ أي ينبغي البحث عن الدوافع الحقيقة وراء ثقافة الموت والاستهانة بالحياة وتكفير المجتمع. وتقصّي المفاهيم المسؤولة عن صياغة البنى الفكرية والمعرفية لعدوانية المرء تجاه الآخر أيّاً كان الآخر داخلياً أم خارجياً، دينياً أم سياسياً.

ويعتبر الكاتب العنف الديني أحد أخطر منابع اللا تسامح، لتلبّسه ببُعد شرعي، وتوظيفه النص الديني، وسرعة تصديقه من قِبَل الناس، وقدرته على التحقّي تحت غطاء الشرعية والواجب والجهاد والعمل الصالح.

فـ «عندما نعود إلى سياق التسامح و منابع اللا تسامح نؤكد أنّ الفهم الذي يكرّس الأحقاد ويصر على تكفير الآخرين، من أجل شرعنة قتالهم ومطاردتهم، هو فهم لا ينسجم مع روح الشريعة الإسلامية، وبعدها الإنساني، وبالتالي فهذا الفهم يُعدّ من أخطر منابع اللا تسامح، لالتساقه بالدين الحنيف.

تفكيك الخطاب الديني المتطرف

فالمطلوب من أجل الرقيّ إلى مستوى المجتمعات المتسامحة العمل على تفكيك الخطاب الديني المتطرف، وتفتيت بناءه المعرفية، وإشاعة وعي ديني قادر على فهم الحقيقة، كي يتوارى هذا اللون من الفهم ويحل محله خطاب متّزن يمهّد لاستنبات قيم التسامح والعفو والرحمة.

وعن الحقوق الإسلامية لغير المسلمين يقول الكاتب: «لا بد أن يركز المجتمع على قاعدة احترام الخصوصيات التي تنطلق من عناصر الالتزامات الدينية؛ بحيث لا يعتدي فريق على آخر، ولا يضطهده في خصوصياته. وفي ضوء ذلك تتحدّد حرية المعتقد والتعبير في الضوابط القانونية الخاضعة للسلامة العامة للنظام والإنسان.

على هذا الأساس يفتح العيش المشترك في المساواة في الحقوق والواجبات في القانون العام. وفي الخصوصيات الشخصية، وفي مسألة الحريات في نطاق المسؤولية عن الفرد والمجتمع».

ويبقى المطلوب حسب الكاتب هو «الارتكاز إلى التسامح بالمعنى الاصطلاحي للكلمة لفاعليته وتجذّره وقدرته على ترسيخ قيم المجتمع المدني. أي المطلوب أساساً هو الاعتراف بالآخر وبحقوقه المشروعة، باعتبار تعدد الطرق إلى الحقيقة على صعيد التجربة الدينية».

إعادة تشكيل قيم التفاضل

ويشدد الكاتب على إعادة تشكيل قيم التفاضل فيقول: «إنّ الناس في نظر الإسلام: إمّا أخ لنا في الدين أو نظير لنا في الخلق ومن ثم لا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى وهو ما تؤكدّه الآية القرآنية «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (الحجرات : 13).

ويعلق الكاتب على الآية أعلاه قائلاً: «التقوى لا تعني كثرة العبادة، وإمّا خشية الإنسان من الله تعالى إبان تعامله مع الناس، سلوكاً وعاطفة؛ فربّما عابد لا يخشى الله في خلقه يمارس سلوكاً لا أخلاقياً في تعاملاته اليومية، فيضرب ويقتل باسم الدين والقرآن والأخلاق، وهو بعيد عن كل ذلك.

أو لا يتمتع بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية التي أكد عليها القرآن الكريم، فيتحايل عليها ويظلم الآخرين ويبخسهم حقوقهم بل ويتعدى على حقوق الآخرين.

فالإنسان التقويّ من يخشى الله، سيما في موضوع استباحة الدماء، خصوصاً مع المخالفين دينياً أو مذهبياً، فإنّ حرمة الإنسان عند الله كبيرة، فكيف إذا كان أخ لك في الدين والعقيدة ولا يعدو خلافه معك إلا في أشياء اجتهادية.

إنّ الخطاب في الآية القرآنية تحدّث عن الناس ولم يقل المسلمين. ومن ثمة، فالآية العامة تتجاوز العبادة إلى المعاملة».

قراءة في كتاب إشكاليات التجديد لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ ابراهيم جلال القصاب¹

لطالما كانت الفجوة بين التراث الديني والتقدم الحضاري موضع جدل ونقاش مستمر في أوساط المثقفين على اختلاف أطرافهم. ففي كتابه "إشكاليات التجديد"، قدّم المفكر ماجد الغرباوي مقارنة وطرحاً حاول فيه معالجة هذا الموضوع، وكيف ينبغي علينا (كأمة إسلامية) التعامل مع الواقع المعاش المتغيّر بشكل مستمر وبسرعة صاروخية، وبين هويّتنا الأصيلة ومكوّناتنا الثقافية ومفاهيمنا المستلّة من قراءتنا لديننا والتي كثيراً ما تصطدم مع المدّ الحضاري العارم. يطرح الكتاب² آلية التوافق الوحيدة (من وجهة نظره) التي ستدفع بالأمة تجاه مواكبة التطوّر الحضاري دون أن تهجر وتقطع مكوّناتها الأصيلة الفريدة. هذه الآلية هي "التجديد"، الشيء الذي يصفه الكاتب بأنّه "ضرورة حضارية" كونها حركة إنسانية مستمرة تدفع باتجاه التطوّر وباتجاه طرح ما هو أفضل. يقول الكاتب: "فالتجديد ضرورة منبثقة عن حركة الأشياء، من أجل مواكبة حاجات الإنسان، والاستجابة لتطلّعاته. إلا أن الدعوة له دعوة استفزازية، تثير حفيظة رجال الدين، وربما اشمئزازهم، لأنها تنطوي على اتهام مؤسساتهم، وانتقاد فكرهم، ودعوة صريحة لتمحيص التراث ومراجعة الثوابت، بل جميع المقولات العقائدية"³.

¹ - كاتب بحريني

² الغرباوي، ماجد، إشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2017

³ المصدر نفسه، ص23

يستعرض الكاتب حال الأمة وكيف تبلورت فيها ثلاث اتجاهات رئيسية إزاء الصدمة الحضارية التي أعقبت الانفتاح على الغرب المتطور علمياً وتقنياً، بين "رجعية" ترفض كلّ ما يأتي من الخارج ولو كان علماً نافعاً، وبين "نبذية" ترى بأن هجران الأصل والقطيعة مع الماضي ومكوناتنا الثقافية (كالدين) هو الحلّ، وبين "توافقية" ترى أنّه من الواجب الاستفادة من التجارب الإنسانية النافعة من كلّ الثقافات، وفي المقابل يجب أيضاً ممارسة النقد المستمر إزاء التراث كحركة دافعة لتصحيح الأخطاء بشكل متواصل. العائق الأكبر، أمام هذه الحركة، هم رجال الدين الذين يرون في مثل هذا الحراك اتهاماً مباشراً لهم ولسلطتهم.

محاور الكتاب

يعالج الكاتب في "إشكاليات التجديد" ثلاثة محاور رئيسية. في المحور الأول، يتناول فيه وبشكل مفصّل الوضع الراهن، مقدّماً تحليلاً شاملاً إزاء الحال كما هو. ويؤكد الكاتب، ضرورة الارتقاء بالوعي في الإنسان، وكيف تمّ تزييفه في الدول التي قامت (بعد الخلفاء الراشدين) لتحقيق مصالح وأجندات تخدم الغرض المخطّط له. ولن يتطوّر الوعي في المجتمع دون وجود مرجعيات تجدد فهمها للنصّ الديني باستمرار بما يتناسب مع القرآن والسنة الصحيحة. يقول الكاتب: "الأمة بحاجة أولاً إلى وعي رسالي، تتجاوز به أزمته، حتى تستطيع تحدي الممنوع، ولا يتحقق لها ذلك، إلا بإعادة تشكيل وعيها داخل فضاء معرفي، يستظل بمرجعيات تجدد باستمرار فهمها للنص الديني، في ظل المستجدات الحياتية المتأثرة بالظروف الزمانية والمكانية".¹ كما نبّه أنّه من الضروري ألا نسلّك مسلك قوم عيسى حينما اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وأن نميّز بشكل واضح بين الإلهي والبشري والمقدّس وغير المقدّس.

ولكنّ الارتقاء بالوعي ليست مسؤولية محصورة بالمرجعيات الدينية المثاليّة المتصورة في الكتاب (المجدّدة لفهمها الديني باستمرار)، بل يشمل دائرة المثقفين وصنّاع الثقافة

¹ المصدر نفسه، ص 38

ومحركاتها (كالإعلام). فالثقافة هي المحددة للاتجاه العام لوعي الأمة. ولذلك من الضروري أن يكون المجدد مثقفاً، وأن يمتلك العناصر الثلاث التي فصلها الكاتب في الفصل الأول؛ المعرفة بالتراث وحياسة مكنة البحث والتفكير، والوعي بالواقع وإدراكه بشكل دقيق، والتشاعر معه لئلا يعيش المثقف منفصلاً عن واقعه وواقع أمته، واتخاذ الموقف الواضح الجريء والشجاع لخلق النموذج التضخوي الوقاد لجذوة صحوة الأمة.

في أثناء تحليل الكاتب للوضع الراهن، استعرض بشكل وافٍ مسار العقيدة الإسلامية منذ نشوئها وحتى الآن، وكيف كانت في نشأتها أُنموذجاً عقائدياً فكرياً وهاجاً، قضى على الوثنية وانسجم بشكل سلس مع الفطرة الإنسانية، وصار قلباً حياً نابضاً في أوساط الحياة الاجتماعية للناس آنذاك. يقول الكاتب: "تمتاز العقيدة الإسلامية بقدرتها على تجديد عقل الإنسان وانتزاعه من عالمه (الوثني، الطقوسي، القلق) إلى أفق رحب تتفاعل فيه العقيدة مع الحياة، ليفرز ذلك التفاعل مجتمعاً يتمثل القيم الإسلامية ويعيشها ممارسة يومية"¹. بعد ذلك تطوّر البناء الفكري المحيط بالعقيدة حتى تشكّل ما يُسمى بعلم الكلام نتيجة المطارحات العقدية بين الأطراف المختلفة (سواء المختلفة في الدين أو في المذهب نفسه). فمن وجهة نظر الكاتب، بالرغم من المساهمات الفكرية لعلم الكلام إلا أنه كان أساساً في "موت الإيمان الحقيقي" حسب تعبيره وإبعاد العقيدة عن الممارسة الحياتية. كما قاد إلى تعطيل المنهج القرآني الواقعي والداعي دوماً إلى العمل الصالح بدل الجدل العقائدي. والمفارقة بعد هذا كلّ، هو أنّ علم الكلام، الناشئ من أجل استبقاء "العقيدة الصحيحة" ونبد الأوهام الفكرية، انتهى إلى نشر أفكار مدمرة كالجبر والإرجاء وتبرير أفعال السلطان، ومن ثمّ إطفاء فاعلية العقيدة في الحياة، وتأصيل الفرقة (مذهبية وغيرها) وتعميق خلافاتها وهجران الحوار مع الآخر إلى إقصائه، وبالتالي سقط الإنسان كإنسان وأصبح مجرد أداة أو رقمٍ ممثّل لهذه الفئة أو تلك.

في ضوء هذا، يرى الكاتب أنّ الأمة في حاجة إلى إنشاء وتطوير "علم كلام جديد" تتم فيه مجاوزة أخطاء علم الكلام السابق. وهذا لا يتأتى إلا بـ: إعادة النظر

¹ المصدر نفسه، ص 58

في القضايا الجدلية ومعالجتها، واعتماد المنهج القرآني الموافق للعقل والفطرة، ونبذ الجدل والتكفير والإقصاء وانتهاج منهج الحوار العقلاني، والاعتناء بالإنسان كإنسان له كامل الكرامة والحقوق، وإعادة زرع العقيدة الحية في الناس المحركة لوجدانهم والفاعلة في حياتهم، وتقديم أجوبة مستمرة للتحديات المتجددة النابعة من التغيرات المتسارعة في العصر الحالي، وترك الجمود على أفهام السلف وتشجيع الاجتهاد في الأمور الفكرية والعقدية. فالكاتب يسعى، من خلال هذا الطرح ومن خلال علم الكلام الجديد، أن يعاكس التأثير السلبي الذي أحدثه علم الكلام القديم، والسير إلى مآل أفضل حالاً يرضى الإنسان ويوحد الأمة ويعمل باتجاه التطور والرقى.

وهذا لن يحدث (من وجهة نظر الكاتب) من دون تفعيل حقيقي لآلية الحوار مع الآخر المختلف. في بداية بزوغ شمس الإسلام، يرى الكاتب أنّ الحوار مع الآخر لم يكن مشكلة، بل كانوا سباقين للتعاطي مع الاتجاهات المختلفة. يقول الكاتب: "ولم يتخل المسلمون عن شروط الحوار مع الآخر، رغم تماديه وإصراره على التمسك بموروثه الثقافي المثقل بمحملته الفكرية اللادينية، واللاحضارية في أحيان كثيرة"¹. واستطاع المسلمون، نتيجة انسجام عقيدتهم مع العقل والفطرة، أن يحسموا معظم المعارك الكلامية والفكرية في حواراتهم مع المختلفين آنذاك. ولكن هذا الانفتاح الفكري تقهقر مع الزمن عند نشوء الفرق الكلامية المتناحرة والمكفّرة لبعضها البعض، حتى خنقت البيئة الفكرية الحاضنة للحوار مع الآخر. ونحن في حاجة ماسة للعودة لشيء من ذلك الانفتاح لبدء حركة التدافع الفكري المنتجة والفعالة. يرى الكاتب أنّ الانغلاق الفكري المعاش اليوم يتناقض بشكل صريح مع منهج القرآن الداعي باستمرار للحوار وبناء الجسور مع الآخر من خلال "كلمة سواء" و"التعاون على البر والتقوى".

والحوار المطلوب هنا ليس مقتصرًا على أوساط الأمة فقط، بل يتعداه للحوار مع الآخر المختلف حضارياً، ومثاله الصارخ في واقعنا الحالي هو الغرب المتفوق تقنياً وحضارياً. فقد أصبح الغرب، بحكم هيمنته الحضارية والعلمية والتكنولوجية، مركز العالم، وبذلك غدت الحاجة ملحة لتطوير الحوار معه عبر فهم منطلقاته وأدوات

¹ المصدر نفسه، ص 70

التواصل معه (كاللغة والبنية الثقافية والمركزات الفكرية وغيرها). يُبين الكاتب هنا أنّ المشكلة الحالية متواجدة في الطرفين، فالغرب أيضاً متراجع أخلاقياً تجاه الآخر، وكثيراً ما يتصرّف حيال الآخر بالطريقة التي نظر لها هنتنغتون في "صراع الحضارات"، وفوكوياما في "نهاية التاريخ"، كحضارة مهيمنة على الآخر ولكن مغلقة على ذاتها في التعاطي معه. فهناك ضرورة ملحة لتطوير الحوار والتعاطي مع الآخر الحضاري من جميع الأطراف.

ويواصل الكاتب في تبيان أنّ البيئة الحاضنة للحوار بين المكونات المختلفة للأمة ستخلق الجو المناسب لتشكيل ما يسمى اليوم بـ"المجتمع المدني"، فيتناول خواص ومميزات المجتمع المدني، بأنّه يتمتّع بشخصية مستقلة، ويزخر بالمؤسّسات المختلفة المحافظة على حقوق أفرادها، ويسمح لأفراده بمساحة واسعة من الحرية خصوصاً الفكرية والعقدية بما يعطيهم مرونة في الحراك الفكري الاجتماعي وبالتالي تكون انتماءات الجميع طوعية، ويؤسّس لنظرة وفلسفة للكون والحياة تسع الجميع، ويضع حقوق الإنسان كإطار شامل لجميع أفرادها. يرى الكاتب أنّه من الجيد "تبيئة" هذا المفهوم، وأنّه مماثل لحد كبير لمجتمع الرسول الذي أسّسه في المدينة (مع فروقات الزمن والتطور الإنساني والتقني)، وبالتالي لا بأس من استعارته وتبنيه. ولكن من الجدير بالذكر أنّ الكاتب يرى أنّه يجب "تبيئة" هذا المفهوم و"أسلمته" أيضاً، ذاكراً هنا كلمة السيد محمد خاتمي الذي ذكر مفهوم "المجتمع المدني الإسلامي" المختلف عن نظيره الغربي، حيث أنّه يجب "استبعاد أسس الغرب الفلسفية ونظرته الخاطئة للكون والحياة"¹ على حد تعبيره. ثم يذكر خواص المجتمع المدني كما ذكرها السيد خاتمي، في خلوه من الاستبداد بكل أشكاله، وتكريس كرامة الإنسان فيه، وتأصيل حق تقرير المصير ومحاسبة المسؤولين، وأنّ الحكومة خادمة للشعب. كلّ هذا ناشئ ونابع من مدينة النبي، كما يرى السيد خاتمي.

كما يطرح الكاتب رؤيته في التعاطي مع تفسير النصّ القرآني، حيث يرى وضوح رهان القرآن على عقل الإنسان، وبالتالي فالعقل يستطيع التعاطي مع النصّ القرآني

¹ المصدر نفسه، ص 87

بغية تفسيره، ولكن بقيود ضابطة (حسب وجهة نظر الكاتب). فالكاتب يوافق رؤية الشهيد محمد باقر الصدر، القائل بأنّ التفسير يجب أن يكون "حواراً متجدّداً مع القرآن والواقع" لحمايته من الجمود وتكلّسات فهم السالفين. كما يطرح الكاتب مقارنة أولية لكيفيّة التعامل مع المرويّات إزاء تفسير النصّ القرآني، مفصّلاً ومبيّناً طرق التعاطي المختلفة بناء على نوعيّة الروايات. فمن وجهة نظر الكاتب، يرى أنّ التعامل مع روايات الأحكام ليس ذاته مع روايات مصاديق الآيات، وأنّ بعض الروايات مرفوضة لمخالفتها القرآن والعقل، والبعض أتى ليخاطب الناس على قدر عقولها وبالإمكان تجاوزها لما هو أكثر تطوّراً ومناسبة للعصر الحالي. بالإمكان القول أنّ الكاتب، ولو لم يصرّح بهذا الشيء علناً في الكتاب، أنّه ضدّ تقييد القرآن بقيود المرويّات، وأنّه مع محاولة فهم القرآن بالتماشي مع الروايات الصحيحة (دون التفصيل الدقيق في النقاش في دائرة الصحة أين تقع). والكاتب يعاتب كيف تحوّلت كتب التفسير إلى خطوط حمراء تقمع كلّ محاولة للخروج بفهم جديد، وهذه أيضاً إشارة لمظهر آخر للشيء العضال الذي أعاق فكر الأمة، ألا وهو الخلط بين الرسالة الأصلية (الإلهية) والنتاج البشري (كالتفسير وآراء الرجال مثلاً).

التعددية

يختتم الكاتب استقراءه لوضع الأمة الراهن عبر معالجته لمفهومين معاصرين تداوّلهما شائع في أوساط النقاشات الاجتماعية والسياسية، وهما مسألتا "التعددية الدينية" و"الولاء". فمن وجهة نظر الكاتب، فكرة التعددية الدينية الناشئة من عصر النهضة والمضادة للمنظومة الكنسيّة ثبتت شياع الحقّ عند الجميع وكلّ الأديان، وهذا شيء لا يناسب بُنية الإسلام لأنّ هذه الفكرة تفرّغ الدين من محتواه الحيّاتي. هذه الفكرة تختزل الدين لتجربة روحية باطنية بعيدة عن الشعائر وأحكام الشريعة¹، وهذا - في نظر الكاتب - يزيح الإسلام من فاعليته الحيّاتية. ولكن بالرغم من هذا فالكاتب لا يرى

¹ المصدر نفسه، ص 127

انحصار الحقيقة عند جهة أو دين واحد، وفي ذات الوقت لا يرى الجميع على حقّ، ولكن يرى بأنّ كلّ الناس لديها منهاجها التبعدي أو العقائدي به تعرف الحقّ، وأنّ كلّ جماعة، أو فرد، تحكمه ظروف فريدة تجعله يتبع منهاجاً معيناً. وكأنّ الكاتب هنا "يعذر" الجميع ويعتبر الكلّ عيال الله، ولكن من دون الاعتراف أنّ الجميع على حقّ على نسق فكرة التعددية الدينية.

الولاء

أما بخصوص الولاء، فقد استعرض الكاتب كيفيّة تغلّب الرسول (ص) على هذه المسألة بحكمة وحنكة بالغة؛ بأنّ وحد بطون وأفخاذ القبائل المتفرقة تحت لواء واحد وهو الولاء لله عز وجل. أمّا بعد ذلك فالمسألة تفرقت وعادت للولاءات التحزبية والقبلية وغيرها، وأصبح الولاء للأفراد مفضلاً على الكفاءة والنزاهة حتى في المؤسسات الدينية نفسها. وهذا الأمر معاكس للنهج القرآني، وينتج بيئة من الولاءات المتناحرة على شكل إقطاعات تعيش تحت كنف دولة واحدة ولكن ما من أحد يدين لها بالولاء، بل كلّ له ولاؤه. فالبعض ولاؤه مذهبي، والآخر قومي، وغيره عشائري، والخ من هذه التحزبات الطاغية على اللواء الأكبر. يشير الكاتب إلى أهمية معالجة هذه المعضلة والعودة إلى ولاء واحد يتوحد فيه الجميع وتزول فيه الجدر الفاصلة بين الناس.

مشاريع التجديد

ينتقل بعد ذلك الكاتب إلى استعراض نماذج من التاريخ الحديث التي كانت منارة تجديدية (من وجهة نظر الكاتب) أحييت الفكر الديني بعد ركوده. فاستعرض سيرة ونهج جمال الدين الأفغاني، والإمام محمد باقر الصدر، والإمام الخميني. وبيّن أهم مرتكزات حركة ونهضة كلّ شخصية من هذه الشخصيات العملاقة في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث. فالأفغاني مثلاً عمل على محاربة الاستعمار، ومناهضة الاستبداد بأنواعه. كما ركّز بشكل واضح على توعية الناس، وتنقية الفكر الإسلامي من الشوائب المخلة به، وأطلق مشروع الجامعة الإسلامية المعروف.

أمّا الإمام محمد باقر الصدر فقد أحدث موجة فكرية عارمة في مجالات المنطق والفقه والفلسفة والتفسير وحتى الاقتصاد. فقد اشتغل بنقد التراث دون قيود التزمّات الدينيّة والخطوط الحمراء، وعمل على دراسة نظريّات الآخرين من خارج الدائرة الإسلامية، وعمد إلى تقديم رؤى إسلامية جديدة في مختلف الميادين. وكذلك ركّز على الارتقاء بمستوى الوعي عند الناس، وكذلك نظّر لأطروحة "المرجعية الصالحة أو الرشيدة"¹.

في المقابل، عمل الإمام الخميني على مشروع إصلاح-إحيائي، يتصدّى فيه الفقيه لقيادة الأمة سياسياً بالإضافة إلى مرجعيته الدينية. فكان مشروعه مرتكزاً على عدّة أبعاد، منها مناهضة الاستبداد، وتأكيد دور العلماء الحقيقيين وتحجيم فقهاء السلطان، وقطع التبعية للدول الاستعمارية، وإقامة الدولة الإسلامية وتأكيد دور الأمة. ونرى هنا نمطاً متكرراً في أوساط هؤلاء المجدّدين، وهو نزعتهم لمقاومة الاستبداد بشتىّ صوره.

الاستبداد وتداعياته

في الفصل الأخير من الكتاب، ركّز الكاتب على منظومة الاستبداد بوصفها أكثر ما كَبَلَ الإنسان وأكثر ما حجب المجتمعات عن تطوُّرها وترقيّها، مستشهداً بآراء النائيين والكواكبي حيال هذه المنظومة القائمة للإنسان وحرّكه الفكري والثقافي. كما يبيّن الكاتب من أين وكيف بدأ الاستبداد، بعد العصر الأول وتحديدًا بعد الخلفاء الراشدين. ثم يبيّن بوضوح المنهج المناسب لمحاربة الاستبداد، ألا وهو فضح الممارسات الاستبدادية بكل أنواعها (سياسية كانت أم دينية أم غيرها)، وتبني الشورى والديمقراطية وضّم جميع أطراف المجتمع، والانضواء تحت سياسة القانون وإرساء العدل للجميع. يقول الكاتب: "لا شك أن الشورى والديموقراطية هما طرفا النقيض للاستبداد، فإذا انتعشتا في بلد جفت منابع الاستبداد وأثمرت حياة حرة كريمة، وإذا ذوتا استفحل

¹ المصدر نفسه، ص 181

الاستبداد، وعاش الشعب ظلمة الكبت والحرمان"¹. ثم يعرّج الكاتب بشكل مختصر على نموذج ولاية الفقيه والشورى كمنظومة قد تكون صالحة في ظلّ صلاحيات محدودة للفقيه (المُرشد الأعلى)، لا صلاحيات استبدادية تسمح له بتجاوز مبادئ العدل والشورى وحكم القانون.

الكتاب يتناول موضوعاً لا زالت الأمة في أمسّ الحاجة إليه، ألا وهو نبذ الجمود الفكري والانطلاق نحو التجديد الفكري الثقافي على مختلف الأصعدة، فقدّم نظرة دقيقة فاحصة في تشخيص الوضع الراهن، ولم ينزلق كعادة بعض المثقفين إلى الاصطفاف في إحدى الضفتين؛ إما الدفاع بشراسة عن التراث بكل ما فيه أو مهاجمته والاستنقاص منه والتنكّر له، بل نحّا المنحى العقلاني الذي يوازن بين الأصالة والمعاصرة. فلا كلّ التراث سيء، ولا كلّ جديد، ويحتاج لعملية تنقية ونقد وتجديد باستمرار لئلا تتكلّس ونجمد، فالتجديد سنّة الحياة كما يقول الكاتب. ولا بأس لديه في التعاطي مع المنتجات الثقافية والعلمية من الحضارات الأخرى بوصفها -على حدّ تعبيره- "نتاجاً إنسانياً" يمكن الأخذ به أو رده على حسب فائدته. هذه النظرة المتوازنة توحى بكمّ من الانفتاح والاعتزاز في آنٍ واحد، وتسلك باتجاهٍ قلّمَا تكثر أنصاره لكثرة المنزلقين لإحدى الضفتين المذكورتين.

وعمد الكتاب بشكل جميل إلى تثبيت أسسٍ رصينة بالإمكان البناء عليها، كإرساء ثقافة الحوار ومناهضة الاستبداد بأنواعه. وكانت له ملاحظة ذكية جداً على "علم الكلام" القديم الذي طالما تغنّى به المفكرون الإسلاميون كعلامة تفوّق فلسفي على الآخر، بينما لاحظ الكتاب كيف درج علم الكلام هذا في نهاية المطاف إلى إطفاء جذوة الإيمان الفاعلة وتأصيل الفارقة بأشكالها وزرع العقائد المغلوطة والمدمّرة وتعطيل المنهج القرآني الأصيل وغرس ثقافة الإقصاء، وبالتالي سقط الإنسان كلّ. وعالج مشكلة مُعقّدة أخرى (ولو بشكل مختصر) ألا وهي مشكلة الولاءات المتفرّقة الغير متوحّدة. وثبّت دور المثقّف في التجديد، ورسم له نموذجاً نأمل أن نراه في الواقع،

¹ المصدر نفسه، ص232

وهو أن يجمع المثقّف بين المعرفة العميقة، والوعي المشتبك بالواقع، والموقف الشجاع والاستعداد للتضحية.

وأحد أكبر نقاط القوة في الكتاب هو نزعته للتعاقد مع النهج القرآني بصراحة تامة، فالكاتب يشرف القرآن بتبيان أنّ القرآن يراهن على العقل، وداعية إلى الحوار مع كلّ الأطراف، ومضاد إلى كلّ أنواع الاستبداد. كما يشدّد على الحاجة إلى تحديد التفسير للنصّ القرآني، وينتقد كيف أصبحت كتب التفسير خطوطاً حمراء وآلية قمع للاجتهادات الجديدة، ويفرّق في أكثر من مرة بين الإلهي والبشري. ولكن ربما لم يتم استيفاء هذا الموضوع فهو شائك وطويل وبحاجة إلى تبيان منهج واضح مع أمثلة صريحة في كيفية التعامل مع الآيات الشائكة في القرآن أو التي قد تحسب ضدّ القرآن. فبعض التنظيرات العامة جميلة ولكن الشيطان يكمن في التفاصيل، فما الآلية المناسبة لتطوير عملية التفسير، وهل ستظل حكرّاً على بعض العلماء والفقهاء ومحرمّة على المثقفين مثلاً (كما هو الحال الآن)؟ بل حتى علم الكلام وتجديده، فلن يثمر شيئاً ما لم يتم تحديد قضايا الكلام نفسها وتجاوز قضايا السابقين التي كانت معاول هدم ومصانع طحن أنتجت التكفير والتفرّق في الدين في مسائل عقدية ما أنزل الله بها من سلطان لا تثمر شيئاً ولا تمس حاجة الإنسان والمجتمع ولا فلسفته في الحياة الموجهة لأدواره البناءة.

قد يُعذر القارئ إن ظنّ أنّ الكاتب يناقض نفسه حينما تناول الكتاب قضية التعددية الدينية في بعض ما قاله آنفاً. فقد قارب ما حدث في عصر النهضة مع العالم الإسلامي وخلص إلى أنّ الإسلام لا يوجد به "إكليروس"¹ ولا تكفير، مع أنّ الشواهد تشير إلى أنّ كثيراً من المرجعيات بفئوياتها الضيقة هي نوع من الإكليروس وتمارس التكفير لمن خالف ثوابتها أو نظرياتها (وقد ذكر الكاتب قبل ذلك شياع الفكر التكفيري كمظهر للتخلّف الحضاري). تجد في الكتاب عدم ارتياح في التعاطي مع فكرة التعددية الدينية بحجّة أنّها مفرّغة للدين من محتواه الحيّاتي، ولكن يبقى السؤال ماذا عن الأطياف المختلفة (حتى في الدين نفسه) التي لا تتفق في ثوابت الشريعة مع

¹ المصدر نفسه، ص 126

الآخر وتمارس دينها بأسلوب قد يعتبره الآخر "تجربة روحية باطنية"، فهل يناقض ذلك وحدة الأمة أم يمزق بين طوائفها؟

الكتاب صدر في سنة 2000 فهذه الآراء هي جزء من مسيرة الكاتب الفكرية ومن المستحيل أنهما لم تتطوّر أو حتى تتغيّر فتلك عادة المثقفين الحقيقيين. في الحقيقة الكتاب سابق لزمانه والقضايا الموجودة فيه ما زالت بذات الأهمية القصوى اليوم في هذه الظروف التي تعيشها الأمة. أنصح الجميع بالاطلاع عليه والاستفادة منه. فنحن بحاجة لمثل هذه النتائج والتوجهات الدافعة لعجلة التجديد الفكري فقد تأخرنا كثيراً. أما كتبه الأخيرة فقد اشتملت آراء جديدة، بعضها قد تجاوز ما جاء في كتاب اشكاليات التجديد.

التسامح قيمة إنسانية ودينية عليا

بقلم: الأستاذ عاشور البدري¹

من اشد ما واجهه الفلاسفة والمصلحون والمفكرون ومن قبلهم الانبياء والرسل، هو تغيير عادات وتقاليد المجتمعات وقيمها الموروثة واحلال قيم جديدة بدلا منها، خصوصا اذا كانت هذه العادات قد ترسخت عبر قرون من الزمن، فعسير جدا ان تنتزع الانسان من موروثة وما الفه من عادات وتقاليد وقيم تشكلت عبر الزمن ثم تستنبت قيما اخرى جديدة وتحلها محلها، ولهذا كان عمل المصلحين والمفكرين شاقا والعبء الذي تحمله في سبيل ذلك كبيرا والتضحيات التقدموها جساما، فقد لاقوا من مجتمعاتهم العنت والقسوة والحرمان والسجن بل والتنكيل بهم كما نرى ذلك جليا في تاريخ المجتمع البشري، لقد كانوا يتحاشون وضع اسمائهم على مؤلفاتهم في زمن حياتهم خوفا من بطش السلطة الدينية والسياسية آنذاك.

ومفهوم التسامح بما يحمل من معنى قيمى هو جديد على ساحتنا العربية والاسلامية التي تعج بالتعصب بكل ابعاده والعنف والاستبداد السياسي والديني واقصاء الآخر المختلف دينيا او مذهبيا او عرقيا بل محاولة الغائه تماما، وهو جديد على مجتمعاتنا التي تسيطر عليها جماعات التطرف الديني نتيجة لتوظيفها للنصوص الدينية بما يخدم مصالحها، لان التسامح بمفهومه الجديد يعبر عن حق اصيل من حقوق الانسان، حقه في اختيار العقيدة والفكر والتعبير عن آرائه بكل حرية ويعني فيما يعني قبول الآخر المختلف دينيا او مذهبيا او عرقيا او فكريا وعدم اقصائه او الغائه يعني التعايش السلمي بين مختلف الديانات والملل

والاعراق ، وبعبارة اخرى يعني نبذ التعصب بكل مظاهره وابعاده ولا يخفى على احد مدى الحاجة الماسة لمجتمعاتنا العربية والاسلامية للتسامح وخصوصا في ظل الظروف الراهنة التي ادت فيها سيطرة الفكر الاحادي الالغائي على ساحتنا العربية والاسلامية الى ما نراه من تقاتل وتطاحن طائفي مؤلم ومن ثم اشاعة الثنائيات البغيضة عبر فضائيات الكراهية فهناك دار شرك ودار ايمان ودار كفر ودار اسلام فسطاط كفر وفسطاط ايمان الى ان اصبح القتل على الهوية وما يجري في العراق وافغانستان وباكستان دليل صارخ على سيادة منطق التعصب والعنف والاقصاء بل الاستئصال والالغاء.

من هنا تأتي اهمية كتاب "التسامح ومنابع اللاتسامح فرص التعايش بين الاديان والثقافات" للباحث والكاتب القدير الاستاذ ماجد الغرباوي كتاويل لهذا المفهوم ومحاوله لتبيئته، اي نقله من بيئته التي ولد فيها واستنباته في بيئة اخرى، وهي مسألة ليست هينة بل تحتاج الى تضافر جهود وعمل توعوي وثقافي متواصل لغرس هذه النبتة الجديدة وتعاهدتها حتى تؤتي ثمارها، ونحن عندما نقول ان هذا المفهوم بما يحمل من مضامين حديثة تعتبر جديدة على بيئتنا الفكرية العربية لا ننفي وجوده بمعناه الاخر الذي يتضمن المنه والتفضل، لان التسامح كمفهوم يحمل قيمة اخلاقية تتناسب مع مضمون الكلمة لغة لان التسامح في اللغة هو التساهل والجلود يقال فلان سمح اي جواد فالتسامح كان يدل على تنازل الشخص عن حقه تكريما ومنه، لكن هذه الدلالة - كما يقول المؤلف - "تطورت بفعل التنظير الفلسفي لتتحول الى جزء من واجب تفرضه الحرية الشخصية التي يراد لها ان تكون متساوية بين الجميع، فلكل فرد حقه في الاعتقاد وحقه في التعبير عن رأيه، وليس هناك ما يبرر احتكار هذا الحق لجهة دون اخرى، فقبول الآخر وفقا لهذا الرأي ليس منة وانما واجب تفرضه الحرية الشخصية "

وقد ولد مفهوم التسامح في العالم الغربي نتيجة حاجة ملحة كما هي حاجتنا في مجتمعاتنا الى اشاعة هذا المفهوم وهي حاجة كان يفرضها الواقع المؤلم الذي كان يعيشه آنذاك من صراعات سياسية وحروب دينية وعرقية وتعصب

ديني وطائفية، وقد كتب الفيلسوف الانجليزي جون لوك في اواخر القرن السابع عشر عندما كان هاربا الى هولندا "رسالة في التسامح" ضمنها المعاني الجديدة لهذا المفهوم، والعجيب انه لم يجرؤ أن يضع اسمه على هذه الرسالة خوفا من بطش السلطة الدينية والسياسية الا قبل وفاته بمدة قصيرة؛ ثم استمر التاصيل لهذا المفهوم الى ان أصبح قيمة مهمة كما نراها اليوم في المجتمعات الغربية .

واضافة للحديث عن التسامح بمعناه المعاصر من حيث دلالاته ومساحاته التي يشملها تحدث المؤلف عن الاسباب التي تحول دون اشاعة هذا المفهوم في مجتمعاتنا الاسلامية وقد عبر عنها بمنايع اللا تسامح وهي سيادة منطق العنف والاحتكام اليه لا الى القانون فقد اعتبر في كثير من مجتمعاتنا قيمة اساسية فالقوي يهاب وييجل ويحترم لقوته وهوقوة فاعلة ومؤثرة في وسطه الاجتماعي بل تحول العنف الى منهج في تفسير التاريخ وقراءة الاحداث، ومن هذه المنايع الولاء القبلي وما يسببه من صراعات عشائرية واحتكام لقيم القبيلة، وعدم الولاء للقانون والدولة، ومنها سيطرة القيم الموروثة والعادات والتقاليد وما تلعبه من دور في تشكيل وعي الفرد ثم المجتمع؛ ومنها الاستبداد السياسي الذي يعتبر الخصم الرئيس للتسامح لان الاستبداد السياسي يعني رفض الاخر وتهميشه لذا لا يمكن التوفيق بينهما، ومنها التطرف الديني الذي يعده المؤلف اخطر منايع اللاتسامح على الاطلاق وذلك لانه يوظف فيه النص الديني فهو يمارس تحت غطاء شرعي كالجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من العناوين الشرعية.

وبالرغم من تاكيد الديانات والشرائع السماوية على المحبة والعفو والرفق والمواساة وما اليها من اخلاق، الا ان اغلب الحروب والصراعات عبر التاريخ كان طابعها دينيا، فلا نعدم ان نجد نصوصا في الديانة اليهودية والمسيحية والاسلام تتحدث عن محبة الاخر واحترامه والمساواة بين الناس والعدل والرحمة بل هذه النصوص ليست قليلة في الشريعة الاسلامية الا اننا نرى ان الحروب في الغالب قامت باسم الدين وبمحجة الدفاع عنه، وهذا يعني توظيفاً سيئاً للنص الديني وتغييباً متعمداً لنصوص العدل و الرحمة والمحبة والمساواة والصفح ومقابلة الاساءة بالاحسان وغيرها، وهذا ما اشار اليه المؤلف عند الحديث عن بعض

النصوص الموضوعية كحديث الفرقة الناجية وكيف وظف توظيفاً سيئاً عبر التاريخ وهو من الأحاديث الضعيفة جداً، في المقابل تم تغييب كم هائل من نصوص التسامح والعدل والرحمة والعفو بحجة النسخ وهي حجة واهية لاتصمد أمام النقد.

ان مفهوم التسامح بما يتضمن من حمولة دلالية جديدة ليس آيياً على التطبيق لاننا نعيش بين ظهرائي مجتمع - المجتمع الاسترالي - بالرغم من تعدد الاديان فيه والثقافات والتجمعات الاثنية الا ان الجميع يعيشون في ظل هذا المفهوم فلا اقضاء للآخر ولا تمييز عنصري او ديني، الكل يستطيع ان يعبر عن رايه ويعتق العقيدة التي يقتنع بها بكل حرية ولا عبرة بالشاذ النادر .

التنوير بين الإضاءة والالتام

ماجد الغرباوي مثالا

بقلم: الأستاذة أمان السيد¹

لقد بات مصطلح التنوير ومن يشتغلون عليه، أو ينتمون إليه إدراكا ووعيا موضع تساؤل وشك، واتهام من جهات معينة. وكأني بها تحرص على أن يظل "ما وجدنا عليه آباءنا" حاضرا وفاعلا ومحركا، ومثبطا للعقل، أو لأية محاولة لإيقاظه، أو حتى دغدغته!

ولكن للحياة دورتها، وللزمن ساعته، فإثر اكتظاظ الساحات بالمعوقات الفكرية، والتدمير الإنساني بحجة الدفاع عن الدين، أو تطبيق شريعة الله، كان لا بد من أن ينهض بعض العاقلين، والحكماء، وينهض المثقفون لمن فضل السيف والقذف سلاحا للتحاور، يعظم عندهم ليصبح تحليل الدم بالقتل أمرا مباحا، حيث جعل الاجتهاد حكرا على فئة وأسماء لمعت لغاية، أو أخرى عبر تسلسل لا يقبل خدشا، أو استبدالا، وكأني بالعقول التي خصنا بها الله حجة للوصول المتيقن ممنوع عليها أن تتأمل، أو أن تفكر، تتلقى فقط.. رغم أن القرآن الكريم ثري بالخطاب الإلهي الذي يحض على التدبر والتأمل، والتفكير.

وفي غمار هذا وذاك، كان لا بد أن يظهر الأستاذ ماجد الغرباوي، وأمثاله من الغيورين على الدين، وعلى الطائفة المسلمة ليعيدوا غربة ما طفا فوق السطح، وتقويم ما اعوجّ بما أوتي من الثقافة، والدأب والعمل، وأن يجتهد لإعادة الأمور إلى رصانتها المنشودة، فيشعر من أوتي جانبا من الحكمة بالاطمئنان إلى ما يتلقاه منه مادة، وشروحا.

1 - أدبية وكاتبة - سيدني - أستراليا.

ومن الجوانب التي آثر الأستاذ ماجد الغرباوي أن يوليه موضعاً كبيراً، وقيماً في قراءاته المستجدة للتراث ولما نسب إلى الشريعة على لسان المتقولين، هي المرأة... المرأة التي شغلت للأسف مساحة وارفة من فكر أصحاب الرأي والاجتهاد، والشيوخ ذوي الاستنساخات المشوهة حتى ليوشك أن ينسب انخيار المجتمعات الإنسانية إليها، وتفوق التفكير في شأنها على ما عداها مما تحتاجه المجتمعات الإسلامية من الدعامات والأسس التي تقيم أودها وتصلح شأنها، ولا ضير إن اعترفنا ببساطة وصراحة أننا أمة مأسوف عليها فيما وصلت إليه من التردّي، والتخلف والانقسام الطائفي، والانحطاط الفكري، إلا من رحم ربي وتنبّه إلى المستنقع الذي طال قدميه، فانتشل ذاته منه، ونتجت إثر ذلك حركات فردية ما تزال تنشر فكرها وتساهم في إضاعة العقول والنفوس على استحياء، ومن تجرأ بإعلاء صوته منها، يرى الكثير من الألسنة تمتد لتعمل فيه إساءة، وتكفيراً، ولن نهمّل أن هناك من آثر الانفراد بما قد استنار به لنفسه بعيداً عن حروب من حملوا لواء التكفير والشجب، ليحشرونا في خاناتهم التي هي ليست إلا إثراء لسطوتهم، وجشعهم، وانحرافهم الضليل!

في اطلاع لي على كتاب "الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي"¹ الفكري التنويري الإصلاحي إن صح التعبير، تلمست رؤيته للمرأة ودفاعه عنها ضمن تسلسل تاريخي نابها فيه ما نابها من الاضطهاد والإسفاف، والالتفاف حول الشريعة ومعطيائها في ما يخص المرأة.

أقتبس هنا بعض ما ورد في الكتاب ضمن محاوره جديرة بالاهتمام والتقدير:

مقارنته وضع الرجل المركزي بشكل عام في كل زمن، قابله تهميش للمرأة ضمن قيم تنتمي إلى العبودية، ولم تغادر تلك الرؤية في العصر القبلي، ولا حتى في العصر الإسلامي، وقد تسربت تلك القيم رغم ما طرأ على المرأة بعد نزل الوحي من تطور على مستوى الحقوق والواجبات: (إن مركزية الرجل وهامشية المرأة، تنتمي لقيم

1- محمد علي، ا. د. محمود، الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي النسوي، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، ودار الوفاء الاسكندرية، 2021م.

العبودية، ولم تغادر المجتمع في العصر القبلي، بل وحتى في العصر الإسلامي، تسربت تلك القيم، رغم ما طرأ على المرأة بعد نزول الوحي من تطور على مستوى الحقوق والواجبات¹.

إن الشاهد على تكريس دونية المرأة نصوص / روايات تنسب إلى عصر الخلفاء. وبعضها يروى عن النبي نفسه، وبعضها سلوك شخصي أو اجتماعي متعارف عليه "ناقصات العقول، كن من خيرهن على حذر، شاوروهن وخالفوهن" وغير ذلك من النصوص التي تمثل فجيرة العقل التراثي، وغربة المرأة داخله. يقول: (والشاهد أن أغلب النصوص التي تكّرس دونية المرأة تنتسب لعصر الخلفاء، بعضها يروى عن النبي وبعضها سلوك شخصي أو اجتماعي متعارف "ناقصات العقول، كن من خيرهن على حذر، شاوروهن وخالفوهن" وغير ذلك من النصوص التي تمثل فجيرة العقل التراثي، وغربة المرأة في داخله)².

إنه من المأسوف عليه حقا أن تتداول مجتمعاتنا تلك النظرة التي لا بد أن لها أسبابها لو قورنت بالعصر الذي سبقت فيه، والتي لا بد أنها ارتبطت -إن صدق نقلها وتوارثها- برؤية ومصالح فرضها بعضهم في زمن معين لغايات والتماسات معينة، ولكن ماذا في العقول الذكورية والتي بعضها قد يفترض به ارتقاء سلام الوعي والثقافة، والمكانة الاجتماعية، وهم ما يزالون يرونها الرؤية الصادقة ويربطونها بالشرعية، ومبادئها؟!!

ويأتي الرد من الأستاذ الغرابوي معقبا ومحاججا بأن القرآن الكريم لم ينص على دونية المرأة، ولم يتحدث عن ثنائية النوع الإنساني إلا من خلال الجانب الوظيفي³، وأن في النصوص القرآنية إشارات وقرائن يهملها المفسر/ الفقيه كما في الآية الكريمة "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم"

1- المصدر نفسه، ص 56.

2- المصدر نفسه.

3- المصدر نفسه، ص 57.

والتي ما تزال تثير إشكاليات كثيرة، ورفضاً واحتجاجاً إيجابياً وسلبياً من جهة المرأة والرجل، إذ أن المفسر/ الفقيه يتكئ على بداية الآية، ويهمل الشروط التي قامت عليها.

ثم إن الغرباوي يسبر أكثر من آية كريمة فيها الإيحاء غير المباشر على المساواة بين الذكر والأنثى ويطيل الشروح المقرونة بالدلائل على معانيها، وعلى أن انتزاع بعض المعاني وشرحها بعيداً عن السياق والإيحاء يعتبر جوراً وظلماً، ويخلص الأستاذ الغرباوي إلى أن مرجعيات الحركات الإسلامية سواء التراث، أو النص الديني هي وراء منطق تكريس دونية المرأة ومعاداة النسوية الداعية إلى تحرير وعي المرأة، واستعادة حيثيتها الإنسانية كي تواصل حياتها مستقلة بعيداً عن عقد المظلومية والانكسار¹.

سنتحتاج وقتاً طويلاً، وأكثر من ثورة إنسانية فكرية لتقبل الجديد، فكما قيل كل نبي غريب في أرضه، فإن إكرام متنور، أو مصلح اجتماعي لن يكون سريعاً، إكرامه الذي أقصده، وعي ما قدمه ويقدمه لنا من فكر، وإدراك ما تحمله ثنياه جيداً من التحريض على إيقاظ العقل، وتحليل المعطيات لتخلص من سلطة مفسر/ فقيه جعل من نفسه سيد العقلاء حين دفعته ذكورته التي ينتمي إليها إلى أن الرجل سيد المجتمع، وأنه الأفضل، والمتفضل، وهذا يقتضي أن تكون المرأة جزءاً من متاعه خاضعاً لإرادته يسوقه بعصاه كما يسوق أغنامه، فمن ذاك الذي يقبل بفقه فقيه يشرع وينسب إلى الإسلام ما لا يقبله عقل أو منطق، كتفخيز الرضيعة، أو إرضاع الكبير لجواز الاختلاط مثلاً" كما يذكر الأستاذ الغرباوي؟! "²

قد ينبري أحدهم متهماً أن الأستاذ الغرباوي ينبش في ذبول السلوكيات، ويحتج بها مما ذكرته أعلاه، لكن من يستطيع أن يغمض عينيه عن ممارسات القمع التي ما يزال يغص بها زمننا وحاضرنا من قهر للمرأة، وتعنيفها في أغلب بلداننا العربية، وهل السوشيال ميديا إلا السافر المسفر الذي لا نستطيع صده، وهو يعرض علينا في كل

1- المصدر نفسه، ص 60.

2- المصدر نفسه، ص 78.

حين مشاهد قتل وسحل للمرأة بمختلف الطرق، حين ترفض الزواج من أحدهم،
فينحرها، وحين تغتصب طفلة من أقرب المقربين إليها، وتسكت أمها على الأمر
خوفا من ذوي الشأن من الذكور في أسرتها، وضحايا الحروب والمعتقلات، والأطفال
الذين ولدوا في السجون ثمار اغتصاب.... ماذا بشأنهم؟!

هو غيظ من فيض فلسفه مشروع الأستاذ الغرباوي مشكورا في معرض لكشف
الاستار، وإضاءة الأنوار حول وضع المرأة التي هي رحمة الأول.. الأم قبل أن تكون
الحبيبة، أو الزوجة وتتسلسل إلى ابنة وحفيدة، وسيدة مجتمع وكيانا قائما بذاته..

ماجد الغرباوي في ثنائية المرأة والقرآن

إشكالية القراءة والتأسيس

بقلم: د. سُمَيَّة إبراهيم الجنابي¹

بقي عنوان النظر والتجديد في التراث الديني من أبرز عناوين التي تتحرك في فضائها مشاريع وأعمال عدد من الباحثين من دعاة الإصلاح والنهضة، ولا تزال قرأتهم قائمة في تكشف المرجعيات الإسلامية، بمقرراتها وادواتها، وفك التباساتها التاريخية مع معطيات الزمن الذي ولدت فيه وأثرت به وتأثرت، لتنمية وإرساء معطيات ونصوص ورؤى حضارية تنسجم مع تحديات الزمن الراهن، المتدفق بكل عناصر التغيّر والسرعة.

والموقف من المرأة كما يرى الدكتور عبد المجيد الشرفي يعد اليوم أفضل معيار بمكّننا من تصنيف المفكرين والمشتغلين بالمعرفة الدينية، ومعرفة مدى بقائهم عالية على بعض القدماء من الذين يكرّسون التمييز الذي كانت النساء ضحيته، أو انخراطهم في مقتضيات عصرهم بالنسبة إلى سائر القضايا. وهذا المعيار هو الدليل في الحكم على المصادقية التي يمكن أن يتمتع بها أي موقف، باعتبار أن حقوق الإنسان كل لا يتجزأ ولا يجوز اختزالها. فإذا وجد من ينبذ الأحكام الفقهية التفصيلية التي تفرق بين المسلمين على أساس الانتماء المذهبي -مثلاً- ثم وجدتهم يقرّون بفرض أحكام فقهية ولدت ضمن الاشتراطات التاريخية بتعللات واهية، فلا نستبعد أن ذلك النبذ منقوص ومعتل، يحمل في طياته تناقضاً داخلياً، وأنه غير مبني على أساس متين².

1 - تخصص فكر إسلامي. بابل - العراق.

2 - ينظر: عبد المجيد الشرفي، عبثية الصراع المذهبي، كتاب: الصراع المذهبي فصول في المفهوم والتاريخ، الناشر: جامعة الكوفة، الطبعة الأولى - بيروت-2018م، 65.

وقد شهد المسار التاريخي لموضوع المرأة سجلات فكرية حادة في داخل الوسط الديني، في العصر الحديث من رفاة الطهطاوي، ومحمد عبده، وقاسم أمين، والطاهر الحداد ومرتضى مطهري، ونصر ومحمد مهدي شمس الدين وو. وقد تمخضت عنها اتجاهات معرفية متعددة، يمكن حصرها في ثلاثة، لتلمس من خلالها مشروع الأستاذ ماجد الغرباوي في مقارنته لهذه القضية الحرجة، وأين يمكن أن يصنف؟ وما هي أبرز محدداته وأدواته؟

وبإيجاز، فإن هذه الاتجاهات الثلاثة، هي:

أولاً: الاتجاه التقليدي النصوصي (الأصولي):

ومن أبرز معالمه الحفاظ على أصالة المعارف والتعاليم الإلهية، ومواجهة جميع الأفكار التي تستعين بالمعارف والمنهجيات الحديثة في فهم وتفكيك التراث الديني. فؤلاء يقدسون الماضي. حتى ان بعض اتجاهاته المفرطة، تعتقد أن الله يريد حفظ الظروف الموضوعية والعلوم والفنون التي كانت موجودة في ذلك العصر، ويعدون كل التحولات اللاحقة بعيدة عن المجتمع الإسلامي المرجو¹.

الاتجاه الثاني: الاتجاه الكلامي (العقلاني):

وهو اتجاه برزت فيه شخصيات كبيرة في القرن العشرين كالشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ومحمد حسين الطباطبائي، ومرتضى مطهري، ومصطفى السباعي، وغيرهم، وقد ركز هذا الاتجاه نشاطه على صعيدين²:

1 ينظر: الشيخ محمد تقي سبحاني، شخصية المرأة - دراسة في النموذج الحضاري الإسلامي، ترجمة: علي بيضون - شاکر کسرائي، الناشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - الطبعة الثانية - 2013م، 29-33.

2 - الشيخ حيدر حب الله، المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، الناشر: دار الهادي - بيروت، 2008م، ص 14.

أحدهما: تقديم صياغة علمية داخلية لموضوعات المرأة غلبت عليها، سمة إعادة إنتاج من دون تغيير في النتائج غالباً، أي إعادة صياغة وتشكيل للنظم المفاهيمية مع الأخذ بعين الاعتبار ثبات النتائج.

ثانيهما: تقديم تفسيرات عقلية للنتائج المفروغ منها، يمكنها عقلنة معطيات النصوص، أي تقديم تفسيرات لقضايا الحجاب وعلاقته بالحرية، وتعدد الزوجات وعلاقته بالحقوق وو. وقد ساعدت التركيبة الذهنية - الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية، على نجاح هذه التفسيرات ومعقوليتها لدى الرأي العام، وهو ما قد ينذر بفشل الديمقراطية، نتيجة التغيرات التي حدثت في العقدين الأخيرين.

الاتجاه الثالث: الاتجاه الفقهي الحضاري:

وقد تبلور هذا الاتجاه في كتابات الشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله، والشيخ يوسف صانعي، والشيخ مهدي مهريزي، والشيخ مجتهد الشبستري، وغيرهم. ويحكي عن نمط من التفكير والتعاطي مع النص (القرآن والصحيح من السنة) المحتكم إليه في القراءة والتأويل، تمثل في أمرين¹:

الأمر الأول: آلية الحفر خلف الجانب الصدوري للنص، وهو أمر يتسنى في السنة الشريف، ويستحيل في القرآن الكريم. إن هذا الحفر الذي يهدف إلى تقويض النص من خلال نفي صدوره، وجد لنفسه في هذا الاتجاه فرصة ملائمة جداً. والسبب في ذلك هو أن مجموعة تصورات اجتماعية عن المرأة لم يعتمد الفقهاء والمتكلمون المسلمون السابقون إلى تحقيقها اتكالاً على الوضع العام في الوعي والعقل الجمعي المسبب عن بنية خاصة للمجتمع القديم.

الأمر الثاني: آلية تكوين قراءة جديدة للنص تدخل في الحساب التاريخي، والمكسب الذي سيتحقق حينئذ يقوم على محاولة عزل النص عن الواقع الاجتماعي الحالي من خلال وصله ببني وهيكليات اجتماعية - سياسية سابقة لم يعد بالإمكان تحقيقها اليوم.

1 - المصدر نفسه، ص 12.

هذه هي أبرز الاتجاهات الدينية التي عاشت السجالات الفكرية لوضع المرأة الحقوقية والحضاري، وقدمت تصوراتها وقناعاته فيه، ولكل منها كما شاهدنا أدواته المعرفية وسماته وتجربته.

ومن ثم، نعود ونسأل أين يمكن أن نصنف مجهود وعمل ماجد الغرباوي من هذه الاتجاهات من خلال كتاب (المرأة والقرآن) ؟ علمًا ان كتابه عبارة عن حوار أجرته معه الدكتورة ماجدة غضبان، وكان الحديث في عمق التشريع وفلسفته ومرجعياته وأصوله، والواقع ودلالاته في النص وفهم النص. مع النظر في المنهج البحثي والعقل الاجتهادي الإسلامي في محاولات التأصيل والتعميق.

ويبدو لنا من خلال المطالعة أنه ينتمي إلى الاتجاه الحقوقية الحضاري، الذي يسعى إلى قراءة مضامين الأدلة الشرعية من جديد، وفك النصوص من اشتراطاته الزمانية. ويمكن تلمس أبرز أدواته في الفهم والتفكيك والمعالجة بالاتي:

أولاً: التفريق بين النص وفهم النص وتفسيره، فهو يرى ان القداسة أو الحجة الشرعية- كما يسميها- لا تتجاوز القرآن والصحيح من السنة، وحتى هذا السنة فبعضها تديري (أو ولائي، تقتضيه المصلحة العامة)، والآخر مطلق يحمل على نحو القضية الحقيقية. فهو يقول: (إذاً الحجة الشرعية هي الكتاب المبين والحديث الصحيح الذي يفسر النص "في تفصيلاته التشريعية وبعض جوانبه". وما عدا ذلك يقبل النص الديني أي تفسير ضمن ظرفه وشروطه. ولا شك ان النفوس الذكورية والاعراف والتقاليد، لعبت دوراً في تفسير النص لصالح الذكر ضد الانثى، وهي تفسيرات وليدة عاداتها وتقاليدها وفهمها، وليست بحجة علينا. ويجب ان يكون لنا تفسيرنا ضمن ظرفنا التاريخي. وهذا الكلام لا يعني الشمول ابداء، فهناك كثير من التفاسير الموضوعية، لكن قد نراها تحاكي المرأة على خلفية فهم المفسر، ومبناه في توثيق الروايات، ومدى قبوله لها. او مدى تأثره بالتراث او بواقعه. او بسبب خلفيتنا نحن، واختلاف الزمان، ورؤية الرجل مطلقاً للمرأة ودورها في المجتمع. فالقياس هو القرآن وليس قول المفسر او الفقيه، ومتى ما انتابنا الشك في اقوالهم نعود للقرآن

نستنتقه كي نتعرّف على الحقيقة.."1. وعلى ذلك فهو يرفض النصوص والتفسيرات التي تصف النساء بنقصات العقول، أو ما ينسب للإمام علي (ع) من : "كن من خيرهن على حذر"

ويعتقد أنها نشأت في ظروف سياسية خاصة، كحرب الجمل وخروج السيدة عائشة على الإمام علي (ع) وتزعمها لجماعة من المسلمين². ووفقاً لذلك لا يمكن أن يشكل ذلك مدرّكاً للأحكام الشرعية أو لرسم صورة عن المرأة. نعم هي رأي سياسي شخصي، لا رأي اجتماعي عام تبنى عليه الأحكام.

ثانيًا: ان حصر مقاصد الله بالدلالة الحرفية للنص، وعدم مراعاة الدلالات الأخرى كالدلالة العقلية أو الدلالة المقاصدية، أو الدلالة الواقعية (التاريخية) قد أثر سلباً في تفسيرها، وجرّد النصوص من قرائن مهمة قد تقلب العام إلى خاص، أو المطلق إلى مقيد والعكس صحيح. وعليه، فإن الحل يكمن في تتبع المجتهد واستقرائه لجميع الدلالات الداخلية والخارجية لخلق وعي أعمق وأشمل للنص.

ثالثًا: من خلال إيمانه بلزوم فهم الأسبقيات والقبليات التي ينطلق منها المجتهد في معالجته فإنه يرى ان الفرضيات المعرفية المسبقة عن هوية المرأة وقدراتها هي من أثرت بشكل كبير في استنباط العديد من الأحكام المتعلقة بالرجل والمرأة. فيقول في ذلك: "لا إشكال في ان الحس الذكوري هو بوصلة الفهم والتفسير لدى بعضهم.. فكانت الذكورية حائلاً بينهم وبين التفسير والقراءة الصحيحة، حتى ان بعض الآراء الفقهية ما زالت قاصرة وقد تصنف جائزة بحق المرأة، وسببها كما تقدم النظرة الذكورية"³.

1 - المرأة والقرآن.. حوار في إشكاليات التشريع، مؤسسة المثقف، سيدي - أستراليا، والعارف للمطبوعات، الطبعة الأولى - 2015م، ص16.

2 - المصدر نفسه، ص 24.

3 - المصدر نفسه، ص 25-26.

رابعاً: فحصره للنصوص وإعادة قراءة مضامين الأدلة لا تمنعه من قبول مسوغات فكرية قدمها علماء الإسلام بخصوص تعدد الزوجات - مثلاً -، وصلته بالحقوق من أجل مجتمع نظيف، عفيف، ما دامت هذه المسوغات أو العلل لا تصطدم مع الواقع الضاغط بضرورياته، مثل: كون الرجل لا يكتفي جنسياً بزوجه، أو أن زوجته لا تطيقه جنسياً، أو أن التعدد قد يساعد في القضاء على مشاكل العوانس، وقلة الرجال بسبب الحروب، أو الأرمال في ريعان الشباب، ونحو ذلك. والتعدد عنده من حقوق المرأة وليس الرجل فقط.

خامساً: من الأدوات المنهجية عنده هو معيارية الفهم القرآني، وحاكميته على مجمل النصوص الأخرى، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال النظر إلى القرآن ككل لا إلى جزء منه فقط.

وتشير الدراسات القرآنية الحديثة إلى ما يقارب من مئتي آية تتناول المرأة وعلاقتها بالرجل. ومن هذه النقطة في ينطلق إلى رفض الآراء التي تجيز زواج البنت بتسع سنوات!! معتمداً على علامات البلوغ التي ذكرته النصوص كـ " بلوغ الحلم"، أو " بلوغ الرشد" فلا يمكن الاستفادة إطلاقاً الحكم بتسع سنوات من دون أن تكون حائضاً وبمستوى الرشد.

سادساً: تحت عنوان "الإسلام والرق" يكشف ماجد الغرباوي عن أبرز أدواته المعرفية وهي التمييز بين الأحكام التديرية الزمنية التي تصدر من النبي (ص)، وبين الأحكام التبليغية التعبدية، فكما أن النبي يمارس أحكام التبليغ فإنه يمارس أحكام الولاية العامة في إدارة شؤون المسلمين، وهذه الأخيرة توقيتية لا تلزم المجتمعات اللاحقة. وعليه، فإن أحكام الرق ومشروعيته إذا كان لها ما يبررها في ظروف وقواعد الصراع التاريخي، فإن هذه القواعد قد تبدلت بعد أن اتفقت جميع المجتمعات على نبذ الرق بإشكاله المختلفة.

وأخيراً، من حقي أن أسجل ملاحظة نقدية يمكن أضعها بصفه سؤال أمام منهج وتعاطي الأستاذ ماجد الغرباوي في تفريقه بين النص وفهم النص، وقد ذكرتها

في كتابي: "مسألتان شائكتان في قضايا المرأة" وهي: ان معالجة القرآن لقضايا المرأة هل قائم على أساس تكويني في طبيعة المرأة بحيث يتصف بالثبات، أم قائم على أسس وحيثيات اجتماعية متبدلة؟ وبالتالي يخضع النص القرآني للتبدل في معالجاته؟.

ماجد الغرباوي

وتجربة النقد السياسي البناء

بقلم: الأستاذ محمد جواد سنبه¹

لكي نستوعب حجم الجهد النقدي الذي يبذله الباحث، في مجال الفكر السياسي والحركات السياسية، لا بد لنا من الوقوف على امرين يشكلان معادلة فهم عملية النقد، والجهد الفكري المبذول لتحقيق دراسة نقدية هادفة في موضوع محدد. فالباحث الناقد يواجه امرين متضادين هما:

الأمر الأول: توفر الكم الكبير من المصادر في المكتبات، التي تتطرق في مجال بحث الشؤون الاجتماعية والسياسية المختلفة الجوانب، سواءً على مستوى النظريات أو على مستوى التطبيق.

الأمر الثاني: قلة المصادر المختصة بالنقد السياسي، مقارنةً بحجم المؤلفات في هذا المجال. لأن عملية النقد، تقتضي التعرف على جميع الحيشات، والاصول التي كُتبت في مجال سياسي محدد، ودراستها بامعان وفهما بعمق، ومن ثم اجراء عملية النقد، وفق اسلوب البحث العلمي الهادف.

والامر سيكون اكثر تعقيداً، إذا ما تناول الباحث نقد تجربة سياسية معينة، لها وجود عملي على ارض الواقع، بعدما استكملت تلك التجربة، دورها النظري واستطاعت ان تقنع مؤيديها، بان ينتقلوا من مرحلة التثقيف النظري، الى مرحلة خوض التجربة عملياً على أرض الواقع، إذا ما تم نجاح التجربة السياسية ودخلت

1 - كاتب وباحث عراقي

حيّز التطبيق العملي. ففي هذه المرحلة ستتكشف الكثير من الخفايا، التي كانت مبهمة إبان فترة النضال السليبي.

ان الكتابة عن تجربة سياسية معينة، اثناء ولادتها ونضجها وتبلورها كمشروع سياسي هادف، أيسر بكثير من الكتابة النقدية التي تخصّ تلك التجربة، اثناء التطبيق العملي لها، والفرق بين الأمرين كالفرق بين كلام خطيب يعتلي المنبر، ويتحدث عن مجموعة من القيم والمثل الانسانية الرفيعة، وبين شخص يقوم بعملية قوينة تلك الافكار، وتحويلها الى مواد دستورية وأنظمة تشريعية تلزم مجتمع معين بتطبيقها والسير على نهجها.

فكلام الخطيب المنبري، لا يترتب عليه أثر قانوني، إذا ما خالفه أحد أو لم يلتزم به المتلقي، بينما في الحالة الثانية (الحالة التطبيقية للتجربة)، تترتب على الانسان المؤمن، بتلك القضية المطروحة، حالة من الالتزام الجاد، وفي حالة المخالفة، فسيكون القانون خصمه، ويكون للقانون دور في محاسبته واجباره على تطبيق الانظمة والقوانين، التي اقرتها تلك التجربة السياسية، في فضائها التطبيقي وإطارها العملي.

والاستاذ العزيز ماجد الغرباوي، كان أحد فرسان هذا المضمار، فقد وظّف تجربته الحزبية، في العمل السياسي الوطني، ليكون النقد البناء ميدانه الأول، فأصدر العديد من المؤلفات، في مجال الفكر الديني الناضج، والمتحرر من عُقْد اللامعقول، التي أُلصقت بالدين الاسلامي، نتيجة القصور في فهم الواقع، وسيطرة النمطية الكلاسيكية التقليدية، في بحث المشاكل التي يفرضها الواقع الاجتماعي، نتيجة لمطالبات تطوّر الحياة الانسانية التي تتطلب دائماً، طرح المستجدات من المسائل الحياتية، التي تستدعي وجود عقلية تشريعية مرنة، تُلبّي كل تلك المستجدات الحياتية.

كما أنّ الاستاذ ماجد الغرباوي، لم يترك الخوض في المجال الأصعب لعملية النقد البناء، وهو فضاء نقد تجربة الاسلام السياسي في العراق بعد عام 2003م، ومتابعة ارهاصات انتقال التجربة، من مجال الدعوة السرية، الى مجال تجربة التطبيق العملي لتلك المسيرة، وهو مجال حكم المجتمع، والسير به نحو تحقيق اهداف الدعوة الحزبية، إبان فترة التنظيم السياسي السري.

فالأمر مختلف بين التجربتين، في المجالين النظري والعملي، فاصدر الاستاذ الغرباوي ثلاثة مؤلفات مهمة هي:

1. الحركات الاسلامية.. قراءة نقدية في تجليات الوعي 2015 .
2. جدلية السياسة والوعي.. قراءة في تداعيات السلطة والحكم في العراق 2016 .
3. رهانات السلطة في العراق.. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي 2017 .

وحتى يكون تقييمنا دقيقا، لجهد الاستاذ الغرباوي، لابد من استيعاب الفرق بين الكتابة الوصفية والكتابة النقدية، حيث يكون التمايز بينهما، مبنياً على مايلي:

أولاً: الكتابة الوصفية كتابة استعراضية، تقوم بوصف حالة معينة، أو حتى حالات متنوعة، وقد يختلط في هذا النوع من الكتابات، المعقول واللامعقول، وفي هذا النوع من الكتابات، قد يدخل فيها ذوق الكاتب، وأهوائه الفكرية والعاطفية، من حبّ للموضوع الذي تناوله أو كرهه له، وعدم قناعته به. كما أنّ التأثير العقائدي للكاتب، يترك بصماته على نتاج الكاتب، وخصوصاً في الكتابات المتصلة بالجانب العقائدي أو الديني.

ثانياً: أما الكتابة النقدية، فمن مقتضياتها المطلبيّة، أنّها تكون ضمن إطار صارم لعملية تحليل مشكلة البحث، والتّوصّل الى استكناه الحقائق الواقعيّة، وإبراز كافّة ملابساتها، وربط القضية المبحوثة بقضايا أخرى، لها صلة أو علاقة بالموضوع المبحوث.

وهذا التشعب الشائك، يتطلب من الباحث عدة أمور منها:

أ. سعة إدراك الناقد بتشعبات الموضوع او القضية المبحوثة.

ب. أنّ يكون الناقد ذا فهم ثاقب بحيثات الموضوع المبحوث، وهذه النقطة تختلف عن النقطة السابقة، كونها تعني الدخول بكل التفاصيل الدقيقة للمشكلة المبحوثة، وقد يتطلب الأمر البحث عن الجوانب الشخصية والنفسية، لرموز

وشخصيات الموضوع المبحوث، حتى تتكشف كل الحقائق الخاصة بالموضوع قيد الدراسة.

ج. يجب أن يمتاز الباحث بملكة الاستنتاج الموضوعي، لربط الأسباب بمسبباتها، والنتائج بمقدماتها، للوصول الى تقييم دقيق، وصائب للموضوع قيد البحث والاستقصاء.

د. تمتاز الكتابة النقدية عن كتابة النصّ السّردى، بأنها كتابة يسيطر عليها منهج البحث المقارن، من أجل الوصول الى الحقائق بصورة كاملة.

هـ. الكتابة النقدية بنتيجتها كتابة تقييمية للأفكار المطروحة، أو البرامج المقدمة على أرض الواقع، لذا يتحمل الكاتب، تبعات آرائه النقدية. فقد تجابه تلك الآراء بعملية هجوم مضادة، من مؤيدي وانصار القضية المبحوثة، بينما في الكتابات السردية، لا يتجشم الكاتب عناء ومتاعب وتبعات الموضوع الذي كتبه.

إنّ المنجز الثقافي النقدي، الذي حققه الاستاذ ماجد الغرباوي، في مجال البحث النقدي الاستقصائي لمواضيع اجتماعية، تتصل بعدة جوانب من حياة الانسان المعاصر، جعله يمتاز بعنصر المصارحة، في مواجهة مشاكل المجتمع، وكفى بالاستاذ الغرباوي معروفاً، أنّ قال كلمة الحقّ، وقَدّم الحقيقة للاخرين بكل صدق واخلاص.

تفكيك العقل التراثي

قراءة في كتاب ماجد الغرباوي

الفقيه والعقل التراثي

بقلم: الأستاذة حنان عقيل¹

العديد من الموبقات تُرتكب تحت ستار الدين، بدءًا من موجة الإرهاب التي تضرب العالم وتتخذ من نصوص دينية ذريعة لجرائمها ومرورًا بقدسية تُضفى على شخصيات تتحدث باسم الإله ووصولًا إلى التشبث بقراءات دينية تجافى الواقع ومتغيراته. لتلك الأسباب مجتمعة ولغيرها يصير البحث في الفكر الديني السائد وتفكيك مُسلماته حاجة يفرضها العصر.

عبر سلسلة من الكتابات جاءت بعنوان «متاهات الحقيقة»، عمد الباحث والكاتب الأسترالي من أصل العراقي ماجد الغرباوي إلى مساءلة تلك الأنساق الدينية الراسخة.

يوضح الغرباوي في حديثه مع «الدستور» أنه عمد من خلال تلك السلسلة إلى «التوغل عميقًا في بنية الوعي ومقولات العقل الجمعي، واستدعاء المهمل والمستهبعد من النصوص والروايات، وتكثيف النقد والمساءلة، وتفكيك المؤلف، ورصد المتداول، واستنطاق دلالات الخطاب الديني، بعد تجاوز مُسلماته ويقينياته، والسعى إلى تقديم رؤية مغايرة لدور الإنسان في الحياة، في ضوء فهم مختلف للدين.

يأتي كتاب «الفقيه والعقل التراثي» الصادر حديثًا عن «مؤسسة المثقف العربي بأستراليا ودار أمل الجديدة» لتفكيك منطلقات العقل الفقهي القائمة على العديد من المغالطات، في إطار سلسلة كتابات تهدف إلى نقد النسق العقدي المؤلف

1 - كاتبة في صحيفة الدستور المصرية - القاهرة

وسلطة القداسة وغيرها الكثير من الموضوعات بدأت بكتاب «الهوية والفعل الحضارى» ثم «مواربات النص».

يقول الغرباوى لـ«الدستور»: السلسلة تنتمى إلى تراكم معرفى امتد لأربعين عامًا، سبقته أسئلة أبت مغادرة الوعى تبحث عن أجوبة تعالج إشكالية التخلف برؤية مغايرة تمارس النقد وتكف عن منطق التبرير، بعيدًا عن رهاب القداسة و يقينيات العقل الدائرى.

جهود عدة فى الإصلاح والتجديد للفكر الدينى لم تؤت ثمارها فى ظل سطوة العقل التراثى الذى جعل الدين دافعًا باتجاه العنف والإرهاب تارة والخرافة والسحر تارة أخرى، وظل السؤال حول إمكانات النهوض من كبوة أبقت المسلمين فى كنف الماضى دون القدرة على مسaire العصر وإشكالياته مستمرًا مع بقاء اتجاهات إسلامية قابضة فى سجون معرفية مرتحنة لسلطة التراث ومنطق العبودية.

ونظرًا لأن الخطوة الأولى لإصلاح تلك الحالة تبدأ من النقد الجذرى لمرجعيات التفكير الدينى، يسعى الكاتب فى هذا الكتاب إلى تفكيك العديد من المقولات التى اكتسبت قدسية على مدار عقود الممارسة الدينية ليشدد عبر ذلك على أهمية بناء معرفة مؤسسة على الدليل والبرهان ومرجعية العقل، وهو ما يمكن من خلاله التغلب على التحديات التى تواجه الدين على صعيد حقوق الإنسان والتطور الحضارى.

يرى «الغرباوى» فى كتابه أن ربط الإرادة الإلهية بالمرجعية الدينية للفقهاء من أبرز النقاط التى تحتاج إلى مراجعة جادة وجريئة، فالوعى الجمعى للمسلمين احتفظ بصورة مثالية للفقهاء، جعلته فوق النقد والمساءلة باعتباره مصدرًا للمعرفة الدينية وأحكام الشريعة وموضع أسرارها، وأسهم الصراع السياسى فى ترسيخ علاقته بالسلطة وتعزيز خطاب رسمى عزز من الالتباس لدى قطاعات جماهيرية بين أحكام الشريعة وأحكام الفقه التى هى اجتهادات ووجهات نظر وفهم للنصوص المقدسة.

ويشير الكاتب إلى أن «الفتوى تجل لوعى الفقيه وانحيازه اللاشعورى لقبلياته ومصالحه، ومن الخطأ وصفها بالموضوعية والتجرد التام بل ولا علاقة لها بالتقوى ومراعاة القواعد العلمية والمنطقية دائمًا، لأن المعرفة البشرية تخضع لنظام اللغة، وآلية

اشتغالها داخل فضائه المعرفي، وفهم النص يتأثر بثقافته ومستوى وعيه ويقينيته، لذا يتعين تحرى بدايات وعيه ونقد مقولاته التي ترسبت لا شعوريًا ضمن أنساق مضمرة يصعب اكتشافها وتقويضها إلا بالنقد والتفكيك».

تسهم تلك النظرة النقدية لحدود دور الفقيه وعلاقته بالنص الديني في نزع القداسة التي تضيف على مقولات فقهية بالية هي بالأساس انعكاس لاستقبال الفقيه الخاص للنص الدين بما يتماهاى مع بيئته الثقافية والاجتماعية، فقد يأتي العقل الفقهى ازدواجيًا في معايير، أو منغلًا على نسقه العقدي بما ينتج فقهًا مُستلبًا يفرض قناعاته على النص الديني، ومن هنا تأتي خطورة الانقياد الأعمى للأطروحات الفقهية وإضفاء القداسة عليها.

ويلفت الكاتب إلى أن «التباس القبلى بالفقهى والسياسى بالشرعى الذى كان الفقيه وراءه كان السبب الأساسى وراء تزوير الوعى الدينى وتكريس الاستبداد والعبودية والطاعة والانقياد، فالنظام الدينى للمسلمين مهما اختلف صيغه هو حكم ثيوقراطى يكرس سلطة الحاكم الأعلى ويُحرِّم الخروج عليه ويمنحه سلطات واسعة، وهو نظام ينسجم مع القيم القبلية ويتناغم مع وعى الفرد فى نظريته وتقديسه بشيخ العشيرة».

يُشدّد الكاتب على أهمية إعادة النظر فى الأحكام المتعلقة بقضايا المرأة والجهاد والقتال، وتحرى أسباب العنف وجذوره وكوامنه فى الفكر والفقه. فرغم أن الأحكام الشرعية لا تلغى ما دام مصدرها النص القرآنى، إلا أنه من الممكن ألا تكون فعلية بسبب عدم فعلية موضوعها فتسقط عن التكليف استنادًا لكون الأحكام الشرعية جاءت لتحقيق المصالح وليس المفاصد.

ويُبيّن الغرباوى أن «صدقية العقائد التى ظهرت بعد وفاة الرسول تتطلب معرفة ظروف نشأتها ومسارها التاريخى وفلسفتها والأجواء الثقافية والسياسية والدينية والفكرية المحيطة بها، فالعقائد والمفاهيم لم تأت من فراغ بل مهدت لها ضرورات مذهبية وسياسية»، وذلك بهدف نزع قدسية مقولات فقهية جاءت لتحقيق مكاسب وقتية لا يمكن أن تكون مطابقة لكل واقع.

وينطلق الكاتب من حديثه في تلك المسألة من خلال نقطة ارتكاز محددة، إذ يشير إلى أن ثمة قاعدتين أصوليتين: الأولى حق الطاعة والثانية قُبْح العقاب بلا بيان.

تعتقد القاعدة الأولى بشمول الشريعة لكل صغيرة وكبيرة وتسمح للفقهاء بتشريع أحكام واسعة النطاق، وتنعدم فيها مساحة الحرية. أما القاعدة الثانية فهي: قُبْح العقاب بلا بيان، والتي تنطلق من قناعة بأن الحكم الشرعي الصادر عن الله يواكب حركة الإنسان والمجتمع ضمن دور الدين في الحياة، وعليه لا يجوز تقديم الرواية على الآية.

وحسب رأى الكاتب، التعامل مع النص الديني يخضع إما إلى منطق العبودية أو منطق الخلافة. ففي منطق العبودية، تأتي فتاوى الفقهاء مُتخمة بالتحريم والاحتياط الوجوبي بما يختزل دور الإنسان بالفتنة والاختبار ويقتصر فيه دور الفرد على تطبيق الأحكام الشرعية وسلبه حرية الحركة خارج ما هو مشرع منها، في اتجاه يضع النص فوق العقل ولا يؤمن بأى فلسفة وراء الأحكام الشرعية.

في مقابل منطق العبودية، هناك منطق الخلافة الذي يختلف في رؤيته للإنسان والدين وأحكام الشريعة، فيعزز من مركزية الإنسان ودوره في استخلاف الأرض، وتأتى الغاية من تشريع الأحكام وفق هذا الاتجاه لتحقيق مصالح الاجتماع البشرى وليس لقياس درجة طاعة الإنسان ومستوى عبوديته.

وانطلاقاً من تلك الرؤية، يشير الكاتب إلى أن معالجة «روح العبودية» سيحد من تضخم الفتاوى والأحكام، «فما جاء في القرآن من تشريعات تكفى حاجة الإنسان ليواصل حياته اعتماداً على عقله وقيمه ومبادئه الإنسانية التي تحفظ له كرامته وتحقق شروطه الحياتية، فهو فهم مختلف لا يسمح بتضخم الأحكام الشرعية، لكن الفقهاء لم يلتزموا به لأنه لا يحقق سلطتهم ومركزيتهم، فالأحكام الشرعية الزائدة عما هو مدون في الكتاب الكريم مشكوك في حجيتها وشرعيتها ما لم يكن لها جذر قرآني، وعند الشك فالأصل حاكم وهو الأحكام الشرعية القرآنية».

وفي إطار نقده الأحكام المطلقة التي ترسخها فتاوى دينية بالية، يتحدث الكاتب عن كثير من نقاط الالتباس المتعلقة بالسنة النبوية ليشدد على أن الشرط في

حجية السنة هو وجود جذر قرآني للحكم النبوية، وهو ما يفترض توظيف مناهج حديثة في دراسة حيثيات الحكم الشرعي قرآنياً وتفكيك المنهج النبوي في التفصيل والبيان لمعرفة خلفياته ودوافعه والكشف عن بشريته.

ورغم أن «علم الجرح والتعديل» في السنة جاء لتدارك الضعف في فرز الأحاديث وتمييزها، فإن الكاتب يرى أنه كرّس الاستبداد السياسي والديني وتمت صياغته بما يخدم الفرق الدينية المتصارعة، ومن ثم جرى أدلجته بما يوافق رؤية الفقيه وأهدافه السياسية، ولكن في الآن ذاته ثمة حاجة لدراسة الأحكام النبوية ذات الجذر القرآني ومعرفة دوافعها وضرورتها.

ويوضح: «ثمة ضرورات موضوعية لتجديد مناهج علوم الحديث تفرضها نظرة مغايرة للدين تحد من إطلاقات الأحكام عندما ترهق فعالية الحكم بفعالية موضوعه، وهذه الضرورات هي عدم الاعتناء بحديث يخالف العقل والمنطق والقوانين الكونية والقيم الإنسانية أو يُكرّس الظلم والاستبداد والاستهانة بالإنسان وعقله ووعيه أو يؤسس لمذاهب تنأى عن هدف الدين».

ويشدد «الغرباوى» على أن علوم الحديث «لا يمكن التعويل عليها مطلقاً»، لا سيما بعد أن اختلف المسلمون حول القيم العلمية لأحاديث الصحاح وحول عدالة أو وثاقة عدد كبير من الرواة وشروط التحديث، فضلاً عن تسقيط بعض الرواة لأسباب طائفية، «فحينما نتحكم منطلقات الفقيه الأصولية والفقهية بهذا العلم وتتأثر بخلفيته العقيدية فلا يمكن الاعتماد عليه في جميع الأحوال، مما يبعث الريبة في قيمته المعرفية».

الحفر الاركيولوجي في بنية العقل العربي

قراءة في نص لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة سامية البحري¹

جاء في الخطاب الفكري للباحث الاستاذ ماجد الغرباوي أنه:

(لا أحد فوق الخطأ مهما كان مستوى كماله، وليس الناس ملائكة وشياطين لولا التعصب الديني، وتبقى معرفة الحقيقة رهن قدرتك على التجرد والنقد بموضوعية)².

وهو ما يجعلنا نتوقف عند استخلاص نظرية دقيقة وحقيقة علمية ثابتة مفادها أن: (لا أحد فوق الخطأ)..

لا أحد فوق الخطأ

نظرية علمية أقرها الله في دستوره العظيم، إذ خلق الإنسان كائناً ناقصاً لا يرتقي إلى الكمال باعتبار أنه تفرد هو بهذه الصفة

إذن الخطيئة ليست بالحرمة وهي مسموح بها باعتبارها هي المقياس لعمليتين من إنجاز الذات الإلهية وهما الثواب والعقاب

وقد سعى المفكر والباحث الاستاذ ماجد الغرباوي إلى بلورة هذه النظرية ضمن معطيات ثلاث:

1 - كاتبة وناقدة - تونس

2 - نشره على جدار صفحته بالفيس بوك يوم 2023/7/13م.

1- المعطى الأول: حقيقة الوجود

"لا أحد فوق الخطأ مهما كان مستوى كماله "

يعني الكل مخلوق

الكل يخطئ

الكل غير منزّه عن الخطأ

(مهما كان مستوى كماله)

هنا موطن الجدل لأننا نعتقد أن لا أحد وصل أو يصل أو سيصل إلى الكمال. فالكمال في هذا الموطن محال.. وبالتالي يمكن القول (مهما اعتقد انه كامل).

واعتقاد الكمال موجود في بعض النماذج كرجال الدين أو رجال السياسة.. وأصحاب الجاه والسلطان. هؤلاء اعتقدوا عبر أحقاب تاريخية انهم بالغون الكمال. ولعل أبرز مقولة تؤرخ لهذا المعتقد الواهي قول معاوية بن أبي سفيان حين اعتلاء العرش:

(أنا ظل الله في الأرض ومن خالطني فقد خالف إرادة الله)

تلك المقولة التي شرعت لتوظيف الدين في السياسة إلى يوم الناس هذا. ومنها انطلقت العضلة الكبرى .

وهذه مسألة جدالية وخلافية كبيرة لا يتسع لها المقام

2- المعطى الثاني: تأكيد أنسنة الإنسان

(وليس الناس ملائكة وشياطين لولا التعصب الديني)

إننا نفر بدقة هذا المعطى وضبطه بطريقة محكمة وموضوعية، فالإنسان هو الدرجة الوسطى بين الملائكة والشياطين. لكن في ظل التعصب الديني يمكن أن يتحول هذا الكائن من إنسان إلى شيطان أو أن يدعي انه ملاك ..

وهنا نقر بقيمة عملية الخلق والتكوين التي هي عملية مازالت تربك العقل البشري وتدفعه إلى البحث والتنقيب. ونحن مع كل ما يشعل نار السؤال في العقل ليكون حرا وولودا ولا يكون عبدا عقيما أو خصيا بفعل تلك الرقابة التي تمارس عليه بمنطق المحرم أو الحلال والحرام وغيرها

ولنتأمل عملية الخلق وابعادها

- الملائكة خلقت من نور

- الشيطان من نار

- الإنسان من طين

وهي كلها مكونات هذا الوجود عندما نضيف إليها الأرض، التي تتركب من تراب وماء نفهم قيمة هذه المعادلة الفيزيائية الرهيبة التي قامت عليها عملية الخلق وندرك هذا الإعجاز العلمي العظيم الذي يتفرد به الله الخالق الأعظم والفيزيائي المبهر..

فإذا حاد مخلوق عن مادة خلقه اختل توازن الكون، واذن فالتعصب الديني يؤدي إلى اختلال الكون إذن يؤدي إلى اختراق هذا الإعجاز العلمي الإلهي العظيم. وهنا نلفت الانتباه إلى مدى خطورة هذا التعصب الديني الذي يؤدي إلى شيطنة الإنسان وبالتالي تدمير الأرض بالتقاتل وسفك الدماء والتخريب والفسوق الأعظم..

3- المعطى الثالث: قيمة العقل ودوره في الوصول إلى اليقين المعرفي

(وتبقى معرفة الحقيقة رهن قدرتك على التجرد والنقد بموضوعية)

وهنا ندرك لماذا كرم الله الإنسان دون سواه بالعقل. فهذا التكريم العظيم وراءه مقاصد عظيمة. فلا بد إذن من تحرير العقل العربي المعاصر وإطلاق سراحه ليصل إلى الحقيقة والحقيقة هنا بمعنى اليقين. ونقصد بتحرير العقل النأي به عن الخرافات والاهام والأحكام السفساطية المسقطة ..

إنه لا مجال للتحرر وتحقيق إنسانية الإنسان إلا في ظل تحرير العقل العربي...

إن استنطاق الخطاب والتحاوّر معه بآليات فكرية وعلمية وأدوات معقلنة بعيداً عن كل ادّجة أو انتماء يضفي بالضرورة إلى مواطن الحق واليقين.. في سبيل مقاصد إنسانية ومبادئ كونية شاملة إيماناً منا بوحداية الله وتفردّه بخصائص الكمال والاكتمال وإنسانية الإنسان بقطع النظر عن لونه أو جنسه أو معتقده فهي أشياء لا تؤسس وجوده بل تكمله. لذلك خلق الله هذا الكوكب العظيم الذي هو الأرض وجهازه بأسباب العيش وأرسل له هذا الإنسان الذي اصطفاه لهذه المهمة لمقاصد متعددة.

ومن هنا انطلقت رحلة البحث التي يقودها العقل. لذلك لا بد من النضال الفكري المستمر في سبيل تحرير هذا العقل من ثقافة التسليم والتشبث بالمسلمات والخوف من الحقيقة حتى تتحقق المقاصد الحقيقية من مبدأ الاستخلاف...

لقد استطاع المفكر والباحث العراقي العربي ماجد الغرباوي أن يضع اللبنات الأساسية لتحرير العقل العربي المعاصر الذي مازال يتأرجح بين الخرافة والتعصب الديني المقيت الذي يضر بالدين في ذاته ويساهم في اغتيال إنسانية الإنسان وتدمير المهمة الأساسية التي جاء من أجلها إلى هذه الأرض.

وهي التعمير وفق آليات ضبطها النص الديني ودعا العقل إلى التنقيب عنها بعيداً عن التطاحن والبغضاء والضعينة والفتن والكراهية..

كتب الغرباوي

تدخل دائرة المحظور من باب النقاش

تساؤلات عن الضد النوعي للاستبداد

بقلم: الأستاذ زيد الحلي¹

الكتب الثلاثة هي للباحث العراقي، المغترب منذ عقود عن الوطن الذي يحب ماجد الغرباوي وقد وصلتني، واسجل هنا شكري لصاحب هدية العيد.. الكتاب الأول، وهو المثير للجدل، والحاضن لأفكار لم يسلط عليها الضوء احد كونها أفكارا من العيار الثقيل، التي يخشي الخوض في تلايبيها الكثرة الكثيرة من كتاب الفكرة الجاهزة والمطروقة يحمل عنوان (التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات) وأظني سأجد من يتصدي له من خلال قراءة موضوعية، للجدلية التي تقول ان ثلاث لا يؤمن شرها : الريح اذا هبت والنار اذا شبت والفتنة اذا دبّت... وهذا الكتاب يسير غور تلك الشرور محاولا، مد طوق النجاة للمجتمع، واري ان الكاتب وصل الي هدفه

1 - كاتب وصحفي عراقي

مفهوم جديد للتسامح

يطرح الكتاب¹ مفهوماً جديداً للتسامح، يقوم علي أساس الاعتراف بالآخر، إعترافاً حقيقياً، والإعتراف بحقه في العقيدة والدين والمذهب، علي أساس وحدة الحقيقة وتعدد الطرق إليها، وان الطرق إلي الله بعدد أنفاس الخلائق.

ويبين هذا الكتاب، وانت تستخلص رحيقه، ان الحياة اقوي من اي شئ وكل شئ، انما تطوينا وتجدبنا وتخدعنا، فاذا نحن عبيد لشهواتها ومطامعنا وآمالها وآلامها وأحقادها، نعرف انما وهم، فننفث فيها الحقيقة ونعرف انما خدعة، فنخدع أنفسنا.. وهذا هو الانسان يسير في التيه، لكنه بعظمته يجعل منه طرق ومسالك ووسائل وغايات.. يعيش في الفقر، غير انه يبني فيعمر ويخطط ويملؤه بالحركة والنشاط، حتي لكانه موكل، بالفضاء يذرعه وبالموت يحياه.. يعش في الصحراء ن فينقب لا يكف ولا يتوقف ولا ييأس... يعاني الحر والبرد والجوع والعطش، ولكن قوة عليا تهبه الصبر والعناء.. توحى اليه ان ينشر الخير حيث يوجد الشر والرحمة حيث تعيش القسوة والسماحة حيث يفوخ الحقد وينتشر...

والي جانب ما ذكرت، ناقش الكتاب المفهوم السائد عن التسامح، وهو مفهوم يستبطن المنة والتفضل والتكرم علي الآخر، بمعنى أنني علي حق مطلق وأنما أتسامح مع الآخر المختلف دينياً تفضلاً ومنة من أجل أن نعيش بسلام.. وهذا المفهوم يسلب الآخر أي علاقة بالحقيقة، وينفي أن تكون طرقة تؤدي إلي الحقيقة، ولو كانت بنسبة محتملة، لهذا يسمح لنفسه بإضطهاده وإقصائه متي شاء، لكنه يتسامح معه منة وتكرماً من أجل العيش المشترك ومن أجل توفير قدر من الأمن والسلام. فهو يحتكر الحقيقة ويحتكر الطريق إليها، بينما ينفي عن الآخر ذلك.

1 - الغرابوي، ماجد، تحديات العنف، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2008م.

لكن هذا المفهوم قد أثبت فشلة في أول إحتكاك بين الطوائف والأديان، ومثاله العراق، الذي كاد أن يقع في فخ الحرب الأهلية، والطائفية، وإنكشف أن التسامح بينهم تسامح غير حقيقي، وأن الفجوات هائلة بين الطوائف والأديان.

والأمر لا يختص بدين دون غيره أو بلد دون آخر، وإنما هي نظرة سائدة، يتعامل فيها كل إنسان مع الآخر المختلف دينياً.

والكتاب الذي استهوتني فكرته، يؤسس لمفهوم جديد للتسامح، يجعل الآخر شريك لك في الوصول إلى الحقيقة، ولو بنسبة ما، وحينئذ لا يحق لأحد إحتكار الحقيقة ونفي الآخر عنها، ولا يحق لأحد الإستحواذ علي الطرق إليها ونفيها عن الآخر. وهذا المفهوم هو ما نحتاجه حالياً، كي تعيش الشعوب حالة الإستقرار والأمن والإطمئنان.

من هنا يتضح أهمية الكتاب بالنسبة للجاليات الإسلامية والعربية، التي تعيش بمجتمعات مغايرة مثل إستراليا، فلا بد لهم النظر إلى الآخر المختلف دينياً وقومياً نظرة إيجابية علي أساس إنساني، لا علي أساس ديني أو طائفي أو قومي، كي يحصل الإندماج الحقيقي بالمجتمع.

ثم راح الكتاب يبحث عن الأسباب التي تجعل الفرد يشعر شعوراً فوقياً، يحتكر علي أساسه الحقيقة، وطرق الوصول إليها، والأسباب التي تجعله ينبذ الآخر، وينظر له نظرة مختلفة. من هنا ناقش الكتاب بعض المفاهيم الدينية التي تؤسس لهذا اللون من الفهم، وفند الحجج التي تقوم عليها، ليقدم رؤية جديدة.

فناقش الكتاب بجرأة قد نختلف معه حولها لحساسيتها، لكن المؤلف ساق لنا الكثير من الشواهد للدلالة علي حقيقة ما توصل اليه....مثلاً:

مفهوم المرتد كما يطرحه الفقه الإسلامي، وأثبت خطأ الأحكام الصادرة، المراد بالمرتد، هو المسلم الذي يعتنق ديناً آخر، حيث يحكم الفقهاء علي المرتد بالقتل، بينما أثبت الكتاب بالأدلة الكاملة، خطأ هذا الحكم، وأن الاسلام يقول بجرية العقيدة، وليس هناك حكماً بالقتل مطلقاً.

كما ناقش أيضاً مسألة اللحوم الحلال، وتوجس المسلمين من أكل لحوم غير المسلمين.

ومفهوم المشرك، ومفهوم أهل الكتاب، من غير المسلمين، وما هو الموقف الإسلامي منهم، معترضاً علي كل الأحكام التي يطلقها رجال الدين، ويقدم رأياً جديداً بأدلة كاملة من نفس الدين الحنيف. والتطرف الديني، ودور رجل الدين في ثقافة عدم التسامح.

وهذا الكتاب، اجد من الضرورة ان يترجم الي اللغة الانكليزية لتطلع عليه الجالية المسلمة المنتشرة في دول العالم لسببين أساسيين :

الأول : إن أبناء الجالية لا يفهمون اللغة العربية بشكل جيد، وبحاجة إلى كتاب باللغة الإنكليزية، سيما بالنسبة للكتب التنويرية

ثانياً: إعطاء صورة أخرى للإسلام تخفف من نظرة المتطرفين غير المسلمين إلى الإسلام والمسلمين، وهو ما يحتاجه المجتمع الأسترالي الذي يؤكد عليه الكاتب كثيراً من تجربته الخاصة والملاحظ ان الكتاب أخذ بنظر الاعتبار أهمية هذه الأفكار إلى الجاليات العربية والإسلامية

تحديات العنف

والكتاب الثاني¹، الذي اخذ مني يوماً كاملاً لقراءته، ويوماً آخر للتأمل كان عن الشغل الشاغل لعالم اليوم وهو، ظاهرة العنف والارهاب، حيث اني أري ان المجتمعات الصادقة الابية التي تكره الباطل وتجهز بالحق، لا تستطيع ان تتنفس الا في جو من الحرية.. فغذاء الصدق هو الحرية، وحيث لا حرية، ينعدم الصدق وينتشر النفاق في المجتمعات، وذلك هو اهم اهداف تلك الظاهرة .. وهذا الكتاب.

1 - الغرابوي، ماجد، تحديات العنف، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2009م.

يدرس الكتاب ظاهرة العنف، والإرهاب التي ضربت كل بقاع العالم، يدرس أسبابها، نتائجها، تداعياتها. بكل تفاصيلها.

وهو يبدأ بمقدمة تاريخية، يشرح فيها الباحث الاستاذ الغرباوي تاريخ العنف، وحجم الويلات التي أصابت البشرية بسببه.

ثم ينتقل لدراسة فلسفة، وسايكولوجية العنف، ونفسية رجل الإرهاب، ودوافعه النفسية في ارتكاب الجريمة.

وخصص الكتاب فصلاً كاملاً لبيان تحديات العنف، وتداعياته الخطيرة، سيما علي الجاليات الإسلامية والعربية التي تعيش في مجتمعات غير مجتمعاتها. وبين كيف يهدد العنف الأمن والاستقرار الدوليين.

كما دَرَسَ المؤلف أشكال العنف، بما فيها عنف الفرد، وعنّف الدولة، والعنف الأسري، وغيرها من أشكال العنف.

ثم توقف طويلاً بفصلين عند الحركات الإسلامية والدينية المتطرفة، فدَرَسَ الأدلة التي يستدل بها الإرهابي علي جواز قيامه بعملية إرهابية، يروح ضحيتها عدداً كبيراً من الأفراد الأبرياء والأطفال والنساء، وكيف يعتقد الإرهابي خطأ أنه سيدخل الجنة بأعماله الإرهابية.

والفصول الأخيرة هي من أخطر وأصعب الفصول في الكتاب، لأن أدلة الإرهابي وأدلة الحركات الإسلامية المتطرفة قائمة علي أساس ديني، تستمد رؤيتها من آيات القرآن الكريم، والسيرة النبوية. ولا بد من مناقشة هذه الأدلة بنفس الآيات القرآنية، وتقديم رؤية جديدة.

وبالفعل عندما نراجع القرآن سنجد كثيراً من الآيات التي تحت علي قتال الكفار والمشرّكين وأهل الكتاب، ومن السهولة لأي إنسان أن يتسمك بها، لإقتراف عمل إرهابي.

لكن الكتاب فند كل الأدلة التي يستدل بها علي الإرهاب، وقدم قراءة وفهماً جديداً لآيات القرآن والأحاديث النبوية. وثبت بالأدلة، أن تلك الآيات

جاءت، بخصوص مجموعة من الناس ممن حاربوا الرسول الكريم وأصحابه في ذلك الوقت ولا يجوز العمل بهذه الآيات في وقتنا الحاضر، لأنها لا تنطبق عليه..

وإعتمد الكتاب أدلة مختلفة لتفنيد أدلة الخصم، وتفنيد رأيه في مسألة العنف والأعمال الارهابية، وقدم فهما آخر للدين والنص الديني.

كما حذر من دور رجل الدين والفتوي في هذا المسألة، وأثبت أن رأي الدين هو رأي بشري، وأن الفتوي رأي بشري، وليس هناك مقدس، وإنما كل شيء خاضع للنقد والمراجعة. ولا يمكن الإنصياح إلى الفتوي ورجل الدين من غير تعقل وفهم صحيح، فالإسلام والقرآن واضحان، ونحن لسنا بحاجة إلى رجل الدين في كل شيء، وإنما في بعض المسائل المحدودة.

ومثلما قلنا عن الكتاب الاول، فهذا الكتاب الذي نحن بصددته تحتاجه الجاليات العربية والاسلامية في دول المهجر، مثل استراليا التي يؤكد عليها المؤلف.

الضد النوعي للإستبداد.. إستفهامات حول جدوي المشروع السياسي الديني

والكتاب الاخير، الذي قضيت ايام العيد في ضيافته هو للمؤلف نفسه، كان بعنوان (الضد النوعي للأستبداد... استفهامات حول جدوي المشروع السياسي الديني)¹ ناقش فيه الباحث ماجد الغرابوي في قسمه الاول جدوي المشاريع السياسية الدينية ؟ بعد أن استعرض تجربة الحكومات الدينية، وما رافقتها من إخفاقات مريرة، أثرت سلباً على رفاهية شعوبها. ثم يطرح المجتمع المدني كصيغة بديلة، تحفظ حقوق أفراد الشعب من خلال الممارسات الديمقراطية، ومؤسسات المجتمع المدني. وقد ساق كثيراً من الأدلة لإثبات ذلك.

1 - الغرابوي، ماجد، الضد النوعي للإستبداد.. حول جدوى المشروع السياسي الديني، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2010م.

أما القسم الثاني من الكتاب فخصصه الكاتب الغرباوي للتعددية الدينية، وكيفية المساهمة في إرساء أسس التعددية، وفقاً لآراء المفكرين والفلاسفة، لكن بإسلوب ثقافي يصلح للفهم من قبل عامة الناس.

والقسم الثالث خصصَ لدراسة المشروع الإصلاحي. وبيان الخطوات المهمة لنقد المفاهيم السائدة وتقديم مفاهيم جديدة تتلاءم مع متطلبات العصر والزمان وتستمد جذورها من التراث والمعاصرة معاً، بما يحفظ توازن الفرد رغم أنه يعيش داخل مجتمعات مختلفة.

والكتاب نقدي، موغل بالنقد، يستفز السائد والمتعارف والمألوف من أجل التوفر (الحصول) علي إجابات تتناسب مع حاجتنا راهناً....

لقد خلصت من قراءتي لهذه الكتب، ذات الإبعاد الفكرية غير المطروقة، الي ان المرونة في الفكر، باب يؤدي الي التفاهم والتسامح والتعاطف بين الناس.. اما المرونة في الضمير فباب يؤدي الي الخبث واللؤم ومنها الي كل رذيلة..

شكراً لمن جعلني اقضي ايام العيد في المفيد من الكلم.. وصح القول ان دمعة الحزن ودمعة الفرح، كلتاهما من مصب واحد... ومع هذه الكتب عشت لأري دمعة الحزن المتأتية من خواء بعض الناس وعشت دمعة الفرح المتأتية من التاريخ وشتان بين (البعض) وبين (التاريخ)

ويا رب اعطني ظلمة العين ولا تعطني ظلمة... القلب!!

ومضات ضوء على كتاب إخفاقات الوعي الديني

بقلم: الأستاذ علاء هاشم الحكيم¹

إن النزعات التأويلية في تجريد المفردات النصية المقدسة، عمقت أحاديث ذهنية، وراهنّت على طوفانها، بمتواليات هندسية معقدة، توحى لنا بمعارف بديلة في حلية جليلة من عوالم منطق القداسة ومقاصده الأصيلية. ومن زخم تلك المعطيات الفلسفية الميتافيزيقية، وتشعب مستويات التأويل والفهم، غارت العقول الإسلامية في أدغال الأحاديث لتقويم ونجدة مدركاتها الذهنية، وتعاطت معها بذات القدسية النصية، وبالأخص إذا ما تحررت أنساقها بمضامين تصب في تيارات مرمى تأويلاتها الفلسفية، وما يخرج عنها تجتهد في تأويله تعسفياً.

من هنا أنطلقت ماكنة الأحتكار الفقهي بمدارسه المختلفة لتُفرغها في ساحات مريديها. وقد دأب على هذا المنهج التأويلي للنصوص المقدسة كل من فيلون وجيرون وأغسطينوس، وهؤلاء حسب إعتقادي هم الذين أحيوا منطق التأويل للنصوص المقدسة، كسفينة إنقاذ عقلية، تصلح لحمل كل أزواج النفوس المهتدية بمنهجها، وبهذا المنهج التعسفي إهتدت إليه بعض الفرق الغنوصية لحل المتناقضات الفلسفية، فرفضوا فكرة الأله العادل وأستبدلوه بالحكمة الألهية، فمن منهج الأسبيتين التعسفي نشأت فكرة الفيض أو الواسطة، أو أن الخالق لا يخلق بذاته بل (بالفيض الفعال). وكل هذا وفق رأي أوليري. هو محاولة فيلون لقراءة معنى إفلاطوني في العقيدة اليهودية. وعليه سارت العقول الفقهاءية على مر العصور من حيث تعلم أو لا تعلم.

1 - كاتب عراقي مقيم في السويد

من نبع لقاح أزواج العقول — العقل في المقدس، وعقل النقل في الأخبار — في مركب التأويل التعسفي — وبعد أن أفضى كل زوج بعضه الى بعض — تفجرت قدحات تأويل حروف القداسة في أنابيب الحديث النبوي ، لتلد في كل رحم عصرٍ وليدها بمعونة أخصائي فيض الخالق الأبدي.

فبين رحي فتاوي وتأويلات الأرباب لكل عصر، طُحِنت الاختلافات وخبرت بدماء معايير العدل وصدق الوحي، حتى تهرأت جدر الأيمان ودب الشك في قلوب المؤمنين، فضاع رب الكل وانتحر كل نبي. فلا خبر جاء ولا وحي نزل . فعدنا الى الوراء الى حضارة الغاب، وحب الذات .

في حوار بين أوغسطينوس وجيروم: يسأل أوغسطينوس جيروم: ما إذا كانت الحقيقة مخلوقة أم مولودة؟ فرد جيروم على إنها مخلوقة. فقال أوغسطينوس: فلماذا إذن يُعَمِّدها الرهبان؟¹.

بعيدا عن المجردات، فالحقائق هي أفعال من صنع أفكارنا نُعَمِّدها بما يرضينا، فنحن البناؤون، ونحن من يصنع الأشياء ويني في مخياله صور معانيها وقد يتعسف أحيانا كثيرة في تأويل ما يؤمن به ويخدع به نفسه، لتلد له بثوب المفاهيم التي يطمح الوصول اليها، فيظن أن الله صيرها خلقا لنعبدها ونفديها.

مضمون الحوار في كتاب الغرباوي

كتاب إخفاقات الوعي الديني² عبارة عن تساؤلات بما تستدعيه إفرازات الواقع المتخلف الملتهب بسلوكيات إجرامية يراد لها أن تظهر انعكاسا للتراث الفقهي المبني على أحاديث وسنن نبوية، تتداخل معانيها بشكل أو بآخر مع صراحة الكثير من الآيات القرآنية، المراد لها أن تُفهم، كآيات سيف معتدية .

1 - الفكر العربي ومكانه في التاريخ. ص ٣٠ ، ٣١ .

2 - إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكوص الحاضري، حوار سلام البهية السماوي مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا والعاف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2016م.

يحاول الكاتب الغرباوي، أن يرسم الخط البياني لأسباب التخلف الحضاري والبناء الأنساني للمسلمين في جغرافيتهم العربية، للوصول الى مصطلح مفهوم يرقى الى سبل الشفاء من سرطان نهمشت بأوردة دماء العقول البشرية العربية الإسلامية بالأخص.

فمن بين أدخنة المفاهيم وثقافة الفقهاء المبنية في الإجهاد على معايير القياس بشهادة القول والقليل كأساس. ولدت الخرافات وعنف الأحكام بما يكفي لتشويه رسالة السماء وخنق الأنفاس. زد عليها أترية طائرات الأعائة الجوية المشحونة بثقافة البحوث العلمية العربية والإسلامية الصبغة لأحياء وبث حرارة روح النهضة الفكرية والعلمية الإسلامية في عروق الدول الأوربية المتجمدة عقلياً.

لذا أصبح من الضرورة بمكان، فتح ابواب الحوار الجريء حول جذور ثقافة الحضارة العربية والإسلامية وحقيقتها بالنوع والكيف ومقدار صدق الأثر، لشد حزام الأمان ولضمان الهبوط على أرض صلبة بسلام قبل أن تطين السماء أرضنا ليتلعلنا مثلث زلازل الأمطار في أرض حضارة الأدغال.

يصادق على آراء وردود المفكر الغرباوي في المجلد العام، صور إرث حاضر المسلم العربي والعراقي بالأخص بكلا جناحيه العلمي والتربوي الخلقي الأنساني. (لاندخل في حساباتنا المنطقية بلدان عربية إسلامية انقلبت حضارتها بقدرة قادر من الهوش الى الماكتنوش) — فالتخلف حاصل في البناء التربوي الإنساني الذي نتج عن تعاضد التهابات الزوائد الدودية من جراء إفرازات المأكولات التاريخية النتنة، لتحل كمارسات في سلوكيات وفقه بعض الفرق الإسلامية. بل وتتجاوز بعض الطوائف المتأسلمة بفقهها الى شرعة تصعيد ضغط الدم لتتفجر أجساد طائفتها بصكوك فتاويها الفقهية على مخالفيها مذهبياً ودينياً. لم يكن هذا الحاصل هو لغياب كتاب (اميل) لجان جاك روسو عراقي أو عربي إسلامي فقط، وإنما لغياب حرية النقد والتفكير وإعمال العقل وإستقلاله، خارج فلك مرجعيات فقه صحاح التربية والتعليم .

من لهيب هذه النيران الاجتماعية الإسلامية، يخرج علينا السائل سلام السماوي من جعبته أسئلة فكرية، وبماراثون الحوار وقدحات زناده الفكري، يحاول المفكر الغرباوي ان يحرق شيئاً من شحوم الأحباط النفسي، والتخلف الحضاري، وما تمخض عنه من صراع مرير جوال، يزداد عليه كل يوم حجم الأقبال.

أهمية الكتاب بمضمونه العام

يعد الكتاب، محاولة هامة وجادة، لاقتلاع الخلايا المدمنة على فقه السياسة والتقليد الأعمى، من سلطة الوارثين عنوةً للحاضر والمستقبل — الى دين الإنسان المتعقل الحر، بما أمرت كتب الله المقدسة ورسله على مر الزمان.

نلخص بعض ردود الغرباوي (وبتصرف مني بالسؤال والجواب) في إطار المعقول في هذا المقال. فمن اسئلة المحاور السماوي قال:

هل يختلف المسلمون في تشخيص اسباب الهوة الحاصلة بين الحضارة الغربية والإسلامية، كما وما هي مردوداتها السلبية، وسبل العلاج للنهوض منها؟

يجيب الغرباوي: بالإيجاب عن وقوع الاختلاف في التشخيص، ثم بشيء من التفصيل والتحليل، تناول مسألة الإنبهار بحضارة الغرب والشعور بالدونية وتبعية الذات. كما وشجب ثقافة الداعين الى الاندماج التام حد الانسحاق وعده بالأمر الخطير: لما له من تداعيات سلوكية ونفسية، تؤدي بدورها الى حالات انفصام إجتماعية وثقافية.

ثم يواصل الغرباوي التوضيح والتحليل بقوله:

إن المشكلة الثقافية أعمق من تبني قيم الآخر، وتداعياتها أخطر على السلوك والمشاعر، وهذا السلوك لايساعد على تجاوز عتبة التخلف، أو بناء حضارة تمثل قيمهم وهويتهم.

في هذا الكتاب تجد الكثير من الأسئلة الرائعة والأجوبة الماتعة، والتي تعد إنفلاتا من عتمة القيود، الى مسارات الحرية الفكرية ولكن لايعني هذا أن كل الردود تتفق

معها بالتفاصيل فلربما عندي أو عند غيري لاتصح أومنها ما نتوقف عندها لنقصان
الأستشهاد بالدليل، لكن الأمر في التعريف عن الكتاب لا يستوجب النقد أو تصيد
الأخطاء أكثر ما يدعو للتفكر والبحث والحوار مع الباحث الجميل. لذا اكفتي بما
قدمته كي لا افسد متعة قراءة الكتاب بالأكثر من أمثلة ضروب الحوار. كما وأثني
على مقدمة السماوي الأدبية الجميلة وثقافته الرصينة، وبالمثل على للبروفيسور
الصائغ، والدكتور صالح الرزوق.

قراءة في كتاب إشكاليات التجديد لماجد الغرباوي

بقلم: د. بثينة بوقرة¹

منذ سقوط بغداد على يد المغول حتى اليوم، والثقافة العربية في سبات أهل الكهف تجاوزها ركب التأثير في الثقافة العالمية منذ عهد طويل، حتى أنها لم تعد تمثل في أعين العالم سوى محطة استهلاكية لنتاج الآخرين وعبئاً يعيق التقدم الكوني، لذلك تم وصفها بالتخلف ونسبتها إلى العالم الثالث.

وأمام هذا الوضع الثقافي الموروث الجامد، بدا من الضروري التخلص من برائن السلبية والبحث عن التجديد. ويجب النظر إلى هذا التجديد على أنه إلزام لا ترف وأنه حاجة ضرورية لا غنى عنها لضخ دماء جديدة في شرايين الثقافة العربية حتى تصحو من غفوتها الطويلة وتصبح فاعلة ومؤثرة وسباق في خلق ونحت الثقافة العالمية. فالتجديد ضرورة يفرضها الواقع التحقيق مستقبل أفضل لنا ولشعوبنا المقهورة بالظلم والاستبداد ومصادرة الحريات.

وفي هذا الإطار، كتب الأستاذ ماجد الغرباوي كتاب بعنوان "إشكاليات التجديد" حلل فيه بعمق وضعية المثقف في واقع يتسم بالاستبداد الذي يشكل أهم التحديات التي تواجه المسار التجديدي في الثقافة الإسلامية.

وفي ضوء هذا الكتاب سأحاول تلخيص القضايا التي طرحها الأستاذ ماجد الغرباوي في أربعة نقاط مهمة وهي كالاتي: تحديد مفهوم المثقف، ثم ضبط الأدوات الثقافية، ثم تحليل الواقع الموجود وأخيراً رسم ملامح الواقع المنشود.

1 - دكتوراه قانون، قاضية - تونس

النقطة الأولى تتعلق بالتساؤل حول تحديد مفهوم المثقف، وهو أمر ليس هينا لكثرة التعريفات وتعدددها، وعدم وجود تعريف واحد ودقيق للمثقف، لذلك جنح الأستاذ الغرباوي عن تعريفه لضبط معاييرهِ المتمثلة في ثلاث نقاط وهي اكتساب المعرفة الضرورية والتمتع بالوعي الكافي والتسلح بجرأة الموقف.

وبناء على هذه المعايير، يمكن التمييز بين المثقف وغير المثقف أو إن صح التعبير "أشبه مثقف"، وهناك عدة تصنيفات، بالنسبة للتصنيف الأول بالاعتماد على معيار علاقة المثقف العربي بالثقافات المختلفة، نميز بين المثقف المنبهر بالثقافة الغربية لدرجة التنكر لمنبته العربي الإسلامي، وبعبارة أخرى، هي حالة انصهار وذوبان في الثقافة الغربية دون مراعاة لخصوصية هوية المجتمع الإسلامي. يقابل هذا الصنف صنف آخر يشبهه في تطرفه وهو المثقف أحادي الثقافة والمنغلق على خصوصيته رافضاً لكل ما هو مغاير وجديد ومفضلاً الجمود الثقافي على الدخول في التنافس المثمر مع الثقافات الأخرى. فكل هذين الصنفين لا يقدمان إضافة للثقافة العربية وإنما يسعيان إلى ترسيخ الركود الثقافي، على خلافهما يوجد صنف معتدل وهو المثقف الذي يحافظ على الثقافة العربية لدرجة حماية خصوصيتها وينفتح في نفس الوقت على الحضارات المختلفة للإثراء والتقدم والانفتاح.

أما بالنسبة للتصنيف الثاني بالاعتماد على معيار الجهة التي يمثلها المثقف، نميز بين المثقف النخبوي المنعزل في قصره العاجي الذي لا يمثل إلا الفئة النخبوية ولا علاقة له بمشاكل العامة، كذلك نجد صنف مثقف السلطة الحاكمة بمعنى الذي يبرر ويشرع أعمال الحاكم، فهذان الصنفان مضران للمجتمع العربي الإسلامي ولا يتميزان بالأمانة والجرأة الكافية للتعبير عن مشاكل المجتمع، وهي سمات يتمتع بها مثقف الشعب أو ما اصطلح الأستاذ ماجد الغرباوي على تسميته بـ "المثقف الرسالي" الذي يحمل رسالة من الشعب ويدافع عنها بشجاعة، ومن بين هذا الصنف يمكن ذكر مثقفين كانوا منارة للحق وشوكة في وجه الظلم والاستبداد كالإمام جمال الدين الحسيني المعروف بالأفغاني والإمام الشهيد محمد باقر الصدر والسيد الكواكبي...

ولقد ساق الأستاذ ماجد الغرباوي ملاحظة جميلة تتعلق بأن صفة المثقف الرسالي ليست حكر على أشخاص معينين تنتهي بوفاتهم إنما هي مشروع مستمر يمكن تمثله إذا ما توفرت شروطه.

أما النقطة الثانية فتتعلق بالأدوات والتقنيات التي يعتمدها المثقف في إحياء الثقافة الإسلامية، وهي اعتماد الأسلوب النقدي لكل ما هو وضعي وذلك بتشخيص نقاط القوة والضعف. وبالتالي التخلي عن أسلوب المسلمات وكذلك ضرورة التمييز بين ما هو مقدس الذي يتجسد في القرآن وما صح من السيرة النبوية الذي يجب الالتزام بهما وبين ما هو غير مقدس بمعنى أنه نتاج عمل بشري على غرار الاجتهادات فهي قابلة للمناقشة وحتى للدحض. وهذا ما يجعلنا نتجاوز ما وقع فيه السلف من خطأ شرح الشروح واجترار ما وقع دراسته خوفا من الخروج عن ما هو موجود.

بالإضافة إلى الأسلوب النقدي، يجب على المثقف أن يعتمد أسلوب تحليلي بمعنى أنه ينطلق من الواقع فيحلل المشكلة من جميع جوانبها فيتمثلها جيدا ثم يعرضها على النص القرآني فيحاوره ويسأله حتى يجد لها حلا، ثم باستخلاص الحل يعود للواقع ويطبّقها على المشكل المطروح. بهذا يكون القرآن صالحا لكل زمان ومكان.

إن محاورة القرآن ليس ممنوعا وذلك بدليل أن القرآن في حد ذاته دعا إلى إعمال العقل في تدبر آياته، وهذا ما ذهب الأستاذ ماجد الغرباوي إلى بيانه بقوله "ولا أخال العملية ممتنعة أو غير ممكنة وإنما أدخلت دائرة الممنوع عنوة وفق مقاييس غير علمية أو إيديولوجية تذهب إلى اختزال الشخصية الإسلامية إلى أداة معوقة لا تجيد إلا الإصغاء والاستماع ومن ثم التسليم والانقياد للغير بداعي الجهل والعجز عن كشف مضامين الآيات أو ربما تحويل القرآن المبين إلى ألغاز محيرة يصعب درك مداليلها أو التكهن بمفاداتها، ليتحول القرآن حينها إلى كتاب سماوي يناقض أهدافه وغاياته".

أما بالنسبة للنقطة الثالثة، فهي تتعلق بالواقع الموجود، إن المثقف الإسلامي يعيش في واقع يغلق في وجهه جميع نوافذ الحرية الفكرية ويضيق عليه الخناق ويزرع فيه

شعور الاغتراب في وطنه، وذلك لأن بإخماد صوته إخماد لصوت الحق وبالتالي المحافظة على مصالحهم الشخصية الضيقة المبنية على الباطل. لذلك يدعو المثقف إلى محاربة الاستبداد بكل أنواعه الذي يمثل السبب الأول للتخلف الثقافي وإحلال محله التعددية وخلق مجتمع مدني يلعب فيه المواطن دور محوري في تسيير شؤونه العامة.

لكن نظرا لخطورة هذه الدعوات على الأقليات المستفيدة من انتشار الجهل واللاوعي، فلقد تعرض جل المثقفين الذين يسعون لفضح مفاصلها أمام المجتمع و محاولتهم في إنارة الرأي العام حول حقه في مساءلة من يجرم في حقه، إلى مختلف أنواع التعذيب والتنكيل.

أخيرا النقطة الرابعة الواقع المنشود، وهو ما يمثل مطلب التجديد في نظر المثقف الذي ينادي به ألا وهو تبني مبدأ الشفافية وذلك بفضح جميع الممارسات الاستبدادية وكذلك تكريس مبدأ الشورى والديمقراطية وضمان حق المعارضة وحرية الرأي واحترام سيادة القانون. جميع هذه النقاط لقد شرحها الأستاذ ماجد الغرباوي بإطناب في كتابه إشكاليات التجديد.

في النهاية، أريد التأكيد أن مسؤولية المثقف ثقيلة جدا ولكنه رغم ذلك فهو مجبور على تحملها وذلك لأنه آن الأوان لكي تعود الثقافة الإسلامية لأوجهها وازدهارها وإلقاء ثوب الخمود والجمود.

العقل النقدي وسلطة التراث في المنجز الفكري لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة إنعام كمونة¹

(نحن بحاجة إلى وعي يمزق جدار الصمت،

يفضح الكذب والتزوير،

ويقول الحقيقة بصوت مرتفع)..

الباحث ماجد الغرباوي

الباحث والمفكر الديني ماجد الغرباوي، شخصية فكرية معروفة. اصدر عددا من المؤلفات، تناول فيها قضايا فلسفية وفكرية وعقدية، ساعيا بمشروعه الى تحرير العقل من بنيته الأسطورية، وإعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة. كما جاء في سيرته. وأيضا يسعى جادا إلى ترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي. ويؤكد (ان فهم قضايا العصر مرتقنة بتجليات العقل الواعي). والغرباوي هو مؤسس مؤسسة وصحيف المثقف والمشرّف عليهما. كتب عن منجزة عدد كبير من الكتاب، نشرت في المثقف وفي مواقع أخرى.

يسعى المفكر الإسلامي دائما الى تقديم اجابات، عن أسئلة تراودنا، حول قضايا عقائدية وميتافيزيقية. عن الحياة والموت وما بعد الموت، وعلاقة كل هذا ببعثة الرسل والأنبياء. أو ما يراودنا من شكوك حول وجود الله تعالى، وحقيقة اليوم الآخر.

وكذلك اسئلة عن العدل الإلهي، ومعنى العذاب والخلود في النار. اضافة الى قضايا تخص حياتنا حول التسامح مع الآخرين، واحترام خصوصياتهم وعقائدهم. وما هو السبيل للعيش بسلام مهما اختلفت الاديان والقوميات.

نجد أجوبة الباحث الغرباوي على أسئلتنا وشكوكنا، واضحة وجلية، تزيل هاجس الحيرة وتداعيات الشك، فهو مفكر اتسمت كتاباته بالشفافية والوضوح، وأسلوب رائق بانسياب سلس وبسيط .

تناول الغرباوي قضايا مهمة كثيرة، وكانت له آراء يتفرد بها ربما حول تلك القضايا. كل ذلك ضمن مشروعه التنويري، فهو عندما يدعو لمراجعة التراث ونقد النصوص، لمواكبة الحاضر، يبرر ذلك بقوله: (إن نقد النص هو تعبير آخر عن سؤال الحقيقة، وهذه إحدى مهام الكتاب¹ وهو يلاحق مرجعيات التفكير الديني بحثا عن مضمراتها، لفرز ما هو نسبي، وفضح مراوغات النص وتقنياته في وجود الحقيقة، لاستعادة الوعي وإعادة تشكيل العقل وفق نظام معرفي يركز للدليل والبرهان في معارفة وعلومه، من أجل نهضة حضارية نستعيد بها إنسانيتنا، ونستنشق رحيق الحرية، بعيدا عن سطوة التراث، وأسطرة الرموز الدينية)². فالغرباوي في مراجعته النقدية للتراث لا يتوانى عن الغوص عميقا من أجل الوصول الى الحقيقة، والكشف عن الزيف في قضايا نعتبرها مسلمات، ولكنها ليست ذلك بعد البحث والتنقيب كما يفيد كلام الغرباوي: لست مع متاهات التفكير، غير أنني أسعى لأقصى إمكانات الغوص في أعماق الظواهر الاجتماعية والدينية لإدراك الحقيقة، وتقديم قراءة موضوعية، تنأى عن المراكمة فوق ركام الخراب المعرفي ودوامة التخلف. وأطمح لرؤية مغايرة وفق مبادئ عقلية متحررة من سطوة الخرافة واللامعقول وأوهام الحقيقة، ورهاب النص وقديسيته، من أجل فهم متجدد للدين، كشرط أساس لأي نهوض

1 - يقصد الباحث كتابه: النص وسؤال الحقيقة.

2 - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة.. نقد مرجعيات الفكر الديني، مؤسسة المثقف، سيديني - أستراليا، وأمل الجديدة، دمشق - سوريا، 2018م، ص 9.

حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتناوب والاحتراب¹.

ولم تقتصر آراء الغرباوي على التراث ومراجعاته النقدية بل أن كتاباته حول قضايا أخرى كالمرأة والتجديد والتنوير كثيرة ومتعددة، وله حول التسامح كتاب مشهور بعنوان: التسامح ومنابع اللاتسامح... فرص التعايش بين الأديان والثقافات، كُتبت عن مراجعات كثيرة. وهو من دعاة التسامح، يرفض كل قيم اللاتسامح والعداء والكراهية ونبد الآخر، ويعتز بالتسامح أنه قيمة إنسانية ودينية نحن بحاجة ماسة له، خاصة الدولة المعددة دينيا وثقافيا وقوميا. يؤكد في كلامه: (رغم ان التسامح مفهوم اسلامي غني في دلالاته غير ان القراءات المبسرة للدين ونصوص الذكر الحكيم صوّرت التسامح مخلوقا لا اسلاميا، او مفهوما مستوردا للاطاحة بقيم الدين الحنيف. وهي قراءات تشبث بها دعاة العنف والاحتراب، ممن اختزلوا القرآن في بضع آيات نزلت في ظل ظرف خاص، بينما أهملوا مصفوفات قرآنية كثيرة تدعو الى المحبة والوئام ونبد العنف والدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة)².

- لم يكتف الغرباوي بموضوع التسامح، بل تناول منابع اللاتسامح في كتاب التسامح، وأيضا سلط الضوء، تحليلًا ونقدًا، على التطرف الديني وتوظيف الدين لمصالح أيديولوجية وسياسية وحزبية وحتى شخصية. والتطرف معضلة فكرية، جاءت نتيجة تراكمات الغلو العقائدي والفكري، والتعصب المقيت، تحت عناوين دينية، ما هي سوى مغالطات وقراءات خاطئة للنصوص الدينية. وهيمنة العقل التراثي، بمفاهيمه وتفسيراته للنصوص المقدسة وفق ولاءات عقدية. وقبليات طائفية. لذلك طالما حذر الغرباوي من القراءة الايديولوجية للتراث، وطالب بقراءات عقلانية موضوعية: (القراءة الأحادية للتراث، ضرب من الخداع، حينما تزور الحقائق، وتشوه الواقع، وتعكس لك صورة مثالية عن تاريخك ومقدساتك.. هدم أسوار القداسة ونقد

1 - المصدر نفسه

2 - أنظر مقدمة الطبعة الأولى من كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح، فرص التعايش بين الأديان والثقافات، مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد، 2006م، ص 5.

الموروث أول خطوات النهوض الحضاري وأثبت عدم تسويقها لمصالح فكرية أخرى). فهناك ضرورة لتقديم قراءات جديدة للتراث والعقل التراثي، ونقدتهما لاكتشاف الحقيقة، وبيان ما هو زمني محدد بحدوده الزكانية وما هو مطلق، والتمييز بين ما هو بشري وما هو إلهي، كي لا تلبس الأمور ويختلط المقدس بغيره، فهناك نظرة مقدسة للتراث لا تسمح بمراجعته فضلاً عن نقده. خاصة القضايا العقائدية التي ييدي فيها الغرباوي حساسية فائقة، لخطورة ما يترتب عليها من التزامات دينية، ووعود أخروية، تغري المتلقي، فيندفع في تبني كل شيء، لا فرق عنده بين الصحيح والمزور، لا عمداً بل لأنه يثق برجل الدين، على صعيد الإيمان يقول: (الإيمان يتأثر بمناشئه وصدقته العقيدة ترقن لأدلتها وبراهينها، وبينهما بون كبير، فربما منشئه مجرد أوهام الحقيقة أو مصفوفة خرافات لا دليل عليها سوى الوهم بتأثيره النفسي، وهذا مبرر موضوعي يسمح بنقدها ومراجعتها للكشف عن تاريخيتها وزيفها وحجم الوهم والمؤثرات الأيديولوجية والطائفية في صياغتها فيخطئ من يؤمن بثبات العقيدة، أو ينفي تطورها وتاريخيتها)¹. فهو يعالج في نقده للتراث قضايا ساهمت في انحراف العقيدة، وشكلت خطراً على مستقبل الدين والمسلمين، عندما استباحوا قتل الآخر، وسفك دماء الناس الأبرياء. وساهموا في زرع الفرقة والتناؤد. والأعتداء على رموز ومقدسات الآخرين، والتجاوز ألالاً أخلاقية على حياتهم وخصوصياتهم، مما زرع الكراهية والضعينة بين الشعوب، خاصة بين المذاهب والطوائف الدينية في البلدان العربية، وهذا ما حدث في الفترة الأخيرة من اغتصاب قرى ومدن وتدمير معالم تاريخية تراثية، وقتل الأبرياء، والعزل وسبي العوائل الآمنة في شمال العراق. لهذا يؤكد في كتاباته على نقد النص لاكتشاف حقيقته: (المطلوب فهم النص / الحكم، ضمن سياقه التاريخي، بعيداً عن التقديس. أو افتراض وجود ميتافيزيقي للحكم يحول دون إدراك ملاكاته. فرب ظرف ما وراء صدوره، يمنع إطلاقه أو تعميمه. أو كان ثمة سبب لصدوره وقد انتفى موضوعه، فيفقد النص / الحكم فعليته. وما لم يؤخذ السياق في فهم النص

1 - مدارات عقائدية ساخنة، حوار طارق الكناني مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سبدي - استراليا وأمل الجديدة، دمشق - سوريا، ط2، 20019، ص 22.

تتغير جملة من الأحكام كالموقف الشرعي من الآخر وفقاً لفتاوى الفقهاء. والكلام عن النص الديني وخصوص النصوص التشريعية)¹.

ويراهن الغرباوي كثيراً على الوعي وسيلة لفهم الواقع، وتشخيص الأخطاء، دون خوف أو تردد، من أجل اكتشاف الحقيقة، وتشخيص الزيف والعودة إلى قيم الدين والقيم الإنسانية، وعليه نحن (بحاجة إلى وعي يمزق جدار الصمت ويفضح الكتب والتزويرويقول الحقيقة بصوت مرتفع).

متمنية لكم الاستاذ القدير ماجد الغرباوي استمرار النجاح والتألق الفكري.

1 - الغرباوي، ماجد، مقتضيات الحكمة في التشريع.. نحو منهج جديد لتشريع الأحكام، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، وأمل الجديدة، دمشق - سوريا، 2024م، ص 309.

ماجد الغرباوي في كتابي التسامح ومنابع اللاتسامح" و"تحديات العنف

بقلم: الأستاذ شوقي مسلماني¹

تفكيك خطاب سوء الفهم هو ما يطمح إليه المثقف التنويري ماجد الغرباوي في كتابه الموسوم "التسامح ومنابع اللاتسامح — فرص التعايش بين الأديان والثقافات"، صادراً في بغداد عن معهد الأبحاث والتنمية الحضارية بالإشتراك مع "العارف للمطبوعات". وكان قد صدر سابقاً في طبعته الأولى عن "مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد" ضمن سلسلة "ثقافة التسامح". وفيه يتعمق الكاتب في مفهوم التسامح مقررّاً بأنه يفترض يداً أعلى من يد، لكنّه في آن مقيّد بالفهم المعاصر لناحية قبول الآخر كما هو، على ما هو، من يكون وأينما يكون، وعدم الإنقطاع في الحوار من مدخل "التكامل" وليس من مدخل "الهداية" التي تفترض أنّ الذي على الضقة الثانية هو كافر وليس إذا اهتدى فله وإذا لم يخلع عنه الضلال فليس هو على ما لم يخلع، وحسابه هو في العالم الآخر كما جوهر الكتاب الكريم، بل يجب أن يستعدّ لحرب ضروس تسيل فيها النفوس.

يطلّ الكاتب على مفهوم المواطنة الذي يليق بالوطن الحقّ، حيث الناس كأسنان المشط في الحقوق والواجبات بغضّ النظر عن أي هويّة ثانية بالوراثة أو بالإختيار، أي على عكس القبيلة، مثلاً لا حصراً، التي لا تقيم وزناً للكفاءة، وتقدّم اعتبارات لا سلطان فيها لكي يتصدّر المتصدّرون، ومنها اللون أو العرق أو الدم أو النسب. ويقف من حديث "الفرقة الناجية" موقفاً، فهو لا يراه إلا موضوعاً، ولا سويّة فيه، ويؤسّس لإحتراب ظالم لانهائي، وهو "الحديث" الذي لم يرد لا في خزنة صحيح

1 - شوقي مسلماني - شاعر وكاتب - استراليا.

الإمام البخاري ولا في خزنة صحيح الإمام مسلم، ويتطير منه العلامة السيد محمد حسين فضل الله الذي يقول في معرض التطرق إليه: "لم يثبت عندنا صحة هذا الحديث من جهة السند، فلا مجال للاعتماد عليه، كما أنّ دلالة قد تخلق بعض المشكلات المعقدة، باعتبار كل فرقة ذاتها هي الإسلام وغيرها الكفر، أو أنّها الهدى فيما الآخرون هم الضلال".

زبدة كتاب "التسامح ومنايع اللاتسامح" هي نبذ العنف بكل أشكاله، وأخصّه الدموي. والحق أنّ الكاتب الغرباوي راسخ في ثقافته الإسلامية التسامحية حتى أبعد آفاقها ولا يخشى معها ومع الإسلام الحضاري ومع الله تعالى لومة لائم، ويقارب موضوعه بجلاء من أكثر من ناحية، ولا تعوزه كفاءة الإستشهادات من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة والصحابة رضي الله عنهم والتاريخ والوقائع ومنطق العقل المعاصر. ولكن تبقى ركائز: هل النزاع هو حول النص المقدس أم في ما يمكن أن توضع اليد عليه؟، هل هو في التفسير والتأويل أم في تضاد المصالح؟، ما هو دور الإحتلال في تأجيج الفتن وانقلاب الحال إلى أسوأ منقلب؟، وأسئلة غيرها يكون الجهد معها أيضاً في المحلّ العالي.

جوهر الردّ على إسلام يأكل كبّد إسلام حاضر يمكن العثور عليه يُسر في القرآن الكريم، إلّا أنّ الذين يكرهون الآخر ولا يقرون وجوداً له لا طائفيّاً ولا مذهبيّاً يرون لمسافة محدودة أنّ "آية القتال"، ولا يجوز تسميتها "بآية الجهاد" باعتبار أنّ "الجهاد" أوسع وأشمل وأبعد من "القتال"، يرون أنّ آية القتال موافقة لكلّ زمان ومكان، والصورة هي أنّ القرآن الكريم أصله في الرحمة والعفو والغفران والتسامح والمحبة والإعتراف بالآخر، وأكثر ما يتجلّى هذا الأصل في السور المكية التي استغرق نزولها ثلاث عشرة سنة، فيما العابر هو ما استجدّ حيث أغلظ الشرك للإيمان الناشئ واعتزم أن يستأصل شأفته. وما الواقع الممزق الذي تُزهِق فيه الأرواح في معظم العرب والمسلمين ومنهم العراقيين إلّا لأنّ الفهم المعاكس هو السائد، ولكي تعود المياه إلى جداولها ويعمّ الخير لا بدّ من تفكيك خطاب الفهم المعاكس وإثبات أنّه متهافت، وهذا بالضبط ما يطمح إليه ماجد الغرباوي في كتابه "التسامح ومنايع اللاتسامح - فرص التعايش بين الأديان والثقافات".

الكاتب الغرباوي هو عراقي الهوية والهوى، وعى على محيط كلّ في المظلوميّة حيث الفرد تنهال عليه بكلّ القسوة هراوات السلطات المتعاقبة بالإفراط والتفريط، خصوصاً بالأمن، حتى وقع العراق كلّ أخيراً، بشراً وشجراً وحجراً، فريسةً تُمزّق بها أنيابٌ ومخالب، ولا شفقة ولا رحمة. نظر الغرباوي بهذه المأساة ولا حظ أنّ العنف لا يُجبه بالردع الحكيم وإنما يُجبه بعنف همجي من الطينة ذاتها، أي لا بصر ولا بصيرة بل هو وحشٌ كاسر لا يُقفي ولا يُذر.

هكذا الغرباوي في كتابه الثاني "تحديات العنف"¹ الذي فيه من جهات العنف حركات متطرّفة، فيما تدفع الأذى عن ذاتها من عنف مظلّم واقع عليها لا تقيم حرمة لطفل، لإمرأة، لعجوز. حركاتٌ إعصارٍ ينفجر في الأحياء السكنيّة، في الأسواق العامّة، في دور الحضانة، في دور العبادة، فيما لو عقلت كان أولى بها أن تدّخر غضبها لمنازلة جلودة، واعية، مدركة، مع العدوّ المستبدّ، الغازي، المجرم، لا مع المدنيين الأبرياء، أسوةً بسيرة الرسول الصادق الأمين في منازلاته وصراعاته مع "قريش"، وكيف نظر في هذه المنازلات والصراعات وكيف انتهى إليه الفوز حتماً بما تقدّم فيه بأخلاقه وعظيم بصره وبصيرته.

القوّة عند ماجد الغرباوي في هذا الكتاب أيضاً هي في غير العنف، بما القوّة هي مجال للإقتصاد والسياسة والثقافة والفرّ والعمران. والقرآن الكريم في عنوان رئيسي يحضّ على هذه القوّة الحضاريّة، الخلاقة، ولا يحضّ على العنف العدواني الذي هو اتجاه واحد، محدود، ولا تُقرّ المبادأة ظلماً وعدواناً، بل بمبادأة سمحاء، وفيها القاعدة وفيها الإستثناء. والقاعدة هي آيات القرى والمودّة فيما الإستثناء "آية السيف"، خصوصاً ما دام القرآن المبين هو مصدر التشريع الأوّل. وعلى رغم ذلك فإنّ للسيف ضوابط، حدوداً، قوانين، وإلا صار قتلاً وفساداً وإفساداً في الأرض.

جوهر كتاب "تحديات العنف" هو الردّ على متمسّكين بالدين إنّما على نحو مبتور، مُجتزأ. يستسهلون مبادأة أبناء جلدتهم ودينهم أو مذهبهم بالإجرام،

1 - الغرباوي، ماجد، تحديات العنف، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2009م، في 420 صفحة، قطع كبير

يستسهلون التكفير وليس من ذلك الإسلام. وهو كتاب بمنطق سلفه يحاول أن يردّ على منطق لا منطق جدياً فيه، يردّ مهتدياً بمفكرين وأئمة كبار منهم مثلاً لا حصراً: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا، عبد الرحمن الكواكبي، والسيد محمد حسين فضل الله، حيث العقل كثير.

ونأمل ألا تكون صرخات الكاتب في الكتابين معاً: "التسامح ومنابع الالتسامح" و"تحديات العنف" هي في أرض مأهولة كلّها بالرمل.

التسامح والتسامح المتكافيء

بقلم الأستاذ: قيس العذاري¹

احيانا لا ننتبه لاهمية الاسئلة رغم ان البحوث والدراسات المتخصصة تبدأ بسؤال او بشكل ادق اجابة عن سؤال، يشمل ذلك البحوث المتعلقة بنيل درجات علمية عالية كرسائل الماجستير او اطروحات الدكتوراه . وهذه في الحقيقة عبارة عن اجابة عن سؤال او عدة اسئلة تنتظم حول محور واحد تتشكل منها الرسالة او الاطروحة . اذن السؤال يعتبر محفزا بشكل اساسي للبحث لذلك فان له اهمية استثنائية في العوالم الاكاديمية او البحثية الحرة غير الملتزمة بقوانين البحث الاكاديمي .

استوقفتني اجابات الباحث المستنير الاستاذ ماجد الغرباوي لكتابة هذه المقدمة او متابعة حوار مع نخبة واسعة من المثقفين والكتاب والباحثين العراقيين والعرب، وبسبب ما يتعرض له الباحثون العرب من تهديدات يومية من قبل دعاة الاسلام السياسي، هؤلاء يعتبرون ان كل نقد للاسلام السياسي واحزابه هو نقد للاسلام كدين، ولكن شتان بين احزاب الاسلام السياسي وبرامجها التي هي في جوهرها فاشية واقصائية الى ابعد الحدود وبين الاسلام كدين، ودليل معرفة الجوهر الفاشي والاقصائي لاحزاب الاسلام السياسي غياب مفهوم التسامح وقبول الآخر والتعايش معه رغم ادعائها للاسلام او تمثيله .

تخلل الحوار مصطلحات كثيرة ادت احيانا الى تشتت الموضوع او مضمون الحوار وهدفه مفهوم 'التسامح' ومنه 'العقلانية الشاملة' وقد اوضح الباحث الغرباوي نقطة مهمة مشيرا الى مسيرة تطور المجتمعات الغربية الحديثة والمعاصرة، فقد بنيت من

1 - أديب وكاتب - العراق

الاساس على 'التسامح' و'العقلانية' لان الدين كما اشار الباحث يختلف عن الدولة . الدولة باعتقادي لا دين لها لانها تمثل الجميع بشكل متساو في الحقوق والواجبات، ورغم ان بعض دول الغرب تعترف بمسيحية الدولة علنا، ولكن الواقع او دساتير هذه الدول تنفي ذلك .ودور الكنيسة بهذه الدول يكاد يكون بلا تأثير يذكر، رغم حضورها رمزيا واعلاميا، فبالنتيجة القانون والدستور هما من يحكم المجتمع وليس اللاهوت او المعتقد .

أردت ان اشير الى نقطة مهمة لو يولها الباحث الاهتمام المناسب او تبين مدى تأثيرها التاريخي في المجتمعات الغربية ربما لالتزامه بحرفية الاجابة على الاسئلة، فعصر الانوار الاوربي ما كان له ان يظهر للوجود لولا مظالم وجور حكم الكنيسة في اوربا، ومفهوم التسامح من ابتكارات عصر الانوار ارتبط بالمسيحية بشكل خاطيء لانه كمفهوم وجد قبل عصر الانوار وربما قبل المسيحية والاديان،ويمكن العودة بهذا الصدد الى الفلسفة الهندية القديمة او الصينية .

ومفهوم التسامح في الواقع واحد من عدة محاور تناولها الحوار مع الاستاذ ماجد الغرباوي، انه حوار شامل ان جاز التعبير، ركزت في هذا التقديم او التعريف بمحتواه على مفهومي التسامح والعقلانية لانه لا يمكن تناول جميع ماورد في الحوار من افكار ورؤى ومناقشة احيانا بين المتحاورين في اكثر من نقطة او تعريف،ولكن الباحث يركز على نقطة مهمة لها علاقة مباشرة بمفهوم التسامح لتخليصه من استعلائته ويضفي عليه انسنة عامة ليست له بمفهومه الاصطلاحي او اللغوي، وربما ينفرد الباحث في البحث او التبشير بمفهوم جديد للتسامح لتخليصه من سلبياته ودلالاته اللغوية ليكون مفهوما شاملا بقوله او توضيحه لمفهوم التسامح من وجهة نظره كباحث : 'التسامح كما أفهمه وادعو له: موقف إيجابي متفهم من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والإقصاء، على أساس شرعية الآخر المختلف دينيا وسياسيا، وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته، ما دامت الطرق إلى الحقيقة متعددة، وليس لأحد الحق في احتكارها، فيكون التسامح اعترافا حقيقيا

بالآخر، لا منّة ولا تكرماً، فيسود المجتمع مبدأ المواطنة في المساواة والتكافؤ في جميع الحقوق والواجبات' نعم الدساتير جميعها تقر بالمساواة ولكن الواقع عبارة عن شيء مختلف تماماً، لذلك فإن دعوة الباحث من خلال مفهومه الجديد الذي يقدمه للتسامح، يحتاج الى ايضاحات اضافية او ان يفرد له بحثا خاصا لانه يختلف عن التسامح السائد او مفهومه المتداول والمعروف في الاوساط السياسية والبحثية وهذا سبب تخصيص التعريف بالحوار على التسامح لاعتقادي ان ما جاء به الباحث ماجد الغرباوي او تعريفه للتسامح يختلف تماما عما هو معروف عن هذا المفهوم حتى ان الكثير من الباحثين العرب عدوه متعاليا و'هشا' .

لذلك اقترح على الباحث ان يسميه تسمية اصطلاحية اخرى تتلائم مع مفهومه وتعريفه الجديد اي خلق مصطلح يلائم مفهوم الباحث لتمييزه عن التعريف المتداول . ك 'التسامح المتكافئ' مثلاً . لتخليصه من التعالي او المنّة الذي ينطوي عليه كمصطلح لغويا وبحثيا . ومع ذلك يبقى التسامح بمفهومه العام ضرورة لسلمية المجتمعات متعددة الاعراق والمذاهب وللتعايش السلمي والتدبير كما يقول او يؤكد الباحث: 'يبقى التسامح الحقيقي الإطار الجامع لوحدة الشعب رغم تنوعه القومي والديني والمذهبي' .

اما النقطة المهمة الثانية، اشدد على اهميتها كما جاءت في الحوار وتناولها الباحث في اكثر من محور على طول الحوار، ربط مفهوم التسامح بالمواطنة، باعتبارها المشترك بين الجميع، وخاصة في مجتمعاتنا العربية وفي العراق بالذات، ولكننا مع الاسف كما يؤكد الباحث لم نصل الى مستوى الوعي باهمية المواطنة التي تقوم على مبدأ التسامح وقبول الاخر على المستويين الثقافي والديني . التي قامت على اساسه الحضارة الغربية المعاصرة من خلال سن القوانين والتشريعات التي تحفظ حقوق جميع المواطنين .

وبين الباحث او حث بشكل واضح على التفريق بين النقد والتخريب المتعمد، فنقد البنيات الطائفية والعشائرية في مجتمعاتنا الموروثة من عصور وعهود سابقة واعادة

ترسيخ مفهوم التسامح ومن ثمة المواطنة، تهدفان الى صيانة هذه المجتمعات وتخليصها من الصراعات الطائفية والمذهبية والعرقية، حيث تصل هذه النزاعات احيانا لدرجة الحروب والتخريب المتعمد الذي يطال اقتصاديات وعمران مجتمعاتنا العربية والاسلامية وتهدد مستقبلها، كما ان مفهوم التسامح ليس من المفاهيم الاجنبية او الغربية على ثقافتنا ومجتمعاتنا العربية والاسلامية .وهناك وقائع معاصرة وتاريخية تثبت ذلك رغم انه لم يأت على ذكرها او ذكر بعضها او كشواهد منها في حوار، وربما نحتاج الى بحث اخر او الى بحث مستقل للتأكيد فيه التسامح بمفهومه العام ليس اجنبيا او غريبا على ثقافتنا العربية والاسلامية ماضيا وحاضرا .

كتابات التسامح في الوسط الإسلامي

بقلم: الأستاذ نادر المتروك¹

يمكن النظر إلى مجلة "التسامح" الصادرة عن وزارة الشؤون الإسلامية في سلطنة عمان، على أنها فارقة نوعية بكلّ ما للكلمة من معنى، لاسيما وهي تصدر عن جهة رسمية. صدر العدد الأول من المجلة في شتاء 2003 وهي تحمل شعار "نحو خطاب إسلامي متوازن". ولكي يتوضّح مدلول هذا الشعار، دُشن العدد الأول بكلمة هيئة التحرير تحمل شرحاً مفصلاً لهوية المجلة/ المشروع.

وقد جاء فيها بأن المجلة تأمل أن تكون "منبرا فكريا مفتوحا للدراسات والبحوث التي تقرّ الخطاب الإسلامي من منطلقات علمية موضوعية، بعيدا عن شراك الرؤية الإيديولوجية التي تظن نفسها تمتلك الحقيقة والوعي، وإن كانت تصدر في معظم الأحيان عن رؤى مشوهة ووعي مزيف".

وعلى مدى أكثر من أربع سنوات، وإلى حيث العدد الأخير في شتاء 2006، استطاعت المجلة أن تُنجز الكثير مما وعدت، فكانت منبرا إسلامياً يتحرّى التسامح والجدّة.

مجلة "قضايا إسلامية معاصرة" التي يصدرها عبد الجبار الرفاعي، اهتمت بقضية التسامح وأصدرت سلسلة كتب حول هذه القضية، وذلك ضمن النقلة المهمة التي أحدثتها الرفاعي نفسه في حركة التجديد عبر مشروع مجلته المذكورة، والذي أخذ مداه الأخير في إطار "مركز دراسات فلسفة الفقه" في بغداد. ومما صدر عن السلسلة: "رسالة في التسامح" لجون لوك، و"أحكام الجوار في الشريعة الإسلامية" لشمس

1 - كاتب بحريني.

الدين، و”عيال الله: أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالأخرين” لمحمد الطالبي، و”التسامح ومنابع اللا تسامح” لماجد الغرباوي.

سيعرف الكثير من القراء من هو الشيخ ماجد الغرباوي “الحقيقي” عندما يطلعون على الحوار الذي أجرته معه “الوقت” على مدى حلقتين. في هذا الحوار يُقدّم الغرباوي شخصيته الفكرية بلا مقدمات تجميلية أو تمهيد متواطئ. ما يشغل الغرباوي لا يختلف كثيراً عن عنوان كتابه؛ فهو مع رفقة من جيله خاض ملحمة التجديد الديني في ظل عنفوان المد المحافظ والتكريس المتزايد للجماعات التي تدعي الحفاظ على “أصالة الإسلام”. واللافت أن هذا الهم التجديدي لم يكن متوارياً، فقد كان الغرباوي ظاهراً في إصلاحيته، ولم يلجأ إلى التقية حتى وهو ينخرط في مشروعات ثقافية محسوبة على الخط المحافظ. ويتجلى كثير من وعيه التجديدي مع كتابه “إشكاليات التجديد” الصادر سنة 1999 ضمن سلسلة كتاب “قضايا إسلامية معاصرة”. لا شك بأن حجم الصراحة والجرأة هو أكثر وضوحاً من ذي قبل. فالغرباوي يضع أمام الشعوب المسلمة خياره الوحيد للخروج مما هي فيه من احتراب وعداء وإقصاء. ليس أمامها إلا قيم التسامح. ويعلم الغرباوي أنه خيار يتطلب جهوداً متضافرة، وتعاوناً من الجميع. ويعلم أيضاً أن هذا الخيار لن يأخذ طريقه الصحيح إلا إذا مسّ “البنى الفكرية والعقيدية للمجتمع” وأعاد “صياغة العقل والأولويات والوعي”، وقدم فهماً عصرياً “للدين والرسالة والهدف”، واجترح نقداً “للمفاهيم والقيم والسلوك” وقراءة متفهمة “للتراث والتاريخ”.

للقيام بذلك، يقول الغرباوي “ينبغي البحث عن الدوافع الحقيقية وراء ثقافة الموت والاستهانة بالحياة وتكفير المجتمع”. ما يعنيه ذلك من محاولة حثيثة لمعرفة البنية المفاهيمية التي تكوّن موقف العداء تجاه الآخرين. وبحسب الغرباوي، فإن هناك مفاهيم عميقة تؤثر في ذلك، تتصل بصلب البناء العقيدي والديني كما تؤمن به بعض الجماعات الدينية.

لا ينظر الغرباوي إلى التسامح على أنه مفهوم “يراد استنباته ضمن النسق القيمي للمجتمع”، بل هو “نسق ثقافي وفكري وعقيدي مغاير، له آليته في العمل،

وأسلوبه في التأثير، ومنهجه في التفكير، وطريقته في الاشتغال". والنتيجة المنطقية لذلك هو أن التسامح وقيمه لا يمكنها أن تسود المجتمع إلا يعد توفير جميع مقدماته، حيث إن "التسامح يقوم على سلسلة عمليات فكرية وثقافية يخضع لها الفرد والمجتمع كي يعمل بشكل صحيح ومؤثر". إضافة إلى جملة القيم التي يتوجب استئصالها و"إحلال قيم جديدة محلها كي تكون قاعدة وأرضية لعمل التسامح". انطلاقاً من ذلك يركز الغرباوي في هذا الدراسة على الدين الإسلامي ذاته ليكون مرجعاً في صياغة أنساق التسامح، حيث يستنطق القرآن الكريم والقيم الدينية العليا وصولاً إلى منظومة قيمية ومفاهيمية يمكن توظيفها في صياغة ما يُسميه بالنسق الفكري والعقدي للتسامح، وذلك بهدف تحويله إلى قيمة دينية أولاً فقيمة إنسانية بعد ذلك.

التسامح ومنابع الاتسامح لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة هيام الفرشيشي¹

لعل اختياري لهذا الكتاب مبرره ما نعيشه من تحولات اجتماعية وسياسية، بعد الثورة وظهور عنف جديد، يتمثل في بروز الفكر الجهادي، وبعض نواتات الإرهاب. وهو في الحقيقة نتاج دكتاتورية استبدادية. لذلك ارتأى الباحث أن الخطوة الأولى تقتصر على ضخ سيل من الثقافة النقدية القادرة على النفاذ إلى أعماق اللاوعي لتفكيك البنى المعرفية القديمة وتأهيلها لاستقبال نمط فكري وثقافي جديد يعمل في إطار قيم التسامح. وأن يطال الخطاب النقدي جميع البنى الاجتماعية وعلى كافة المستويات.

فالنقد يتوجه نحو تفكيك مفاهيم اللاتسامح والاستبداد المتجذر في اللاوعي، بدءاً من تفكيك مفهوم الأب لكي لا يبقى أب الأسرة / رجل الدين / المفكر / السياسي / المثقف يفترض لنفسه سلطات اجتماعية وأخلاقية غالباً ما تكون قمعية استبدادية. فالخطاب النقدي مدعو للتوغل داخل هذه المفاهيم لتفكيكها بعد تحديد الأسس التي قامت عليها ومعرفة المرجعيات التي استندت إليها. هل مصدرها بشري أم إلهي؟ اجتماعية أم سياسية؟ أعراف وتقاليد أم مصاديق دينية أو غير ذلك. وذلك لكي لا يقبع النظام الأبوي في كل زاوية وكل مكان. كما أن تلك السلطات تفاقمت حتى أصبح المجتمع وفق بعض الرؤى الأبوية أفراداً قاصرين بحاجة إلى الرعاية والأبوة، ويجب إدارتهم وتديبرهم، ويفرض عليهم الأمر والطاعة والامتثال، وإلا فالعقاب في

1 - قاصة وكاتبة - تونس

الدنيا واللعنة في الآخرة لكل من يتمرد على سلطة الأب.. وبالتالي يجب العمل على استتباب قيم تقوم أساسا على رفض القمع والاستبداد والاعتراف بالآخر وإن كان مختلفا..

كيف نتصور قيام مجتمع متسامح في ظل خطاب تكفيري يعتبر المجتمع الإسلامي الراهن مجتمعا جاهليا تجري عليه أحكام الجاهلية؟ هذا النمط من الخطاب ينتج حركات إسلامية متطرفة تبيح قتل المسلمين. لنفهم أن كل خطوات قيام مجتمع متسامح تبدأ من العقل، تبدأ من نقد الأنساق المعرفية، تبدأ من نقد العقيدة، والفكر، والثقافة ليصار إلى فهم بديل للدين والحياة والمجتمع يساعد على استتباب قيم التسامح. إذ السلوك والأفعال الخارجية والمواقف لا تصدر إلا عن فكر مؤسس داخل العقل، ولا تنطلق إلا في ضوء المفاهيم ومقولات متجذرة في اللاوعي.

ويرى الباحث بأن إرساء أسس التسامح يؤهل المجتمع لاحتضان قيم التسامح وتبدأ من حقوق المواطنة، فإذا كان المجتمع غير مهيء نفسيا وفكريا وثقافيا للاعتراف بالآخرين لأي سبب كان، فإن قبول الآخر وقبول التعايش معه تفرضه وحدة الوطن، من أجل استتباب الأوضاع واستقرار الأمن والسلام. من هنا تكون حقوق المواطنة إحدى الأسس الكفيلة بإرساء ثقافة التسامح داخل المجتمع ولو بشكل مرحلي. ولكن كيف يقع استخلاص بين الولاءات بحيث يبقى الولاء للوطن متقدما للحفاظ على وحدته وانسجامه وتجانسه في إطار المواطنة.

ولاء الوطن، بمعنى الولاء إلى قوانين البلد إذا كانت قوانين تعبر عن إرادة الشعب وتضمن حقوق الجميع بشكل متساو. كما تستطيع النخب السياسية والدينية التوافر على قواعد شعبية تصل من خلالها إلى فرض إرادتها بشكل قانوني، لكن لا يحق لأي أحد التمرد على القانون واستخدام العنف للوصول إلى أهدافه، لأنه كما هو مفترض قادر على تحقيق ذلك بالطرق السلمية دون اللجوء للقوة والعنف. ولتكريس قيم التسامح لا بد إذن من سيادة القانون فهو الأساس الثاني لقيم التسامح بعد المواطنة.

وإذا اقتضت مصلحة الوطن تشريع قدر من الحرية الشخصية يتنافى مع قيم الدين الحنيف فما هو العمل؟ وهل يبقى وفيًا لقرارات الدولة أم يتخلى عنها لصالح الدين وأحكامه الشرعية؟.. إذا كان الحكم منتخباً فإن القانون هو الذي يوجه حركة المجتمع والسلطة وينظم الحريات ويوفر الأمن ويحمي المواطنين على تنوعهم واختلافهم. وحينما يسمح القانون بهذا الحجم من الحرية، يسمح بها وفقاً لصلاحيات ممضاة من قبل الشعب نفسه، فيكون هو المسؤول عن ذلك وعليه أن يتحمل تداعيات اختياره.

التسامح حق للجميع على أساس الاعتراف بالآخر وحماية حقوقه

بقلم: الأستاذ عبد الغني الزردي

(التسامح يعني الاعتراف بالآخر والتعايش معه على أساس حرية العقيدة وحرية التعبير دون تكرم أو منّة)... ماجد الغرباوي

(التسامح هو ضرورة حياتية، تبقى الحاجة قائمة لها ما دام هناك إنسان يمارس العنف والإقصاء والتكفير، ويرفض التعايش السلمي مع الآخر المختلف. وتتزايد الحاجة للتسامح مع اتساع رقعة التنوع الإثني والديني؛ لامتصاص تداعيات الاحتكاك بين القوميات والثقافات والأديان المختلفة).

هذا هو فحوى كتاب "التسامح ومنابع اللاتسامح"¹ للأستاذ ماجد الغرباوي.

يرى الكاتب أن ما نشاهده اليوم من صراع محتدم بين القوميات والأديان والمذاهب يكشف عن رخاوة الأسس التي يقوم عليها مفهوم التسامح أو غيابه، فهو في نظر الأوساط المتصارعة، لا يعدو كونه قيمة أخلاقية تتحكم بها المؤثرات الاجتماعية والسياسية. وهو في أحسن الأحوال منّة وتفضل مشروط؛ قد ينقلب إلى ضده إذا فقد رصيده الأخلاقي، وما نحتاجه فعلاً لتوطيد العلاقة بين الطوائف والقوميات مفهوم يرتكز إلى أسس. فالتسامح إذن هو حق لجميع الأفراد على أساس الاعتراف بالآخر، وحماية حقوقه².

1 - التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، ماجد الغرباوي، ط 2008م، اصدار الحضارية، بغداد، ودار العارف، بروت.

2 - المصدر نفسه، ص 11 .

يتوقف الكاتب مع دلالات التسامح في اللغة والاصطلاح، فهو لغوياً مشتق من السماح أي الجود. والمسامحة تعني المساهلة، وسمح: جاد وأعطى عن كرم وسخاء؛ ليخلص إلى أن الدلالة اللغوية للتسامح تستبطن المنة والكرم. أما في الاصطلاح فهو: (موقف ايجابي تجاه العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة؛ بعيداً عن الاحتراب والاقصاء؛ على أساس شرعية الآخر المختلفة دينياً وسياسياً، وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته)¹.

يتساءل الكاتب: ما المطلوب من الشخص المتسامح؟ هل المطلوب التنازل عن القناعات الفكرية والعقدية نزولاً عند رغبة الآخر، أو ضرورة يقتضيها التسامح؟ أو أن التسامح يعني الانصياع والتبعية والرضوخ للمختلف؟ يجيب بأنه لا هذا ولا ذاك، وإنما التسامح يعني اعترافاً بالآخر والتعايش معه على أساس حرية العقيدة وحرية التعبير، لا تكراً ولا منة، وإنما حق باعتبار تعدد الطرق إلى الحقيقة، وأن هذه الأخيرة موجودة لدى جميع الاتجاهات العقدية؛ على أساس وحدة الحقيقة وتعدد التجارب الدينية.

منابع اللاتسامح

أما في الحديث عن منابع اللاتسامح، فيقول الكاتب، "تتعدد منابع اللاتسامح تبعاً لطبيعة المجتمع ثقافياً وفكرياً وعقيدياً، وأيضاً تبعاً لمستوى حضور الدين، ومدى تمسك المجتمع بالقيم الدينية والأخلاقية. لكن ثمة منابع تعد الأهم بينها، وهي منابع التي تفضي إلى التعصب الديني والقبلي والسياسي؛ وما ينتج عنها وما يعمق وجودها ويركز فاعليتها من مفاهيم وقيم. ولا شك أن تفكيك هذه البنى وإعادة تشكيلها؛ بما يخدم قيم التسامح وبناء مجتمع متسامح، مهمة شاقة وصعبة، تتطلب خطاباً ثقافياً وفكرياً قادراً على تشكيل أجواء تساعد الناس على التماهي مع القيم الاجتماعية

1 - المصدر نفسه، ص 20.

الجديدة، والتخلي عن القيم السلبية الموروثة، أي التماهي مع قيم التسامح من أجل بناء مجتمع يمكنه استيعاب التناقضات والتقاطعات الحادة بين الأديان والمذاهب والقوميات"¹. متوقفاً عند بعض مصادر اللاتسامح، منها:

- منطق العنف: لقد ظل العنف منطقاً مستحكماً داخل المجتمعات غير المتحضرة، أي المجتمعات التي ترفض الاحتكام للقانون، وترتكز للعنف في تقرير مصيرها، وانتزاع حقوقها، وتسوية خلافاتها. واستمر العنف صفة ملازمة لكثير من الشعوب؛ رغم اختلاف الظروف وتطور الحضارات. ولهذا الظاهرة أسبابها وجذورها التاريخية، حيث يقول، "فلجوء الإنسان البدائي للقوة والعنف كان دفاعاً عن النفس؛ بسبب الأخطار المحدقة به. ولما ظهر التنافس بين أبناء المجموعة البشرية الواحدة واحتدم الصراع على المراعي والحقول، لجأ الإنسان للعنف والقوة للدفاع عن حياته وعائلته وممتلكاته"². ما يستدي فهم مهمة ثقافة التسامح، وضرورة انتشارها، وتثقيف الشعب عليها؛ عبر خطاب مؤهل، قادر على استنبات قيم جديدة، بدلا من النسق القيمي الذي نظم لاجتثائه؛ حتى يصبح التسامح مسؤولية تاريخية، يتصدى لها جميع أبناء الوطن، من أجل الوطن ووحدته وسلامته وأمنه ومستقبله.

- الولاء القبلي: لقيم العشيرة أو القبلية تداعيات خطيرة في إطار مجتمع يضم عددا من القبائل، لا سيما حينما تتصادم القيم فيما بينها، أو بينها وبين قيم وقوانين الدولة. ولعل أهم هذه التداعيات انشطار الولاء، الذي هو عماد التماسك الوطني، وركيزة وجود الوطن، الذي سينهار وتلتهمه الانقسامات وتقاطع الولاءات؛ إذا لم يشعر الفرد بانتماء حقيقي للوطن. ما يعني أن العقل الجمعي للقبيلة يمثل خطرا كامنا، إذ يمكن تعبئته وتحريكه بشكل غير واع.

- التطرف الديني: يعتبر التطرف الديني أحد أخطر منابع اللاتسامح، لتلبسه ببعد شرعي، وتوظيفه للنص الديني، وقابلية الناس لتصديق، وقدرته على التخفي

1 - المصدر نفسه، ص 26.

2 - المصدر نفسه، ص 27.

والتستر تحت غطاء الشرعية، والواجب والجهد والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ما يستدعي "وعي يعري حقيقته، ويكشف زيفه، وإلا فإنه ينطلي بسهولة على ذوي النوايا الطيبة من البسطاء، ممن لا يفقهوا أساليب الخطاب وطريقة توظيف الآيات، ولا يميزوا بدقة بين الأحاديث والروايات الصحيحة والموضوعة. وما هو عام في النص وما هو خاص، وأيهما مقيد وأيهما مخصص، وإنما يكفي لتصديقها والتفاعل معها انتمائها للمراجع الإسلامية، بما فيها كتب التراث، وأقوال الرجال، أي الخطاب النصي والشفهي؛ بل إن تأثيرهم بكلام الخطباء أقوى وأسرع، لذا ليس غريبا أن يكون أكثر المتطرفين الدينين ممن لم تسعفهم كفاءتهم العلمية والثقافية في إدراك الحقيقة"¹.

أسس التسامح

أما أسس التسامح، فمتعددة برأي الكاتب، ومنها:

- حقوق المواطنة: ويرى أن المجتمع إذا لم يكن مهياً نفسياً وفكرياً وثقافياً للاعتراف بالآخر، لأي سبب كان، فإن قبول الآخر وقبول التعايش معه أمر تفرضه وحدة الوطن، من أجل استتباب الأوضاع واستقرار الأمن والسلام. ولذلك تشكل حقوق المواطنة أحد الأسس الكفيلة بإرساء دعائم التسامح داخل المجتمع. فالالمواطنة ليست "سوى الاعتراف بالآخر وبحقوقه، وقبول التعايش معه سلمياً وفق حقوق مشتركة لجميع المواطنين (حسب نضج المجتمع فكرياً). وهي قضية تملئها وحدة الوطن والحرية الشخصية والاعتراف المتبادل بين أبناء الشعب جميعاً. رغم تنوع خصوصياتهم. أي أن جميع الأفراد، وفقاً لحقوق المواطنة، متساوون في الحقوق والواجبات على أساس التساوي في انتمائهم للوطن الواحد"².

1 - المصدر نفسه، ص 56.

2 - المصدر نفسه، ص 76.

- سيادة القانون: فكما أن حقوق المواطنة هي الأساس الأول لإرساء قيم التسامح في المجتمع، فالقانون وسيادته هو الأساس الثاني لها. بل لا يمكن للتسامح الاستمرار في تأثيره الاجتماعي، ما لم يكن هناك قانون يستند إليه ويدافع عن قيمه. ما يعني أن تثبيت الحقوق وفرض الواجبات وتحديد السلطات، تتوقف جميعها على وجود قانون فاعل، يتوافر على قوة ردع عالية. لذلك صارت حقوق المواطنة إحدى القضايا التي تتوقف فاعليتها على وجود قانون متماسك وفعال. أي كما أن حقوق المواطنة تحتاج إلى قاعدة فكرية وثقافية متجددة تغذي أبناء الوطن الواحد بقناعات حقيقية، تحتاج هي أيضاً إلى قانون لتفعيلها وحمايتها.

- إعادة تشكيل قيم التفاضل: معتبراً أن الارتكاز إلى القيم الإنسانية سيكون الحل الأمثل لمشكلة تعدد القيم، وتسوية التفاضل الطبقي القائم على منظومة القيم ذاتها. هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار تأكيد الدين على البعد الإنساني في العلاقات العامة داخل المجتمع المتعدد. فالناس في نظر الاسلام إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

ويرى الكاتب أن التفاضل في القرآن يقوم على أسس منها:

- التقوى: مصداقاً لقوله تعالى، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"¹. وفي المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى". ما يجعل "التقوى" قدرة على كبح جماح النزوات الشيطانية لدى الإنسان وخلق أجواء حميمية مفعمة بالحب والوئام"².

- العلم: وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في بعض آياته التي أشار مضمونها إلى أفضلية المؤمن الذي أتى علماً، التي ربما -بتعبير الكاتب- تشمل مطلق الإنسان

1 - سورة الحجرات، الآية: 13.

2 - المصدر نفسه، ص 118.

العالم، وليس شريحة خاصة. قال تعالى، "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ". ولا شك أن العلم الذي تنتفع منه البشرية يستحق التقدير والاحترام، ويصلح بجدارة لأن يتحول إلى قيمة تفاضلية، يفضل على أساسها الإنسان العالم، احتراماً وتقديراً لجهوده الخيرة في خدمة البشرية. أما إذا قام التفاضل على أسس لا إسلامية، ولا إنسانية، فهو ليس تفاضلاً؛ بقدر ما يكون تحقيراً للآخر ونوعاً من التعالي والإعجاب بالذات.

- إطلاق الحريات العامة، فهي تلعب دوراً كبيراً وفاعلاً في ترسيخ قيم التسامح
بين أبناء الوطن الواحد. والعكس عندما يعيش الشعب الاضطهاد والكبت والحرمان، فإنه يفضي إلى الخوف والنفاق والتكتم واخفاء الحقيقة وانتشار العنف واللاتسامح. ويبقى الوضع في حالة ترقب وتأهب وإنذار مستمر، حتى تتحول النشاطات الفكرية والثقافية إلى حركات سرية. وهنا تكمن الخطورة، والحل هو الحرية؛ وفق ضوابط معقولة ومقبولة.

وفي الأخير أكد الكاتب على أهمية الرحمة التي تعتبر عامة لا تختص بفرقة أو جماعة وإنما هي شاملة. وهو ما عبّر عنه قوله تعالى، "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ". وما لا ريب فيه، إنه حيثما كانت الرحمة فلا كراهية ولا إكراه، وذلك أن الكراهية من لوازم العدوان والنقمة، بينما الرفق والعطف والرفقة والعدل والإحسان من لوازم الرحمة.

قراءة في كتاب : مقتضيات الحكمة في التشريع

نحو منهج جديد لتشريع الاحكام

للباحث ماجد الغرباوي

بقلم: د. حسن البصام¹

ضمن حفريات واجتهادات المفكر والباحث الاستاذ ماجد الغرباوي صدر كتاب "مقتضيات الحكمة في التشريع" نحو منهج جديد لتشريع الاحكام.. عن مؤسسة المثقف - دار امل الجديدة / سوريا. 2024م.. وهي ضمن بحوثه الحرة اسمها "مناهات الحقيقة" ينقب في ركائز الثوابت في التفكير والمعتقدات.

وقد نوه الباحث الى ان مشاريع التجديد تهدف الى رقي الفقه نحو مستوى الواقع، ويسعى لارتقاء الاسئلة الفقهية الى مستوى التطور الحضاري والمعرفي.. كلما تطور المجتمع علميا كلما كان بحاجة الى اجابة تتناسب مع حجم هذا التطور لمسايرة تعاملاته اليومية، خاصة المادية منها التي ارتقى التطور بها الى الحد الذي وجب ايجاد وسائل تعامل جديدة باتت تشكل تداولا يوميا ونمطا مسيرا لوجود الانسان، فلا بد من وجود "منهج جديد ملء الفراغ التشريعي" خاصة مايتعلق بالتعاملات المالية في البنوك والمصارف وزراعة الاعضاء البشرية او التبرع بها او الذكاء الصناعي وتطور الجينات وغيرها.

كما هو معلوم ان الفقه ظهر لسد الفراغ الموجود بعد الرسول الكريم، بظهور المذاهب الفقهية التي اعتمدت الخلاف في التفسير منهجا مستقلا لكل معتقد، وهو سد فراغ لتجدد حالات بتجدد الظروف الاجتماعية والعلمية التي تستوجب تاسيس ميزان فقهي لكفتي الحلال والحرام.. التطور متسارع والموقف الاخلاقي والعقائدي

1 - كاتب وأديب وناقد أكاديمي

يبحث عن الطمأنينة في التطبيق، لا بد من ارتقاء الفكر الفقهي الى مستوى هذا التطور؛ وهو شغل الباحث الغرباوي في هذا الكتاب.. الذي شغله اختلاف الفقهاء هو " قيمة العقل وما هي حدوده وهل هو مصدر من مصادر التشريع ام لا ؟ " الغرباوي يبحث عن العقل الحر غير المكبل باطرافكار رجال الدين الجاهزة التي لا تواكب التطورات التي اشرفنا اليها.. يقول الباحث " ينبغي اعادة النظر بالفقه ودوره التشريعي، فليست ثمة قداسة لاي منجز بشري، وليس سوى (منهج مقتضيات الحكمة في التشريع) الذي نقترحه، منهجا صالحا ملء الفراغ التشريعي ". هو باتجاه التوسع في الاستنباط او القياس مجارة للتطور. وهي من تطبيقات الكتاب او السنة.

ان التفقه ليس حصرا على احد، ولم تمنح الخصوصية الى علماء او اشخاص بعينهم، وهو ليس ترفا او استخفافا، انه علم من علوم الحديث والكلام والمعتقد يهدف الى التطبيق الصحيح للكتاب والسنة المطهرة، ومثلما كان مجتمعا منغلقا محمدا متشابها لاختلاف في التطبيقات انذاك لوضوح الافعال والاسباب... فان التطور المذهل بشريا وعلميا ينبغي ان يسايره بذات القوة فقه يرتقي بالمألوف الى مستوى المستجد. وهذا الكتاب هو امتداد فكري لما سبقه من اصدارات متعددة للباحث في حرية الفكر والمعتقد وتحريك الثابت منها لمسايرة العصر ومنجزاته.

تناول في الفصل الاول منه " اشكاليات التعارض بين الشريعة والاخلاق " وهذا من الفصول المهمة لما تحدثه الاحكام المتطرفة في خلق فقه عدواني يهدف الى تدمير الانسان وتخطيطه خاصة احكام الجهاد والرق والمرأة والحدود والقصاص وغيرها من المنظومات الاخلاقية والسلوكية والعملية التي لها صلة بمنهج استنباط الاحكام الشرعية.

وحسب ما اشار اليه الباحث ان البحث يهدف الى " تحري حقيقة التعارض بين الشريعة والاخلاق " وكذلك الى نقد مرجعيات التفكير الديني. والى تحري الوعي من تراكمات التراث والعقل التراثي في فهم النص. وكذلك يهدف الى تاسيس منهج جديد ملء الفراغ التشريعي.

وتناول في الفصل الثاني " فرضية مقتضيات الحكمة في التشريع " او ما أسماها بـ "عقلنة التشريع " يتحرى فيه " صدقية التعارض بين الاحكام والاخلاق " الذي ياخذ بنظر الاعتبار "محورية الانسان ومصلحه".

وهو يطرح فرضية مفادها " ليست الاحكام في الشرائع السماوية معطى نهائيا، بل ان تشريعها يجري وفقا لمقتضيات الحكمة ومبادئ التشريع في افق الواقع وضروراته "

ومنطلقات فرضية الحكمة في رأي الباحث هي: "انتفاء البعد الميتافيزيقي للاحكام.. وكذلك لاثحول قداسة النص /الحكم الشرعي دون مقارنته وفهمه، مادام مفهوم القداسة يتعدد بتعدد زوايا النظر. وكذلك تفاوت مستوى الالزام في الاحكام الشرعية بين الوجوب والاستحباب او بين الحرمة والكراهية مثلا ليست مسألة تعبدية، بل محكومة لمبادئ وقيم تحدد مستواه."

وفي الفصل الثالث تناول " الفراغ التشريعي ومتطلبات الواقع " والذي يقصد به " كل حكم لم يرد فيه نص صريح في مقامه، او تلك المساحة التشريعية التي ترك الاسلام ملأها للدولة او أولى الأمر في اطار اهداف الشريعة".

بينما في الفصل الرابع تناول "الاسس الاخلاقية للتشريع" التي تبحث في مركزية العدل وعدم الظلم باعتبارها قيمة اخلاقية. والسعة والرحمة.. وهي الانتقال من العسر الى اليسر والتحرر من التشريعات السابقة وكذلك المساواة في الاوامر العبادية والتشريع الا ما يتعارض مع القيم الاخلاقية.. وكذلك مراعاة الواقع باعتباره منهجا من مناهج الحكمة وهو موضوع الحكم. اي حين يتغير الواقع يتغير الحكم.. يقول الباحث: " لذلك يفشل كل فقيه لا يراعي شروط الواقع وحاجات الانسان، وهذا احد اسباب فتاوى العنف والارهاب والكراهية ".

وفي الفصل الخامس تناول المؤلف " التشريع وفق مقتضيات الحكمة " يقول الباحث " التشريع اذن متاح للخبراء والمتخصصين وفقا لمقتضيات الحكمة، يتقدمهم

الانبياء، وهم اولى ولا ريب بترتب الاثار المعنوية والمادية وهي تتصدى لتنظيم مناحي الحياة".

وفي الفصل السادس تناول "الفقيه وسلطة النص" قائلا "ليس من السهل تعطيل او تعليق اي حكم شرعي في مجتمع مرتحن لقداسة الدين، اضافة لرمزيته التي تبعث الرهبة والوجل في نفس الفقيه قبل غيره فتجده يتشبث بالاحتياط ولو على حساب الانسان والمجتمع"

وتناول في الفصل السابع "حاکمية الدليل الاخلاقي" يقول "ان استنباط الحكم الشرعي ليست بريئة ولا حيادية، وتتأثر بمرجعيات الفقيه وقبلياته وثقافته وعقيدته، وبأدلتها ومقدماته ومنهجياته في استنباط الحكم واصدار الفتوى".

وقد اشار الى وجود اسباب عديدة عجز الفقه عن مواكبة التطورات الحضارية في مجال حقوق الانسان والقضاء وغيرها منها : ارتكاز الفقيه الى قيم العبودية في فهم الدين وتهميش الاخلاق.

وتطرق الى العديد من الرؤى ووجهات النظر الفقهية في بقية الفصول التي شارفت على الفصل الثاني عشر، حيث اوصلنا الى يقين عبر صفحات الكتاب المتكون من 422 صفحة، انه لم يكن الفكر التنويري الذي نهجه الباحث ماجد الغرباوي وليد اليوم.. انه مرتكز على اصرار وتحدي لتحرير العقل من عبودية التبعية وظهرت نتائجه البحثية عبر العديد من الكتب التي حركت الساكن والراكد من خلال تحريكه عتبات يظن الآخرون انها مقدسة.... انه يسعى باتجاه تنوير العقل العربي، كما فعله الفلاسفة والكتاب العرب والغربيين من خلال تحديهم للفكر المتخلف التبعية السائد آنذاك، حتى انهم لاقوا التسقيط او التصفية او المحاربة انه ينقل العقل العربي من تقدس لاواعي الى تحرير بما يتناسب مع التطور البشري والعلمي والاجتماعي من خلال مناقشة التراث والتراكم المعرفي الممتد عبر قرون الذي لم يجرأ آنذاك على المساس به او تحريك عجلته بعصا التغيير، فهو يعتمد ومن خلال هذا الكتاب المهم الى مناقشة الفقه الديني مستندا الى الكتاب والسنة والفكر الحر وتراكم

الثقافة والمعرفة، ليرتقي بالفكر الديني بموازاة التغيرات المجتمعية والسلوكية التي طرأت على الإنسان والمجتمع، وهو يسعى الى ان يعيش الانسان بطمأنينة وعدالة ورفي عبر اشباع حاجاته اليومية المتغيرة مع التطور بعيدا عن التسقيط او التهديد او الاعتقاد بغضب الله وعقابه.

ماجد الغرباوي

باحث في التراث الإسلامي بوعي معاصر

بقلم: الأستاذ صالح البياتي¹

مقدمة: من نافل القول ان نعرّف الأستاذ ماجد الغرباوي لقارئ المقال، فهو غني عن التعريف لمن قرأ له كتاباً من كتبه العديدة، سواء المطبوعة أو المتاحة على الإنترنت. ولكن للضرورة التي يقتضيها موضوع المقال أجبنا لأنفسنا ذلك.

الأستاذ ماجد الغرباوي؛ باحث مثابر دأب الحفر في طبقات التراث الإسلامي، التي ران عليها التحجر والجمود، في عملية شاقة، بحثاً عن حقيقتها ومدى صدقيتها، وفق منطق العقل والعقلانية، وهي عملية نقدية تتطلب خبرة في التراث وطرق تناوله. لهذا يقول وهو يستعرض صعوبة تحدي التراث الفقهي باعتباره جزءاً من التراث بشكل عام، لقوة رسوخه وتداخله مع إشكاليات أخرى: "... التراث الفقهي جزء من إشكالية أوسع، تخص الموقف من التراث بشكل عام، وهي إشكالية ملتبسة جداً، وقد دار حولها جدل واسع، واختلف الموقف منها. فالتراث يمثل جزءاً أساسياً من هوية الأمة، لا يمكنها التخلي عنه، بل ولا إتخاذ موقف محايد منه، لأننا أمة تراثية، لا تعيش خارج التراث"². وهو هنا يقصد التراث الفقهي على وجه خاص، وليس عمومهم. ولا شك أنه جهد كبير، فالتراث الفقهي تراث واسع ومتشعب يحتاج الى كفاءة لنقده وتمحيصه. التراث له أدواته القوية التي يستخدمها، لكبح حركة المجتمع وتعطيل طاقته وقدرته وشلّ وعيه، فيتطلب نقده أدوات أقوى وأقدر على بيان

1 - أديب وكاتب - أستراليا

2 - الغرباوي، ماجد، التسامح ومنايع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للمطبوعات، بغداد - العراق، 2008م، ص 25.

حقيقته. لهذا يخلص للقول بجرأة وشجاعة، خالية من التحدي الكبير، بل كما عرفناه باحثاً عقلياً في رؤيته للواقع، يقول "فنحن بحاجة إذاً إلى إعادة تنظيم علاقتنا بالتراث واتخاذ موقف واضح منه، يحررنا من سلطته واستبداده وسطوته، ويحفظ له مكانته التاريخية"¹.

يثير هذا الطرح سؤالين، الأول: هل هناك تداخل بين التراثين، الفقهي، والثقافي والاجتماعي، بحيث من الصعب الفصل بينهما؟ أم هناك ما يميز كل واحد من هذه الأقسام؟.

والسؤال الثاني: كيف يمكننا الحد من استبداد التراث مع الحفاظ على مكانته التاريخية في آن واحد؟ (سواء كان التراث الفقهي أو الثقافي الاجتماعي)؟. وأسئلة كثيرة تفتتح على هذين السؤالين.

يذكرني وضعنا في هذه الإشكالية، بكهف إفلاطون، حيث يختبئ أناس في ظلام الكهف، وعندما يرون الشمس خارج الكهف، يحسبونها ناراً متقدة تحرقهم، إذا حاولوا الخروج والإقتراب. ولذلك قلنا ان الأستاذ الغرابوي باحث في التراث بوعي معاصر، تدور كتاباته حول الوعي، يؤكد ويراهن عليه دائماً.

ظهرت كلمة الوعي في تعريفها البسيط عند جون لوك: "بأنه الإحساس بما يمر بعقل الإنسان". وأما الوعي في نظر ماجد الغرابوي الذي يعول عليه في آرائه التنويرية فهو يعني: (إدراك الحقيقة، وتشخيص الواقع، وتحديد الأولويات، وتمييز الالتباس واكتشاف التزوير. فالشعوب الواعية شعوب يقظة متبصرة.. والإنسان الواعي لا يتهيب ممنوع، وإنما يتوغل في الشك حتى يفهم الواقع ولا تضلله الشعارات، ولا يستغل، وإنما هو إنسان مرهف الحس، قلق، متوثب، يصغي ليدرك ويناقش ليفهم، ولا يتحرك إلا عن قناعة ورؤية واضحة². ويقول في موضع آخر: (والوعي يعني إدراك الواقع وفقهه ملابساته وتشخيص أخطائه بعد تفكيك مكوناته ومحكمة أنساقه.

1 - المصدر نفسه.

2- - الغرابوي، ماجد: إشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط3، 2017م، ص 35.

والشخص الواعي مرهف الحس، شديد الحساسية أزاء التزوير والمغالطات، فلا يتكيف مع الواقع المزور، بل يعيش في حالة من الغليان والثورة الداخلية ضد القيم المصطنعة، ويتطلع باستمرار إلى التجديد والإصلاح. أو يعيش حالة إغتراب داخلي، تعيق حركته¹. بل أنه يرتكن النهضة بالوعي، حينما يقول: (عندما نقب في ماضي الحضارات المتطورة بحثاً عن عوامل نهوضها سيتمثل أمامنا الوعي في صناعة نهضتها، كما سيتضح أن التطور الحضاري يبدأ دائماً من أول بوادر الوعي، بل إن صدقية التطور على أرض الواقع، إنما يتحقق إذا أتيح للوعي أن يسود المفاصل الحياتية في المجتمع)².

من جانب آخر، ينظر الفلاسفة، وعلماء النفس، وعلماء الأحياء، أو علماء الاجتماع الى الوعي بطرائق متميزة، وكذلك تفعل العامة الذين يسمعون ليلاً ونهاراً أن بعض المسائل فشلت أو أنها تفشل في دخول "وعيمهم"، ولابد من أنهم يتساءلون فيما إذا كان الوعي هي التسمية النخوة المثقفة، التي تدل على حالة "اليقظة" أو الإنباه أو ببساطة على وجود عقل³.

إخفاقات الوعي

في كتاب (إخفاق الوعي الديني، حوار تداعيات النكوص الحضاري)⁴، الذي هو كتاب حوار، يتكلم عن الوعي ودوره في النهضة المرتقبة، وينسب للوعي تقدم ونكوص الأمة بالدرجة الأولى ثم تأتي العوامل الأخرى. بدءاً هناك ملاحظة هامة جداً، وأنا أتناول في هذه الفقرة طريقته في الحوار، حيث يسمي أسئلة المناقشة

1 - الغرباوي، ماجد، الهوية والفعل الحضاري، مصدر سابق، ص 89.

2- المصدر نفسه.

3 - الإحساس والمعرفة والوعي، كيف تصبح العقول واعية ص 107 - 108، أنطونيو داماسيو، ترجمة د. عامر شيخوني، الدار العربية للعلوم ناشرون ط / الأولى 2022.

4 - إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكوص الحضاري، حوار سلام البهية السماوي مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2016م.

الحوارية — (بوصلة المتحدث) وهذا التعريف العلمي يحسب له. فأسئلة المحاور تعتبر بوصلة تكشف عن مستواه العلمي والثقافي، وقدرته على الحوار وطرح الأسئلة. يقول وهو يرد على أحد الأسئلة: (تبقى الأسئلة بوصلة المتحدث)¹. فالغرباوي بإمكانه اكتشاف محاوره من خلال اسئلته التي تكشف عن مدى وعيه للسؤال.

في القسم الأول من كتاب إخفاقات الوعي الديني، طرح الأستاذ سلام البهية السماوي، اسئلة في غاية الأهمية، غطت جوانب فكرية متنوعة، مثل: التفاعل الحضاري، الفلسفة الإسلامية، العلاقة مع الغرب (صراع أم حوار)، التطرف الديني، القرآن والتطور الحضاري، التخلف الحضاري واسبابه، النهوض الحضاري، إشكالية الفكر التكفيري، اليقين السلبي، التجديد ضرورة حضارية، من أين يبدأ التجديد، وغير ذلك. ومن كل سؤال تفرعت اسئلة، ذات صلة به لإغناء الحوار. وهنا استشهد ببعض الأسئلة، ورد الغرباوي عليها، لعلاقتها بموضوع الوعي، عنوان هذا المقال:

— لنأخذ موضوع الفوارق الحضارية بين الغرب والعالم الإسلامي: يسأل السائل: في رأيك، هل تعتبر الحضارة الإسلامية ندأ للحضارة الغربية، ولو في بعض جوانبها؟ ولماذا؟. فجاء جواب الغرباوي واقعيا وموضوعيا، حينما قال: (الندبة تحتاج إلى تكافؤ بين الطرفين. أو يكون الفارق الحضاري من الضالة ما يسمح بالتناد بينهما. فهل تعتقد أن واقع المسلمين الآن يصلح أن يكون ندا للحضارة الغربية؟)². والجواب يكفي شاهدا على وعي المتحدث للفارق الحضاري بيننا وبين الغرب، ويدرك جيدا هناك شروط للتكافؤ غير متوفرة حاليا في حضارتنا، لذا يقول: (لا أحد يرى ذلك حتى المسلمين أنفسهم)³.

— وللتنقل الى سؤال آخر، يطلب السائل فيه تعريف مفهوم (اليقين السلبي)، الذي طرحه الباحث الغرباوي في كتابه إشكاليات التجديد وأشار له في هذا الكتاب. نرى الغرباوي يبدأ أولا بتعريف مفردة اليقين فيقول هو نوع من الإيمان، ثم

1 - المصدر نفسه، ص 78.

2 - المصدر نفسه، ص 18.

3 - المصدر نفسه.

يتوسع في الجواب، ويضرب أمثلة لتوضيحه، فيقول في تعريفه: (اليقين السلبي، هو حزمة جزميات وقناعات راسخة؛ توجه وعي الإنسان وتضبط سلوكه وحركاته ومشاعره)¹. ويضرب أمثلة على ذلك كإيمان الفرد بقوة خارقة، يستعين بها لتحقيق مآربه، دون سلوك الطرق العلمية والطبيعية، كتسخير الجن وتخضير الأرواح². فتكون النتيجة أن "الفرد يتقاعس عن العمل وطلب الرزق؛ بانتظار أن تقوم الجن بعمل خارق تلبي من خلاله جميع طلباته. أو إيمان الشخص بقدرة الأولياء والصالحين على معالجة المرض، وقضاء الحاجات، فيكتفي بأعمال تقربه لهم بدلا من مراجعة الأطباء. وسلسلة اليقينيات، كما يقول تتناسل في ثقافتنا، لا تنتهي، ولا تقف عند حد، (ولعل أخطرها مجال العقيدة والفكر، حينما يعتقد الإنسان انه على حق مطلقا وغيره على باطل مطلقا. وتارة الباطل يعني الكفر، مما يسمح بتكفير الآخر، وربما استباحة دمه كما يفعل المتطرفون الاسلاميون، من اتباع الحركات التكفيرية)³.

وبعد أن عرّف الأستاذ ماجد الغرباوي اليقين السلبي؛ راح يبين ضده، أي اليقين الإيجابي، فيقول: (اقصد باليقين السلبي: "ما يعيق الفعل الحضاري من جزميات وقناعات راسخة". ويقع على الضد من اليقين الإيجابي. فإيمان الفرد بوجود خالق ويوم حساب بعد الموت يعد يقينا ايجابيا لانه يعزز التقوى ويعضد وازع الخوف، ويحول دون ارتكاب المحرمات والموبقات)⁴.

ودائما تجد الوعي حاضرا في ردوده وأجوبته فهو عندما يفسر ظاهرة اليقين السلبي ومخاطرها يربط ذلك بالوعي الذي هو محور كتاب إخفاقات الوعي الديني، فالمهم لديه عدم تضرر وعي الإنسان كي لا ينزلق الى متاهات الظلام الطقوسي، يقول: (لقد افرز لنا اليقين السلبي نمطا من السلوك، ارهق وعي الفرد والمجتمع، وصادر حريته واراادته، وسخر كل امكانياته، من أجل طقوس وتقاليد ما انزل الله بها من سلطان. بل تهادى الخطاب الطقوسي القائم على اليقين السلبي، بفضل الطقوس

1 - المصدر نفسه، ص 59.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص 60.

4 - المصدر نفسه، ص 59.

على العمل الصالح¹. ويضيف: (ولعل من اسباب هذه اليقينيات... سذاجة الوعي)².

وهنا نقطة جديرة بالانتباه أن الأستاذ الغرباوي لا يفرق بين شخص وآخر في حوارته، سواء من اتفق مع رأيه أو خالفه. كلاهما على قدم المساواة، بغض النظر عن علمه أو مستواه الثقافي، وهذه صفة العالم المتواضع. اضرب أمثلة على ذلك من حواراته على منصة التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) والتي دارت بينه وبين المعلقين على منشوراته. أقتبس مقتطفات منها بدون ذكر الأسماء كشاهد على جديته وتواضعه، ومدى اهتمامه بمسألة الوعي بالذات. المنشور: (قداسة الرموز الدينية، تدفع بإتجاه أسطرهم والإرتفاع بهم فوق البشر ودون الإله). بتاريخ 6-9-23.

فكتب أحد المعلقين: التقديس يتناسب طرديا مع الجهل.

- رد عليه الغرباوي: معادلة صحيحة ولكن ليس مطلقا، وأحيانا لا فرق بين الإنسان الجاهل العادي مع غيره من ذوي الألقاب العلمية والفلسفية الكبيرة، المسألة مسألة وعي ومسألة تحرر داخلي. فهو يدور حول الوعي دائما.

- فيرد المعلق: نعم أستاذي.. لم أقصد الجهل وعكسه صاحب الشهادة، القصد الجاهل الذي لا يملك وعيا ويسير مع الراي الجمعي بغض النظر عن مدى تعليمه.

- يرد عليه: " نعم يا صديقي أوافقك الرأي "

لاحظ كيف أوصل الأستاذ ماجد الغرباوي فكرته للمعلق وأقنعه ان الوعي هو المعوّل عليه في الفهم الصحيح والتحرر من الجهل.

- ومعلق آخر كتب: أعتقد أن رجال الدين هم السبب المباشر في التقديس الذي يصل حد المغالاة.

1 - المصدر نفسه، ص 61.

2 - المصدر نفسه.

- ورد عليه: نعم يتحملون القسط الأكبر، لكن تعطيل العقل بحجة القداسة سبب رئيس هنا.

هنا ركز الأستاذ ماجد الغرباوي بشكل اساسي على تعطيل العقل، وللإمام علي عليه السلام، قول في هذا الموضوع مذكور في نهج البلاغة: "أعوذ بالله من سبات العقل" فتعطيل العقل او استقالته هو سبات، يفقد معه العقل قدرته وفاعليته.

وأطرف تعليق قرأته يأتي في بدايته على شكل عتاب مازح:

- استاذ أبو حيدر على كيفك ويانه.. ثم يسترسل في نص أدبي طويل، عن الجذر الإنساني في الحالة الحسينية.

فيرد عليه الاستاذ الغرباوي بادب وكياسة، فيقول:

- لم يشر المنشور الى اي مصداق، لماذا افتهمت هذا منه، لا أدري.

وعندما يستمر المعلق بإسلوب إنشائي عاطفي.. لا يرد عليه، حرصاً ألا يخرج الحوار عن صلب الموضوع، ويتحول الى سجال أدبي، أو جدل سوفسطائي عقيم، وهذا ما لا يريده الأستاذ الغرباوي.

أو مثلاً يطرح أحد المعلقين سؤالاً على الأستاذ الغرباوي، ليس له صلة بموضوع المنشور ويطلب منه جواباً عليه، فيقول:

- لو طُلب منك أن تصف الحسين بن علي عليهما السلام، كيف تُقدمه لقرائك الذين ينعنونك بالتقوي.

يجيبه بأدب جم، ولا يلتفت لكلمة ينعنونك.

- أجيبك لو كنتُ ذكرته بالمنشور، تحياتي.

التسامح والوعي

قرأت (رسالة في التسامح) لـ جون لوك، ترجمها عن اللاتينية الدكتور عبد الرحمن بدوي، مركز دراسات فلسفة الدين. وللأستاذ ماجد الغرباوي قرأت كتاب (التسامح ومنابع اللاتسامح، فرص التعايش بين الأديان والثقافات). والكتابان يبحثان في نفس الموضوع، مع اختلاف الفترة الزمنية، فبينما يقتصر التسامح لدى لوك على الديني، نرى الغرباوي يوسع دائرته لتشمل السياسي والاجتماعي والقومي، والإتني. ليكون بذلك تسامحا انسانياً. وقد استشهد بحديث نبوي شريف "كلكم من آدم وآدم من تراب" وآيات قرآنية ليؤكد وحدة العنصر البشري في الخلق¹.

الحديث عن جون لوك وتحوله من اللاتسامح الى مبدأ التسامح، كان هو الدافع الذي حدا بي لكتابة هذه الفقرة. إذ نجد لوك يتحول من النقيض الى النقيض في هذه المسألة، ذلك أنه كتب في عامي 1661 - 1662 رسالتين عن التسامح اكتشفتا ضمن مجموع مخطوطاته، وخلاصة رأي لوك في هاتين الرسالتين هي أن كل الأفعال المستوية، مهما كان نوعها، تقع تحت سلطة من وُكِّل اليه التصرف في حرية وحياة كل فرد من أفراد الرعية، أي الحاكم المدني فله سلطة مطلقة على كل أفعال الناس في المجتمع، وعليهم ان يطيعوا القوانين التي يسنها الحاكم حتى ولو كانت خاطئة. يرى لوك في هاتين الرسالتين ان التسامح هو مجرد اسم آخر للعصيان والفوضى. وهنا يعطي لوك الحق المطلق للحاكم على الرعية، ربما كان ذلك بسبب الصراع بين السطلتين الدينية المتمثلة بالبابا، والسلطة الدنيوية المتمثلة بالملك. لكن جون لوك لم يستمر على هذا الموقف طويلا، بل نجده في سنة 1667 يكتب (بحثاً في التسامح) لم ينشره في حياته، ونُشر البحث في مجلدين سنة 1876 بدأ يميل الى التسامح، فيقول "ينبغي للحاكم المدني ان يتدخل في ما يؤمن السلام المدني وممتلكات رعيته" ثم يخطو خطوة أبعد انه ليس للحاكم المدني اي سلطة على الرعية

1 - التسامح ومنابع اللاتسامح، مصدر سابق، ص 119.

فيما يتصل بالدين، لأن أمور الدين تخص الفرد والله فقط¹. وبهذه الفقرة عن مبدأ التسامح عند جون لوك، في كتابه (رسالة في التسامح)، نكتفي لتتابع موضوع التسامح مع ماجد الغرباوي في كتابه: التسامح ومنابع اللاتسامح.

يعتقد الغرباوي أن روح التسامح تتضمنها جوهر الأديان، وإن لم تنص على المفهوم، لكن روحه تؤكد نصوص الكتب المقدسة، فـ(اننا امام مفاهيم "كالتسامح والتعددية" ليست غريبة في روحها عن اصول ديننا وعقيدتنا، وانما اقتصتها القراءات الاحادية والفهم المتحيز للدين)². إما اللاتسامح فإنه بعيد عن روح الأديان المتسامحة، باستثناء بعض الحالات التي لها تفسيرها الموضوعي، غير المخل بقيم التسامح التي تدعو لها الأديان بصيغ مختلفة، لكن من أين جاءت قيم اللاتسامح؟ ما هي مناشؤها؟. وهذا ما قام به الأستاذ الغرباوي؛ حيث تقصى منابع اللاتسامح، ودعا الى تجنبها ومكافحتها تمهيدا لقيم التسامح: منطق العنف، الولاء القبلي (العصبية)، سلطة القيم، الاستبداد السياسي والتطرف الديني.

منظومة القيم تتقاسمها العشيرة والدين والموروثات الشعبية، وكل قيمة أخلاقية تنتمي في مرجعيتها الى واحدة أو أكثر من المصادر المذكورة، فهي اما ذات مرجعية دينية أو وضعية سياسية أو اجتماعية معينة أو موروثات شعبية متراكمة، وهذه تنتج مقاسات للتفاضل وأسس التعامل مع الآخرين، كالتسامح والتعصب، ورفض الآخر وتهميشه هو جوهر الاستبداد السياسي. يقول الباحث في هذا الصدد: (التسامح نسق قيمى واخلاقي يراد احلاله محل النسق القيمي والاخلاقي الذي ما زال يدير حركة المجتمع ويحدد اتجاهاته، وهو نسق وليد منظومة قيم موروثة تشكلت عبر ماض سحيق، ظل الشعب يتوارثها ويتعهد بها ويلتزم بها ويحافظ عليها. وطبيعة هذه القيم انها تتقاطع مع قيم التسامح، لانها تركز صفة العصبية والرفض والاقصاء. فلا يمكن للتسامح ان يكون فاعلا مؤثرا في مجتمع ما زال يتعهد تلك القيم الموروثة ويلتزم بها.

1 - جول لوك، رسالة في التسامح، ترجمها عن اللاتينية الدكتور عبد الرحمن بدوي، اصدار مركز دراسات فلسفة الدين، ص 41-44.

2 - أنظر كتاب: الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح، مصدر سابق، ص 22.

أي ما زال يتمثلها قيما اخلاقية يستمد منها وجوده ومكانته داخل الوسط الذي يعيش فيه. ولا يمكنه التخلي عنها او التنكر لها، لان في ذلك - كما يعتقد - مصادرة لموقعه وقيمته التي هي رأس ماله الاجتماعي، وعلى اساسها يقيم علاقاته ويتخذ مواقف من جميع القضايا، بل ويعتقد انها اساس وجوده¹. ويضيف: (وتتعدد منابع اللاتسامح تبعا لطبيعة المجتمع ثقافيا وفكريا وعقديا، وايضا تبعا لمستوى حضور الدين ومدى تمسك المجتمع بالقيم الدينية والاجتماعية. لكن ثمة منابع تعد الاهم بينها، وهي منابع التي تفضي الى التعصب الديني والقبلي والسياسي، وما ينتج عنها وما يعمق وجودها ويركز فاعليتها من مفاهيم وقيم)².

وقد استشهد الأستاذ الغرباوي بآيات كثيرة من القرآن الكريم، لتأصيل مبدأ التسامح، بعد أن تكلم تفصيلا عن منابع اللاتسامح واحدة بعد أخرى، كشف عن جذورها، وبيّن أبعادها ومخاطرها وتداعياته. أما قيم التسامح فهي قيم انسانية، نابعة من الرحمة الإلهية. وأما ما يُنعت به الاسلام من تطرف وإرهاب فهي آراء شابها الكثير من التحامل، على الاسلام وطمس مقاصده الإنسانية، نتيجة لتاريخه الذي طغى عليه العنف وسفك الدماء، وهو تاريخ السلطة التي تمارت في سفك الدماء باسم الدين لكن للأسف الشديد حُسبت على الاسلام. وإلا فآيات التسامح التي أدرجها في الكتاب أكثر من 60 آية، غيبتها النسخ، وعطل فاعليتها. جميعا آيات رحمة وتود ومغفرة وتسامح مع الآخر، كما يقول الباحث الغرباوي في كتابه التسامح و منابع اللاتسامح³.

1 - المصدر نفسه، ص 25.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص 143-149.

السياسة والوعي

ظل الباحث ماجد الغرباوي، يتابع مسألة الوعي، تارة يراهن على الوعي وأخرى ينسب المظاهر السلبية والنكسات الحضارية الى رثاثة الوعي، فهو يتوجس كثيرا من الوعي السلبي، ففي كتابه: (جدلية السياسة والوعي.. قراءة في تداعيات السلطة والحكم في العراق)¹، راح يستعرض مشاهد السلطة في العراق، من خلال تتبع وعي الشعب عبر مواقفه من المواطنة، الاستعمار، المليشيات، القيادة، الاحزاب السياسية، المرجعية الدينية وغير ذلك. وقد عقد المحور الثالث لموضوع: أزمة الوعي السياسي، كما خصص المحور السابع إلى: الوعي الحضاري. فالكتاب يدور حول الوعي السياسي بالدرجة الأولى.

ولنأخذ مشكلة المحاضرة الطائفية، التي نختتم بها المقال، وتلك ابرز مشكلة ما يزال يعاني منها الشعب العراقي، ترقى للمعضلة او المرض العضال، يتعمق الأستاذ ماجد الغرباوي في الحفر ليصل لجذورها الضاربة في عمق التاريخ، فهو لا يعتقد أنها حدثا وقتيا طارئاً، أو أنها ستزول بمجرد اتفاق بين الكتل السياسية، التي تتصارع على الحكم، وعلى اساس هذا التحليل العلمي لا يصدر حلولاً استهلاكية جاهزة للتطبيق، لا تلامس الواقع المتأزم في العراق، والتحولات السياسية التي ساهمت في خلقه في مرحلة من أصعب واخطر المراحل التي يمر بها العراق، منذ عام 2003 وحتى الآن، وإنما يرى (أن ظهور الطائفية في زمن الحرية يفضح عمقها وتجذرهما، ويكشف عن وجود عوامل خفية كانت تعمل على تغذيتها وكبتها في آن واحد، وما لم نقف على تلك الأسباب لا نستطيع فهم الظاهرة وكيفية معالجتها والتخلص منها)². وهذا ليس مجرد رأي شخصي، وإنما استقراء واستنتاج، طريقة علمية، هي أحد طرق البحث في علم الاجتماع، عند دراسة مشكلة اجتماعية ما.

1 - صدر عام 2016م، عن المركز العلمي العراق - بغداد.

2 - المصدر نفسه، ص 163.

ويستنتج الباحث "أن العراق برع في قدرته على التعايش السلمي بين المذاهب والأديان المختلفة، إلا أن الاستبداد السياسي كان السبب الأساس في تسرب شحنات سلبية إلى الشخصية العراقية، وكان المصدر في تغذية الحس الطائفي"¹.

بينما يجعل الوردى من البداوة المؤثر الأهم في ازدواج الشخصية العراقية²، يقول "أن العصبية المحلية تنمو في نفس الطفل، فيتعصب لأبناء محله، وقد تتحول هذه العصبية المحلية إلى عصبية عشائرية أو طائفية أو دينية، أو ما أشبه، وهكذا ينشأ العراقي وهو شديد التعصب لدينه وطائفته، بينما هو لا يعرف من واجبات الدين شيئاً"³.

وبعد كل هذا التحليل والاستنتاج العلمي يقترح الغرباوي؛ الحل المناسب لمشكلة الطائفية، التي انتجت الفساد المالي والإداري، وبددت ثروات طائلة كان العراق بأمس الحاجة إليها للإعمار، يقول الأستاذ الغرباوي في معرض اقتراحه لحل عملي واقعي ما يلي:

(....) ليس في الكلام تحريض، أو تكريس للخطاب الطائفي وإنما هي قراءة موضوعية للمسألة الطائفية وفهم لها في ضوء خلفيتها التاريخية، وأسباب تبلورها وتشكلها، من أجل الوصول إلى تسوية ناجحة، مادامت لم تخرج عن السيطرة، وما زالت تتحرك على مستوى حقوق تاريخية مهضومة⁴. ويضيف: يمكن التخلص من الطائفية كمعوق من خلال الإستجابة لها وإشباعها (تحليل نفسي) وأول خطوة على

1 - المصدر نفسه.

2 - مقارنة في تحليل الشخصية العراقية بين الغرباوي وأستاذي الدكتور علي الوردى، والفرق بينهما أن الوردى يركز على المؤثر القبلي في الصراع بين البداوة والتحضر، في كتابه (شخصية الفرد العراقي، بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث)، بينما يرى الغرباوي للمؤثر السياسي التأثير الأكثر.

منشورات دار ليلي - لندن، الطبعة الثانية 2001

3 - المصدر نفسه، ص 50.

4 - المصدر نفسه، ص 166.

الطريق الصحيح هو وعي الواقع. والقبول بالحقيقة، (لم يقل قبول الواقع) والإستجابة للتنوع الموجود على الساحة العراقية، كي يشارك الجميع في رسم مستقبل بلادهم¹.

هذا ملخص مبسّط لا يغني عن قراءة الكتاب، للتوسع في الوقوف على طروحات الأستاذ الغرباوي التي أشاد العديد من الكتاب الأكاديميين في هذا الحقل المعرفي، أعني دراسة التراث وتداعيات تأثيره على تاريخنا المعاصر.

وبذلك قدم لنا تحليلاً سياسياً تاريخياً، وليس براغماتياً نفعياً، يصب في مصلحة جهة معينة. الغرباوي ينأى بنفسه أن يحابي أو يصطف مع جهة معينة.

عن الإمام علي بن أبي طالب (ع):

"لا يقيم أمر الله سبحانه وتعالى إلا من لا يصانع؛ ولا يضارع؛ ولا يتبع المطامع"

1 - المصدر نفسه، ص 164 - 166.

ثقافة التسامح

في فكر الباحث ماجد الضرباوي

بقلم: الأستاذ صباح محسن كاظم¹

من نافلة القول جميع الشرائع السماوية، وكل التقنيات والتشريعات الوضعية القانونية تدعو لثقافة التعايش والتسامح بين الاديان والشعوب، .. بالطبع عالمنا المعاصر وبعد الازمات العاصفة بالارهاب في مناطق عدة من العالم يرنو إلى عالمٍ يخلو من العنف.. وثقافة القتل.. وتقارب الافكار بالحوار، وإذابة جليد العقد المستعصية بين الاثنيات .. والطوائف.. والاديان في العالم.. فهناك مساحات مشتركة بين الانسانية بالايمان بخالق الكون وبعثة الانبياء والعمل الصالح لمنفعة البشرية بكل الاتجاهات الثقافية.. العلمية.. الصناعية.. الزراعية.. إلخ من الجوانب التي تستوجب التعاون الدولي..

إن ديننا الاسلامي ومن خلال دعوة القرآن الكريم والنبي العظيم محمد -صلى الله عليه وآله- وأئمتنا المعصومين وصحابة المصطفى الابرار قدموا دروساً في الحضارة الانسانية تدعوننا للتمسك بتلك القيم، والمثل، والمبادئ التي هي نبراس يهتدى بها، ..

فالدعوة الحققة هي السلام، الوئام، التعايش، التعاون، التآخي.. لكن ثقافة القتل هي صناعة الطغاة بأمّتيار شرعها ابو سفيان ومعاوية ويزيد والحجاج والسفاح وصادم وبن لادن وجميع من إتخذ الارهاب وسيلة لقمع الحريات..

1 - كاتب وباحث - العراق

ففي كتابيه (التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات) وكتابه الآخر (الضد التّوعي للإستبداد.. استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني) وجدت إن الرؤية الثاقبة لتحليل القضايا بشقيها- الماضوية والآنية- تتسم بالعمق، الشمول، التحليل المنطقي للأحداث مع معالجات لنزع فتيل الأزمات، وإستبدالها مفاهيم الحرية الفردية العقائدية وحقوق الانسان وهذا لعمري صميم الاطروحة الالهية في العقائد السماوية..

الشللية التي أصيبت بها الامة من الافكار المنحرفة عن مبادئ الرسالة والقيم الحمديدية والعلوية والحسينية أحد ابرز انتكاسات العقل المتحرر وبالتالي النكوص والتراجع الحضاري، فيما الامم تخطو سريعا نحو البناء الحضاري بالتكنولوجيا والعلم والثقافة الحقيقية، فحققت الازدهار والتقدم، أما الضمور الحضاري الذي نشهده بالعودة الى إعتناق أفكار السلف التي تنبع من عقد إقصاء وتهميش المنهج الحمدي الاصيل بإقصاء من يحاول إتباع الحق وعدم مهادنة الباطل والانصياع للطغاة وهذا ماسار عليه أئمتنا الاطهار من إمام المتقين علي بن ابي طالب وسيد الشهداء الامام الحسين -عليهما السلام- والعتره الطاهرة والصحب الابرار بمحاولاتهم إتباع المنهج القرآني بإقامة دولة العدل وإنصاف الفقراء وتحقيق العدالة الاجتماعية ونبذ العنف..

يطرح الباحث ماجد الغرباوي في المقدمة من كتابه الاول (لم يبق أمام الشعوب الاسلامية خيار للحد من ثقافة الموت والاحتراب والعداء والاقصاء المتفشية في كل مكان، سوى تبني قيم التسامح والعفو والمغفرة والرحمة والاخوة والسلام، لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف الى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتناحر، وهو عمل صعب يستدعي جهودا يتضافر فيها الخطاب الاعلامي مع الخطاب الثقافي والديني والسياسي والتربوي.....)¹. إن أزمة العقل التفخيخي المدمر التي تملئ عالمنا المعاصر من خلال فتاوى التكفير، ونشر ثقافة الكراهية والاستهانة بجماليات الحياة التي وهبت للإنسان ليحيى بالفكر والعلم والادب والفن تستدعي من طبقة

1 - الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية - بغداد، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2008م، ص 11.

الانتجليستا من نخب ثقافية واكاديمية وعلمائية اشاعتها واقتلاع تلك الروح الشريرة الهدامة التي تزرع الرعب في حياتنا وتحيلها الى جحيم ومأساة وأنين وثكالى وأيتام، بدلا من البسمة على شفاه الاطفال، وخضرة الحقول، وتطور التعليم، وبناء الامة....

يكتب الباحث الرائع الغرابوي منابع التسامح (.. ان التسامح نسق قيمى وأخلاقي يراد إحلاله محل النسق القيمي والاخلاقي الذي مازال يدير حركة المجتمع ويجدد اتجاهاته..)¹.

كذلك يتناول الباحث إن العنف الذي أصبح سمة العصر، وكبت الحريات، والتذلل للحكام الطغاة الذي يقمعون شعوبهم ويحكمون بالتوريث السياسي غير الشرعي، ودون الاحتكام لصناديق الاقتراع..، او من ينصبهم الاستكبار العالمي ويمدهم بمصادر القوة الامنية.. والمخابراتية الاخطبوطية.. لتمكنهم من شعوبهم، وقمع، واخراس كل صوت مناهض لسياساتهم هو ديدن حكام العالم الثالث، ومنطقتنا العربية، فنادرا ما نرى ويكاد يستحيل أن يأت حاكم عن طريق الانتخاب ويسلم السلطة ديموقراطياً ودستورياً..

أن يعي المجتمع ونخبه كما أسلفت أهمية ثقافة السلام والبناء يمكن تأسيس دولة حضارية ودولة الانسان وخلاف ذلك لا يتم بل تزداد الامور تعقيدا، وتشرذماً وتصبح دولة الطوائف والاحزاب والقوميات هي المرتكز والمحور كما شهدت ساحات كثيرة فعل التقاتل الطائفي كما في لبنان قبل عقود والصومال واليمن ومصر والجزائر والعراق والباكستان والهند وعلى مدار التاريخ البشري حدثت مذابح للارمن والمسلمين والكاثوليك والبروتستانت وحروب دموية خلف ملايين الضحايا في بقاع الارض.. لقد استفادت شعوب الارض من التجارب المرة وخراب الحروب لتحوّلها الى دفع حضاري نحو العلم والفكر والثقافة والبناء وضد ثقافة العنف والاستبداد السياسي والديني...

1 - المصدر نفسه، ص 22.

في هذا السفر الجميل بالافكار الناضجة والآراء المعرفية التي تساهم بتعزيز أنساق ثقافية في جسد الامة قد كافح من أجلها علماء كمحمد باقر الصدر- ومالك بن نبي- ومحمود شلتوت- ومحمد مهدي شمس الدين -ومحمد الشيرازي - وحسن الصفار - ومحمد صادق الصدر وعشرات من الراحلين الافذاذ... ولازال المئات من علمائنا ينادون بها لإيقاض الامة من هذا الغول الكاسح بالكراهية، والعنف ضد الآخر شاهدها العالم بأسره وآخرها وليس هو العمل الاجرامي الاخير قتل المسيحيين في العراق بكنيسة النجاة وماسبقها من اضطهاد وظلم وعنف طيلة 35 عاما من الدكتاتورية والجرائم اللاحقة ضد شعبنا بجميع مدنه،

نأمل من تلك المؤلفات القيمة ترسخ مبادئ التسامح وثقافة السلام ..

ماجد الغرباوي

رجل الاصلاح والنمضة

بقلم: الأستاذ طارق الكناني¹

ماجد الغرباوي مفكر عراقي، شأنه شأن أي مفكر، دائم البحث عن الحقيقة بدليل صحيح، لا يركن لقول واحد، ولا يتوقف عند رأي خاص مهما كان قائله.. يسعى لاكتشافها بمعزل عن الغيبات خارج حدود القرآن الكريم. فالعقل وكتاب الله ركائز ومرجعيات اعتمدها الغرباوي في هذا الحوار الذي دارت أسئلته حول العقيدة الإسلامية عامة والعقيدة الشيعية خاصة، لأنها الأساس الموجه لسلوك الإنسان، وما معاناة المسلمين اليوم مع الفئات الدينية المنحرفة إلا بسبب عقائدهم وسوء فهمهم لغايات وأهداف الدين الحنيف فتسببوا في تشويه معلمه .

قد يعترض البعض أن كتب الحديث تشتمل على تفصيلات يحتاجها المسلم ولم يفصلها الكتاب الكريم، فتكون الأحاديث وسنة الرسول مكملّة للكتاب الكريم. وهذه وجهة نظر صحيحة إلى حد ما ولكنها ليست حاسمة، فوجود نص نبوي لم يَحُلْ دون وجود الاختلاف في مجال العقيدة. فكثرة التفسيرات القرآنية التي وردتنا عبر كتب التاريخ والحديث جاءت متناقضة، يغالط بعضها البعض وفيها الكثير من الغلو والغيبات التي لا تطمئن لها النفس. من هنا نجد أن الحوار الذي اعتمدناه مع الأستاذ ماجد الغرباوي ونشر تحت عنوان: مدارات عقائدية ساخنة²، جاء وفقا لمعطيات قرآنية – عقلية لا تحافي الصحيح من الأحاديث والسنة الشريفة، بعيدا عن التعصب والغلو، خاصة بالنسبة لمعتقدات الطائفة الشيعية حول أئمة أهل البيت ودورهم الرسالي. لهذا نجده يدعو في هذا الحوار إلى حملة توعية كبرى تناقش من

1 - كاتب وروائي عراقي

2 - مدارات عقائدية ساخنة.. حوار في منحنيات الأسطورة واللامعقول الديني، ط2، 2017، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا ودار أمل الجديدة، دمشق - سوريا

خلالها كافة المعتقدات الموروثة منذ مئات السنين لتنقيتها مماعلق بها من خرافة وأسطرة جاءت بسبب السباق الطائفي المحموم الذي شهدته القرون الماضية لاثبات أحقية أشخاص دون سواهم فأورثنا هذا الفعل كثيرا من المعتقدات الخاطئة التي أصبحت الآن جزءا لا يتجزأ من فهمنا للدين والعقيدة الاسلامية. وأنا هنا لا أبرأ عقائد أية طائفة، ولكني أحيي الأستاذ ماجد الغرباوي في جرأته وقدرته على عبور كل الخطوط الحمراء التي وضعها رجال الدين، حينما تجاوزها بوعي بعيدا عن التعصب، فكان يرحب وهو يحاور بأية وجهة نظر لكنه يؤكد دائما: لسنا ملزمين بقبول كل ما يعتقده الآخرون، أو بعضه. لقد طرح آراءه بوضوح وشفافية مستدلا عليها بالقرآن الكريم، مرجعنا جميعا، وتبقى مسؤوليتنا مناقشة كل ما طرحه الاستاذ الغرباوي مناقشة هادئة شفافة بعيدا عن التعصب الأعمى والإنفعالات الطائفية التي أورثتنا الدمار والقتل.

هكذا كان هذا الكتاب نهاية حوارنا الذي كنا قد بدأناه مع الأستاذ ماجد الغرباوي وهو المحور الثالث ضمن ثلاثة محاور، تم نشر المحورين الأول والثاني منهما ضمن كتابنا الأول: (رهانات السلطة في العراق .. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي) الذي صدر عن دار أمل الجديدة - سوريا، والذي تناولنا فيه موضوعات الفكر القومي ورهانات السلطة في العراق. وخصصنا المحور الثالث، أي هذا الكتاب، لمناقشة قضايا عقائدية مهمة، منها: المخلص في الديانات الحديثة، والمهدي المنتظر في الدين الاسلامي، والمرجعيات الدينية والتقليد، والخمس، والرجعة، ولذلك تقرر إصدارها في كتاب مستقل لأهميتها. وقد تناول الكتاب أيضا قضايا خلافية، حيث ناقشها الباحث والمفكر ماجد الغرباوي بموضوعية وحيادية استند فيها على التحليل العلمي والنصوص القرآنية بعيدا عن التعصب والانحياز. فحاكم جملة معتقدات يعتبرها الكثير منّا مسلمات لا يرقى لها الشك. ودليله في ذلك كتاب الله والعقل وما صح من الأحاديث النبوية الشريفة.

لقد أجاب المفكر ماجد الغرباوي في هذا الحوار عن تساؤلات تمثل نبض الشارع الباحث عن الحقيقة وسط زحام الأفكار المتوارثة والأحاديث التي لم تعد مقنعة لجيل يعيش ثورة فكرية وعلمية وتكنولوجية كبيرة، وفي كل يوم يصطدم بالإرث واللامعقول

الديني. للأسف الشديد رغم هذا التنوير لكن مازال بعضنا يتقمص دور شخصيات القرن الأول الهجري ويقتدي بهم صورياً ويقلدهم بعيداً عن جوهر عقيدتهم ودينهم ومستوى إيمانهم وفكرهم وعقائدهم التي يمكنه الارتكاز عليها. لكننا اضعنا الكثير بسبب التقليد الأعمى لرجل الدين.

لقد ناقش الباحث ماجد الغرباوي فكرة المخلص في الديانات المأخوذة عن البوذية، وتناولها بأسهاب مبيناً مضمونها. كما تطرق الحوار لقضية المهدي المنتظر عند المسلمين وتداعيات هذا المعتقد بين كونها فكرة تبعث على الأمل في تحقيق العدل الإلهي وبين كونها فكرة مثبطة للعزيمة. ومن هذا المنطلق تدرج الحديث إلى تاريخ المرجعية والمباني التي ارتكزت عليها مسألة التقليد.

لقد فتح الأستاذ ماجد الغرباوي الباب على مصراعيه في هذا الكتاب من خلال طروحاته الجريئة، التي قد تحدث هزة في الفكر الجمعي العقائدي للمسلمين عموماً والشيعية منهم على وجه الخصوص، وستكون هناك ردود أفعال متباينة في قوتها واتجاهاتها ولكنها بالنتيجة ستصطدم بالعقل والمنطق بعد أن يدافع كل فريق عن طروحاته العقائدية بل وسيستमित البعض ممن تؤثر عليهم هذه الطروحات في نفياها وإثبات الأفكار القديمة بنفس الأسلوب وليّ عنق الآيات لتلائم مع طروحاتهم، وما يهمننا وجود حراك فكري وإشعال جذوة الحوار البناء للوقوف على الحقائق وإحداث حالة من التحرر الفكري الذي يجعل هذه المجتمعات المغلقة تنظر إلى أفق جديد وإلى عالم آخذ بالازدهار وفق رؤى حديثة ومتطورة وتجعل من الإسلام ديناً حياة قابلة للتجدد واحتواء كل ما هو نافع للبشرية.

ماجد الغرباوي والإصلاح

هذا الحوار يقع ضمن المشروع الإصلاحي لماجد الغرباوي، وهو باحث متخصص في الدراسات الإسلامية، وأحد رجال الإصلاح الديني في العصر الحديث، من خلال كتبه وطروحاته الفكرية فيما يخص النهضة والتسامح الديني والثقافي، فطالما عالج موضوعات التخلف الحضاري، العنف والإرهاب، الحركات

الإسلامية ودورها السلبي في المجتمع، والعلاقة بين السياسة والدين. وأصدر سلسلة رواد الإصلاح للتعريف بمشاريعهم وأهدافهم الإصلاحية، ومدى تأثيرهم في النهضة الإسلامية.

ولم يقتصر الغرباوي على ما تقدم بل راح يدعو علانية الى إعادة فهم الدين وفقا لضرورات الزمان والمكان ومتطلبات العصر والمجتمع والإنسان، والاستفادة من معطيات العلم وتراكم التجربة البشرية، كما دعا بصوت مرتفع الى إعادة النظر في فعالية الأحكام الشرعية، ومدى صلاحيتها بعد انتفاء موضوعاتها، وحذر علنا من تزوير الوعي ومكائد رجال الدين، وتوظيف الدين لمكاسب سياسية وأخرى شخصية أو أيديولوجية. ولا غرابة فإن ماجد الغرباوي مفكر وباحث، يسعى من خلال مشروعه الى: ترشيد الوعي بعد تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتدايعات العقل التقليدي، عبر قراءة متجددة للنص الديني تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، كشرط أساس لنهوض حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتناوب والاحتراب.

وطالما أكد الغرباوي في تشخيصه لأسباب التخلف والسبل الكفيلة بالنهوض الحضاري: إن المشكلة الأساس وبالدرجة الأولى ثقافية، تتعلق ببنية العقل، والنظام المعرفي لشعوب المنطقة، لأنها القاعدة التي تركز اليها النهضة، أية نهضة كانت .

ويختلف ماجد الغرباوي في تشخيصه لأسباب التخلف وعوامل النهضة الحضارية، حيث راح يتوغل في العقل والثقافة باحثا عن كيفية تكوّن البنى المعرفية وما هي المفاهيم والمقولات المؤسسة لها، فكان وما زال يؤكد على نقد جميع الثوابت والقناعات وإعادة تفكيك العقل وبنائه وفق قيم ومقولات حضارية، لهذا أكد كثيرا على فهم الدين كمكون أساس لشعوبنا، فاعتبر الفهم الخاطيء للدين أحد الأسباب الرئيسية وراء تخلف المسلمين حضاريا. وبهذا امتاز عن غيره من رواد النهضة بقدرته على التشخيص والنقد الذي يغور في أعماق الثقافة والفكر، فما عادت الأسباب المطروحة من قبل الرواد الآخرين كافية لوجود نهضة حقيقية بل ما زال الوضع ذاته اذا لم يكن أسوء مع ظهور حركات التكفير الديني.

نظرة انسانية متطورة في كتاب التسامح ومنابع الاتسامح لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ جمعة عبد الله¹

كتاب التسامح ومنابع الاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات للأستاذ ماجد الغرباوي²، انجاز فكري متألق ورائع ومتكامل في طرحه ومقارباته لقضايا حساسة ذات شأن خطير وحيوي تناولها برؤية انسانية متطورة.

يتسم الكتاب بعلميته وموضوعيته بعيدا عن التحيز والتحريف. ولهذا يعتبر معينا فكريا وثقافيا لكل قارئ ومثقف ومتابع، يبحث عن التسامح ويدعو للمحبة والعيش المشترك بسلام.

ان تعايش المجتمع وتطوره وازدهاره في المجالات الفكرية والثقافية، لا بد ان يسبقه اعتراف حقيقي بالحقوق المتكافئة لكل شركاء المجتمع، بجميع مكوناتهم. ولا بد ان تسود لغة الحوار والتواصل والتعايش السلمي والتسامح بكل اشكاله الاجتماعية والدينية والقومية والعرقية وتتجلى فيه الحرية الشخصية، وحق التعبير وحرية الاعتقاد، وبالتالي ضمان حقوق الآخرين. بهذا الشكل يمكن للتسامح ان يساهم من خلال قيمه الانسانية في توحيد المجتمع، وخلق روح مواطنة صادقة، تقدم الجميع

وحيثما تختفي قيم التسامح في المجتمع تطفو النزعات والخلافات على شكل موجات عنف متواصلة، تترك نتائج مروعة تنعكس سلبا على المجتمع واستقراره. وتقضي على جميع محفزات التعايش السلمي. وهذه يخالف القيم الانسانية عامة،

1 - كاتب وناقد ومترجم - اليونان.

2 - الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع الاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، بغداد - العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2008م.

وتعاليم الدين التي تدعو الى المحبة والتعاون والاخاء والسلام، فكيف يرتكب هؤلاء المتطرفون الدينيون كل هذه الجرائم باسم الدين؟. وهنا يأتي دور الموعظة الحسنة في خطاب رجال الفكر والثقافة، الذين تقع عليهم مسؤولية تحصين العقل والفكر من شرور التعصب والشوفينية والعنصرية وتبني قيما ترفض الحقد والكراهية والفرقة والفتنة بين افراد المجتمع الواحد.

ولا يمكن ان تسود قيم التسامح إلا اذا (قام التسامح على سلسلة فكرية وثقافية يخضع لها الفرد والمجتمع، كي يعمل بشكل صحيح ومؤثر)¹ وبهذه الشكل تنحصر مساحات التشدد والتعصب واللاتسامح والعنف من مواقف سياسية واجتماعية تقضي دائما الى تأزيم العلاقات ثم الدخول في متاهات الحروب والعداء. وبهذه الرؤية الموضوعية يشخص الباحث الغرباوي منابع اللاتسامح كالعنف والتعصب والاضطرابات التي تحيط بالمجتمع، والتي تهدد التسامح الحقيقي، وتترك المجتمع في دوامة الصراعات السياسية والطائفية والنزعات الداخلية، ويدعو الى مكافحتها من خلال ثقافية واعية. إن الأوضاع المتوترة، والصراعات المستمرة، تفرض على (الانسان ان يكون متسامحا وهو يعلم بضعفه وكثرة اخطائه، وانه ليس معصوما في سلوكه واعماله)². وكانت الحالة العراقية حاضرة في كتاب "التسامح و منابع اللاتسامح" للاستاذ ماجد الغرباوي، بكل تفاصيلها المعقدة والمتشابكة وما تحمله من موروثات ثقافية وفكرية يستعرضها بكل واقعية وموضوعية. ويؤكد ان طريق التسامح هو (احدى القيم التي يعتمد عليها المجتمع للخروج من ازمة الصراع الديني والسياسي على اساس التكافى في الحقوق السياسية والعقيدة . بعيدا عن الاقصاء والتهميش)³. فهو يطرح التسامح من بعد انساني كحل دائم لانهاء الصراعات السياسية وغيرها، في بلده العراق وفي جميع الدول التي ابتليت بالحروب الداخلية والخارجية. من هذا المنطلق يعطي الباحث مفهوما للتسامح بدلالات تخرجه من الابتذال والفهم الخطئ له، فقد يفهم من التسامح معنى التذلل او الخضوع للامر الواقع او المهادنة والخوف فيضطر الى التنازل

1 - المصدر نفسه، ص 12.

2 - المصدر نفسه، ص 11.

3 - المصدر نفسه، ص 15.

عن حقه او القبول بشريعة الباطل والسكوت عن شريعة الحق او التساهل او غض الطرف بل (يراد بالتسامح - كما جاء في الكتاب - اصطلاحا موقفا ايجابيا متفهما من العقائد والافكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والاقصاء)¹ وحق التعبير. فهو لا يعني احتكار الحقيقة لان (الحقيقة وجود نسبي لدى جميع الافراد، ولا مبرر حينئذ لدعوى احتكارها والتفرد بها)² فقبول الآخر، والتعايش معه، والاعتراف به حقيقية لا منة ولا تكبر، يسمح باعادة النظر في تقاليدنا ومورثنا الثقافي والفكري. وفي هذه الحالة ستكون المراجعة مفيدة، تضعنا على الطريق الصحيح، وتنفض التراب عن الافكار الدخيلة التي تحطمت روح التسامح فيها. عندها سيتضح بان (مفاهيم التسامح ليست غريبة في روحها عن اصول ديننا وعقيدتنا، وانما اقتصرها القراءات الاحادية والفهم المتحيز للدين)³. ومن هذا المنطلق يدعونا الباحث الى الدخول في (مرحلة الحداثة الحقيقية وليست حداثة شكلية كما هو الحال لكثير من البلدان الاسلامية). بمعنى فهم الابعاد الانسانية للتسامح، كي يساهم في حل صراعتنا وتسوية ازماتنا، بشكل يخدم الجميع، لا فرق بين شخص وآخر، مهما اختلف في ثقافته وافكاره وجنسه وقوميته.

وسعى ماجد الغرابوي الى بيان الابعاد المختلفة للتسامح لكي يكون واضحا للجميع، فالتسامح عنده يعني قبول الآخر، ويتساءل، هل حقا يتقبل الفرد عندنا الآخر المختلف عنه دينيا ومذهبيا وطائفيا ام لا؟ فما لم يعترف به حقيقة لا يصدق مفهومه لأن (التسامح يعني اعترافا بالآخر والتعايش معه على اساس حرية العقيدة وحرية التعبير)⁴. ويقابل التسامح بمعناه الانساني الجميل مفهوم (التعصب هو رفض الآخر وسلب حق الاعتقاد وحق التعبير عن رأيه)⁵. وهنا تكمن اهمية التسامح بمفهومه الشامل للتسامح الديني والسياسي والاجتماعي ودورها في الحياة العامة. فما

1 - المصدر نفسه، ص 17.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص 18.

4 - المصدر نفسه، ص 23.

5 - المصدر نفسه، ص 25.

احوج عراقنا اليوم الى هذه المبادئ السامية. مبادئ نقيضة ومعاكسة لمضامين الشوفينية او العنصرية والتعصب وجميع منابع اللاتسامح. وقد تناول الكتاب جميع القضايا المرتبطة بموضوع التسامح، بما فيها الموروثات الثقافية والفكرية والقراءات المختلفة للنصوص الدينية، ونصوص الكتاب الكريم ايضا. كل ذلك من أجل بيان الابعاد الانسانية للتسامح كي يأخذ دوره كاملا داخل المجتمعات المتعددة دينيا وطائفيا وقوميا، ويساهم في وحدة شعوبها.

منابع اللاتسامح

حصر الكتاب منابع اللاتسامح أو يؤر اللاتسامح في خمس بؤر، هي:

1 - منطق العنف: وهو سمة المجتمعات غير المتحضرة، التي ترفض الاحتكام الى القانون (وترتكز للعنف في تقرير مصيرها وانتزاع حقوقها وتسوية خلافاتها)¹. إن قيم العنف لا محال تتأثر بقيم القبيلة والعشيرة في ممارسة العنف، واستخدام القوة لاثبات منطق الشجاعة والرجولة او اسلوب (التسوية الخلافات وتصفية الحسابات بما في ذلك الحكومات والانظمة السياسية غير الشرعية)² وهذه صفة عامة للحكومات الاستبدادية في الايغال في وسائل العنف وفرض سطوتها بالقوة، واستخدام التعصب لها وسيلة لتأجيج دواعي العنف، واعتماد سياسة اللاتسامح كمنهج سياسي وهي تتخلى عن مفاهيم السلام والعدل والتعايش السلمي داخل المجتمع الواحد

2 - الولاء القبلي: ان العشيرة او القبيلة تلعب دورا فعالا في المجتمع. وقد يكون دورا خطيرا، عندما يحصل تقاطع بين ولاء القبيلة وولاء الوطن، ينعكس على الهوية الوطنية. فلمن ينحاز المواطن في هذه الحالة؟ أو لمن تكون الكلمة الاولى . هل للقبيلة؟ ام للقانون؟ وهل يطبق شريعة القبيلة ام شريعة الدولة؟. في هذه الحالة،

1 - المصدر نفسه، ص 27.

2 - المصدر نفسه، ص 29.

المطلوب من أجل التخلص من تباعات الولاء القبلي، أن (تشكل القيمة الاجتماعية للفرد لا على أساس انتمائه القبلي، وإنما على أساس انساني، فهو انسان قبل كل شيء)¹. جدير بالذكر أن الانحياز الى قانون الدولة، لا يعني اتخاذ موقف عدائي من القبيلة او العشيرة بل (توظيف قيم العشيرة لصالح الشعب وخدمة للوطن)². وبهذا يمتلك النظرة الصائبة بالتخلي من التعصب القبلي على حساب المصالح العامة للوطن.

3- سلطة القيم: او علاقة الفرد بالقيم وما تمثله من مكانة بالنسبة اليه وما تشكله من بعد اجتماعي مرتبط بقيم التسامح او بقيم التعصب باعتبار (ان اغلب القيم الاجتماعية قيم مصطنعة فرضتها مصالح النخبة الثقافية والاجتماعية)³. وتتصف مجتمعاتنا او المجتمعات الشرقية بصفة عامة بأنها (مجتمعات ذكورية يتمتع الرجل بصلاحيات واسعة في مقابل تهميش المرأة وتحقيرها، وتلغي وجودها)⁴ وما تعانيه المرأة من خلال هيمنة النظام الابوي.

4 - الاستبداد السياسي: والذي يعتبر العدو اللدود وخصما شرسا لقيم التسامح، وتكمن صفات هذا الاستبداد في (عدم الاعتراف بالحقوق السياسية للآخرين، التي منها حقه في ممارسة السلطة)⁵. ويتمثل استبداد الحاكم المستبد ب (سلطاته الواسعة، وامتيازاته المتعددة، خطوطا حمراء يمنع تخطيها او القفز عليها)⁶. وهذا ما قاست وعانت منه الشعوب وخاصة الشعب العراقي من ظلم وجور وقهر وتعسف كأن (قدر الشعوب الاسلامية ان تبقى مسلوبة الارادة وعاجزة، قاصرة وغير قادرة على ادارة نفسها)⁷. او الانسلاخ من رحاب الحرية والكرامة.

1 - المصدر نفس، ص 36.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص 42.

4 - المصدر نفسه، ص 43.

5 - المصدر نفسه، ص 52.

6 - المصدر نفسه.

7 - المصدر نفسه.

5 - التطرف الديني: وهو اخطر منابع (اللاتسامح لتبليسه ببعد شرعي وتوظيفه للنص الديني)¹. ويؤكد الباحث القدير على مسألة جوهرية في غاية الدقة والخطورة وهي (ليس غريبا ان يكون اكثر المتطرفين الدينيين ممن لم تسعفهم كفاتتهم العلمية والثقافية في ادراك الحقيقة)². وحقيقة التطرف الديني أنه (لا يعدو كونه قراءة مجتزئة للنصوص)³. وكذلك فإن (ازمة التطرف في بساطة الوعي وضحائه واختلاله، وعدم القدرة على فقه النص)⁴. وقد استعرض الباحث نماذج من هذا التطرف واساليه في تؤول النصوص الدينية، واشاعة شريعة اباحة الدم وقتل الابرياء حتى بات للرأي العام والعالمي بان (الاسلامي يساوي الارهابي، والارهابي يساوي الاسلامي)⁵. وتناول الكاتب بالنقد أحد الظواهر الخطيرة التي برزت على المسرح السياسي في السنوات الاخيرة، وهي ظاهرة فتاوى التكفير بشكل واسع. والتي (تعتبر فتاوى التكفير وخطب التحريض وليدة فكر ظلامي متطرف وقراءات احادية للنصوص الدينية، القرآن والسنة)⁶.

رؤية انسانية لقيم التسامح في المجتمع

يتسم ماجد الغرابوي في بحوثه بالعلمية والموضوعية. وقدرته على تناول موضوعات حساسة، ملتزمة وفق رؤية معاصرة. قضايا طالما شغلت بال المعنيين بشؤون الفكر الاسلامي قبل غيرهم. يعالجها في ضوء العقل والقرآن الكريم، بنظرة خالية من التحيز او التحريف او تطويع النصوص الدينية لاغراض بعيدة عن قيم الدين، خاصة موضوع التسامح. وهذه ميزة الباحث النزيه، في مقابل من يعمد الى تشويه الحقائق او تأويلها لاغراض سياسية بعيدة عن النص الديني.

1 - المصدر نفسه، ص 56.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص 57.

4 - المصدر نفسه.

5 - المصدر نفسه، ص 60.

6 - المصدر نفسه، ص 64.

حقا ان قيم التسامح تقع بالضد من الكراهية والحقد والارهاب الاعمى والعنف بكل اشكاله، في المجتمعات الاسلامية وغيرها على السواء. التسامح قيم انسانية ودينية، تحتاجه المجتمعات المتنوعة، بجميع مكوناتها وطوائفها الدينية والعرقية والقومية والقبلية والاجتماعية والسياسية. لذا يجب ان تعم قيم التسامح جميع فصائل المجتمع، بدءا من اصغر وحدة فيه، وهي الاسرة او البيت الى رجل الدين ورجل السياسة ثم الى اعلى هرم في الدولة والسلطة. ومن المثقف الى المفكر وغيره مهما كان تخصصه، للحد من الخطاب التكفيري المتشدد. او الحد من النظرة المتعالية للاديان الاخرى، التي تصف الاخرين بالكفر او الارتداد. أو تجعلهم اعداء للاسلام، كما تفعل الجماعات المتطرفة والمتشددة والسلفية التي تبيح قتل الأبرياء باسم الاسلام، رغم أنهم مسالمون.

أسس التسامح

أسس التسامح كما جاء في كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح للاستاذ ماجد الغرباوي، هي:

1- حقوق المواطنة: ومفهوم المواطنة هو (الاعتراف بالآخر وبحقوقه، او لا اقل قبوله وقبول التعايش معه سلميا وفق حقوق مشتركة لجميع المواطنين)¹. والمساواة بالحقوق والواجبات، ووحدة الانتماء الى الوطن، بغض النظر عن انتماءاتهم القومية والدينية. فهي مزايا وطنية يتمتع بها المسلم وغيره، كما جاء في القرآن الكريم والسيرة النبوية التي تؤكد بشكل لا يقبل التأويل على التعايش المشترك بين المسلمين وغير المسلمين، في اطار وطن واحد يعترف بالتعايش واحترام الاديان، وحق اتباعها في ممارسة شعائره الدينية في حدود القوانين والانظمة في ذلك البلد.

2- سيادة القانون: ان قيم التسامح في المجتمع لا تلغي سيادة القانون وسلطته، بشرط أن يحقق هذا القانون مصالح الجميع، وينبثق عن، حكومة منتخبة. من

1 - المصدر نفسه، ص 76.

الشعب ويعتمد على ارادة الشعب، بالضد من القانون الذي يحمل في طياته فقاعات عنصرية او شوفينية او طائفية او دينية متعصبة. ويجب ان تعم المساواة في تطبيق قوانين الدولى، لأنها قوانين صادرة عن (ارادة الشعب، وقد تمت الموافقة عليها)¹.

3- اعادة تشكيل قيم التفاضل: تتحكم في عقلية الفرد جملة قيم تتحكم في سلوكه وتفكيره، بما فيها الدين والاخلاق والاعراف والتقاليد القبلية ومجموعة قيم مختلفة أخرى، كلها تحدد طريقة تفكيره، فقد تفضي به الى الخير او بالعكس، عندما تكون قيم لا انسانية ولا دينية. فعلينا اعادة تشكيل قيم التفاضل على أسس صحيحة، وفق قيم دينية وانسانية كقوله تعالى: (لا اكراه في الدين) واحترام الاخر، والاستفادة من سيرة الرسول الكريم في تعامله مع غير المسلمين، فإن هذا النوع من القيم يهديك سبل الرشاد، ويمنحك رؤية انسانية جديدة، ويمتلك بالتقوى والفضيلة وسمو الاخلاق والجهاد والعلم الذي تنتفع منه البشرية ويستحق التقدير والاحترام، (ويصلح بجدارة ان تتحول الى قيمة تفاضلية)² لها صدى واسعا.

4- اطلاق الحريات العامة: لاشك ان الحريات العامة تؤدي دورا فعالا في المجتمع. وتساعد على ترسيخ القيم الانسانية بين ابناء الوطن الواحد. وهي بالضد من انعدام الحريات، حيث يكون الشعب تحت رحمة مطرقة الاضطهاد والكبت والحرمان، التي تؤدي بروز الخوف والقلق والخشية من العواقب، وكذلك تبرز مظاهر التكنم على الحقيقة وشيوع ظاهرة النفاق والتملق. وتسيء العنف في الحياة العامة التي تسلب حق الآخرين في اختيار طريقة اسلوب الحياة، ومثل الانظمة الدكتاتورية التي تخنق بوادر الحياة الحية. وتجربة العراق غنية في هذا المجال من اضطهاد وقهر وسلب الارادة، لذا فان الحرية تكون (سلاح ماض لتحطيم قيم الكراهية والاحقاد، واداة ناجحة لترسيخ قيم التسامح)³.

1 - المصدر نفسه، ص 104.

2 - المصدر نفسه، ص 120.

3 - المصدر نفسه، ص 122.

في الختام، يستعرض الكتاب (60) آية من آيات الكتاب الكريم تدعو الى التسامح والعفو والمغفرة والرحمة، جاءت بعنوان: نصوص غيبها النسخ¹، وهي تتجاوز بالكثير من الآيات التي تدعو الى العنف او السيف، التي يجب عدم تعميمها بل مناقشة ظروفها وزمانها والحاجة التي دعت اليها في ذلك الزمان والوقت. وان لا تكون ذريعة لبعض المتشدددين والمتطرفين في الدين من استخدامهما في الظرف الراهن، اي في غير زمانها لتبرير نهجهم الارهابي في القتل وارتكاب الجرائم باسم الاسلام.

هذه قراءة أولية لكتاب: التسامح ومنابعه للتسامح.. فرص التعايش بين الاديان والثقافات، للأستاذ ماجد الغرباوي، سعت لتسليط الضوء على الابعاد الانسانية في مفهوم التسامح، ومدى اهميتها لمجتمعاتنا.

1 - المصدر نفسه، ص 141.

التسامح ومنابع الاتسامح

قراءة في كتاب ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ محمد هروان¹

منذ تمهيده في هذا الكتاب يسعى ماجد الغرباوي الى اشاعة قيم التسامح والتعايش والتفاهم على أسس إنسانية. بعيدا عن العنف والتطرف والكرهية والغلو. لهذا دعا لتقديم قراءة جديدة للدين والنصوص المقدسة. وشدد على ضرورة إرساء مقاربة تشاركية بين السياسي والديني والتربوي والاعلامي والثقافي، للحد من مشاعر الاقصاء والاحترا ب، إذ (لم يبق امام الشعوب الاسلامية خيار للحد من ثقافة الموت والاحترا ب والعداء والاقصاء المتفشية في كل مكان، سوى تبني قيم التسامح والعفو والمغفرة والرحمة والاخوة والسلام، لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف الى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتناحر)². وإرساء مبادئ سامية تجعل من المجتمع مجالا مفتوحا، يتولى أفرادة إدارته وتدير شؤونه وتجاوز أزماته التنموية المستعصية.

إن القيم المغايرة للمألوف في واقعنا الذي يتسم بشيوع الفكر الانتحاري دون الفكر الحيوي واليقظ، وجنوحه للكرهية بدل الحب، والتنا ب بدل الوئام، يتطلب تنزيلها على ارض الواقع، والعودة الى الذات لمساءلتها، واعادة النظر في تراكمات التراث المعيقة والمكبلة لتتفتق عبقرية الفرد في الوجود. هي دعوة صريحة الى التقوية والمعالجة من أجل مستقبل أفضل.

1 - تربوي وكاتب - المغرب

2 - الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع الاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية - بغداد والعارف للمطبوعات - بيروت، ط 2008م، ص 15.

يرتكز الغرباوي في دراسة التسامح، المقابل للتعصب كضد نوعي، الى عنصرين هامين، الاول هو الاسلام كدين يحمل خصوصيات مشتركة بين جميع التوجهات التي انجبتها. وايضا يتميز ببعده العام الذي يدعو الى التعايش والتعارف. وقد اتخذ الكاتب العراق نموذجا لدراسة موضوع التسامح وضده النوعي العنف، لأسباب بينها داخل الكتاب¹.

وقد يتساءل أحد عن الرابط بين مجتمع العراق الذي ينتمي اليه الغرباوي ومجتمع المغرب الذي انتمي اليه، واجيب ان هناك قضايا متشابهة واخرى متباينة، ولعل ابرز وجوه التشابه سيادة الدين الاسلامي، بيد ان اشكال التدين تختلف. فالعراق يزخر بتعدد الديني والمذهبي، وهناك إلى جانب الإسلام، المسيحية والصابئية المندائية، بينما المغرب اغلبية مسلمة تبني المذهب المالكي منذ أكثر من اربعة قرون. ورغم التعددية الدينية في المغرب الا انها ليست بمستوى العراق. لكن كلا البلدين يعاني من أزمات سياسية. فكلاهما لم يحقق الى الآن تقدما حقيقيا على مستوى الديمقراطية، وهناك أزمات مستعصية يعاني منها كلاهما، كدعوات الانفصال القومي والعربي، ووجود المتطرفين وانتشار ثقافة الكراهية، وغير ذلك، ولا حل أمامهما سوى تبني ثقافة التسامح والعفو والاعتراف بالآخر من أجل مجتمع مدني، والتأكيد على حقوق الإنسان والانتقال السلمي للسلطة، وإشاعة قيم المحبة والوئام والتعاطف والرحمة.

دلالات التسامح

يعرف الغرباوي المفاهيم المفتاحية المرتبطة بموضوع الكتاب، فالتسامح لغة من السماح والجود اي الموافقة على المطلوب، والمسامحة تعني الجود والسخاء والكرم والمساهلة، اما التسامح فيعني التساهل.

1 - المصدر نفسه، ص 18.

ويشير الى ان مفهوم التسامح ظهر في القرنين السابع عشر والثامن عشر¹ في بيئة غربية كانت بحاجة اليه لتجاوز خلافاتهم الدينية والسياسية والايديولوجية. وقد اتخذ المفهوم اصطلاحاً عدة تعريفات مفادها احترام الحرية الفردية وحقوق الانسان وتقبل الآخر قصد تحقيق التعايش في المجتمع دون تميزات فكرية او دينية، وهذه المبادئ لا تتحقق الا بالكف عن دعوى احتكار الحقيقة التي اوضحت في ظل الحضارة الغربية متعددة ونسبية وما من احد لديه الحقيقة المطلقة بل كل لديه فهمه الخاص للامور.

مفهوم التسامح بهذا المعنى غريب عن البيئة العربية الاسلامية، كما يصرح الغرابوي، لذا يدعو الى تبنيته لينسجم مع ثقافتنا، او تسييقه contextualiser اي تنزيله وفق السياقات الثقافية للمجتمع، مع الحفاظ على روحه ومقاصده العليا². وقد اشار الى ان الاسلام لا يخلو من قيم التعايش والتعددية واحترام الآخر المختلف انما غيبتها القراءات الاحادية والمتحيزة والجامدة التي تحاول التفرد بالحقيقة واقصاء الثقافات الاخرى او النظر اليها بعين الاستهزاء. من هنا وجب تغيير هذه المنطلقات من اجل الدخول في الحداثة بشكل فعلي وليس شكلياً، كما هو الحال في عديد الدول الاسلامية³.

التسامح وفق قراءة الغرابوي ليس بالضرورة تنازلاً امام الآخر او انصياعاً له واتباعه فيما يعتقد او يريد، انما (يصار الى صيغ توافقية تبقي الاحتمالات مفتوحة لمراجعة جميع المفاهيم والمقولات التي تشترك في تكوين الانساق المعرفية. أي يمكن اعادة النظر بمفهوم التسامح نفسه ومراجعة قيمنا ومفاهيمنا ايضاً للتأكد من صحتها وشرعيتها)⁴. ويؤكد الغرابوي ألا حل أمام التنوع والاختلاف الديني والثقافي في جميع المجتمعات، ومنها مجتمعاتنا، والمجتمعات الاسلامية خاصة، سوى التسامح والتعايش.

1 - المصدر نفسه، ص 20.

2 - المصدر نفسه، ص 21.

3 - المصدر نفسه، ص 22.

4 - المصدر نفسه، ص 21.

وفسح المجال امام الحرية السياسية التي تقتضي اعطاء الحق لكل فرد في الانخراط والمساهمة في الحكم شريطة التوفر على الضوابط والنزاهة.

منابع اللاتسامح

يؤكد ماجد الغرباوي ان الموروثات العريقة الممتدة منذ تاريخ قديم تلعب دورا في ترسيخ اللاتسامح، فما زالت شعوبنا محافظة على نسق فكري وعقدي دوغمائي يرفض الآخر ويقصيه. وعندما يتسامح معه يتسامح معه على أساس التفضل والمنة. بينما مفهوم التسامح الحقيقي عنده يتجاوز هذا النمط من الافكار. فمفهوم التسامح عنده وليد (منظومة قيم موروثية تشكلت عبر ماض سحيق، ظل الشعب يتوارثها ويتعهد بها ويلتزم بها ويحافظ عليها. وطبيعة هذه القيم انها تتقاطع مع قيم التسامح، لانها تكرس صفة العصبية والرفض والاقصاء)¹.

1- العنف:

العنف هو المصدر الأول والأساس للاتسامح على مر التاريخ. هذه الظاهرة، التي لازمت المجتمعات البشرية، وصارت لصيقة بها، رغم تعدد اسبابها. وقد أدرج المؤلف الدفاع عن النفس ضمن هذه الأسباب، بل هو أولها، حيث لجأت اليه المجتمعات البدائية لحماية نفسها من الاخطار المحيطة بها من كل جانب. حتى اضحى العنف جزءا من ثقافة الشعوب، تقاس به رجولة الفرد، ومدى قدرته على ممارسته. (واستمر العنف صفة ملازمة لكثير من الشعوب رغم اختلاف الظروف وتطور الحضارات وتوغلها داخل العمق الجغرافي لاغلب البلدان في العالم. وهي صفة للبداءة اكثر منها صفة للمدنية والحضارة. ولهذه الظاهرة اسبابها وجذورها التاريخية)².

1 - المصدر نفسه، ص 26.

2 - المصدر نفسه، ص 27.

إذن العنف كان السبيل الوحيد لإثبات الذات لمن يفتقر الى مؤهلات التسامح والعيش المشترك على أساس إنساني.

وللاسف الشديد مازالت المجتمعات تتعهد العنف والروح الانتقامية. تستعيد الماضي ومشاكله، ولا تعرف طريقا لتسوية الخلافات الا العنف. وقد ساعد على ذلك عنف السلطة السياسية، واحترام الناس لها مادامت تمارس العنف والقوة، والناس يهابونها ويحترمونها، ولديهم الاستعداد للتضحية من أجل الحاكم المستبد.

من كل هذا يتبين لنا ان العنف شئ غريزي في الانسان وهو ميال اليه، ويظل لصيقا به ما لم يتحول الى كائن ثقافي وحضاري قادر على تبني قيم التسامح.

2- الولاء القبلي:

يعتبر الغرباوي القبيلة (نسق من القيم والاخلاق تحكم افراد القبيلة الواحدة، تستقطب ولاءاتهم، وتوجه سلوكهم، وتحدد مكانتهم الاجتماعية)¹. كما ان لكل قبيلة نسقها الاجتماعي الذي يضع الشيخ فوق الجميع ويتيح له التحكم بمصيرها². فتقاس قيمة المرء ومكانته بولائه ومدى رضوخه للقبيلة ومقدساتها. من هنا يتصور المنتمي للقبيلة انها اولى واهم من المصلحة العامة للوطن والمواطنين جميعهم، هو ضرب من ضروب التزمت والتعصب، اضافة الى التعسف والقسوة وضيق الافق، وتتضح في بلداننا مظاهر القبيلية في المجال الحزبي والسياسي، حيث تشكل الاحزاب والمؤسسات امتدادا لفكر القبيلة، وما يتيح التواجد هنا هو الولاء وليس الكفاءة.

3- سلطة القيم:

قيم التسامح قيم بعيدة التحقق في مجتمعاتنا لطغيان قيم الاستبداد والتسلط التي اخذت اشكالا متعددة الابعاد، منها السياسي ومنها الاجتماعي ومنها الديني...

1 - المصدر نفسه، ص 33.

2 - المصدر نفسه.

وللاسف في مجتمعاتنا تغطي النظرة الشمولية والاطلاقية التي ترى في قيمها المتوارثة حقائق ثابتة ونهائية بينما ترى الاخر خاطئا ظالا لا تقدر على تقبله والاستفادة من منجزه، وما يزيد الطين بلة في هذا الوضع هو القيم المصطنعة التي رسختها دوائر الحكم والنخب الثقافية والاجتماعية والدينية وجعلتها في صالح مصالحها. قيم الطاعة والولاء وتغيب النقد والخضوع للمجتمع الذكوري والابوب الذي يجعل المرأة كائنا ناقصا ووسيلة ومصدر عار في حال الفضيحة بينما ذلك مصدر بطولة للرجل، فمجتمعاتنا مجتمعات ذكورية كما يقول ماجد الغرباوي: (تمنح الرجل صلاحيات واسعة في مقابل تهميش المرأة وتحقيرها، وتلغي وجودها وتعتبرها انثى يطأها الرجل حينما يرغب ويتخلى عنها متى شاء، وفي احسن الاحوال انها اداة لخدمة الرجل وابنائها وضيوفه من الرجال. وهي ايضا عورة وبلاء وهم متى تنتقل في عهدة رجل آخر ليتخلص من مسؤوليتها اهلها ويهدأ بالهم، لانها بنظرهم كائن حيواني غير مؤتمن على شرفه، بل يجب حصره وتضييق الخناق عليه مخافة ان يراها احد فتتخدش قيمة الرجل عندما يتصفح وجهها الآخرون، او يخشى عليها الاختيار بمجرد ان تلتقي برجل ليس من محارمها، فهي بلاء مزمن وعار كامن في نظر الرجل القبلي)¹. لذلك يتم التسامح مع اخطاء الرجل واضطهاد المرأة والمغلاة في حال ما اقدمت على غلط ما، بينما ايضا يتم تطبيق تسلط عمودي على الابناء من طرف الاب وحرمانهم من حق التعبير والتساؤل والمساهمة في صنع القرار، في نفس السياق يحرم الحاكم محكوميه من حقهم في تقاسم الحكم وصيغة القرارات التي تخصهم. كلها عوامل ساهمت في طغيان النظرة الاحادية المتزمتة والمتعصبة للرأي.

4- الاستبداد السياسي:

اكيد ان الاستبداد السياسي هو افة من افات المجتمعات المتأخرة وهو عامل يكبلها ويعيد انتاج الازمات فيها، لانه يحرم السواد الاعظم من الحقوق ويغيب حسها المشترك الرامي الى النهوض بالبلاد والعباد، وهو نقيض التسامح، (وخصم

1 - المصدر نفسه، ص 43.

حقيقي له)¹ الذي يقتضي التعامل باحترام وبمساواة مع الجميع بعيدا عن التراتبية والتفرد بالسلطة وبالقرار السياسي، والتسامح يعني قبول للآخر بدون شروط مسبقة عكس الاستبداد الذي يحتم على الطرف المقهور الرضوخ لمن هو اعلى منه مرتبة في السياسة، وتستغل السلطة السياسية كل الوسائل المتاحة للاستمرار في الهيمنة ومن بين ما تستغله العاطفة الدينية لدى الناس، وليس لديها مشكل في قراءة النصوص الدينية بالطريقة التي تخدم مصالحها، فالغاية تبرر الوسيلة في هذا المجال. لا يرضى الحكام في دول التخلف الخضوع للنقد والتمحيص انما يجعلون انفسهم فوق ذلك والويل لمن يقدم على ذلك الفعل، بينما يقتضي التسامح الحوار وقبول الرأي المختلف، شعوب اذن مصيرها ليس بين ايديها بل هي مسلووبة الارادة ولا تعرف حتى التفريق بين الممارسة الديمقراطية السليمة والاستبداد، والانكى والامر انما بفعل الادلجة اصبحت تخشى الديمقراطية والتحرر.

5- التطرف الديني:

يعتبر الغرباوي التطرف الديني احد ابرز مصادر اللاتسامح لكونه اقرب طريق لحشد همم الناس وخصوصا البسطاء منهم، يشد قلوبهم ويأسره تحت شعارات ويافطات رنانة لا تترك لهم فرصة للنقد والمساءلة. (يعتبر التطرف الديني احد اخطر منابع اللاتسامح، لتلبسه ببعد شرعي، وتوظيفه للنص الديني، وسرعة تصديقه من قبل الناس، وقدرته على التخفي والتستر تحت غطاء الشرعية والواجب والجهاد والعمل الصالح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر)². فهو مفهوم حساس يوظفه الكثير من رواد الاستنزاق باسم الدين ويجيشون به الحشود ويدفعوهم لاضطهاد الاخر المختلف مذهبيا او دينيا. ولعل ما يزيد الطين بلة هو النزوع نحو التفرق والطائفية والتمذهب نتاجا لتعدد التفاسير رغم وحدة النص القرآني، ما يجعل ظواهر التكفير ورفض الاخر الداخلي اولا والخارجي ثانيا متفشية نتاجا لتلك القراءات

1 - المصدر نفسه، ص 51.

2 - المصدر نفسه، ص 56.

السطحية والحرفية. معضلة التطرف الديني هي قصور في فهم الدين واختلال في الفهم والادراك وهي منبع للجمود العقائدي والاطلاقية، وهي عوامل تعرقل استقبال الآخر وفهمه والتواصل معه بشكل فعال.

التسامح، تأصيل الاسس

ترسيخ المنظومة القيمية للتسامح يقتضي بالضرورة ايقاف نزيف الكراهية والحقن والاقتيال والحدية في التفكير، وبناء فرد ومجتمع قابل للحوار، منفتح على الافكار المختلفة. وتوفره على تربية سليمة قادرة على منح المجتمع روح النقد والانفتاح والقابلية للتغيير، وكل ذلك ينطلق من الاسرة والاعلام والاطراف الثقافية والسياسية وغيرها من مجالات الحياة. ويبقى الاضطهاد والتكفير مصادر لتفشي العنف والجهل المركب في مجتمعاتنا المعروفة بالأصولية الاسلامية التي تأبى تجاوز المحكيات والموروثات المتقدمة.

لذلك ينادي الغرباوي بنقد الانساق الفكرية والعقدية والثقافية في هذه المجتمعات وذلك لتجاوز اشكالياتنا التاريخية وقصورنا وازماتنا، واستتباب قيم التسامح والتعايش في جو يسوده احترام اختلافات الناس وتعدد افهامهم. وترسيخ التسامح بدل العنف القابع في عمق اللاوعي عمل صعب ويحتاج الى الصبر والتسلح بالعلم والمعرفة والحكمة لخلق شعوب تعي تخلفها وتصوبوا لتغيير واقع الحال المتسم بالتفتت على شتى الاصعدة: (ان خطوات قيام مجتمع متسامح تبدأ من العقل، تبدأ من نقد الانساق المعرفية، تبدأ من نقد العقيدة، والفكر، والثقافة، ليصار الى فهم بديل للدين والحياة والمجتمع يساعد على استتباب قيم التسامح)^[14].

أسس التسامح:

للتسامح أسس استعرضها المؤلف في هذا الكتاب، هي:

1- حقوق المواطنة:

من أجل تحقيق الغايات الكبرى للوطن والمتمثلة أساساً في مواطن حر يتمتع بحقوقه ويحترم واجباته، يتحدث الغرباوي على ضرورة تحقيق مجتمع يقبل بعضه البعض، قبول الآخر مسألة مهمة أذن من أجل المصلحة العامة المشتركة ومن أجل حماية البعد القومي والديني. إلا أنه أيضاً يتحدث عن الاعتراف بالآخر والذي يعتبر اقراراً لحق الآخر في التعبير عن أفكاره وقضائيه دون طائفية ولا ادعاء للتفوق: (ليست المواطنة سوى الاعتراف بالآخر وبحقوقه. أو لا أقل قبوله وقبول التعايش معه سلمياً وفق حقوق مشتركة لجميع المواطنين)¹. ويخبرنا الغرباوي عن قيم المواطنة الحقة والتي من شأنها إعلاء راية الوطن كقضية أولى حتى من كل الانتماءات، اثنى كانت أم طائفية أم دينية.

1- الحقوق الإسلامية لغير المسلمين:

يرجع بنا الغرباوي إلى زمن سحيق من تاريخ الإسلام ليسرد لنا وقائع واحداث شهدتها هذا العالم وذلك من أجل إعادة فهمها كما يجب، وذلك لأن العالم الإسلامي للأسف تغطي فيه القراءات الاحادية للنصوص الدينية. هذا الجمود العقائدي يؤدي إلى الرغبة في تنزيل آيات اتت في سياقات محددة ومنها ما لا يستقيم تنزيله بالفهم الحرفي في زمننا هذا، ويدعوا إلى العمل بروح الإسلام الذي يتجسد في

1 - المصدر نفسه، ص 83.

وقائع وآيات عديدة تدعوا الى الحوار بين الثقافات والامم رغم اختلافاتها، كما يشدد على اهمية السعي الى الحوار الهادف الى تبادل المعارف والخبرات والتجارب والتكامل والثقاف وليس السعي الى هداية الناس لان هذا من شأنه معاملة الناس على انهم كفار او اشياء شبيهة بذلك، ليخلص في الاخير الى ضرورة وضع الاختلافات كمصدر للمراجعة والنقد ولا شيء يتعالى فوقه باعتبار افهام الناس متعددة، ويجب كذلك الحكم بنسبية فما من صحيح مطلق وما من خطأ مطلق وتجاوز الفكر الذي يتصور الاخر كضال وجب هدايته لان الهداية التامة لله والبشر ما هم الا خطأؤون عليهم الانصات الجيد لبعضهم البعض للوصول الى التكامل. (ان الاعتراف يعني: ان الآخر شخص له عقيدته وفكره ودينه ووجهة نظره. له الحق في تبنيها والدفاع عنها)¹.

2- سيادة القانون:

لا يتحقق التسامح الا اذا كان هناك قانون يحميه ويستند اليه². وهذا القانون ينبغي ان يتوفر على قوة ردع عالية لضبط حقوق المواطنين بشكل متساو. المواطنون قد ينزعون الى العنف او التشنج لكن على السلطة تثقيف الناس على قيم الاحترام والحق والواجب. ويبقى القانون هو الالة الرادعة التي لا تستثني احدا ولا تقصي حقوق الاقليات، من أجل مجتمع قادر على تبني قيم التسامح، مجتمع يتداول السلطة سلميا ويتحلى بحب الوطن والعمل الصادق من اجل مصالحه العليا ومصالح مواطنيه.

تعدد المرجعيات

يعد تعدد الولاءات للدين او للعرق او العشيرة او اي نطاق محدود كيفما كان قتلا لسيادة القانون، و(يصاب القانون بالخواء والشلل عادة اذا نافسته مرجعيات

1 - المصدر نفسه، ص 100.

2 - المصدر نفسه، ص 102.

أخرى¹. ويؤكد الغرباوي بهذا الخصوص على الولاء للقانون المتوافق عليه، خدمة للوطن، من أجل مجتمع تسوده قيم التسامح والانفتاح. بعيداً عن أي مرجعيات أخرى. خاصة من يتحدثون باسم الله كأنهم ممثلين للإرادة الإلهية. وهذا يُنتج حالة من التزمّت والاستعداد للإرهاب.

3- إعادة تشكيل قيم التفاضل:

في بيئة تعرف التعدد على جل المستويات، تشكل القيم الدينية منبعاً رئيساً للتمثيلات التي تنغرس في لاوعي الفرد وتحركه، ومن هذا المنطلق يقترح الغرباوي من أجل الحد من العنف واللاتسامح استراتيجيتين رئيسيتين وهما، الولاء للوطن ولمصالحه العليا وذلك بتجاوز الاختلافات الضيقة والمغلقة، والارتكاز على القيم الإنسانية باعتبارها قيماً كونية تنصهر فيها القيم المغلقة المبتنية على التفاضل والولاءات.

وأما التفاضل في الإسلام فيحدده الغرباوي في ثلاثة مستويات²، أولها التقوى والتي لا تعني كثرة العبادات أو التشدد بالمعاني الدينية بل القيام بالعمل الصالح الذي يعود بالنفع على الذات وعلى الإنسانية جمعاء، وقول الله تعالى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) هو دليل على أن الله يحب عبده المتقي لأنه هو الأدرى والأعلم بمن يتق، أما البشر فليست لديه القدرة ولا الحق في الحكم على الناس وتفريقهم إلى متق أو غير متق، أما ما على البشر هو تقبل الآخر وتجنب إصدار الأحكام عليه، ولرب قليل العبادات أحسن عند الله لما يقوم به من عمل صالح، عكس من يكثر في العبادات ويبيح سفك الدماء أو يريقها.

وثانيها الجهاد، لا الجهاد الذي يتصوره المتزمتون والمتطرفون، إنما الجهاد الرامي إلى النهوض بالنفس وبالوطن، وهو قائم على التضحية من أجل الآخر ونبذ العنف واللاتسامح معه بغض النظر عن اختلافاته.

1 - المصدر نفسه، ص 104.
2 - المصدر نفسه، ص 118 و 119.

وثالث هذه المبادئ هو العلم، لان من حيث حتى عبادة الله فهي لا تتم الا عن علم، لذلك فالله تعالى كرم عباده العلماء لانهم الاقرب اليه وهم الاقدر على طاعته خير طاعة، والعلماء هم منارة الانسانية لما يقدمون لها من خدمات تميظ اللثام على مظاهر التخلف وتستجيب لحاجياتهم في الدنيا وتقيهم من الشرور، وعالم افاد الانسانية في اختراع علمي يبقى ذلك في ميزان حسناته كصدقة جارية.

هذه هي مبررات التفاضل التي قدمها الاسلام، اما الفهم القبلي او الطائفي فيخندقان البشر في تفاضلات شكلية تتعد عن مضمون الامور، بارتكازها على النسب او اللون او العرق، وهذه من اسباب النكوص الحضاري التي تبقي المجتمعات في سياجاتها الدوغمائية المغلقة بتعبير محمد اركون. فما احوجنا الى ميثاق حقوق المواطن والمواطنة في شمال افريقيا والشرق الاوسط.

4- اطلاق الحريات العامة:

يذهب الغرباوي الى ان الحريات العامة تلعب دورا اساسيا في انبثاق عبقرية الفرد في العالم، بينما يلعب القمع دورا مهما في ترسيخ العنف والتشنج والتنابد حتى بين ابناء الوطن الواحد، لان المجتمعات المقهورة تسوء اخلاقها على حد تعبير ابن خلدون. يقول: (تلعب الحريات العامة دورا كبيرا وفاعلا في ترسيخ قيم التسامح بين ابناء الوطن الواحد)¹.

والمجتمعات المرعوبة تخشى الحرية نظرا لما تعرض له هذا المفهوم من تشويه بفعل الايديولوجية وبفعل الرغبة السياسية في استمرار الاضطهاد وبذلك ترسخت في العقول بوعي او بدونه افكار حول الحرية من قبيل انها فوضى او انفلات او كفر او اشياء من هذا القبيل، الا ان الحرية تعني حرية الفكر والمعتقد والثقافة والحرية السياسية والدينية، وتبقى حلما مشروعا ما دامت تصبو الى خدمة الوطن والمواطن، ومن هنا وجب تحرير الوعي الاسلامي من بعض المنطلقات المغلوطة التي ترسخ افكار

1 - المصدر نفسه، ص 121.

من نسج خيال بعض الجهات التي لها مصالح في تأييد سطوتها، ولنطلق العنان لسهام النقد والمراجعة والمعارضة لكل ما هو سيء في البنى السياسية والاقتصادية لان هذا ما من شأنه خلق اوطان ديمقراطية وحداثية وليس اوطانا مليئة بالخراب كما يصورون للناس.

ومن الاحكام الفقهية التي تشوه صورة الحرية في الاسلام وصورة الاسلام بحد ذاته حكم قتل المرتد¹، وذلك اجتهاد فقهي لا اساس له في القرآن، فالأخير ينص على ان: "لا اكراه في الدين".

ومن هذه المنطلقات يركز الغرباوي على ضرورة فهم النصوص الدينية فهما يتماشى مع العصر وان مجموعة من النصوص نزلت في سياقات معينة وتم تطبيقها باليات محددة، ولا يمكن العمل بعقليات عصور قديمة جدا، وهذا من شأنه ان يترك عقلية المسلمين جامدة لا تسعى الى المضي قدما وتجاوز القراءات المتزمتة والمغلقة.

التسامح.. نصوص خالدة

ينتصر الغرباوي للجديد المتجدد ضد القديم المتهالك التي لم تعد صالحا، رغم انه لا ينكر دور الكثيرين في صناعة تاريخ الامة، بين انهم اتوا وادوا دورهم في مراحلهم الخاصة، ولكل زمان رجاله، اذن وجب استحضار مصالح وقوى الاحياء لا اتباع الاموات وتقليدهم، ومنه ابداع افكار حية بدل الافكار الميتة التي تميمت الانسان والمجتمع وتجعله عاجزا على التطلع الى افاق العصر والانصات الى متطلباته. (من الغريب اننا نستفتي الموتى ونسقط الماضي على الحاضر رغم اختلاف الظروف والثقافة والعصر، فما لم نتخل عن التقليد ونكف عن مناشدة الموتى واستنطاق الماضين، ستنقلب حياتنا جحيما في ظل عقول استاتيكية متحجرة لا تفهم من الدين سوى ما قاله السلف، وما افق به المتشددون)².

1 - المصدر نفسه، ص 132.

2 - المصدر نفسه، ص 138.

ويستغل المتطرفون احداث الحروب التي ما كانت يوما الا استثناء في تاريخ دعوة الرسول الكريم الى الاسلام، وايضا يجدون ضالتهم في آيات القتال التي جاءت لغايات سياقاتها التاريخية من اجل اصدار الاحكام وجز الرقاب وتخويف الناس، وهذا ما يشوه الاسلام الذي تبني الحكمة والموعظة الحسنة، وجاء لرحمة العالمين، اي الناس جميعا على اختلافاتهم وتبايناتهم.

نصوص غيبها النسخ

يستعرض الباحث ماجد الغرباوي في هذه الفقرة آيات من الكتاب الحكيم يستند اليها المتطرفون لتبرير افعالهم المقيتة، وساهم النسخ في تغييب آيات اخرى اكثر اهمية، وهي عديدة جدا وتدل المسلم الى الرحمة والصفح والسلم والسلام.

وقفة مع الآيات:

يواصل الباحث العراقي ادراج الآيات التي تدعو الى التعايش والسلام والاخوة بين الناس، ويدعو الى التبصر في كنهها وتفادي الفهم الاعوج للآيات المشروطة بسياق معين وظروف محددة، وفي الاخير يدعو الى استنباط قيم ومبادئ اسلامية¹:

الرفق: على اعتباره ضدا للحمق والعنف والخرق، فالرفق قيمة انسانية نبيلة تشكل احد ثوابت التسامح، لأنها تعامل لين يكسب به المرء القلوب.

الحلم: هو ثاني القيم الاسلامية المساهمة في ارساء التسامح، وهو تمكن من كظم الغيظ، وتفادي للحرب وضبط للأهواء الجياشة.

العفو: هو ملكة تمكن من ترسيخ مجتمع متسامح ومتفهم ومتعاون، اعتبارا من كون الناس خطائين، فالعفو صفة الانسان الراقي والواعي بدواخل النفس وجموحها.

الرحمة: "ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء"، الانسان كائن ضعيف والرحمة واجبة مع كل ما في الارض، ولعل البسملة خير دليل على اهمية الرحمة.

1 - المصدر نفسه، ص 157 - 160.

خاتمة:

ما احوجنا في مجتمعات شمال افريقيا والشرق الاوسط والعالم الاسلامي عموما الى نهضة فكرية تنطلق من اختلافاتنا وتجعلها قوة وترجع الوحدة كإيديولوجية بدل البحث عن وحدة الايديولوجية، لان ذلك غير ممكن، فالناس ميالون الى الاختلاف والتفرد وهذا امر وارد وطبيعي وجب ضمانه كحق للجميع، فما احوجنا من اجل ذلك الى مفكرين مثل ماجد الغرباوي، بأسلوبه السلس والعميق، يؤصل للمفاهيم ويضعها في سياقنا المتسم بخصائص تميزه، ولعل الكتاب موضوع قراءتنا خير دليل على الاهمية القصوى للمشروع النهضوي القائم على التسييق والبساطة وغيرها من المبادئ والمنطلقات الفكرية الرامية الى خلق مجتمع واع بحقوقه وواجباته، متسامح مع ذاته ومع مجتمعه ومساهم في صناعة القرار.

قراءة في كتاب الشيخ محمد حسين النائيني منظر الحركة الدستورية لـ ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ عقيل العبود¹

تمهيد: ليس سهلاً على الباحث أن يستقرئ تفاصيل الأحداث التي تحيط بحياة عالم ومجتهد كبير، ليضع معياراً دقيقاً لتقييم المواقف بناءً على تنافر، وتشابه الآراء بين شريحة مختلفة من العلماء، خاصة عندما ترتبط تلك المواقف بحياة الشعوب والمجتمعات.

والأصعب من ذلك أنه كيف لهذا الباحث أن يتجاوز التراكمات التي تتغلغل في العقل الباطن، تشغل حيزاً منه، وتغذيه بفعل الدور الذي تلعبه المؤسسات الإعلامية والدينية التي تستغل الثوابت من المعتقدات لتسويق المفردات التي تغذي مصالحها. كيف للباحث قراءة مواقف الفقيه، والعالم بناءً على حيثيات القضايا، ومتنوعات المسائل وعلى أساس صيرورة ما تكتنزه الأحداث والمشاهد التي يضخ بها الواقع

1 - كاتب وباحث أكاديمي - أمريكا

المتناقض للسياسات المختلفة، وكيف للباحث أن يقول كلمته تحت مظلة التسلط الديني؟

في كتابه (الشيخ محمد حسين النائي منظر الحركة الدستورية)¹ والذي هو عبارة عن 202 صفحة، بضمنها نبذة عن انجازات المؤلف، وسيرة حياته، وما تعرض له من استفزازات في ظل واقع ارتبطت لغة الاستبداد فيه بمصالح الحكومات المتعاقبة في عموم المنطقة، وتأثير ذلك على مستوى الحوزة في قم، وفي النجف، يسلط ماجد الغرباوي الضوء على حركة التفاعل بين سلطة الحاكم المستبد، وسلطة الفتوى، وانعكاس ذلك على طبيعة العلاقة التي ترتبط بإرادة المجتمعات بقيادة المجتهدين المجتهدين من العلماء من جانب، والسيف الذي يسلطه الحكام المتسلطين على عقولهم ورفاقهم من جانب آخر. والأهم أنه كيف للباحث والمفكر أن يكون راصدا دقيقا لسلطة الاستبداد الديني التي ساعدت وتساعد على ولادة ونمو الاستبداد السياسي، والتي سار على نهجها واتبعها وللأسف بعض العلماء تحت عنوان الفتوى والمقدس الديني؟

ولذلك يعد المشروع الذي طرحه الشيخ النائي إنموذجا حيا للتمييز بين سلطة الدين الحقيقي، وسلطة الاستبداد الديني، ما يفرض على المؤلف أن يكون أكثر حرصا لمتابعة الأحداث الخاصة بسيرة المجتهدين والعلماء وبجيازية تامة، ومنهم الشيخ النائي وأستاذه الأخوند الخراساني، ومشروع الحركة الدستورية (المشروطة) والملايسات التي أحاطت بذلك المشروع وفقا لمساحة كبيرة من الانتشار.

1 - الغرباوي، ماجد، الشيخ محمد حسين النائي منظر الحركة الدستورية، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2012م.

هذه المساحة تحكي عن دور ومواقف الحوزة العلمية، والعلماء مع اختلاف آرائهم تجاه سلطة الاستبداد السياسي، وكيف أن هذه السلطة حاولت، ولا زالت تحاول تحييد العامل الديني من خلال تجنيد وتطويع سياسة الفتوى لخدمة مصالحها في الحكم.

وبذلك تتداخل لغة الاستبداد السياسي مع الاستبداد الديني، بل تتجذر من خلاله، وهذا ما تصدى له الكواكبي، وكما تطرق له المصلح الكبير جمال الدين الأفغاني. وكتاب الشيخ النائيني يُعدُّ مقارنة تم تصنيفها في خطوط تماسها العريضة بحسب ما جاء في فصول الكتاب الأربعة والتي تتضمن الوعي في المنطقة الإسلامية ص 23-43، جذور الوعي والحركة الدستورية ص 44-93، المواقف السياسية ص 94-128، ومقومات المشروع الإصلاحي ص 128-187. تليهما صفحة خاصة برواد الإصلاح من 188-189 وهذه الصفحة تمثل مشروعاً يدعو الباحثين للخوض في مسائل التجديد الديني الذي أسس له الشيخ النائيني وغيره من المجتهدين، ويسبق ذلك توطئة ص 6-17، وتقديم ص 18-22¹.

توطئة

يقول الأستاذ الغرباوي في مستهل كلامه: "لا خلاف أن التحيز فخ يستدرج الباحث لمخافة الحقيقة، وتزوير الواقع"². وفي هذا القول يريد المؤلف أن يقدم بحثاً سيكولوجياً عن طبيعة الإنسان، كونه يحتزن مقدمات وأحكام أولية في عقله الباطن

1 - راجع محتويات الكتاب ص 195 - 198.

2 - المصدر نفس، ص 5.

عن هذا المعتقد، أو ذاك، ما يفرض على العقل أن يحكم وفقا لآلية محكومة بهذه المقدمات. وحجة القول تركز على التغيرات التي حصلت مع العلماء، والنائبي واحد منهم في المواقف، كما هو وارد أدناه:

"وفي حياة الشيخ محمد حسين النائبي كثير من المواقف والظواهر المفتوحة على أكثر من تفسير ورأي، لكن تجد كل باحث يختص برؤية مستقلة. [...] اعتمدت كغيري من الباحثين على مصادر تاريخية، وما كتب عن ثورة المشروطة في إيران، وأحداث العراق وما رافقها من دخول الاستعمار وثورة العشرين، ودور علماء الدين فيهما"¹.

والمشروطة هنا إنما يشار بها إلى شروط اتباع الأحكام الشرعية، وما يفرضه الشارع المقدس في نظرية الحكم، بغية وضع العقل في محله الصحيح: "تتلخص فكرة مشروع رواد الإصلاح، في تلمس معالم المشروع الإصلاحي لكل رمز من الرموز للتواصل معه، والبحث عن نقاط الضعف لتدراكها، وتأسيس وعي جديد، يركز إلى العقل، ضد الخرافة والقداسة، وضد الاستبداد بنوعيه السياسي والديني"².

وهذا يفرض اتجاهين داخلي، وخارجي. أما الاتجاه الداخلي فيفرض استنهاض العقل وتحريره من تبعية الجهل عن طريق الفتاوى، والاجتماعات، والمؤتمرات، والرسائل. وأما الاتجاه الخارجي فيقتضي نشر الوعي، والتثقيف بمبادئ مشروع

1 - المصدر نفسه، يتحدث المؤلف في هذا الباب عن جملة العقبات التي تعترض المهمة الإصلاحية، وعن تجربته تحديدا، راجع الصفحات 175.

2 - المصدر نفسه، ص 9، المقطع الأخير السطر 4.1

الإصلاح من خلال توزيع الكتب والكتابة عنها يقول المؤلف: "ومن المخطط الكتابة عن كل المشاريع، بما فيها مشروع السيد جمال الدين الأفغاني، وغيره من المصلحين"¹. ومن المناسب الإشارة هنا إلى أن مشروع الإصلاح هذا يقتضي الارتباط بثقافة إسلامية واعية، ومن ضمن هذه المبادئ أسس الإصلاح التي أراد لها الحسين بن علي أن تسود، وعليه يصبح من الضروري تثقيف المجتمعات بالمضامين الحقيقية للشعائر الحسينية، وعلاقتها بالوعي التنويري، وفي هذا الباب يتصدى المؤلف لأهمية تهذيب الشعائر الحسينية، كون ذلك لا ينفصل عن فكرة تحرير الوعي من الجهل، وهو من الأسس المهمة التي اعتمدها الشهيد شريعتي ضمن منهج الحركة الدستورية. ولكن الطريق إلى الإصلاح ليس سهلاً، فهو يتطلب صبراً، ومثابرة، وعناء، ولهذا يتحدث المؤلف عن تجربة معاناته حيث يشير إلى حادثة تعرضه للاستجواب الأمني عندما نشر مقالاته في هذا الباب في مجلة التوحيد، من قبل شخص يعمل في الحكومة الإيرانية مستجوباً إياه عن رأيه في مشروع و"أفكار الدكتور علي شريعتي"، مع أسئلة تحقيقية أخرى، وذلك إشارة إلى أن عملية الصراع بين لغة التجديد، وقوالب التخلف الفكري، تفرض حواجز ليس من السهل اجتيازها، كونها تخضع لسلطة الاستبداد الديني². وبذلك ومن خلال التوطئة التي قدمها المؤلف، أصبح واضحاً، وكما هو معروف لدى الكثير حجم الاضطهاد، والتعقيم والمنع الذي تعرض، ويتعرض له المصلحين في كل زمان، ومكان.

1 - المصدر نفسه، ص 9-10، السطر 86، والصفحات التي تليها لغاية ص 16.
2 - المصدر نفسه، ص 11 - 16. في هذه الصفحات يتناول المؤلف تجربته مع مسؤولية الإصلاح وتداعيات الصراع التي لها علاقة كبيرة بلغة المفاهيم والمعتقدات.

وفي زاوية تقديم يتناول المؤلف أهم ما جاء به الشيخ محمد حسين النائيني للحركة الإصلاحية وهو رسالته " تنبيه الأمة وتنزيه الملة"¹ حيث يقول المؤلف عن مشروع الشيخ النائيني "فليس مشروع النائيني عقد مصالحة بين الحق والباطل أو صيغة للتعایش مع الطاغية، وإنما هو انتزاع الحقوق المغتصبة للأمة، وتقييد المستبد ليمارس سلطته في إطار القانون"². وهذا يعني أن هنالك منهجا رادعا، يسعى لمعارضة استبداد الحاكم، والدفاع عن حقوق المستضعفين، وهذا هو منهج الإصلاح الذي أراد له الحسين بن علي في ثورته مع يزيد أن يسود. ولذلك يشعر المتتبع لفصول الكتاب، أن هنالك مرتكزات حقيقية تتكئ على التجربة التي مر بها الإسلام، ليتم اتباعها من قبل أنصار الحركة الدستورية، وهم قافلة من المراجع والعلماء الذين نذروا حياتهم من أجل ذلك³.

الوعي في المنطقة الإسلامية

يتضمن هذا الفصل مجموعة من المحاور تندرج تحت عنوان الوعي في المنطقة الإسلامية وترتكز على عوامل النهضة الإسلامية الحديثة وهذه العوامل وبحسب التصنيف هي: علماء الدين، السيد جمال الدين الحسيني (الأفغاني)، التحديات الخارجية، الرقي المتصاعد، الحالة الثقافية في إيران والعراق، والحركة الدستورية والوعي.

1 - المصدر نفسه، ص 17.

2 - المصدر نفسه، ص 18.

3 - راجع السطر 4 ص 17، والمقطع الثاني ص 18 السطر 1-3. تتضمن حاشية الصفحة 19 تجربة الباحث الغرباوي في كتبه عن رواد الإصلاح، منها منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي، وانتهاء بكتاب النائيني.

وفي هذا الفصل يسلط المؤلف الضوء على حالة التردّي والتخلف الذي أصاب الأمة الإسلامية بسبب التسلط الذي مارسه الأمويون والعباسيون بعد أن روجوا لسلطة الحاكم، واعتبارها ممثلاً عن سلطة الدين، حتى صار التشريع موجهاً من قبل الحاكم بعيداً عن شريعة الدين، وانشغل الحاكم الأموي، ومثله الحاكم العباسي بمصالحه الشخصية، ما آل إلى ضعف سلطة القانون، وسلطة الدولة، وابتعد التشريع عن إرادة ومبادئ الدين والشارع المقدس، ما تسبب في عزوف الناس عن نصرته الحاكم المستبد والوقوف معه، حتى المرحلة التي تم فيها إحتلال بغداد من قبل هولاكو، وبعدها السيطرة على دمشق من قبل تيمورلنك، هذا إضافة إلى ما سببته الحروب الصليبية في بلاد الشام من خراب، وكذلك ما قامت به سلطة الحكم العثماني في استغلال الدين "[و] تكريس فقهاء السلطة، وبلورة الفقه السلطاني، المكلف بشرعنة ممارسات السلطان"¹. وهذا معناه أن من حق السلطان أن يمارس القتل، والزنا، واستعباد الرعية، فهو الفرعون والرب الذي لا يحق للرعية مخالفة أوامره مهما كانت النتائج، وبهذا ليس للرعية الحق إلا إعلان حق الطاعة والولاء المطلق للسلطان. ولكن هذه التداعيات أدت إلى التمرد والثورة، وكانت الظروف القاسية التي مرت بها البلاد الإسلامية تأثيراً في بث الوعي والتصاق الناس بالعلماء، ولذلك فإن المرحلة الثانية من مراحل الصراع تحكي عن عوامل النهضة الإسلامية الحديثة، وهذه المرحلة تناقش تأثير حملة نابليون في مصر وعامل التحدي الحضاري بين الغرب والشرق، ومقابل ذلك، دور العلماء والمراجع الكبار الذين تصدوا للاستبداد وقيادة حركة الوعي، وظهور السيد جمال الدين الأفغاني مع الملامح الرئيسية لمشروعه

1 - المصدر نفسه، ص 24.

الإصلاحي والذي يقوم على أساس محاربة الاستعمار، مناهضة الاستبداد، إشاعة وتركيز الوعي، تنقية الفكر الإسلامي من الشوائب، وتوحيد المسلمين في إطار الجامعة الإسلامية، وهذا المشروع لا يمكن أن يمر بدون رد فعل، ولذلك أصبح لا بد من الصراع بين نقاط التماس بين الغرب الحضاري إن صح التعبير بمعنى الغرب الذي يتغذى على موائد الشرق الحضارية، أي العلوم المختلفة للعلماء المسلمين، والإسلام. ويبدو هنا أن أساس التخلف الحضاري يعود إلى الاستبداد، ولهذا حرص الاستعمار على إدامة المصادر التي تغذي هذا الاستبداد، ومن هذه المصادر، أنصار الحركة المستبدة، ولهذا وبعد أن تكشفت الأبعاد الحقيقية للمصالح الاستعمارية، توجه المسلمين للبحث عن منابع العلم والتنوير بحثا عن طرق حضارية لمجابهة التخلف الذي يسعى الاستعمار فرضه وترويجه، وتم تتويج هذا التوجه بفتح مراكز علمية للدراسات في العراق وإيران وكان ذلك بجهود المراجع الكبار، ولذلك فإن الحركة الدستورية كانت قد فتحت الأبواب المغلقة لتتصدر المشهد السياسي والحضاري وفقا لرؤية واضحة، "وبهذا استطاع علماء الدين أن يثبتوا مصداقيتهم في قيادة التحرك الجماهيري"¹.

وهذا معناه أن هنالك مسارا متصلا مع البعد الحضاري المعرفي للدين الاسلامي سواء في الغرب، والشرق. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن المؤلف قد حلل عوامل الضعف والقوة على مستوى الديانات الأخرى حيث تجد أن سلاح الاستبداد كان قد شمل سلطة الكنيسة في الغرب أيضا، وأن الغاية منه هو استغلال الشعوب

1 - المصدر نفسه، ص 41. راجع العوامل التي ساعدت على "اتساع رقعة الوعي" المقطع الأخير، ص 34.

واضعافها. ولذلك فإن مشروع الإصلاح هو رد فعل يستمد نقاط قوته من الظروف التي تعصف بالبلاد.

جذور الوعي

يضم الفصل الثاني والذي عنوانه جذور الوعي والحركة الدستورية المحاور التالية: النشأة الأولى، في مدينة سامراء، في مدينة النجف، دوافع الحركة الدستورية، بداية التحرك، تفاقم الأزمة، المجلس النيابي، دور علماء النجف في الحركة الدستورية، النائبني والحركة الدستورية، الثورة مجددا، الاستعمار والحركة الدستورية، أخطاء الحركة الدستورية، الشيخ فضل الله النوري، اشعاعات الحركة الدستورية في العراق، إعلان الجهاد ضد الاستعمار وهو بفرعين هما: إعلان الجهاد ضد روسيا والانجليز، إعلان الجهاد ضد ايطاليا.

يتناول موضوع النشأة الأولى أبرز المحطات في حياة الشيخ النائبني وهو عبارة عن سيرة تاريخية، ابتدأ نورها من مرحلة الولادة 1860 م في مدينة نائين المدينة التابعة إلى أصفهان، حيث بدايته الأولى على يد "شيخ الإسلام" وهو والده، ثم انتقله إلى أصفهان ملتحقاً بمدرسة علمية تابعة إلى الحوزة العلمية وبعمر 17 سنة، حيث إكماله لعدد من المناهج الدراسية التي تعتمد على الحوزة العلمية، وفي ذلك بعض الملاحظات الإشكالية حول الطريقة التي تأثر بها الشيخ النائبني بالسيد جمال الدين الأفغاني، وتأثره بالمقالات التي كان يصدرها الأفغاني في جريدة العروة الوثقى. ويتناول المحور الثاني وهو بعنوان في مدينة سامراء انتقال الشيخ النائبني من النجف إلى سامراء وبداية نشاطه السياسي، حيث تتلمذ على يد الميرزا محمد حسن الشيرازي، وزيارة

الأفغاني ولقائه به في مكان إقامته، وفي المحور الثالث يعود الشيخ النائيني إلى النجف "بعد وفاة السيد محمد حسن الشيرازي". وفي دوافع الحركة الدستورية يتحدث المؤلف عن الظروف التاريخية التي مرت بإيران حيث توالي عدد من الملوك المستبدين من الدولة القاجارية على سدة الحكم، وتردي الوضع المعيشي للعامة حيث جاء ذلك متزامنا مع حالات التعسف والاضطهاد، حتى ظهرت بوادر الثورة على مستوى الشارع الإيراني. وبتظافر الجهود مع زعماء الإصلاح ومنهم السيد الأفغاني، وتجلى الموقف ناصعا مع "ثورة التبغ التباكو"¹، ومع تفاقم الأزمة السياسية، والصراع بين أنصار المشروطة والسلطة المستبدة في إيران في ذلك التاريخ، تم انتخاب أحد زعماء المشروطة في المجلس النيابي وذلك عام 1906، بعد إجبار مظفر الدين شاه لتلبية مطالب العامة وتعيين من يمثلهم من العلماء. وكان لعلماء النجف دور في المد الثوري ضد حكومة إيران، وفي ذلك التاريخ كان الأخوند الخراساني، والسيد اليزدي، وفي محور النائيني والحركة الدستورية، كان الشيخ النائيني مواكبا لأحداث الحركة الدستورية من مقر إقامته في النجف. وفي محور الثورة مجددا يتناول المؤلف كيف حصل اتساع رقعة المد الثوري ليستقطب مناطق جديدة في إيران ومنها تبريز.

وفي محور الاستعمار والحركة الدستورية، يقف المؤلف على النهج الذي نهجه الاستعمار في سياسة الاختراق، حيث استطاع دس مجموعة من الشباب المغترب ومعه مجموعة ممن يحملون الأفكار العلمانية لشق صفوف الحركة الدستورية، وزج عدد من المتنفذين الإقطاع مما أدى إلى انحراف الحركة الدستورية، حيث تم انشغال البعض من المحسوبين على الحركة الدستورية بمصالحه الشخصية، وهذه الأسباب تضافرت

1 - المصدر نفسه، ص 54.

لخلق حالات الانشقاق والفوضى، انتهت بمقتل الشيخ فضل الله النوري بسبب أخطاء وحماقات البعض من المتطرفين، ولكن رغم كل ما حصل من إخفاقات، وتداعيات سلبية، تصاعدت تأثيرات المد الثوري حيث انعقدت جلسات ومناقشات ومناظرات، للعلماء والطلبة والمثقفين، وولدت على أثر ذلك شخصيات وأفكار تشير إلى عمق في مستوى الوعي، وكان العراق بعلمائه من المصلحين لاعبا قويا في إعادة مسيرة المشروطة وحمايتها من المنحرفين المتطرفين وأصحاب الأفكار الغربية، حيث استطاع أنصار المشروطة "وبعد انقلاب عام 1908 وإعلان الدستور في الاستانة" أن يحققوا قدرا من الحرية¹. وصار "العلماء الإمامية [دورا كبيرا] في محاربة الاستعمار ومقاومة الاعتداء ضد الدولة الإسلامية" وأعلن الجهاد ضد روسيا والانجليز، ثم تبعه الجهاد ضد إيطاليا عندما احتلت ليبيا².

وهذا يعني أن هنالك سلسلة مهمة من الاحداث المتتابعة ويقابلها دورا متصلا من المواقف الخاصة بالعلماء الذين أدوا دورهم الجهادي ضد مساحة منتشرة من الجغرافية سواء على مستوى الوطن العربي أو دول أوروبا التي اتخذت من المحيط العربي مأربا لمصالحها السياسية والاقتصادية. ومن الضروري الإشارة إلى أن المؤلف أراد أن يقول أن سلسلة الاحتلال البريطاني والروسي والتركي والايطالي والفرنسي في مصر

1 - المصدر نفسه، ص 84.

2 - المصدر نفسه، ص 46-91، وبحسب محاور الفصل حيث يشرح المؤلف تصاعد المد الثوري للحوزة العلمية في النجف " عبر الاجتماعات العامة والقاء الخطب مسيرة الأحداث التي ابتدأت بقتل الشيخ النوري.. راجع ص 81—82 يصف المؤلف فيه تنامي حركة الوعي وتمخض التناقضات في المواقف والصراعات عن تمسك الجماهير بمبادئ الحركة الدستورية " بعد إعلان الدستور في الاستانة في 23 /تموز/ 1908.

ساهمت بانتشار الثقافة الاسلامية على الرغم من المطبات التي آلت إلى نشر لغة الاستبداد السياسي متزامنة مع لغة الاستبداد الديني الذي تم تسويقه منذ العصر الأموي والعباسي وقبلهم عهد الخليفة الثالث الذي تأسس الاستبداد في فترة خلافته وكيف أن الثورات نشأت في هذا الامتداد الواسع على مستوى الجغرافية السياسية للأمة الاسلامية ولذلك كان للنائبي ومن حذا حذوه حيث سبقهم الآخوند الخراساني دورا بارزا في شحذ الوعي الجماهيري لمقارعة هذا الاستبداد بكل صنوفه، ولكن هذا لا يمنع أن هنالك اختلاف في المواقف بين العلماء صاحبته خيبات أمل متكررة خاصة ابان الحرب العالمية الأولى وقضية الانتداب وتأسيس نظام الوصاية الانجليزية على العراق ذلك تابع ذلك في الفصل الذي يليه.

النشاط السياسي في العراق

يتضمن هذا الفصل والذي عنوانه المواقف السياسية: النشاط السياسي في العراق، النائبي والانتداب البريطاني، الاعتداء الوهابي على العراق، الموقف من المعاهدة العراقية البريطانية، تبعيد الشيخ النائبي وزملائه إلى إيران، الشيخ النائبي في إيران، النائبي في مدينة قم، مفاوضات العودة إلى العراق، النائبي وإعلان الجمهورية في إيران، الرمز العلمي، وفاة الشيخ النائبي، المحطات السياسية في حياة النائبي.

يتناول المحور الأول موقف الشيخ النائبي من الاستعمار إسوة بباقي العلماء الذين تصدوا لنظام "الوصاية البريطانية [...] الذي يمنح الوجود الأجنبي شرعية الاستمرار في احتلال العراق"¹.

يتحدث المحور الثاني عن الأحداث التي حلت "بعد وفاة شيخ الشريعة الأصفهاني، [وبروز الشيخ النائيني] لمؤامرة الانتداب البريطاني"¹، وفي المحور الثالث الذي عنوانه الاعتداء الوهابي على العراق، يتناول المؤلف دور العلماء في "انعقاد مؤتمر كربلاء الذي كان مناسبة جيدة لتوحيد الموقف الشيعي تحت قيادة دينية واحدة"²، وتوحيد المواقف هنا جاء حلاً لمشكلة الاختلافات التي حصلت وتحصل دائماً بين العلماء والمجتهدين. ويناقش في موضوع الموقف من المعاهدة العراقية البريطانية كيف "بدأت فصول سياسية جديدة في العراق برز فيها العلماء قادة للمعارضة السياسية"³. وفي محور تبعيد الشيخ النائيني وزملائه إلى إيران، " [كيف أن] المعارضة اتخذت مواقف متباينة تجاه التحولات في سياسة الحكومة الجديدة، فلم تعر المعارضة زيادة اهتمام بعودة المبعدين السياسيين"⁴. وفي محور الشيخ النائيني في إيران " [كيف] استقبل أهالي كرمشاه العلماء المبعدين من العراق " وتداعيات الأحداث والموقف المضاد من الملك فيصل⁵. وفي محور النائيني في مدينة قم يبحث المؤلف كيف أن استقرار الشيخ الخالصي في قم قاد إلى "التباين في وجهات النظر بينه وبين الآخرين حول مفاوضة الحكومة العراقية وشخص الملك فيصل بالذات من أجل العودة إلى العراق " وفي الموضوع تفاصيل في الرؤى والمواقف، حيث بعكسه

1 - - المصدر نفسه، ص 96.

2 - المصدر نفسه، ص 100.

3 - المصدر نفسه، ص 105.

4 - المصدر نفسه، ص 109.

5 - المصدر نفسه، ص 111.

بعث الشيخ الأصفهانى والشيخ النائى "مبعوثى لمفاوضة الملك حول هذه القضية"¹. وفى محور مفاوضات العودة إلى

العراق، يناقش المؤلف كيف أن "الملك... راسل العلماء فى إيران من أجل احتوائهم"². وفى محور النائى وإعلان الجمهورية فى إيران كيف أن الأحداث التاريخية لعبت الدور المؤثر فى أن يتمتع الشيخ النائى بمكانة علمية وقىادية مرموقة، إضافة إلى "[...] تمتعه بسمعة كبيرة لدى الشعب الإيرانى"³. وفى محور الرمز العلمى، يناقش المؤلف كيف أن الشيخ النائى "تفرد بمدرسة علمية لها آراؤها ومتبنياتها العلمية فى الفقه وأصول الفقه"⁴.

وتحت محور وفاة الشيخ النائى، يناقش المؤلف المحطات السياسية فى حياة النائى والى من أبرزها "مرحلة النضج الفكرى وتكامل مكونات الوعى " وبهذا يسلط الأستاذ الغرباوى الضوء على أبرز محطة فى تاريخ المرجعية⁵.

وفى إشارة لمعنى الإصلاح كونه مشروع دائم، يقول المؤلف فى نهاية الفصل " ثمة حقيقة أخرى هى أن الشيخ النائى قد انطفأ وهجه الإصلاحى عند وفاة الآخوند الخراسانى رغم مواقفه المشرفة فى مقاومة الاستعمار. وحل به ما حل بمحمد عبده

1 - المصدر نفسه، ص 112.

2 - المصدر نفسه، ص 114.

3 - المصدر نفسه، ص 116.

4 - المصدر نفسه، ص 120.

5 - المصدر نفسه، ص 125.93.

عند وفاة استاذ السيد جمال الدين الحسيني المعروف بالأفغاني. ف كلا الرجلين نشعر عندما نقارب حياتهما انهما كانا يتحركان بحركة استاذيهما"¹.

مقومات المشروع الإصلاحي

ينطوي هذا الفصل، بعنوان: مقومات المشروع الإصلاحي. على مناقشة المحاور التالية: تنبيه الأمة وتنزيه الملة، الجذور الفكرية للكتاب، المشروع الإصلاحي، ويتضمن محاربة الاستعمار، مناهضة الاستبداد، تعريف الاستبداد، تاريخ الاستبداد، أسباب الاستبداد، آلية الاستبداد، شعب الاستبداد ويمثل الاستبداد السياسي، والاستبداد الديني، قوى الاستبداد، الدولة الدستورية، ومحاورها استيلاء وغلبة، دولة دستورية. النظرية السياسية، مشروعية المجلس النيابي، شروط ووظائف أعضاء المجلس النيابي، مبادئ الحكم، ويتضمن موضوعها الحرية، والمساواة، المساواة في الحقوق، المساواة في الأحكام، المساواة في القصاص والعقوبات، الشورى، النائبي والمستبد العادل، رواد الإصلاح.

يعد كتاب تنبيه الأمة وتنزيه الملة للشيخ النائبي ملخصا موجزا للمشروع الذي اشتغل عليه الشيخ النائبي، وهو قريب في مضامينه من كتاب طبائع الاستبداد لعبد الرحمن الكواكبي، وبما أن الكتاب تمت طباعته في القاهرة عام 1905، فهذا يعبر وبحسب الأستاذ الغرباوي عن تجاذب في الآراء بين "الكواكبي والنائبي" بما يتعلق بمفهوم وحقيقة الاستبداد. وقد أشار المؤلف في هذا الباب إلى معنى الاستبداد من

1 - المصدر نفسه، ص 127.

وجهة نظر الكاتب الإيطالي "فتوريو الفيري" الذي تم الإشارة إليه في كتاب الكواكب¹.

هنا وإشارة لحالات التشكيك التي حصلت من قبل عدد من المؤيدين للشيخ النائي بسبب بعض المواقف، أسوة بغيره من المراجع، يقول المؤلف بهذا الصدد: "اتضح من خلال حياة الشيخ النائي ومتابعة فصول الأحداث السياسية التي رافقته، فأثر بها أو تأثر بها، ان الرجل كان يتحرك ضمن مشروع سياسي يتسم بالوضوح والثبات في مقاومة الاستبداد ومحاربة الاستعمار، وظل وفيا لمبادئه حتى المراحل الأخيرة من عمره"².

والكتاب وباختصار شديد يعتبر رسالة علمية وعملية لأهم مبادئ الحكم التي جاء بها الشيخ النائي ابتداء من القوانين المتعلقة بمشروعه الإصلاحية والتي تركز على محاربة الاستعمار، ومناهضة الاستبداد وفقا للتعريف التي وضعت له من قبل كبار المفكرين، وتاريخه، وأسبابه التي تحدث فيها عن حقبة الحكم الفرعوني، وآلياته التي ترتبط بـ "جهل الأمة"، وشعبه، وأنواعه، وقواه التي منها الاستبداد الديني، والتزلف للسلطان، ثم موضوع بناء الدولة وفقا لنظرية دستورية، والتي تركز على أساس مشاركة الشعب "ومشروعية المجلس النيابي في الحكم، وشروط ووظائف الأعضاء في المجلس النيابي والتي بضمنها الخبرة السياسية، ومبادئ الحكم في الحرية التي ورد في تعريفها اعلى أنها "تعني تحرير الأمة من ربة الجائرين"، والمساواة، وتنص على مساواة الناس في الحقوق، والأحكام، وفي القصاص والعقوبات، ويضاف إلى

1 - المصدر نفسه، راجع الجذور الفكرية للكتاب ص 133 المقطع الثالث.

2 - المصدر نفسه، ص 129 المقطع الأول السطر 5.1.

ذلك الشورى باعتبارها " أحد أهم مبادئ الحكم في الإسلام"، وعن مفهوم المستبد العادل التي وردت في نهاية الفصل، يدعو الشيخ النائبي "إلى انتخاب مجلس برلماني ينهض بمهمة صياغة دستور يحد من سلطة المستبد ويخلق منه مستبدا عادلا يعمل بمبادئ الحكم الثلاثة الحرية، المساواة، الشورى"¹.

الخاتمة

وخلاصة ما تقدم، يرسم لنا الأستاذ الغرباوي في دراسته التحليلية الشاملة والدقيقة هذه، الظروف التاريخية التي مر بها الشيخ النائبي، ليقدم لنا صورة تفصيلية عن المواقف السياسية والدينية لهذا المرجع الكبير، والظروف التي مرت بها البلاد في ظل العصر الذي أراد الاستعمار البريطاني وغيره فيه استخدام قدسية الدين لتمرير خططه الهادفة إلى تقزيم وتشويه المبادئ التي جاء بها الإسلام على أساس الفصل بين إنسانية الدين القائمة على أساس المساواة والعدل والحرية واحترام الحقوق العامة للشعوب، وسلطة الحاكم التي أريد لها تتجاوز جميع الخطوط تحت ما يسمى بقدسية السلطان، وبهذا تتحول قدسية الدين إلى قدسية الحاكم، ولذلك سعى الاستعمار إلى استخدام بعض الفتاوى لترويج مصالحه وتثبيتها في نفوس البسطاء من العامة.

وبناء على ذلك، تبرز لنا حقيقة الدور الذي اختطه الفقهاء من المجددين لممارسة دورهم الحقيقي لمقارعة الاستعمار وفضح سياسات الغزاة الذين يسعون لطمس حقيقة الدين.

1 - المصدر نفسه، راجع مبادئ الحكم، صفحة 173، السطر 1-2 المقطع، راجع جميع الصفحات الخاصة بالفصل الرابع مع الحواشي.

ويعتبر الفصل الرابع خاتمة البحث، كونه يلخص وبالتفصيل الموجز الأسس والمبادئ العامة لمشروع الإصلاح الذي جاء به الشيخ النائي في كتابه تنبيه الأمة وتنزيه الملة، وأعتقد أن عنوان الكتاب في دلالة الضمنية يشير إلى شروط إتباع الشارع المقدس من خلال تنوير وتثوير الوعي ضد سياسة الاستبداد التي استمدت جذورها من خنوع الشعوب لحكامها، ومن تجهيل الناس واستخدام سلاح الفتوى تحت عنوان المقدس الديني لخدمة مصالح السلطان. ويعد هذه الكتاب مقدمة لواجب أسمى يقع على عاتق المفكرين الأوفياء، وهو اتباع خطى من سبقهم من المصلحين.

قراءة في كتاب الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري

بقلم: الأستاذة سراب سعدي¹

مازلت شغوفة بمطالعة كتب الأستاذ ماجد الغرباوي والكتب التي صدرت عنه. وأنا كامرأة أعجبتُ كثيراً بكتاب (الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري)² للأستاذ الدكتور محمود محمد علي. كتاب رائع ومفيد، أتمنى أن تطلع عليه النساء. لا فقط المرأة العربية بل النساء بشكل عام. كتاب استعرض هموم المرأة وعلاقاتها المختلفة، خاصة في ظل النظام الأبوي الاستبدادي. وتابع جذور إشكالياتها، ليصل إلى نتائج جديدة، أبعد من إشكالية الأمومة والأدوار البولوجية لها. جاء في مقدمة الكتاب: (ومن أهم المفكرين الذين أولوا قضية المرأة عناية فائقة والمنظرين لأسس الفلسفة النسوية بمفهوم ورؤية خاصة تستحق الدراسة والتحليل هو الأستاذ ماجد الغرباوي)³. حيث أرجع إشكالية المرأة لإشكالية الوعي قبل كل شيء، لذا عرّف الأستاذ الغرباوي الفلسفة النسوية: (تحرير وعي المرأة وإعادة تشكيله وفق رؤية إنسانية عادلة)، ليكون موضوعها (نقد مكونات الوعي وارتقانات تشكيله)⁴. بهذا وضع يده على الجرح من خلال الوقوف على أصل المشكلة.

1 - كاتبة وأديبة عراقية.

2 - محمد علي، د. محمود، الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري، در الوفاء،

الاسكندرية - مصر، 2020م.

3 - المصدر نفسه، ص 7.

4 - المصدر نفسه، ص 9.

مشكلة الوعي أولاً وقبل كل شيء. فنحن نعاني دائماً من رثاثة الوعي المشرعن. وهو ينطلق في مجوئه في هذا الكتاب وغير من نظرية الإنسان، التي تتبنى مركزية الإنسان ودوره المحوري في الحياة. في مقابل نظرية العبودية، التي تسلب الإنسان إنسانيته، وتصادر حقوق، وحقه في الحرية والاختلاف باسم الدين.

كما ركز الأستاذ ماجد على مفهوم الحرية، إضافة الى مفهوم الوعي، باعتبارها إحدى مقومات وذاتيات الإنسان و(.. إذا لم تكن من ذاتيات الإنسان فهي من أخص خصائصه وأعراضه. وقد لا أجازف - والكلام للغرباوي - حينما أعتبرها فصلاً في الحد المنطقي، لأنها ليست أقل خطورة من الناطقية¹. فالوعي لا يكفي ما لم تتمتع المرأة بمساحة كافية من الحرية التي تجسدت فيها إنسانيتها، وفراقتها. وبكل الأحوال النزوع للحرية هو نزوع إنساني. هذا ما أكدته الأستاذ ماجد في رده على سؤال ورد في نفس كتاب الفلسفة النسوية: ومادامت كذلك فهي حق وجودي للإنسان. فلاستاذ الغرباوي آراءه الخاصة حول الإنسان والمرأة خاصة، على أساسها يقارب القضايا الإشكالية. فعندما سُئل عن موقفه من المدرسة النسوية (الليبرالية) التي تراهن على الرأسمالية في استرداد المرأة حقوقها، كما يؤكد هذا الاتجاه النسوي الليبرالي، أجاب بشكل صريح وواضح: (تفترض هذه المدارس أن مشكلة النسوية مرتقنة لحلول البنى الفوقية بينما المشكلة الأساس في المقولات التأسيسية للوعي النسوي واهتزاز الثقة بالنفس)². وهذا ما أكدته عند تعريفه لمفهوم النسوية: (تحرير المرأة وإعادة تشكيله وفق رؤية إنسانية عادلة). ونحن في العالمين العربي والإسلامي بل وحتى الدول المتطورة، مازالت المرأة تعاني من عقدة المظلومية واضطهاد الرجل لها، لكنها لا تسأل عن سبب مظلوميتها؟ وهل سببها الرجل فقط أم أعانتها المرأة على ذلك؟!³. وهنا إجابة دقيقة، تجعلنا نعيد حساباتنا ألف مرة. والخذ بنظر الاعتبار

1 - المصدر نفسه، ص 28.

2 - المصدر نفسه، ص 35.

3 - المصدر نفسه.

أهمية فهم صلب الموضوع، ومعرفة الأسباب الحقيقية، من أجل الوصول إلى تسوية مناسبة للإشكالات المطروحة.

وأما عن اضطهاد المرأة والأسباب الحقيقية لهذا الظاهرة التي لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات، خاصة مجتمعاتنا العربية، فهو يؤكد: لا شك أن ثقافة العبودية وقيمها الأخلاقية مازالت راسخة، ونحتاج لاستبدالها بالنظرية الإنسانية جهوداً كبيرة، أهمهما معالجة الموروث الثقافي، وتحليل ونقد الخطاب التراثي الذي يؤصل لنقص المرأة وحاجتها المستمرة للوصايا، ويفرض عليها باسم الدين والقيم الأخلاقية الطاعة والانقياد وعدم معصية الرجل. واستبداله بخطاب إنساني، عقلاني، تنويري، يقوم على العدل والانصاف والرحمة والتراحم، وهي قيمنا التي حثت عليها النصوص المقدسة¹.

رموز الحركة النسوية

لا يمكن الاستهانة بالجهود التي بذلتها رموز الحركة النسوية في العالم منذ القرن التاسع عشر ابتداءً من تمرد نساء نيويورك للمطالبة بتخفيض ساعات العمل وتحسين ظروفهن في المعامل، وهي جهود كبيرة حققت مكاسب أولية لصالح المرأة، ثم توالى تحركات النساء وقد شهدت أمريكا تحركاً جديداً سنة 1904م وسنة 1908 وحتى أول مؤتمر سنة 1945. وفي موازاة هذه التظاهرات كانت هناك جهود ثقافية وفكرية تثري الحركة النسوية وتنظر لها². والإنصاف أن مشكلة المرأة مشكلة تاريخية يتمكن الباحث من رصدها خلال أحكام الشريعة التي تعكس وجود جدل محتدم حول المرأة ومكانتها وحقوقها، لأن آيات الكتاب كانت تنزل استجابة للواقع، والحكم يكشف عن تناقضاته. بل بعضهم أدرج حتى نشاطات هيئاتها في القرن الخامس الميلادي ومن تلاها لجهود النسوية العالمية، بل يمكن إدراج جميع الجهود المبذولة في هذا الاتجاه

1 - المصدر نفسه، ص 39-40.

2 - المصدر نفسه ص 45.

فطالما كتبت النساء عن مظلوميتهن وحقوقهن المسلوبة¹. وبهذا الصدد ذكر الأستاذ ماجد الغرباوي عددا من النساء التي ساهمت في الدفاع عن مظلومية المرأة، عربيات وعالميات وأشاد بها لأن المرأة أقدر على التعبير عن مظلوميتها. كما ذكر بعض الرجال المناصرين للمرأة.

المرأة والحركات الإسلامية

في الفصل الخامس من كتاب الفلسفة النسوية: الحركات الإسلامية والمرأة. أجاب الغرباوي إجابات تدل على مدى تفهمه لجميع المستويات الفكرية، فجعل أجوبته واضحة لا غموض فيها. من يقرأها يشعر بالأمان والثقة بفكره، حيث أكد: أن الموقف يختلف من امرأة إلى أخرى باختلاف زاوية النظر. وعندما (تنظر الحركات الإسلامية والناشطات والداعيات الإسلاميات بوجه عام إلى مفهوم النسوية نظرة استهجان وازدراء)، فلأنها تستمد موقفها من مرجعيات تحتل المرأة وتصادر إنسانيتها وحقوقها، تحت شتى العناوين، أخطرها الدين وشريعة سيد المرسلين، وهي حدود أغلبها تنظيرات فقهية، وتأويلات ذكورية للنص الديني، غير أنها مقدسة بالنسبة للعقل التراثي².

ما بعد الكولونيالية

أما الفصل السادس فقد استعرض الغرباوي المنطلقات الفكرية لنسوية المرأة ما بعد الكولونيالية. وهي تارة يراد بها مرحلة تاريخية تأتي بعد مرحلة الاستعمار فيشار لها بهذا الاعتبار. وأخرى يراد بها تقصي آثار وتداعيات الاستعمار على الثقافات والمجتمعات التي عانت من سطوة الحكم الكولونيالي³. وقد بينها بشيء من التوسع

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه، ص 53.

3 - المصدر نفسه، ص 65.

ووضع النقاط على الحروف فيما يخص تلك المرحلة التي تعتبر مرحلة منفتحة ذات نسبة كبيرة من الحرية. وقد تختلط فيها ثقافات قد تكون غريبة في فترة ما قبل الاستعمار لذلك تعد هذه المرحلة من أخطر المراحل التي يمر بها أي شعب من الشعوب. وأعود وأضيف تعريف آخر للأستاذ ماجد بهذا الخصوص وفي هذا الفصل ذاته حيث عرف تلك المرحلة بأنها "نقد الهيمنة الامبريالية وتداعياتها على الوعي الثقافي والاجتماعي"¹ وأوضح أن كل ذلك يقع ضمن مسؤوليات النسوية. التي هي حركة وعي مجتمعي تفكك الخطاب الاستشراقي.

فصول الكتاب شيقة، لأن إجابات المفكر والباحث الغريابوي كانت ردا على أسئلة مهمة جدا، يمكن أن تطرح على مر الأزمان. وردوده مشوقة وموثوقة، تشجع على قراءتها ومتابعتها.

قهر المرأة

لقد خصص الكتاب فصلا عن قهر المرأة لأهميته البالغة، بل "يعد القهر الذي تتعرض له المرأة موضوعا عالميا وليس موضوعا عربيا، فكيف تقهر المرأة من وجهة نظركم؟"²، هكذا سأل د. محمود محمد علي. فأجاب: يعني قهر المرأة اصطلاحا: "حالة نفسية سلبية تتعرض لها المرأة من جراء مواقفها أو مواقف ذكورية ظالمة"³. وأوضح: إن الحالة النفسية "ردة فعل لا شعورية، تخلق أجواء نفسية لدى المرأة من جراء مشاعر أو سلوك أو موقف يثير حالتها النفسية والعصبية"⁴. ثم استعرض خلال رده على السؤال، أسبابا موضوعية وراء قهر المرأة وشرحها بشيء من التفصيل بحيث عالج الكثير من الأسباب بطريقة سلسلة، فكما نعلم أن معرفة الأسباب يعتبر جزءا

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه، ص 79.

3 - المصدر نفسه.

4 - المصدر نفسه.

من حلها فكيف إذا وجد السبب والحل معاً وهذا ما ستجده أيها القارئ العزيز في هذا الفصل من هذا الكتاب الرائع.

مكونات الوعي النسوي

الفصل الثامن حمل عنوان: مكونات الوعي النسوي وارتقانات تشكيله. حيث دار الحديث فيه عن المساواة وما هو الأساس الذي تقوم عليه؟ هل هو بيولوجي أم يتعدها على ذات المعاني بل يتجاوز ذلك إلى المعاني ذات الصلة بعلاقات القوى بين الجنسين. وهل الاختلاف سواء كان بيولوجيا أم أوسع، موجب لقهر المرأة؟. ثم استعرض السائل مجموعة إشكاليات تخص المرأة، وذكرت أجوبة عدة من زوايا نظر مختلفة، وهنا علّق الأستاذ الغرباوي على ذلك بقوله "برأيي لا يمكن حسم الموضوع إلا من قبل المرأة نفسها، شريطة أن لا تنطلق من عقدة المظلومية والشعور بالنقص وتحدي الرجل وسلطته، ورغم مشروعية مطلبها، ورغم الاعتراف بما لحق بها من قهر وتنكيل، يجب عليها أولاً أن تعي ذاتها وإنسانيتها واستقلاليتها، وتعي حدودها كي تتعاطى مع مطالبها تعاط موضوعي إنساني متوازن يأخذ بنظر الاعتبار خصائصها الوظيفية والنفسية والجسدية بحكم أنوثتها وتكوينها النفسي والفوارق البيولوجية"¹. وأضاف "إن الفلسفة النسوية تقوم على وجود وجهة نظر خاصة بالمرأة، فهي تنظر إلى الاختلاف بين الجنسين، لا باعتباره اختلافاً بيولوجياً فحسب بل يتجاوز ذلك إلى المعاني ذات الصلة بعلاقات القوى بين الجنسين، والاختلاف من وجهة النظر النسوية لا يكون أبداً مبرراً للقهر). كلام الأستاذ ماجد الغرباوي منطقي ومقبول ولا خلاف عليه فقد بين بشكل واضح ما للمرأة وما عليها وذلك لا غبار عليها .

1 - المصدر نفسه، ص 91.

المرأة والنظام الأبوي

يقصد بالنظام الأبوي اصطلاحاً، كما جاء الفصل التاسع من الكتاب: نظاماً اجتماعياً عمودياً، يقوم على سلطة الأب ويتقوم بالتبعية والانقياد واستعباد المرأة. وما زالت قيمه تسري، ضمن الأنظمة المتذبذبة بين الحداثة وقيم الآباء. والنظام الأبوي ولید شرعي لقيم العبودية، التي ارتفعت وعي البشرية ردحا طويلا من الزمن. لكن الأستاذ الغرباوي سجل عليه "عدم شموله لمصاديق أخرى للهيمنة، التي لها ذات السلطة الابوية فالتعريف ليس جامعاً مانعاً بالمفهوم المنطقي لذا أفضل تعريف له – والكلام للغرباوي – هو "النظام الابوي: "نظام الهيمنة الفوقية والانقياد الطوعي"¹.

ثم جرى الحديث في نفس السياق حول نقطة مهمة تتعلق بالأصول الفلسفية للتبعية. يقول عنها الأستاذ ماجد الغرباوي: اختلفت الآراء حول الأصول الفلسفية لتبعية المرأة في هذا النظام، وثمة تفسيرات لبدايتها، جميعها تكهنات، لعدم وجود حقائق تاريخية يمكن الاستناد لها، ولا يكفي ما كشفت عنه الآثار والأبحاث الأنثروبولوجية وعلم الأجناس، وأغلبها قياس الماضي على النماذج البشرية البدائية في أستراليا والأمازون وغيرهما، فهي استنتاجات تخمينية واستقرارات ناقصة². ثم استشهد بآراء أنجلز وفرويد وغيرهما، وناقشها نقاشاً موضوعياً.

المرأة والاندسكيب

خصص الكتاب فصلين لاستعراض مشاريع النسوية لدى أربعة شخصيات مهمة: رفاعه الطهطاوي، محمد عبده، عبد الوهاب المسيري، وبمى الخولي.

ثم انتقل الحوار في الفصل الثاني عشر الى موضوع المرأة والاندسكيب. إذ ابتدأه د. محمود محمد علي بقوله: (يري البعض أن دراسات الأنوثة تنطلق من

1 - المصدر نفسه، ص 99؟

2 - المصدر نفسه، ص 101م.

الفرضية القائلة بأن المرأة عضو فاعل في المجتمع، غير أنها لا تحصل على حقوقها المفترضة، ولذا سعت المرأة بأن تقوم بتغيير مظهر سطح الأرض وتعديله "اللانديسكيب Landscape" بطريقة تختلف عن طريقة الرجل). فأجاب الأستاذ ماجد حول هذا الموضوع: يشتمل السؤال على مقدمات، ينبغي تحري صديقتها، وأين نتفق أو نختلف معها، للتوفر على نتيجة موضوعية. المقدمة الأولى: (المرأة عضو فاعل في المجتمع)¹. وهذا لا غبار عليه. ولا يمكن لأحد إنكاره إلا من كان ظالما لنفسه، معتدًا أثيم. بل ليس في الكون سواهما. وهما يقتسمان مصيرا واحدا، وحياة مشتركة. أحدهما يكمل الآخر، ولا يمكن الاستغناء عن بعضهما. ويكفي أدوار المرأة في الأمومة، وخدمة العائلة، ومشاركتها له في كثير من الأعمال. فضلا عن مسيرتها الحياتية في جميع المجالات. وتاريخها ومنجزاتها تشهد لمسيرتها. وهي مسيرة تاريخية. فالمرأة مضطهدة، مهضومة، وهذا معنى المقدمة الثاني: (غير أنها لا تحصل على حقوقها المفترضة). بفعل النظام الأبوي الذي يهتس الأنوثة، ويمجد الذكورة، بدوافع نرجسية واستعلاء جنسي. وقهر لتحديها الوجودي، المتمثل بتوقف وجوده على وجودها². مما حدى بها بعد مسيرة طويلة من المعاناة، استعادة شخصيتها من خلال المطالبة بحقوقها وانتزاع اعتراف إنساني بها.

(ولذا سعت المرأة بأن تقوم بتغيير مظهر سطح الأرض وتعديله (اللانديسكيب Landscape بطريقة تختلف عن طريقة الرجل). وهي المقدمة الثالثة³.

ثم تطرق الأستاذ ماجد الغرباوي في هذا الفصل إلى موضوع الجندر بطريقة تجعلك تفهم هذا المصطلح وارتباطه بالوضع الراهن الذي يعيشه العالم وخاصة فيما يتعلق بالمرأة.

1 - المصدر نفسه، ص 137.

2 - المصدر نفسه، ص 138.

3 - المصدر نفسه

الأبعاد السياسية في العلاقات بين الجنسين

الابعاد السياسية في العلاقات بين الجنسين عنوان لافت، تحدث فيه الباحث في الفصل الثالث عشر من الكتاب، عن مدى تأثير الدولة والسياسية على العلاقة بين الجنسين، وهل النسوية نظرية ذات بعد سياسي يؤكد على أن للدولة وللسياسات العامة وللمؤسسات تأثيراً على العلاقات بين الجنسين، وبالتالي هناك فارق بيولوجي طبيعي بين الجنسين؟. فتساءل الأستاذ ماجد: لكن هل يلزم من الفارق البيولوجي: تفاوت القدرات العقلية والقيمة الإنسانية حداً يقتضي مركزية الرجل ودونية المرأة، وهو ما تؤكد منظومة القيم الأبوية؟. أو هل يلزم من الفارق البيولوجي تبرير صلاية ورسوخ ثنائية الجنسين، وعدم هدرها. والتمركز حول الأنثى في مقابل التمرکز حول الذكر، والسعي لإحلال الأنوثة محل الذكورة، وهو ما تتبناه النسوية الراديكالية المتطرفة؟¹.

فالنظرية المشار لها في السؤال وليدة النسوية الراديكالية المتطرفة، حيث تستدل لتأكيد رؤيتها، بتأثير الدولة ومؤسساتها وسياساتها على العلاقات بين الجنسين، حينما تتحيز للذكر دون الأنثى. ولا يخفى حجم التطرف في هذه النظرية وهي تصر على الفصل بين الجنسين، لكن لا ينكر دور الدولة وتحيزها للذكر دون الأنثى في دوائر القرار، وإدارة مؤسساتها.

الموقف من المدارس النسوية

في الفصل الرابع عشر بين الباحث الغرباوي موقفه من المدارس النسوية: النظرية النسوية الاصلاحية، النظرية النسوية المقاومة، والنظرية النسوية المتمردة. وكانت ردوده وافية. واختتم حديثه بملاحظة، مفادها: أن مشكلة المرأة ليست مشكلة أنثوية خالصة، ولا ذكورية متسلطة، بل مشكلة ثقافية عامة، يشترك فيها الفرد والمجتمع. فلا يكفي التركيز على حضور المرأة، رغم أنه شهادة عملية تعزز إنسانيتها، لكن

1 - المصدر نفسه، ص 149.

ينبغي أيضا إعادة تشكيل الوعي من خلال تفكيك الأنساق الثقافية والمهيمن الفكري، وتشكيله على أسس إنسانية، ينظر للمرأة نظرة إنسانية عادلة، خالية من الدونية والنظرة السلبية. بعيدا عن خصوصياتها، التي تفرضها طبيعتها. لكن الخصوصية لا تعني الدونية بأي شكل من الأشكال. فهي ليست نقصا تكوينيا، بل كمالا ينسجم مع دورها الحياتي. فكما لا يكتمل الرجل إلا بخصوصياته، فكذا المرأة مع خصوصياتها¹.

الوظيفة البيولوجية للمرأة

هل هناك قيم ثقافية تم الصاقها بالمرأة بالاعتماد على هذا الفارق البيولوجي أو الجنسي؟. أي أن ثمة قيم مكتسبة تعتمد على الوظيفة البيولوجية للمرأة والوظيفة التشريحية التي خصتها بها الطبيعة وهي قدرتها على الحمل والانجاب؟. هذا السؤال طرحه الدكتور محمود محمد علي في الفصل الخامس عشر من كتاب النسوية. فأجاب الغرباوي: لا يخفى أن الوظيفة البيولوجية للمرأة كانت وراء تصنيفها². فهي بالنسبة للرجل جسد وطبيعة بيولوجية مغايرة. وثمة اختلاف في تفصيلات جسديهما. المرأة تحمل وتلد وتحيض وتعرضها حالات نفسية خلال حملها وولادتها. ويتأبها ضعف وإرهاق. مشدودة للعواطف والرومانسية. كما يجدها مرهنة لقوته وإرادته جنسيا، يمكنه قهرها أو تجاهلها. وهنا هو لا يفسر الاختلاف تفسيراً إنسانياً، أو تكاملياً كما نفهمه بعد تطور مختلف العلوم، ولا يجد سوى الاختلاف البيولوجي علة لذلك. وتبقى المرأة بالنسبة له رَحْماً ومبيضين. فالدونية قدر طبيعي، وليس ظلماً أو عدواناً ضدها. بل أن أنوثتها تقتضي اختصاص الرجل بتدبيرها، وتحديد وظيفتها³.

1 - المصدر نفسه، ص 160.

2 - المصدر نفسه، ص 163.

3 - المصدر نفسه.

وقد حمل الغرباوي الفهم الخاطئ للأديان والثقافات مسؤولية النظرة الدونية للمرأة ودورها في المجتمع .

سوء فهم الخطاب الديني للمرأة

في الفصل السادس عشر تحدث د. محمود محمد علي عن سوء فهم الخطاب الديني للمرأة، حيث أكد أن النسوية الإسلامية كما يزعم أنصار النسوية الأوروبية تعاني من مشكلة التمييز بين الرجل والمرأة، حيث يتصورون بأن الإسلام هو من أكد على أن الذكر هو من حدد ما يجب أن يمنح للمرأة¹. وأضاف السائل أن مشكلة التمييز تظل مشكلة عالمية، كل النساء عانت منها. حتى تبلورت نظرة دونية للمرأة. وتم تنميط لدور المرأة داخل الزواج والأمومة، حيث توجد حالة من تنميط الدور الأمومي والزواج وحالة من الاقصاء والتهميش للمرأة؟. وهنا أجاب الأستاذ ماجد الغرباوي: وبالتالي لا خصوصية للإسلام، مادامت القضية عالمية تاريخياً... المنطق الذكوري هو المنطق الذي ساد الحياة البشرية، ولا قياس على الأمثلة النادرة. ولا أدري مدى صحة تفصيلات مرحلة الأمومة، ولو صحت فأيضاً الذكر كان وراء تقديس المرأة، لأن بنية الوعي كانت وما زالت بنية ذكورية، مادامت المسألة أبعد من الجانب الوظيفي وأدوارها في الحياة². ويؤكد على أن الإسلام ينتمي كدين وثقافة وعقيدة وروابط اجتماعية لبيئته وثقافته هدفه مكافحة الشرك والتصدي للكفر وانتشال الوعي من لوثة عبادة الاوثان و الأصنام وسيادة العدل. وعندما تولى قضايا المرأة لم يقدم فهماً للأنوثة يبتعد بها عن الوعي المألوف وأدوارها المرسومة مسبقاً "المنزل ورعاية الأطفال وخدمة الرجل" وانما طالب الرجل بالرفق والعدل والإنصاف ورعاية خصوصيتها في تعامله معها.

1 - المصدر نفسه، ص 175.

2 - المصدر نفسه.

من خلال بيان الأستاذ ماجد الغرباوي لهذا الأمر اتضح مدى عمق دين الإسلام فيما يتعلق بالمرأة ككائن حساس رقيق وفند فكرة الغرب فيما يتعلق بهيمنة الرجل على المرأة في ديننا الإسلامي السمح.

النسوية الراديكالية المتطرفة

أكد المفكر العراقي ماجد الغرباوي: لست مع جميع مطالب النسوية خاصة ما تتبناه النسوية الراديكالية المتطرفة. وقصد بكلامه كما هو واضح في هذا الفصل أن يتعاطف مع الثورة النسوية المتوازنة التي قامت ضد تداعيات التفوق الذكوري الذي افضى إلى تهميش الأنثى فهي دعوة لاستعادة إنسانية المرأة أساساً للمطالبة بحقوقها¹. وهنا أتفق مع الأستاذ ماجد في هذا الخصوص فلو طالبت المرأة بفكرة التفوق الذكوري وبناء مجتمع البطريكي الابوي إذاً بهذه الحالة ستتقلب الموازين وسيكون هناك ظلم ونعود إلى الوراء في هذه النقطة، فالمرأة يجب أن تكون منصفة في هذا الخصوص وتكون واقعية في تحديد مطالبها بشكل منطقي وعقلاني.

المرأة وقوانين الطبيعة

في الفصل الثامن عشرة بعنوان: المرأة وقوانين الطبيعة. طرح د. محمود محمد علي سؤالاً، مفاده: ماذا نعني أن المرأة كوجود طبيعي أي مثلها مثل الرجل تخضع لقوانين الطبيعة. وما يميز المرأة عن الرجل أن الطبيعة خصتها ببنية تشريحية تسمح لها بالحمل والإنجاب، كما خصت الرجل ببنية تشريحية أخرى تسمح له بالإخصاب هذا الفارق البيولوجي هو فارق طبيعي؟². وهنا أجاب الغرباوي: ثمة قصدية وراء هذا الكلام مفادها إرثان أدوار المرأة في حدود الأسرة والأمومة للفارق البيولوجي فتبدو الأنوثة حتمية بيولوجية مفروضة عليها ومسألة خارجة عن إرادتها، ولازمة نفي مسؤولية

1 - المصدر نفسه، ص 185.

2 - المصدر نفسه، ص 193.

النظام الابوي والمنطق الذكوري والأمر يعود للطبيعة التي كيفتها مع مهام الأمومة بما يناسب انوثتها كما أن وظائف الرجل مرتحنة للعامل البيولوجي فكذلك المرأة¹.

إن فطنة وذكاء الأستاذ الغرباوي في إجابته على هذا التساؤل يجعل من المرأة سعيدة لأن من يحاول أن يقلل من شأنها ويقلل من موقعها قد فُتدت من خلال هذه الإجابة الصارمة والواضحة لهذا وأنا كامرأة أرى إن الأستاذ ماجد الغرباوي منصف جداً في مناصرته لقضايا المرأة فهو غير منحاز في إجاباته حول كل التساؤلات السابقة.

التحيز ضد المرأة

كان موقف الأستاذ ماجد في الفصل التاسع عشر، صارما من جميع أشكال التحيز والتمييز التي عانت منها المرأة. وكان في موقفه هذا بصدد الرد على سؤال السائل، الذي جاء فيه: (... فهل يعتقد الأستاذ أن النسوية - كإطار فكري وفلسفي وحركة سياسية - تمثل توجهها يدافع عن حقوق المرأة، ووضع حد لأشكال التحيز والتمييز التي عانت منها المرأة على مدى التاريخ؟)². يقول: لا شك أن الأطر الفكرية والفلسفية التي تم التنظير لها، ارتقت بالنسوية من مستوى حركة سياسية - اجتماعية ترفض الذكورية التي شكّلت وجودها القيمي، وتطالب بحقوق المرأة ومساواتها به إلى وضع أطر نظرية وفلسفية تتحرى الأسباب الحقيقية وراء دونية المرأة، ومعالجتها من خلال طرح بدائل فكرية وفلسفية، تسمح برؤية الهوية الحقيقية للمرأة، وأبعاد شخصيتها التي تستقل فيها عن الرجل، رغم اختلاف النتائج³. ونسب وعي المجتمع للمرأة ودونيتها لثقافة اجتماعية متأصلة، مصدرها فهم خاطئ للدين وقيمه، وقيم النظام الأبوي والاستبدادي والذكوري، وطالب بطرح بدائل للنظام الابوي

1 - المصدر نفسه، ص 193.

2 - المصدر نفسه، ص 199.

3 - المصدر نفسه.

والحتمية البيولوجية تستعيد المرأة كائناً انسانياً سحقته قيم العبودية . هذا الربط الرائع من قبل الأستاذ الغرباوي يجعلنا نعيد حساباتنا ألف مرة فمن خلال التشريعات السماوية ستجد المرأة حقوقها التي أخذت منها عنوة جراء الجهل والظلم الذي يبتعد عن كل تلك التشريعات وهذا ما أكد عليه.

حجاب المرأة

لقد كان موقف الأستاذ الغرباوي من الحجاب مفصلاً في الفصول الثلاثة الأخيرة من الكتاب. حيث تناول موضوع حجاب المرأة من جوانب عديدة. منها باعتباره زياً من الأزياء، يحدد انتماء المرأة لثقافة ما. وباعتباره واجباً شرعياً تفرضه الأديان. وقد حذر من المغالاة واللامبالاة من حجاب المرأة فكلاهما موقف غير صحيح. مادام الحجاب يعبر عن قناعة، مهما كان مصدرها. ثم نبه الأستاذ الغرباوي إلى أنواع الحجاب من حيث دوافعه وغاياته، بما يلي¹:

1- امرأة ترتدي الحجاب عن وعي، باعتباره شَعيْرة دينية، تخص المرأة، وتجد فيه كرامتها وعدم ابتذالها.

2- حجاب تفرضه العادات والتقاليد. يكسب المرأة مكانة اجتماعية، سواء التزمت بتعاليم الدين أو لم تلتزم. أم كان التزامها شكلياً، فجميعه لا يؤثر، المهم أنها تجد في الحجاب ذاتها وتؤكد وجودها وتكرس انتماءها، فيكون الحجاب هوية ورصيداً رمزياً، يضمن لها مكانة اجتماعية متقدمة.

3- وثمة حجاب يخفي تحته تمرداً أنثوياً وصدى لشراسة القمع ومعاناة القلق المصيري وراثته القيم والتقاليد ومصادرة حقوق الحريات والمساواة.

1 - المصدر نفسه، ص 218 - 219.

4- امرأة تكره الحجاب لديها نزوع للتحرر الراديكالي المتطرف، قد يكون ردة فعل ضد ثقل الموروث الاجتماعي، فهي تبحث عن هامش من الحرية لتمرّد عليه، فيكون هدفها الأساس ممارسة حرية متطرفة.

5- امرأة تعتبر تبعا لتقاليد مجتمعها الحجاب مقياسا لشرفها، يرتفع طرديا بزيادة عدد قطع القماش التي تلتحف بها، وبقدرتها على التواري عن الرجال.

ويستنتج الأستاذ الغرباوي مما تقدم أن المطالبة بإعادة قراءة حكم الحجاب في الشريعة، ودعوات خلعه، وحالات التمرّد عليه، في مقابل دعوات التمسك به، تتقاسمها أسباب ذاتية وموضوعية. يمكن رصدها¹.

وصلنا للمحطة الأخيرة من هذا الكتاب القيم الذي يعتبر إضافة رائعة لكل قارئ. تضمن الكثير من الآراء والأبحاث للأستاذ ماجد الغرباوي حول مسائل كثيرة متشعبة حيث أمارت اللثام عن أمور من صعب فهمها وشرحها إلا انه ذلل صعابها. فكان أسلوبه في هذا المجال ممتعا وشيقا، وشاملا لجميع موضوعات الفلسفة النسوية.. شكري وتقديري للمفكر والباحث الكبير الأستاذ ماجد الغرباوي على إجاباته، وشكرا للدكتور محمود محمد علي على أسئلته القيمة التي كانت وراء هذا العرض الممتع لموضوع النسوية.

الحركات الإسلامية

قراءة نقدية في تجليات الوعي

لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة آية محيي الدين¹

مازال الإنسان منذ القدم، يسعى إلى تحقيق المساواة، وبناء مجتمع يسوده العدل، وينعم فيه بحقوقه المشروعة، غير أن الانظمة الوضعية التي بُنيت على أنقاض البسطاء والكادحين، قد فشلت في ذلك. لتصبح الحركات الإسلامية الأمل الوحيد أمام المحرومين لنشر العدل وبسط الأمن والرفاهية والاستقرار، بعد التحرر من ظلمات الأنظمة الحاكمة ونير الاستبداد. وقد تمكنت هذه الحركات من خداع البسطاء عبر وعود كاذبة تبشّر بالعدل والمساواة. وقد رفعت في حينها شعارات براقعة، كـ "الإسلام هو الحل" أو "القرآن هو الحل"، أي لا حل إلا ما تطرحه الشريعة الإسلامية. وبالفعل نجحت هذه الحركات في إعداد قاعدة شبابية متدينة، كوّنت فيما بعد ظاهرة اجتماعية واسعة².

مما لا شك فيه ان الحركات الإسلامية، قبل الدخول في السياسة، كانت أحد مصادر الوعي الديني، إضافة إلى دورها الهام في مواجهه الاستعمار والاستبداد، خاصة استبداد الحكّام الظالمين. (وقد تعاطفت الجماهير المسلمة مع التيارات الدينية، بعد فشل الأنظمة الوضعية، في تحقيق الحد الأدنى من الرفاه والحرية، خاصة وأن

1 - كاتبة مصرية - ماجستير علوم سياسية

2 - الغرباوي، ماجد، الحركات الإسلامية.. قراءة نقدية لتجليات الوعي، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2015م، ص 8.

الحركات الإسلامية كانت وما زالت ترفع شعارات إسلامية، بقيت أملاً في نفوس الناس، ثم راح الخطاب الإسلامي يتمادى في تغذية المخيال الشعبي من خلال رسم صور حاملة عن نظام الحكم الديني، وحجم الرفاه والسعادة في ظل اقتصاد إسلامي، ينعم بالمساواة والعدل، ينعدم فيه الفقير والمحتاج، لا فرق فيه بين الحاكم والشعب في تطبيق الأنظمة والقوانين، فضلاً عن ثواب الآخرة جزاء لصبر الإنسان وثباته في تطبيق شريعة الله على يد الدعاة الميامين)¹.

لكن الحال قد تغيرت بعد دخولها عالم السياسة، ليصبح هدفها الرئيس قيام دولة إسلامية، فاتخذت، وهي تسعى لتحقيق هدفها، منحى بعيداً عن الدين. وأصبحت السلطة هدفها ولو بالقوة. فكانت خطواتها الأولى التشبث بالعنف والإرهاب. فانعكس سلوكها المتطرف سلباً على الإسلام والمسلمين. ثم توالى نشوء حركات وفصائل إسلامية هدفها السلطة فاشتد الصراع بينها حدّ الاقتتال، جميعها يقاتل تحت راية الإسلام. وبهذه المناسبة سنتخذ من الله مثلاً للدولة التي ابتلت بانتشار الحركات المتطرفة. كما أن تجربة الحكم كشفت الوجه الحقيقي للحركات الإسلامية التي ارتكبت أخطاء جسيمة، واشتد في ظلها صراع السلطة وتفشي الفساد المالي والإداري.

كتاب الحركات الإسلامية

"الحركات الإسلامية.. قراءة نقدية في تجليات الوعي"، كتاب نقدي للأستاذ ماجد الغرباوي، صدر سنة 2015م، عن مؤسسة المثقف والعارف للمطبوعات، يقع في 160 صفحة، حجم متوسط، تناول فيه نقد الحركات الإسلامية بحثاً عن حقيقتها، يقول المؤلف عن كتابه: (تعود كتابة هذه الأوراق لسنين 2004-2006، فهي شهادات حية تراوحت بين استدعاء الذاكرة خلال فترة ثلاثين عاماً أو يزيد في صفوف المعارضة، وبين معاصرة لسلوك الإسلاميين في السطلة "العراق

1 - المصدر نفسه، ص 7.

تحديداً، فتمخضت عن رؤية نقدية لتجليات وعي الحركات الإسلامية المختلفة¹. مما أعطى الكتاب صفة تنظيرية - نقدية. فالكتاب يعبر عن تجربة شخصية ورصداً لسلوك الحركات الإسلامية في المعارضة والسلطة. من هنا تأتي أهميته، مما دعاني لتقديم قراءة عنه، عسى أن تكون بمستوى العمق الذي يتمتع به الكتاب، وتكون سبباً للتنبيه حول أهميته لكل سياسي وكاتب يروم الكتابة عن هذه الحركات.

إشكاليات الوعي الحركي

تعانى الحركات الإسلامية مشكلة وعي، على صعيدي الذات والآخر، خاصة الآخر المختلف، دينياً وعقدياً وسياسياً. كما أنها تعاني أزمة وعي الذات وأسباب تخلفها وإخفاقاتها، دون أن تدرك ذلك. والغريب أنها لا تعي حجم التخلف ودرجة خطورتها. وما زالت تعيش أوهام التفوق المعرفي والفكري والسياسي، وقد أحاطت نفسها ومنظومتها الفكرية والعقائدية بسور قدسي حرّم النقد والمراجعة. وحبست نفسها داخل أيديولوجيتها الفكرية والسياسية القديمة دون الانفتاح على الآخر، وعدم قبول أفكاره وآرائه وديانته². فهذه الخطوة كانت كفيلة بظهور حركات أشد تطرفاً، لجأت إلى العنف لتحقيق أهدافها السياسية، مع رفض الآخر، ونعته بالكفر والشرك والانحراف لمجرد تعرضها للنقد من قبله.

تمثلت الحركات الإسلامية حديثاً بالتنظيمات الحزبية، التي تعد بمثابة اجواء روحية وتفاعلات وجدانية تمارس تغييب الوعي لتربح فرداً مطيعاً مستسلماً، يتفاعل لا إرادياً مع أهدافها وتنفيذ أوامرها دون نقاش. بل يعتبر النقد بمثابة عصيان أو سوء عاقبة تحول دون وصوله إلى درجة اليقين³.

1 - المصدر نفسه، ص 12.

2 - المصدر نفسه، ص 16.

3 - المصدر نفسه، ص 20.

لقد أثبت التاريخ ان بداية التقدم تكمن في التحرر من أسر الحركات الدينية المتطرفة، كما حصل في أوروبا عندما رفض الشعب سلطة رجال الدين. لكنها لم تتحول إلى شعوب ملحدة عندما رفضت سلطة الكنيسة. وكل ما فعلته، حدث من سطوتها وتحكمها برقاب الشعب. وأعادت للدين دوره الإنساني، ولم تسمح لأحد بتوظيفه لمصالح سياسية، أو غيرها¹. ومن يرد التقدم فليتححر أولاً من سلطة فكر الحركات الاسلامية.

الصنمية وأزمة الوعي

الوعي يعني مقاومة التزييف والمغالطات، وفضح الكذب والخداع. لذلك يعتبر الوعي شرطاً لتصحيح مسار الحركات والاحزاب السياسية. أو تنهار بخموله ثم تموت. وكانت من جملة الآفات التي ابتلت بها الحركات الإسلامية على صعيد الوعي، ظاهرة الصنمية. وهي (شعور سلمي يهيمن على مشاعر الفرد حد الانبهار والقداسة المتعالية على النقد)². تشبيها بعبادة الأصنام (وثنية أو بشرية). وهي حالة قد يصاب بها أي إنسان بمعزل عن تربيته وثقافته ووعيه، وبعيدا عن مكانته العلمية أو الدينية أو الاجتماعية. (إذا فخطورة الصنمية تكمن في خسران "الوعي" الذي تتوقف عليه مسيرة الحركة، كما أنها تفضي إلى استبداد القيادة ودكتاتوريتها، عبر فرض قراراتها على القاعدة، مهما كان حجم خطورتها وتقاطعها مع الأهداف والمبادئ التي آمنت بها)³. الصنمية ظاهرة خطيرة لا تقتصر على الاحزاب والحركات السياسية فقط انما تتوغل داخل الاوساط الثقافية الفكرية والدينية والقيادية مادامت تحقق مصالح شخصية وحزبية. تتجلى الصنمية عندما يدافع القطيع بقوة عن اخطاء قياداته، تقديسا لهم، مهما ارتكبوا من أخطاء، ومهما انغمسوا بالفساد المالي والسياسي. وهذا هو الخطر انما يتحول القيادي الى شخصية مقدسة بفعل الصنمية، تدافع

1 - المصدر نفسه، ص 21.

2 - المصدر نفسه، ص 23.

3 - المصدر نفس، ص 25.

القواعد الحزبية عن أخطائه، مهما تفاقت. وهنا يجب علينا كشف المستور من خلال ثقافة نقدية شجاعة، تكشف للناس حقيقة هؤلاء.

الحركات الإسلامية والصنمية

يعود اتساع ظاهرة الصنمية لدى الحركات الإسلامية إلى عدة أسباب منها:

أولاً: حرمة النقد الذي تفرضه هذه الحركات على قواعدها، فتمهّد لا شعورياً لظاهرة الصنمية، وهذا هو تزييف الوعي، الذي تظهر تداعياته حينما يتعرّض الحزب لهزات داخلية، أو انشطارات هرمية. أو عندما تفيق قواعده على سذاجة الوعي، ضعف المواقف، تخلف الثقافة، هشاشة الفكر، استغلال القيادة وحجم الفساد¹. تحريم النقد يعني استمرار الأخطاء وتفاقمهما دون معالجة جذرية تعيد للحركة توازنها. كما أن حرمة النقد تحجب الحقيقية عن الآخرين، فيتمادون في تقديس القيادات، تقديسا زائفا. والتقديس مظهر من مظاهر الصنمية.

ثانياً: المبالغة في تقديس القيادات العليا رغم بشريتها. وينسى هؤلاء ان القيادي مهما كان يبقى انسانا قد يُخطئ ويسرق ويساوم من أجل مصلحته الخاصة. لكنهم ينسون هذه الحقيقة، فيصابون بصدمة عنيفة، عندما يكتشفون حقيقتهم ويقفون على أخطائهم وربما جرائمهم. ومثال ذلك اسلاميو السلطة في العراق، فلم يمض وقت طويل حتى انكشفت حقيقته، عندما انقلبوا إلى احزاب سياسية يبحثون عن مصالحهم الخاصة. فكان سلوكهم صدمة لبقية الإسلاميين.

ثالثاً: الخطاب الديني بشكل عام، والحركي بشكل خاص يبالغ في تفسيراته الغيبية لسلوك قياداته، فيعتبرها لطفاً وتسديدا وعناية من الله تعالى، وهذه التفسيرات تمهّد لتكريس ظاهرة الصنمية، وتساهم لا شعوريا في ترسيخها².

1 - المصدر نفسه، ص 27.

2 - المصدر نفسه ص 26.

رابعاً: الفقر الفكري والثقافي كان أحد أسباب ظاهرة الصنمية داخل الحركات الإسلامية. حتى تمكّن الخطاب الحركي من تحريك قوافل الشباب باتجاه الموت معبأين بإيمان أسطوري، فيفجّرون أنفسهم، يقتلون النساء والأطفال قرابة الله تعالى، وينتَحرون على أمل لقاء الله ورسوله بوجوه بيض، وسبب هذه الظاهرة، صنمية الفكر والشخصيات الحركية البارة¹.

الوعي وظاهرة الصنمية

يبقى تخلف الوعي سببا رئيسيا وراء المظاهر المختلفة للصنمية، ولولا رثاثة الوعي لما استطاع أحد التلاعب بمشاعر الآخرين، وما تقوم به داعش اليوم يعتبر (تجسيدا لصنمية أفكار تم صياغتها وفقا لتفسيرات وتأويلات شخصية، أو في ظل ثقافة، لا تفهم سوى تمجيد الموت، ونبذ الحياة، فاستطاعت من أجل تمرير أفكارها تقديم قراءات للنص الديني بعيدة عن الواقع، وها هي اليوم تلتهم كل جميل في الحياة، وتركنا نهباً لليأس والموت البطيء)².

من جانب آخر هناك صنمية الأفكار التي هي أكثر فتكا، حينما تقُدس الحركات الإسلامية أفكارها وتحرم نقدها وتقويمها. صنمية الأفكار مارد يحطّم كل أوامر المحبة والإخاء، ويقضي على كل آمالنا ومستقبلنا، حينما ينجرّف دعاة الفكرة، يقتحمون الموت، ويقاثلون من أجل الدفاع عن أفكارهم، بغض النظر عن رصيدها التاريخي والعلمي، وأكثر تجلّيا هي عقائد الفرق والمذاهب، التي تبدأ صغيرة ثم تنمو للتحوّل إلى تيار جارف أحيانا³.

1 - المصدر نفسه، ص 28.

2 - المصدر نفسه، ص 29 و30.

3 - المصدر نفسه، ص 30.

شرعية النقد

ان هدف نقد الحركات الإسلامية ليس زعزعتها والقضاء عليها كما يعتقد البعض. إنما يسعى النقد إلى تأهيلها، سياسياً وفكرياً وعقائدية لتستطيع مواكبة الواقع، وتسهم فعلياً في تغييره، بداية من احترام الآخر وتنوعه الفكري والديني والسياسي. فالهدف الحقيقي من النقد وفقاً لماجد الغرباوي، هو (إعادة تأهيل الحركات الإسلامية سياسياً وفكرياً وعقيدياً كي تكون قادرة على مواكبة المتغيرات الزمكانية، والعودة للمجتمع بقيم تساهم في تعزيز وحدته وانسجامه، وتحترم تنوعه واتجاهاته، وليس الهدف الإطاحة بها أو تحجيمها)¹. لذلك يجب على الناقد الكشف عن حقيقتها، وبيان إيجابياتها وسلبياتها بشكل واضح. ويبقى الخيار للشعب في قبولها أو رفضها. هذا هو واجبنا تجاه الحقيقة، أما مع صمت الجميع لأي سبب كان، فسيكون سبباً لاضمحلال مجتمعنا العربي. فالوعي وبيان الحقائق مسؤولية الجميع.

إن مشكلة عدم تحقق استجابة مثالية للنقد بين قواعد الحركات الإسلامية، أن أفرادها لا يقرأون عادة، ولا يتابعون النتاج الثقافي. وأدمنوا التلقين واعتادوا الإصغاء بدلاً من التعقّل والإدراك والقراءة والمتابعة. وتقتصر مسؤولية الفرد داخل الحركة السمع والطاعة وعدم العصيان، فهو وفقاً لهذه النظرية مكلف شرعاً بطاعة مسؤوله، ولا يحق له التمرد عليه، لأنه تمرد على الولي، وهو حدّ التمرد على الله².

يمكن للحركات الإسلامية مع رفض النقد والتقويم أن (تمارس سياستها بعيداً عن توظيف الدين لصالح أيديولوجيتها الحزبية)³. أو سيكون مصير الإسلام والمسلمين، مع استمرار توالد الحركات الإسلامية المتطرفة في خطر. ففي كل يوم تزداد الحركات الدينية تطرفاً، وتكون سبباً لرمي الإسلام بسهام الجهل والتخلف، مما يعكس صورة شوهاء لا تمت إلى الدين بصلة. مثال على ذلك حكم الإسلاميين في أفغانستان،

1 - المصدر نفسه، ص 42.

2 - المصدر نفسه، ص 48.

3 - المصدر نفسه، ص 52.

والأذى الذي طال الإسلام نتيجة للجهل بحقيقة الإسلام، وما تفعله الأعياب السياسية. (كما أن بعض الحركات الإسلامية من خلال ممارساتها المتطرفة تواظب، من حيث تشعر أو لا تشعر على قذف الإسلام بسهام الجهل والتخلف بشكل مكثّف، لدرجة أن الخطاب التبريري ما عاد يكفي لردّ كل الشبهات والتوجسات من تصرفات التيارات الإسلامية المتطرفة)¹.

إن كثيرا من المسلمين ما زالوا تحت سياط الشرعية التي لم يفقهوا آلياتها، ما أدى إلى تضليل الوعي وعدم معرفة الحقيقة، لذلك يعتقدون أن ممارسات الحركات الإسلامية المتطرفة تمثل موقف الدين الإسلامي الصحيح. هنا تكمن الكارثة. هؤلاء الأشخاص هم الأداة التي تستخدمها الحركات المتطرفة لاتساع قاعدتها، مما يؤدي إلى ترسيخ الظواهر المتطرفة باسم الدين واتساع فاعليتها السياسية والاجتماعية، لذلك لابد من ممارسة النقد من أجل اظهار الحقيقة امام هؤلاء الناس لإنقاذهم من الوهم...

شرعية النقد.. التأسيس

إن أكثر ما يثير قلق الحركات المتطرفة هو الإنسان الواعي الذي يتصف بشدة الحساسية ازاء التزوير والمغالطات ولا يتكيف مع الواقع إنما يعيش حالة من الثورة الداخلية ضد القيم المصطنعة لذلك يقف بوجه الخداع باسم الدين والإسلام وعدم الرضا باغتتيال الحقيقة.

لذلك يجب نقد الحركات الاسلامية نقدا موضوعيا، للأسباب التالية:

1 - المصدر نفسه.

أولاً: تاريخية الحركات الإسلامية

ان أول مبررات نقد الحركات الإسلامية هو تاريخيتها، و(يقصد بتاريخية الحركة الإسلامية خضوعها لقوانين التاريخ، فهي كأني كائن تولد، وتنمو، وتكبر، وتشيب، وتستنفذ أغراضها، وتسقط، وتتأثر بالمؤثرات الزمانية والمكانية، ويصدق في حقها الخطأ والصواب، وتحتاج إلى إصلاح وتجديد ونقد ومراجعة، وقد تتماهى مع الزمان، أو لا تصلح له، فتنهار وتسقط. أي لها بداية ونهاية، وتصاب بالتلوث والشيخوخة والتشوه)¹.

فهي تخضع لقوانين التاريخ مثلها مثل أي كائن حي. لكن قادة الحركات الإسلامية يتنكرون لهذه الحقيقة، ومازال بعضها يمارس لعبة السياسة اعتماداً على رصيدها الديني، رغم استنفاد هدف وجوده، وباتت بحكم الميثة، لا تجد سوى العنف والارهاب والألعيب السياسية مبرراً لوجودها. أو تحصن نفسها بأسماء دينية لتكتسب شرعية عالية، وتحقق رصيدها جماهيراً أكبر. يقول الباحث ماجد الغرباوي: (... ليس هناك أشد مراوغة ولعباً من العناوين والأسماء الدينية، ولا أظن ثمة أسماء تنطلي على الناس الطيبين كما تنطلي الأسماء الإسلامية التي ترفعها تلك الحركات، لذا تراها تتحصن خلف أسماء شديدة في إيقاعها ودلالاتها لتكسبها شرعية عالية تسمح لها باتخاذ مواقف أو ممارسة سلوك بدعم أسطوري من تلك الأسماء، أو تمنحها تلك الأسماء شهادة حسن سلوك لا تُسأل بسببها عما تفعل، وكيف تشرعن القتل والتناوب والاحتراب. فتجد مثلاً (حزب الله) حركة تتكرر في عدد من البلدان الإسلامية، أو (أنصار الإسلام) أو (أنصار السنة) أو (جيش محمد) وغير ذلك)². هذه الأسماء تمنح الفرد قناعة أكبر حول شرعية حركته ووجوب الدفاع عنها، ضد خصومها السياسيين، وقد يتعدى الأمر ليصفهم بالكفر والالحاد. وهذا هو الشطط، أليس جميع الحركات تجتمع تحت راية الإسلام، فكيف يحرض بعضهم ضد الآخر؟.

1 - المصدر نفسه، ص 60.

2 - المصدر نفسه، ص 64.

وما يؤكد بشرية هذه الحركات دراسة تاريخها، كيف تكوّنت، والأموال التي تفد عليها. خذ مثالا حركة طلبان التي تأسست بأموال ودعم الولايات المتحدة الأمريكية. وهناك حركات استعانت فيما بعد بمساعدات وأموال دول لأجل استمرارها. كما أنها حركات قد ارتكبت جرائم القتل، فضلا عن ممارسة العنف والتناذب، حتى باتت خطرا يهدد الإسلام. ولعل ما حدث في العراق أفضل مثال على ذلك¹. الحركات الإسلامية تتحرك باسم الدين والإسلام، وتطمح تحت عباءة الشرعية للوصول إلى السلطة، وحينئذ سوف تملّي علينا قوانين وأنظمة باسم الإسلام، وتمارس معنا شتى الممارسات باسم الدين وهي لا تعدو كونها اجتهادات شخصية². ويمكننا الاستشهاد بممارسات إيران الإسلامية التي قامت باسم الشريعة والدين بكبت الحريات، حتى أنها أغلقت صحفا إسلامية كانت تتبنى آراء معارضة³. بالإضافة إلى حركة طالبان في أفغانستان والحروب الطويلة بينها وبين فصائل المقاومة الإسلامية الافغانية التي راح ضحيتها عدد كبير من المقاتلين. وفي الدول العربية، قد ارتكب العديد من الحركات الدينية جرائم مختلفة: التناذب الطائفي، التشبث بالعنف والإرهاب، التمثيل بالموتى. وقاموا بتفجيرات قتلت الأبرياء، كل ذلك تحت مسمى الإسلام.

ثانياً: تعدد الحركات الإسلامية

المبرر الثاني لنقد الحركات الإسلامية هو تعددها مما يوضح لنا وجود اختلاف في القراءة والتأويل والفهم. ومن أسباب التعدد هو الانشقاق والتوليد حيث تتولد من الحركة الإسلامية عدد من الحركات الجديدة. ف(الانشطار والتوالد أحد أبرز خصائص الحركات الإسلامية، فعن الإخوان المسلمين "الجانب السنّي" انشقت أو تولّدت حركات إسلامية متعددة، والأمر ذاته بالنسبة لحزب الدعوة الإسلامية "الجانب

1 - المصدر نفسه، ص 65.

2 - المصدر نفسه، ص 66.

3 - المصدر نفسه، ص 67.

الشيوعي. فما من حركة إلا وتجد جذورها في إحدى هاتين الحركتين، أو وُلدت في أجوائهما وتأثرت بهما بشكل وآخر¹.

وللانشقاق عدد من الأسباب منها:

- الاختلاف تجاه قضية معينة أو صراع حول الشرعية قد يكون سببا للانشقاق. كل شخص يسعى لتقوية شرعيته، والحصول على أكبر عدد من الانصار. لذلك يصبح الفصل الجديد في عيون الحركة القديمة، خائنا للوطن وللقضية وعميلا، رغم ان معظم الحركات الإسلامية هي أدوات بيد دول أخرى، تعبت بالوقع من أجل مصالحها. بينما القراءات الموضوعية تفسر القضايا والاحداث وفقاً لمنطق الإنسان فتري الاختلاف والتعدد ظاهرة طبيعية تعكس وجهات النظر القائمة على تعدد الفهم للأحداث والقضايا كما أنها تنظر للإنسان في نوازعه البشرية وليس هناك إنسان معصوم من الاخطاء كي نستثنى الحركات السياسية إذا الانشقاق أمر طبيعي ليس من الضروري من يكون له أسباب ذات عمق.

- وأحيانا يتجلى الانشقاق والتوليد عبر التراجع الفكري. ليتحول إلى تطرف كما حصل لبعض الحركات المنشقة عن الإخوان المسلمين مثل التكفير والجهاد في مصر كأنها دولة ليست مسلمة فهذه الحركات مارست التطرف حتى مع الآخر المختلف مذهبياً معها واقترفت أعمالاً شنيعة مثل القتل وتخريب دور العبادة والتفجير...

- وأيضاً يحدث الانشقاق والتوليد نتيجة الصراع على المواقع الحزبية حيث تبدأ كل حركة بعرض مساوئ قادتها السابقين والمتاجرة بدماء الشهداء من أجل الحصول على الشرعية.

نؤكد، كما يقول الغرابوي: ان كون الإنسان متديناً لا يعني بالضرورة صحة وصدقية جميع أعماله وتصرفاته، أي أن تدينه لا يبرر ممارساته ما لم تكن متفقة مع الدين. غير أن الوعي الأيديولوجي يتخذ من تدين الإنسان قاعدة لتصحيح جميع

1 - المصدر نفسه، ص 71.

أفعاله ومواقفه بل وتحليلاته السياسية وآرائه الفكرية وعلاقاته ومؤامراته، وكل شيء يغدو صحيحا شرعيا وفقا لضوابطه التبسيطية¹. فلا غرابة حينئذٍ، كما يقول الأستاذ الغرباوي: أن لا تُصدر الحركات الإسلامية إلا أعمالا ثقافية وفكرية مكرورة ومستنسخة، تنفع في أحسن الأحوال للاستهلاك وتربية جيل متدن في وعيه وثقافته وفكره².

ثالثاً: نسبية المعرفة الدينية

فثمة فارق جوهري بين النص كموضوع للقراءة والفهم من جهة. والفكر والمعرفة الدينية التي هي اشتغال على النص ونتاج بشري من جهة ثانية³. هذا ما ذكره الأستاذ ماجد الغرباوي نصاً للتمييز بين الدين والمعرفة الدينية. يضيف: (وإنما قلنا المعرفة الدينية لاستثناء النص (القرآن والصحيح من السنة)، باعتباره مطلقاً لا تشمله أحكام المعرفة الدينية التي هي قراءة وفهم له وليست هي النص ذاته)⁴. فنفهم من كلامه أن المعرفة الدينية نتاج بشري يتأثر بجميع العوامل الثقافية والعقدية والأيدولوجية، كما يتأثر بالعادات والتقاليد. إضافة إلى تأثره بميول المتلقي سواء كان فيلسوفاً أو مفكراً أو مفسراً. فلا توجد معرفة لا تحمل الصواب والخطأ ما دامت نتاجاً بشرياً. وكدليل على تأثر الفهم البشري بقبلياته الثقافية، نظرب مثلاً بتفسير القرآن الكريم التي اختلفت رغم وحدة النص / آيات الكتاب. فإذا كان المفسر لغوياً أنتج لنا تفسيراً لغوياً وركز على بلاغة النص، وإذا كان فيلسوفاً نراه يقول الآيات تأويلاً فلسفياً ويستخدم في كلامه مصطلحات الفلاسفة وأدواتهم كالوجود والعدم

1 - المصدر نفسه، 83.

2 - المصدر نفسه، ص 81.

3 - المصدر نفسه، ص 85.

4 - المصدر نفسه.

والماهية والقديم والحادث، وإذا كان يهوى العلوم الطبيعية يلوي عنق النص ليتطابق مع المكتشفات الحديثة¹.

حتى الاجتهادات الفقهية تتأثر أيضا بالظروف الزمانية والمكانية وبالمستوي الفكري والثقافي للفقهاء، وهذا سبب اختلاف الفتوي من فقيه إلى آخر. والاختلاف لا يقتصر على الخلفية المذهبية وإنما يتعداه إلى اختلاف الثقافات والفكر والثقافة. فطبيعة البشر الاختلاف².

إذاً ليست المشكلة في أصل الاختلاف والتباين وإنما المشكلة الأساسية ثمة من لا يعتقد بنسبية المعرفة الدينية، وإنما يتعامل معها بقدسية بالغة، ويصر على جزميتها ونهائيتها، ويرتب عليها آثاراً كبيرة. يرفض التشكيك بها أو التقليل من قيمتها المعرفية³. يتخذها أساس لعدم احترام الآخر وتكفيره وتحليل قتله ومحاربته من هنا نشأت الخلافات المذهبية.

وعليه ليست هناك معرفة دينية ثابتة أو مطلقة ما دامت تتأثر بانتماء الفقيه والمفكر والمثقف، وتتأثر بالظروف الزمانية والمكانية⁴. إن أحد أسباب تخلف الفكر الديني وعجزه عن مواكبة مستجدات الحاضر، هو تمسكنا بآراء صاغها أسلافنا وفقاً لظروفهم ومستوي ثقافتهم وأفكارهم. بينما للحاضر متطلباته التي تقضي آراء جديدة تواكب تطورات الواقع. إذا نسبية المعرفة الدينية تعد عاملاً أساسياً في نقد الحركات الإسلامية، فهي مجرد اجتهادات شخصية تحولت إلى آراء مقدسة، وظفت لتكفير الآخر ورميه بالكفر والضلال. بما فيها المجتمعات الإسلامية التي تختلف معها في الرأي، وسمحت بقتل الناس الأبرياء⁵.

1 - المصدر نفسه، ص 87.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص 91.

4 - المصدر نفسه

5 - المصدر نفسه، ص 93.

رابعاً: النصوص الدينية

النصوص الدينية هي المبرر الأخير لنقد الحركات الإسلامية. وربما هو الأهم بين المبررات السابقة، لقوة فاعليته وتأثيره لدى شريحة واسعة من الناس. (ويدخل النص بقوة في تشكيل الوعي وصياغة الحقائق. وأيضاً يلعب دوراً خطيراً في شرعنة الاستبداد السياسي، وتقرير القرارات الجائرة. ومازال النص مصدر الاحتراب والتناوب والتكفير، وأساساً لقتل الآخرين، ونسف جسور المودة والوئام، وتحطيم القيم الحضارية والإنسانية. بالنص تأمروا على الحقيقة، وبه زوروا التاريخ، وحولوا الدين إلى وسيلة للخداع والتضليل. فما من مؤامرة إلا وبجانبتها نص يشرعنها ويوجه حركتها، ويدافع عنها، ويكذب أعداءها)¹. لذلك سعى الأستاذ ماجد الغرباوي إلى نقد الحركات الإسلامية من خلال النص، لاسيما النصوص التي اشتغلت على الآيات والروايات فأنتجت نصوصاً لا زالت مقدسة في نظر الكثيرين. لذلك النقد هو السبيل الوحيد لمراجعة التراث، من أجل قراءة وفهم جديدين للآيات والروايات لفضح التأويل البشري لها.

قداسة النص

المقصود بقداسة النص، كما يرى الغرباوي، هو مرجعيته، وصدقته، ومصداقيته، فلا يتسرب الشك إلى صحة صدره، لأنه قطعي الصدور كما يعبرون، غني في دلالاته، متعدد في معانيه، إلهي في مصدره، لا يجوز تكذيبه، أو الطعن في صحة معانيه، صالح لكل زمان، شامل في موارده، كامل في مضمونه، ليس فيه زيادة أو نقصان، لا ترقى له النصوص، وتبقى فيه مساحات مبهمة لا يدركها العقل البشري². بينما تعني القداسة عند المؤسسات الدينية ورجالها الاقتصار على نمط معين من التفسير، وهي التفاسير الرسمية، التي تكرر مصالحها وتضمن استمرار

1 - المصدر نفسه، ص 101 و102.

2 - المصدر نفسه، ص 103 و104.

سلطتها. فهناك فرق واضح في معنى الداسة، بين ما يطرحه كتاب الحركات الإسلامية، وما يتبناه الاتجاه التراثي التقليدي. والقرآن هو مصداق النص المقدس، فيمكننا وفق مفهوم القداسة الذي طرحه الكتاب، تقديم أكثر من قراءة لنصوص الكتاب بما يخدم مصالح المسلمين. في ضوء المنطق الداخلي له، ومددات التأويل.

شرعية النقد في ضوء النص

مارس القرآن الكريم النقد من خلال تقويمه لعمل الانبياء والمرسلين، النموذج الإنساني الأول، رغم المستوى الأخلاقي الرفيع والقرب الأكيد من الله تعالى، فسجل على مسار المهام الموكلة لهم ملاحظات تقويمية لتسديد مسيرتهم، وبهذا يضع القرآن الكريم أساساً متيناً لشرعية النقد¹. بينما تجد كثيراً من الأوساط السياسية والدينية تتباعد عن المنطق العام للقرآن وترتكب موبقات وجرائم باسم الدين لا تنسجم مع قيمه ومبادئه. وقد عزز المؤلف كلامه عن شرعية النقد بمجموعة آيات وأحاديث نبوية². فالحركات الإسلامية أولى بالنقد من غيرها، لانتسابها للدين، فيكون واجبا علينا نقدهم وتستديدهم، وهذا ما يؤكد الحديث الشريف: (المؤمن مرآة أخيه المؤمن). فالمؤمن بمثابة مرآة الآخر، تعكس جميع تصرفاته وأفكاره وتضعه في مواجهه أخطائه مباشرة.

المرأة.. التحدي الأصعب

سلبت الحركات الإسلامية المرأة حقوقها التي منحها الإسلام لها، واتهمت الحضارة المادية أنها السبب في اغواء المرأة مادياً وجسدياً حتى فقدت كرامتها وباتت في نظرهم خطراً يهدد البشرية. وكل ذلك بمنأى عن النص الديني. (ولا غرابة في ذلك فقراءة النص وفهمه وتفسيره يختلف من فقيه إلى آخر ومن مفكر إلى مفكر. وكل

1 - المصدر نفسه، ص 105.

2 - أنظر: ص 105 و106.

قراءة تختلف في نتائجها عن الأخرى، لأن القراءة "أي قراءة" تتأثر بقبليات المجتهد أو المفكر أو المثقف، كما تتأثر بمكوناته المعرفية وخلفياته الفكرية والعقيدية والأيدولوجية. إضافة إلى ضرورات المنطق الداخلي للنص الذي يلعب دوراً كبيراً في تحديد المعنى¹.

لقد وضعت الحركات الإسلامية، بعد أن رفعت شعار التجديد والإصلاح، المرأة ضمن أولوياتها، ورسمت لها وظيفة جديدة بعيداً عن حضارة القرن الحادي والعشرين، وقيمها التي تأثرت بها المرأة المسلمة. بل وراحت المرأة المسلمة تندد بقيم الحضارة المادية البعيدة عن أحكام الشريعة وتعاليم الدين الحنيف. وأصبحت داعية تبشر بالأفكار الجديدة، دون تمييز بين القيم الأخلاقية والحضارية.

لم تتطور المرأة مطلقاً في ظل حكم الحركات الإسلامية كما حدث في أفغانستان وإيران والعديد من الدول الإسلامية التي صارت تهدر حقوق المرأة. ورغم حركات التحرر النسوية العالمية التي تدعو للمساواة بين الرجل والمرأة... إلخ. ما زالت المرأة المسلمة غارقة في ظل العادات والتقاليد، تأنس كونها نصف إنسان، عورة، شيطاناً مغرباً، لا يسمح لها بمجالسة الناس لأنه خلافاً للأعراف، ودائماً عليها أن تثبت نقاءها وعذريتها، لا ثقة بها في أداء عمل سوى عمل البيت، تتعهد بتربية الأطفال لا يحق لها الخروج إلا بأذن زوجها. إي أن المرأة ليس لها إلا بيتها ثم قبرها، تلك هي المرأة نسبة للأوساط الشعبية. يقول الغرباوي: (إن وضع المرأة المسلمة ما زال كما هو قبل وبعد ظهور الحركات الإسلامية، ولم يطرأ على تفكيرها ما يؤكد مصداقيتها. فلا تغيير ملموس في وضعها الفكري والثقافي والإنساني، بل انكفأت المرأة تساعد الرجل على تحجيمها، وتبديد حقوقها، بعد انقلاب تدمرها إلى قناعة راسخة تتعالى على التمرد والرفض. فلا نخطئ إذا قلنا إن الفكر الحركي كان بالنسبة للمرأة أفيونا حقيقياً فاقم مشاعر النقص والتضائل أمام سلطة الرجل)².

1 - المصدر نفسه، ص 105.

2 - المصدر نفسه، ص 108.

ورغم وعود الحركات الإسلامية للمرأة بمستقبل أفضل تحت ظل الشريعة، إلا أننا لا نجد أمراً قد تولت منصباً قيادياً داخل الحركات الإسلامية، وإنما تحولت تلك الحركات إلى عبء على المرأة وحياتها ومستقبلها. بل الغريب أن بعض الحركات الإسلامية السلفية لا تعترف بإنسانية المرأة. ويبقى ههما الوحيد حجاب المرأة، وكيفية الحفاظ عليه، وكأنه ليس للمرأة مشاكل أخرى تعاني منها.

حقوق المرأة...مقاربة أولية

يري الأستاذ ماجد الغرباوي: إن مسألة حقوق المرأة تتوقف على الاعتراف بإنسانيتها أولاً وقبل كل شيء، ومن ثم الاعتراف بحقوقها السياسية والاجتماعية في موازاة حقوق الرجل... فثمة رؤية ثقافية حجّمت سلطتها واختزلت إنسانيتها... لذا يجب تمكين المرأة من نفسها، وإعادة ثقافتها بإنسانيتها، بقدرتها على منافسة الرجل. كما يجب أيضاً ضخ المجتمع بخطاب ثقافي يطيح بمنظومة التصورات الخاطئة عن المرأة وضعفها، كي يتجاوز الرجل تصورات الخاطئة عنها ويرقى إلى مستوى الشعور بالمسؤولية تجاه حقوقها الأساسية.¹

لقد منح الإسلام المرأة حقوقها العادلة، لكن هناك من لا يراعي العدالة، حتى في استنباط الأحكام وتفسير الآيات. فتجد بعض الفقهاء يجرمون المرأة حقها في الانتخابات والترشيح. رغم أن النساء بايعن النبي صلي الله عليه وسلم، وقد ذكر القرآن ذلك صريحاً. وهنا آيات كثيرة تشرع لحقوق المرأة، لكن الحركات الإسلامية فسرت آيات الكتاب، كما يحلو لها ويتناسب مع أهدافها، فنظرت المجتمع للمرأة ليس وليد الحاضر، بل ترسخت منذ قرون. (إذاً ليست مسألة حقوق المرأة منحصرة في الحجاب، وليس هناك من يدعوها إلى التنازل عن عفتها وكرامتها أو التساهل في

1 - المصدر نفسه، ص 113.

حجابها، وليس هناك من يدعو إلى إهدار مكائنها، أو يطالبها بمغادرة بيتها، المسألة قبل كل شيء ثقافية تتعلق برؤية المرأة لنفسها، ورؤية المجتمع لها¹.

الحركات الإسلامية والولاء الوطني

إن ولاء الحركات الإسلامية للوطن أمر يثير الريبة في النفوس. وثمة شكوك تعصف بمصادقية ولائها الوطني، شكوك مبررة². وأدبياتها تؤكد على تهمش الوطن وتسمح باستباحة مقدساته وتدمير هويته. وكأن مفهوم الولاء عندها، يختلف عن مفهومه لدى جميع الاتجاهات الفكرية والأيدولوجية. ويظهر أن الحركات الإسلامية ليس لديها أسس فكرية تركز إليها في صياغة الولاء الوطني. لهذا لا تزرع حب الوطن في نفوس أتباعها. الوطن في مفهومها عموم الوطن الإسلامي وليس البقعة الجغرافية التي يسكنها الإنسان، بينهم روابط مشتركة تخص بهم دون غيرهم. فوطن الحركات الإسلامية، وطن لا تحده حدود. وإذا كانت هناك مفردة أو اثنتان للوطن في أدبياتها فتقصد به الوطن الإسلامي كما يرسمه المخيال الحركي. وهو باختصار (وطن لا تحده حدود، وإنما يمتد بامتداد الإسلام في كل مكان، ويعلو سلطته خليفة الله، ويمثل فيه أفراد الحركات الإسلامية جند الله الأمناء في أرضه. ففكرة الوطن فكرة خيالية لا تساهم في تشكيل هدف واضح تتحرك على هديه الحركات الإسلامية)³. إنها فكرة خيالية ونتاج ثقافة ماتت منذ قرون ظلت في طي النسيان. إن ولاء الحركات الإسلامية يستبيح الاوطان ويسمح بقتل الأبرياء. فالولاء الديني عندهم لا يضاهيه الولاء الوطني. الأول مقدم على الثاني دائماً. وهذا النوع من الولاء لم يأمرنا الإسلام به، ولا يعد ولاء لله ولرسوله. وليس الولاء الذي استطاع النبي والصحابه من خلاله نشر الإسلام. بهذا تبدو الآن واضحة أسباب تطرف الحركات الإسلامية، وأسباب

1 - المصدر نفسه، ص 118.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص 119.

تشبّثها بالعنف ولماذا لجأت للارهاب واستباححت اراقة الدماء ونهب الثروات.
فالحركات الإسلامية تعتبر عبئا على الإسلام والمسلمين.

انهيار مفهوم الولاء الوطني

إن الولاء لله وللرسول والذين آمنوا لا يستلزم خيانة الوطن أو الاستهانة بمقدراته بحجة الولاء وإنما حب الوطن من الإيمان. ولا يستلزم اضمحلال الولاء الوطني بهذه الدرجة المفجعة¹. والأُنكى من ذلك إنها لا تعي ما تأخذ من التراث، ففكرة أرض الإسلام وأرض الكفر، التي كانت أحد الأسباب الرئيسية وراء تلاشي الولاء الوطني هي فكرة سلطانية، بلورها فقهاء السلطة لأهداف سياسية تخدم الخليفة الإسلامي وتهيئ له مبررات غزو البلاد الأخرى والتحريض ضدها. وليس لهذه الفكرة بهذا القدر من الأحكام المترتبة عليها جذر ديني (آية أو رواية) يمكن ان يكون دليلا شرعيا لها². هذا ما أكدّه الأستاذ ماجد الغرباوي وهو يتحدث عن انهيار الولاء الوطني.

إن هذه الحركات مازالت تقدّس التاريخ ولم تفكر باختلاف الظروف الزمانية والمكانية. فمثلاً، لم تقم الدولة الإسلامية عبر التاريخ امتثالاً لأوامر إلهية، بل كان وراء قيامها أسباب وظروف خاصة، في مقدمتها السياسية. فهي نتاج ظرف تاريخي، وليس تجسيدا لحكم شرعي، فما الداعي لإحيائها في ظل ظروف مختلفة؟. فإنها سوف تواجه مشاكل كثيرة، كيف نقيم دولة ضم جميع المسلمين، مع اتساع أوطانهم وانتشارهم في جميع انحاء العالم؟ هل نخضع جميع الدول لسلطة الدولة الإسلامية، التي يحكمها خليفة المسلمين؟. يبدو لي ان هذه الحركات لا تعيش على أرض الواقع. كيف نحكم شعوبا بعادات وتقاليد ولغات ولهجات وثقافات مختلفة تحت راية حكومة واحدة. وكيف يحكم خليفة المسلمين شعوبا لا يفهم لغتها؟. (لقد أفضى هذا اللون من التفكير إلى تهميش الولاء الوطني، ووضع في مرتبة متأخرة عن الولاء

1 - المصدر نفسه، ص 122.

2 - المصدر نفسه، ص 123.

الديني. ولم تتراجع عنه إلا بعض الحركات الإسلامية تحت ضغط الواقع كما حصل بالنسبة للحركات الإسلامية العراقية التي عاشت ربع قرن في كنف الدولة الإسلامية / إيران¹.

الحركات الإسلامية والارهاب

ان وصف الحركات الإسلامية المتطرفة بأنها حركات ارهابية بات أمرا لا شك فيه، بعد أن تبادت هذه الحركات في استخدام العنف والاسراف بالقتل، وتدمير الحياة المدنية. وقد بات الإرهاب باسم الدين والإسلام خطرا حقيقيا يهدد أمن العالم وسلامة الأمم، وباتت الحركات الإسلامية المتطرفة عبئا أثقل كاهل العاملين والمصلحين. ف(في كل يوم تفيق الشعوب على جريمة نكراء، يذهب ضحيتها النساء والرجال والأطفال. وكلما حاولت الذاكرة نسيان الماضي أيقظها انفجار هنا أو جريمة هناك. وكلما ارتكز الإنسان الغربي إلى التسامح في التعامل معنا جرّته دماء الأبرياء إلى التعصب والانكماش والرفض، وكلما اعتذر المسلمون عن جريمة أفسدتها جريمة أكبر)². إن ما تقوم به الحركات الإسلامية المتطرفة يتطلب مراجعة أسسها الفكرية والعقدية التي يصدر عنها العمل الإرهابي، فهناك سبب أعمق يدفع الفرد للانتحار والتضحية بنفسه. صرح ان هناك أسبابا نفسية وسياسية وربما اقتصادية وراء التضحية بالنفس، لكن وراء سلوك افراد هذ الحركات دوافع دينية، وليس ايدولوجية أو سياسية خالصة.

لقد ارتكبت الحركات الإسلامية أعمالها باسم الدين، جهلا منهم بحقيقة الفكر الإسلامي الأصيل لقائم على التسامح والمحبة. وقد استغلوا النصوص الدينية لنشر أفكارهم التكفيرية، فلا سلطة كسلطة الدين قادرة على اقناع الناس. الاسلام يدعو إلى: إعمار الأرض، احترام الآخر، تمثل الاخلاق والتمسك بالقيم الانسانية والدينية

1 - المصدر نفسه، ص 124.

2 - المصدر نفسه، ص 124.

السمحاء، وعدم الاستهانة بحياة الناس، وحرمة قتل النفس المحترمة. بينما التفجيرات الانتحارية، قتلت النساء والأطفال، وكل من يختلف معهم دينياً. إن منفذي التفجيرات الانتحارية يعتقدون ان الله يريد منهم ذلك وقد اصطفاهم على غيرهم. فهم أيضاً ضحايا نقص الوعي الديني، وعدم تمييز الصواب عن الخطأ، حتى لو اجمع كل الدعاة الإسلاميين على حرمة هذا العمل، فلا يغير قناعتهم، لأنهم لا يؤمنون إلا بما تقوله الحركات الإسلامية المتطرفة التي رسخت في أذهانهم أنها تقدم لهم الشهادة على طبق من ذهب. (وبعبارة أوضح، إن الخطاب الديني أعاد تشكيل العقل الحركي على أساس هجاء الحياة وعشق الموت، كراهية الآخر وتمجيد الذات، إهمال الدنيا وتعمير الآخرة، كسب رضا الله تعالى بالتضحية والفداء لأي سبب كان. فلم يثقف الخطاب الديني قواعد الحركات الإسلامية على تبني العفو والرحمة والتسامح والمغفرة مع الآخر، وإنما تثقف على كره الآخر، والتخطيط لقتله واستئصاله. ولم يثقف الفرد على سعة رحمة الله ومغفرته، وإنما تثقف على أن الله جبار السماوات والأرض، لا يمكن إدراك رحمته بالإيمان والعمل الصالح، وإنما بالتضحية والشهادة في سبيله)¹.

الوعي المبتور أساس العنف

تعد العراق من الدول العربية التي تعرضت للعنف والدمار على يد الحركات المتطرفة مثل ما يعرف بتنظيم الجهاد، تنظيم القاعدة والعديد من الحركات التي استخدمت العنف سلاح للنشر الفوضى والعدوان باسم الدين مما جعل العراق في حالة من الاضطراب مع كل تلك الحركات التي تقاتل بعضها البعض مستخدمة اسم الدين كتبرير لأفعالها، حتى وصل بهم الأمر الى اصدار فتاوى تكفريه وتفعيل أحكام الجهاد، فقطعت رؤوس الأسرى، وقتلت الأبرياء وهدمت دور العبادة، وحاربت كل من ينتمى إلى مذهب إسلامي مخالف لمجرد الاختلاف في الآراء، بالإضافة الى تضليل

1 - المصدر نفسه، ص 129.

الشباب الذي لم يكتمل وعيهم الديني واقناعهم بالشهادة في سبيل الله. كل هذا قبل ظهور داعش، التي ارتكبت أعمالاً فظيعة، يندى لها جبين الإنسانية.

لقد تكدست الحركات الإسلامية المتطرفة حتى أضحت دماراً وخراباً، لدرجة أن ضحايا العنف من المدنيين الأبرياء وصل مئة ألف مواطن (آنذاك) كما كشف مركز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية، أليس هؤلاء المئة ألف مواطن مسلمين أيضاً؟ والغريب أن هذه الحركات لم ينصرها الله تعالى على الكفار والمشركين، ولم تحقق شيئاً من أهدافها المعلنة في محاربة الأمريكان، أو الغزاة (حسب قولهم) وإنما زادتهم إصراراً وتعنناً، وبُذرت اجتياح المدن وقتل الأبرياء والعزل، كما في عدد من المدن العراقية¹. ويتساءل الاستاذ ماجد الغرباوي في هامش الصفحة 137: (السؤال المحير، لماذا لم تتعباً هذه الحركات ضد إسرائيل وهي تمتلك من القوة والمال والسلاح ما يفوق التوقع؟؟ أليست إسرائيل هي العدو الأول، وهي مغتصبة معتدية، وما تفعله بالفلسطينيين يومياً يندى له الجبين؟. هذا السؤال يضع الحركات الإسلامية المتطرفة في دائرة الشك بل الخيانة، والإنخراط في مشاريع تصب في صالح إسرائيل والقوى الإستكبارية العالمية، وضد مصلحة المسلمين والعرب).

لذلك وعي الحركات المتطرفة وعي ناقص مبتور، لا يمت للدين بصلة وإن كانت تلك الحركات المتطرفة تعمل لصالح أوطانها حقاً، أليس الأفضل الجهاد ضد المحتل الغاشم الذي يستولي على عدد من مناطق العالم العربي بدل من قتل بعضنا البعض؟. أما لماذا لم يتطرق الكتاب لداعش بالذات، فقد بات واضحاً من خلال مقدمة الكتاب أن مقالاته قد كتبت بين 2004 و2006.

الإسلاميون والسلطة

لقد خص الكاتب الفصل الأخير من الكتاب للحديث عن الحركات الإسلامية في العراق، باعتبارها أكثر البلدان العربية التي عانت وما زالت تعاني من إرهاب

1 - المصدر نفسه، ص 137.

الحركات المتطرفة. وقد بدأ حديثه عن خصائص الحركات الإسلامية، واتخذ من حزب الدعوة الإسلامية مثالا، للحركات الإسلامية السياسية. يقول:

امتازت الحركة الإسلامية في العراق، سيما الشيعية وخصوصا حزب الدعوة الإسلامية، على غيرها من الحركات بعمق التجربة وعراقتها وتنوعها. فالحركة الإسلامية عاشت مرحلة التأسيس التي تمخضت عن نظرية في العمل السياسي وكم من الآراء والأفكار السياسية، سبقتها إرهابات وعي مبكر لدى طيف من النخبة المثقفة¹. وهذا يكسبها خبرة كبيرة، ويضيف الاستاذ الغرباوي: ثم انتقلت الحركة إلى مرحلة العمل الدعوي والتبليغي، الذي قطعت فيه، خلال عشرين عاما، شوطا كبيرا على صعيد بلورة وعي جديد في مقابل الوعي القومي والاشتراكي (إن صح التعبير)، فتوغلت في عمق المجتمع العراقي وامتدت إلى كافة المؤسسات التعليمية والمهنية. وانتهى بها المطاف إلى مرحلة العمل السياسي داخل العراق وخارجه، فاكسبت تجربة هائلة في العمل السياسي وفن الحوار، والتحالفات، وخط الأوراق، وسرعة الحركة والاختفاء². فهو يتحدث عن تاريخ مفصل عن حزب الدعوة، من موقع الاطلاع والخبرة السياسية في مسارها التاريخي، لذا يضيف: وتعرضت إلى الانشطار والاختزال والتآمر والاحتواء، لكنها نجحت رغم كل المحن والأحداث والرهانات على إسقاطها. وبعد مرور عشرين عاما كانت الحركة الإسلامية على رأس السلطة في العراق. وهذا واقع يشهد له كل من عاصرها، عبر المراحل المتقدمة. وهذا الأمر يؤهلها لمواصلة المسيرة ويكسبها قدرة على الانسجام مع المرحلة التي هي فيها، إذا ما أرادت ذلك، وقررت من وحي مسؤوليتها اتخاذ خطوات عملية على هذا الصعيد. لكن قبل ذلك ينبغي أن تعي ما هو المطلوب منها راهنا، وتعي الة التغيير وفقا لمستجدات الوضع³.

إن المسيرة الطويلة، كمسيرة حزب الدعوة في العمل السياسية، تكسب اصحابها خبرة كبيرة، يمكنهم توظيفها لصالح مشاريعهم السياسية، متى ما تم استغلالها بطريقة

1 - المصدر نفسه، ص 139.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه.

صحيحة. لكن الحركات الإسلامية العراقية وقعت في مرحلة السلطة بأخطاء قاتلة. فمثلاً ما زالوا يمارسون السياسة بعقل مرحلة المعارضة، علماً أن لكل مرحلة أسلوبها وظرفها ومنهجها وسياسيتها. مرحلة السلطة تختلف عن مرحلة العمل في صفوف المعارضة السياسية، (ومن لا يعي الواقع لا يستطيع الانسجام معه، ومن لا ينسجم معه يتحوّل إلى عثرة في طريق الآخرين. وليس هناك فكر معصوم، أو أحكام نهائية، أو قناعات جزمية. وأيضاً لا مجال لفرض الآراء، والتفرد والاستبداد، والتسلط. ويجب عليهم التخلي عن منطق الولاية، ومنطق الاستبداد المبطن، ومنطق الدولة الدينية، ومنطق الحماثم والصقور، ومنطق الحرس القديم، ومنطق الولاءات، ومنطق احتكار السلطة)¹.

إذاً يجب على الحركات العراقية إعادة صياغة ثوابتها الفكرية والسياسية لتكون أكثر انفتاحاً على الآخر. بينما باتت الدولة والسلطة أهدافاً أساسية للأحزاب السياسية. وهذا يعني ضرورة التشبث بمنطق الدولة والسلطة، واستخدام نفس الأدوات السياسية التي يستخدمها الخصم، بلا حاجة إلى غطاء الدين وقبائ الولي الفقيه، كما يصرح الغرباوي بذلك².

آفاق التجديد

يجب على الحركات الإسلامية العراقية تطوير نظريتها السياسية وعملها الحزبي لترقي إلى مستوى السلطة بمفهومها الجديد، فلم تعد تلك الأفكار التقليدية التي لا تمت للواقع بصلة، بسبب مثاليتها الوهمية، صالحة للحكم. العراق بات نسيجاً من التنوع الديني والمذهبي والسياسي والفكري، ولا يحق لأحد الاستحواذ على السلطة أو السياسة بسبب هذا التنوع الذي لا يناسب أرض الواقع، لذلك نحن بحاجة إلى

1 - المصدر نفسه، ص 141.

2 - المصدر نفسه، ص 142.

تجديد يناسب المرحلة الحالية بداية من الاعتراف بالآخر وإمكانية التعايش مع التعايش معه، ثم الفصل بين السياسة والدين، فالحركات السياسية ليس دينية.

لأول مرة منذ زمن يتحدث قادة الحركيين في العراق عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والاعتراف بالآخر والتسامح ورفض الاستبداد الديني، تبدوا هذه خطوة جيدة من أجل دولة العراق الحديثة لكن يجب أن تكون هذه الأفكار صادرة عن قناعة فكرية وليس أمراً فرضته مرحلة السلطة. فالتقدم الحقيقي يكمن في أساليب عمل جديدة تتكيف عليها القواعد الحزبية بشكل يحقق نقلة نوعية لمواصلة العمل السياسي. أعتقد كما يصرح الغرباوي: أعتقد أن الحركة الإسلامية العراقية مؤهلة الآن لتحديث منظومتها الفكرية ونظريتها السياسية في ضوء انطباعاتها عن الدولة الدينية، التي عايشتها عن قرب وشاهدت إخفاقاتها. وأيضاً في ضوء ما تحتزن من تجربة ثرية اكتسبتها خلال المرحلة السياسية، وأخيراً اشتراكها في السلطة، وممارستها لنظام الحكم. وكل شيء بات مهياً في ظلّ الإمكانيات المتاحة، وأجواء الحرية والانفتاح التي عمّت البلاد¹.

الحركة الإسلامية والديمقراطية

الديمقراطية التزام يتطلع كل حزب سياسي الى تجسيده والامان به، وتكمن حقيقة الديمقراطية بهامش الحرية والاعتراف بالآخر وبحقوقه ورفض الاستبداد والتسلط وتبني حرية الرأي.. فهي ليست آراء نظرية مجردة، وانما ممارسة يومية. فهل مارست الحركات العراقية الديمقراطية؟

لا يبدو أنها مارست الديمقراطية حقيقة، كما يعتقد الغرباوي، بداية من استمرار القادة لأكثر من ربع قرن وتشبثها بالسلطة، وهذه أولى علامات الاستبداد

1 - المصدر نفسه، ص 145

السياسي¹. ودليل واضح على احتكار السلطة، واعتبارها إرثاً يتداوله أبناء القبيلة الواحدة.

كيف لهذه الحركات أن تتبنى مبادئ الديمقراطية وليس هناك تحديد على مستوى القيادة ولا الفكر، يبدو أن الحركات العراقية ستحكم على ذاتها بالموت الأكيد لأنها لا تلتزم بمبادئ الديمقراطية في أوساطها على الأقل. يجب معالجة تلك السلبيات، أو سيتداعى وضعها الداخلي. وليس أمام الحركات الإسلامية العراقية اليوم طريق سوى العودة إلى الذات، العودة إلى الداخل لبنائه بناء ديمقراطيا سليما، يتجسد من خلال التداول المستمر للمناصب القيادية، والتجديد المستمر للثقافة والفكر. وإلا فسيُحكم عليها بالموت الأكيد، أو العودة إلى المعارضة².

الحركة الإسلامية العراقية في مواجهه أبنائها

اتسمت بعض الحركات الإسلامية بكثافة النخب العلمية والثقافية. واستطاع الإسلاميون التوغل في الأوساط الجامعية والمنتديات العلمية بشكل لافت. حتى كادت الحركة الإسلامية العراقية تستأثر بعدد من المواقع العلمية والثقافية في نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن المنصرم³. لكنها لم تحتضن بعد استلام السلطة في العراق، هذه الكفاءات. وقد عمدت الى تشويه سمعة عدد كبير من الشخصيات الاسلامية واتهامها بالتمرد والخيانة، خوفاً من منافستها، واحتلال مواقع مميزة داخل الحزب، لذلك ظلت تراوح في مكانها دون أي تقدم. لم تضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وفضلت الولاء والطاعة على الكفاءة، لضمان السلطة.

1 - المصدر نفسه، ص 146.

2 - المصدر نفسه، ص 147.

3 - المصدر نفسه، ص 148.

شكر خاص

شكراً للأستاذ ماجد الغرباوي. كتاب ممتع، صحيح لدي كثيرا من المفاهيم، وسلط الضوء على احداث سياسية تدور من حولنا، ونحن تائهين في دروب الحياة. نحتاج الى مثقف مثلك ليعيدنا الى الطريق الصحيح.